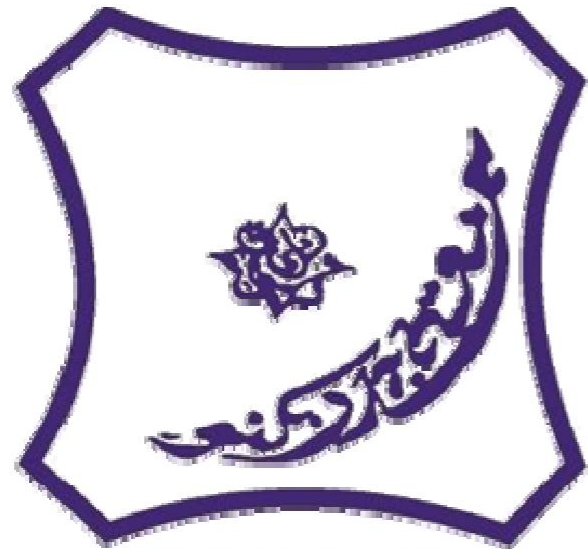




# دراسات عربية

السلسلة الجديدة



ISSN: 2360 -7645

حولية تصدر عن

قسم اللغة العربية - جامعة بايرو - كنو، نيجيريا

العدد الخامس عشر، الرقم ٢، أكتوبر ٢٠٢٠م

DIRASAT ARABIYYAH

العدد ١٦ الرقم ١ ٢٠٢٢م

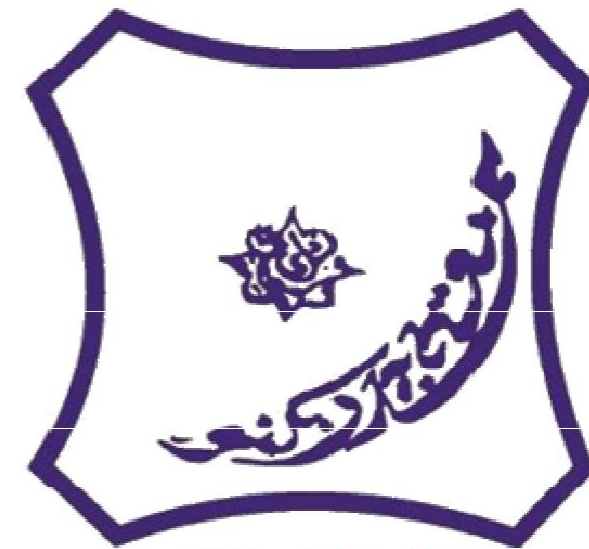
دراسات عربية

VOLUME 16, NO. 1 2022



# DIRASAT ARABIYYAH

New Series



ISSN: 2360 -7645

An Annual Journal of  
Department of Arabic,  
Bayero University, Kano

Volume 15, No. 2, October 2020

# دراسات عربية

السلسلة الجديدة

العدد الحادي عشر أكتوبر ٢٠١٦م



حولية تصدر عن

قسم اللغة العربية - جامعة بايرو - كنو، نيجيريا

# دراسات عربية

السلسلة الجديدة

العدد السادس عشر، ٢٠٢١م

ISSN: 2360-7645

© قسم اللغة العربية - جامعة بايرو-كنو، نيجيريا

عنوان المراسلات:

البريد العادي: P. M. B. 3011, Kano Nigeria

البريد الإلكتروني: [arabiyah@buk.edu.ng](mailto:arabiyah@buk.edu.ng)

Printed and Published By:

**Department of Arabic**  
**Bayero University, Kano**

نشر وطباعة

قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو

## هيئة التحرير

د. أحمد محمد ثالث	رئيس القسم:
أ.د. الطاهر محمد داود	رئيس التحرير:
د. جميل عبد الله	المحرر:
أ.د. محمد رابع أول سعد	السكرتير الإداري:
د. أول إدريس عثمان	السكرتير المالي:
أ.د. محمد طاهر سيد	الأعضاء:
أ.د. شيخ عثمان أحمد	
د. محمد هارون هطيحيا	
د. أبوبكر نوح فندا	
أ.د. سمبو ولي جنيد	مستشارو التحرير:
أ.د. عبد الباقي شعيب أغاكا	
أ.د. مصلح تايو يحيى	
أ.د. زكريا حسين	
د. سليمان عثمان سليمان	

## شروط النشر في المجلة

دراسات عربية (السلسلة الجديدة) حولية تصدر عن قسم اللغة العربية بجامعة بايرو، كنو، نيجيريا. وترحب لجنة تحرير المجلة، لعددتها القادم، ببحوث علمية رصينة، لم يسبق نشرها، في نطاق اللغة العربية وآدابها. وتتولى اللجنة تقويم البحوث المقدمة للنشر مع الاستعانة بخبير واحد على الأقل خارج اللجنة.

تطبع البحوث المقدمة للنشر على الحاسوب في ورق مقاسه (A4) وعلى واجهة واحدة منه في حجم يتراوح بين ١٥ و ٢٠ صفحة مع مراعاة هوامش كافية، وأن تكون الطباعة على مسافتين، ويتوقع من المساهمين تسليم ثلاث نسخ من البحث مع قرص يحمل في طياته البحث نفسه. أما منهج المجلة في إثبات المصادر والمراجع والشروح فإنه يكون في آخر البحث بتقديم اسم المؤلف، فسنة النشر، فعنوان المؤلف (إن كان كتابا)، فدار النشر، فالمكان، فالصفحات. وإذا كان بحثا في مجلة فيقدم اسم الكاتب كذلك، فعنوان البحث، فالمجلة مع ذكر السنة والعدد والصفحات.

إلى أن توافينا مساهمتكم العلمية لتحقيق الرسالة الملقاة على

كاهلنا.

## كلمة العدد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الأمين وآله وصحبه وسلم أجمعين.

يسعدنا أن نرحب بالقارئ الكريم ونزف إليه العدد السابع عشر من مجلة "دراسات عربية" التي يصدرها قسم اللغة العربية بجامعة بايرو بكنو نيجيريا. ونرجو له سياحة علمية وأدبية ممتعة بين صفحاتها التي حوت هذه المرة موضوعات شتى من اللغة والأدب، موزعة كآتي: اللغة واللغويات ست مقالات، الأدب والنقد تسع مقالات، تاريخ اللغة العربية ومكانتها أربع مقالات، ومقالة واحدة في البلاغة.

وجاءت مشاركات هذا العدد من جامعات نيجيرية عدة، كما حظي بمشاركتين من جامعة الملك فيصل بجمهورية تشاد الشقيقة وأخرى من جامعة مصطفى استمبولي بالجمهورية الجزائرية. التحية والتقدير لكل الباحثين الذين ساهموا بمقالاتهم الرصينة في هذا العدد، وندعوهم للاستمرار بالمساهمة العلمية في أعدادنا القادمة.

مجلة دراسات عربية عضو مؤسس في الجمعية الدولية للمجلات العلمية الناشرة باللغة العربية، وبدأ إصدارها منذ ١٩٨٢م وتوقفت لفترة قصيرة ثم عادت للظهور في سلسلتها الجديدة هذه، منذ عام ٢٠٠١م بدون انقطاع حتى الآن. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## محتويات العدد

ج	هيئة التحرير .....
د	شروط النشر في المجلة .....
هـ	كلمة العدد .....
و	محتويات العدد .....

- (١) أثر التحليل التقابلي بين اللغتين العربية والهوسا في تحسين تركيب النعت والمنعوت لدى طلبة الصف الثاني الإعدادي بولاية كنو [محمد ثاني إبراهيم] و [أبوبكر إبراهيم أحمد]
- ١
- (٢) تعامل المفسرين مع معاني المفردات دراسة سيميائية في تفسير "ردّ الأذهان إلى معاني القرآن" لأبي بكر محمود جومي [الدكتور أيوب شيخ أحمد الرفاعي] و [الدكتور عثمان أبوبكر معاذ]
- ٢٤
- (٣) الشيخ يحيى فاروق ثيظ وتحقيق منظومة مُرُوي الصَّدي في علم الصرف للشيخ محمد بن صالح الفلاتي: تعليقات وملحوظات [د/عمر باوا موسى]
- ٣٨
- (٤) التعريف المعجمي من خلال "منظومة العقد الفريد فيما يحتاجه المرید" للشيخ عبد القادر التالكي [الدكتور: جميل عبد الله]
- ٦٦
- (٥) اللهجات العربية واللهجات الهوسوية: مقارنة وصفية [سماني حسن حسين] و [عبد الله أبوبكر زرنندا]
- ٩٢
- (٦) اختلاف النحاة في تعريف حروف الجر وعددها: عرض وتعليق [رابع عبد الله]
- ١٠١
- (٧) التجربة الشعورية لدى إسحاق شعيب الجيلي في قصيدته "يوم لا أنساه" [الدكتور سليمان إبراهيم غروما]
- ١١٩

- (٨) التناص مع الحديث النبوي الشريف في شعر العلامة الأستاذ عبد  
الله بن فودي [كبير عيسى] و [يحيى بلّوا] و [منتقى أبوبكر محمد] ١٤٠
- (٩) مسح عام للشعر العربي الإفريقي: ماضيه، وحاضره، ومستقبله  
[الدكتور حامد هارون محمد] ١٦٢
- (١٠) عرض كتاب "سيد قطب والنقد الأدبي" للبروفيسور محمد الأول أبي  
بكر [سماني حسن حسين] و [الدكتور عمر عبدالله] ١٨٧
- (١١) التشخيص في قصيدة "إني أغادر أرضكم" !جائحة كورونا في الخطاب  
الرسعي إلى أنحاء العالم للشاعر عبد العزيز محمد سلمان الياقوتي  
[د. المتبولي شيخ كبر] ٢٠٠
- (١٢) تطوّر فنّ الغزل في الأدب العربي النيجيري من القرن الثامن عشر  
الميلادي إلى أوائل القرن الحادي والعشرين. [الدكتور محمد علي] ٢١٥
- (١٣) قراءة في العلاقات التناصية [الدكتور/ يعقوب أرمياء] ٢٣٥
- (١٤) ألوان السرد في الروايات النسائية العالمية: دراسة وصفية لنماذج  
مختارة [الدكتور أحمد محمد ثالث] و [الأستاذة بنت تكرر] ٢٥٥
- (١٥) التناص القرآني في قصيدة "علمتني الحياة"؛ للشاعر مصطفى  
حمام [الدكتور محمد الماحي بللو] ٢٧١
- (١٦) اللغة العربية وجدلية الهوية في بناء الوطن الإفريقي: نيجيريا  
أنموذجا [الدكتور: أمين يهوذا] و [الأستاذة حفصة صالح] ٢٨٧
- (١٧) اللغة العربية وانتشارها في تشاد [الدكتور/ خالد آدم موسى] ٣٠٢



- (١٨) تأثير الاستشراق في اللغة "العربية" إبان الاحتلال الأوروبي للشمال الإفريقي [د. سليمان جبار]
- ٣٢٩
- (١٩) دور المسلسلات المدبلجة إلى العربية في تطوير العربية الفصحى: نماذج من مسلسل "سحر الحب" (Sortilergio) [ناصر إسماعيل موسى]
- ٣٦٣
- (٢٠) دراسة صور الاستعارة في رسالة الإغريض لأبي العلاء المعري [دكتورة/ بلقيس طاهر عمر]
- ٣٨١

أثر التحليل التقابلي بين اللغتين العربية والهاوسا  
في تحسين تركيب النعت والمنعوت لدى طلبة الصف الثاني الإعدادي بولاية كنو  
EFFECT OF CONTRASTIVE ANALYSIS BETWEEN ARABIC AND HAUSA ON STUDENTS PERFORMANCE  
IN ARABIC ADJECTIVES CONSTRUCTION IN JSS II SCHOOLS IN KANO STATE

محمد ثاني إبراهيم

Muhammadu Sani Ibrahim

[saniibrahim2009@gmail.com](mailto:saniibrahim2009@gmail.com); 08100449526

أبوبكر إبراهيم أحمد

Abubakar Ibrahim Ahmad

Ahmadu Bello University, Nigeria

[aiahmadhamid1012@gmail.com](mailto:aiahmadhamid1012@gmail.com); 08143319364

### Abstract

The paper aimed at identifying the "effect of contrastive analysis between Arabic and Hausa on students performance in Arabic adjectives construction in jss ii schools in Kano state" The researchers have designed goal, questions, and hypothesis; by using Quasi-experimental method, prepared an achievement test and applied it to the research sample, the test has been distributed into two groups (control and experimental), each group contained 40 students, that comprises the total number of (80) students. After the data was collected and the research questions were analyzed using the appropriate statistical tools, the sample size of the population is (80) participant according to Kris and Morgan (1970) it has been found that the result affirms that there is significant differences between control and experimental group and also there is improvement in the responses of the students in Using adjectives (Na'at) in Arabic sentences, as ((16.3200) and (10.4000), and the difference was (5.92000), which shows that the experimental group got high mark than the control group as shown in table(3), The researchers recommends the effect of contrastive analysis between Arabic and Hausa language need to be given a pedagogical teaching measure between the two languages for the enhancement of the jss II Secondary School Students of Kano State.

## مستخلص البحث:

يهدف هذا المقال إلى التعرف على "أثر التحليل التقابلي بين اللغتين العربية والهوسا في تركيب النعت لدى طلبة الصف الثاني الإعدادي بولاية كنو" وقد صمم الباحثان هدفاً وأسئلة وفرضاً للمقال، واستُخدِمَ فيه المنهج شبه التجريبي وأعد اختباراً تحصيلياً وطبقه على عينة البحث القصصية البسيطة، وتم توزيع الاختبار على مجموعتين (الضابطة والتجريبية)، وتضم كل منهما (٤٠) طالباً وطالبة، والمجموع الكلي (٨٠). طالب وطالبة. وبعد جمع البيانات وتحليل أسئلة البحث باستخدام الأدوات الإحصائية المناسبة؛ بلغ حجم عينة المجتمع (٨٠) مشاركاً وفقاً لكريس ومورجان (١٩٧٠)، ودلت النتيجة على وجود أثر إيجابي لتفوق المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة وهو (١٦.٣٢٠٠) و(١٠٠.٤٠٠٠) عدداً، فيما يكون الفرق بين المجموعة (٥.٩٢٠٠٠) وهذا يدل على مدى أثر دراسة التحليل التقابلي بين اللغتين العربية والهوسا في تنمية قدرة استعمال النعت والمنعوت في الجمل العربية لدى طلبة الصف الثاني الإعدادي بولاية كنو. وعلى ضوء ما تقدم يوصي الباحثان بإعطاء منهج التحليل التقابلي مقياساً تربوياً بين اللغتين لتعزيز الطلبة. وتوصل البحث إلى أنه يوجد أثر إيجابي في دراسة التحليل التقابلي بين اللغتين العربية والهوسا في تحسين تركيب النعت والمنعوت لدى طلبة الصف الثاني الإعدادي بولاية كنو.

## مقدمة:

يعد منهج التحليل التقابلي من أبرز مجالات علم اللغة التطبيقي، وهو منهج تحليل لغوي يهتم بكشف أوجه التشابه والاختلاف بين لغتين أو لهجتين مختلفتين كما هي طبيعة هذه الدراسة، ولقد أشار القاسمي إلى ذلك بقوله "وينبغي على إجراء مقارنة بين نظام اللغتين لغة

الأم للطلاب واللغة الثانية التي يتعلمها في المستوى الصوتي، والصرفي والنحوي، وتسمى هذه الطريقة بالتحليل التقابلي" (١).

وموضوع علم اللغة التقابلي هو عناصر اللغة ومستوياتها وفنون دراستها من الأصوات والأنظمة النحوية والصرفية والدلالية وغيرها.

إن طلاب المدارس الإعدادية في ولاية كنو يقعون في أخطاء لغوية على مستوى تركيب الجملة أثناء التواصل باللغة العربية وخصوصا عند استعمال النعت والمنعوت، وهذا مما لاشك فيه أن ذلك يؤثر سلبا في تواصلهم باللغة العربية (٢). والجدير بالذكر أن اللغة العربية أهمية بالغة لدى الطالب الهوساوي في نيجيريا، حيث إنه يعتبرها مكملا لدينه الحنيف، فيتعلمها بدء من الابتدائية إلى آخر مرحلة يمكنهم الوصول إليها، إلا أنهم في الوقت نفسه يعانون مشاكل أثناء تواصلهم بها، كالأخطاء التركيبية والتطابق بين المذكر والمؤنث والتعريف والتنكير والنعت والمنعوت.

وبناء على هذا يسعى المقال إلى استثمار منهج التحليل التقابلي للإجابة على السؤال: ما أثر التحليل التقابلي بين العربية والهوسا في تنمية استعمال النعت والمنعوت في الجمل العربية لدى طلبة الصف الثاني الإعدادي بولاية كنو؟ حيث إنه يقدم موضوعا لغويا ليكون أساسا لتذليل الصعوبات في تعلم اللغة العربية لدى طلاب المرحلة.

ويتم تناول المقال حسب المفردات الآتية:

- المقدمة
- التحليل التقابلي، مفهومه، ونشأته، وأهدافه، ومستوياته.
- النعت في اللغتين العربية والهوساوية
- دراسة مواضع الاتفاق والاختلاف بين اللغتين في النعت.
- فائدة هذه الدراسة في تدريس اللغة العربية.
- الصعوبات التي تواجه الدارس الهوساوي عند تعلمه النعت في اللغة العربية

- منهجية الدراسة وإجراءاتها
- الخاتمة

التحليل التقابلي، مفهومه، ونشأته، وأهدافه، ومستوياته.

### مفهوم التحليل التقابلي:

مفهوم التحليل التقابلي ونشأته:

تعريف علم اللغة التقابلي:

يعرف علم اللغة التقابلي أو التحليل التقابلي بأنه " أحدث فروع علم اللغة، وموضوع البحث فيه المقابلة بين لغتين اثنتين أو أكثر أو لهجتين أو لغة ولهجة، أي بين مستويين لغويين متعاصرين بهدف إثبات الفروق بين المستويين، لذا فهو يعتمد أساسا على المنهج الوصفي، أو علم اللغة الوصفي"<sup>(٣)</sup>، ويرى "سليمان ياقوت: أن علم اللغة التقابلي هو دراسة علمية تنبني على "المقارنة بين لغتين أو لهجتين ليستا من أرومة واحدة أو أصل واحد، كالمقابلة مثلا بين العربية والإنجليزية أو بين الفرنسية والعبرية، وهذا التقابل له هدف منشود وهو التعليم"<sup>(٤)</sup>.

يتبين من هذين التعريفين أن علم اللغة التقابلي يدرس لغتين منتميتين إلى أسرتين لغويتين مختلفتين ثم يقابل بينهما. وذلك على مستويات لغوية مختلفة. والهدف من التحليل التقابلي هو التنبؤ بالصعوبات التي قد تواجه الدارسين للغة الأجنبية، ويعرفنا على أوجه التشابه والاختلاف بين اللغة الأم للدارس واللغة الهدف، وتكون هذه الدراسة معتمدة على المنهج الوصفي.

### نشأة منهج التحليل التقابلي:

نشأ هذا العلم في رحاب اللسانيات التطبيقية باعتبارها إحدى ميادينه، والتي تعد الجانب العملي التطبيقي للدراسات التقابلية ولعل البوادر الأولى لهذا العلم تعود إلى

الدراسات الهامة التي قام بها العالم الأمريكي "تشارلز فريز" (Charles Fries) في مجال تعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها في جامعة ميشيجان بالولايات الأمريكية المتحدة سنة ١٩٥٤م، وفيه قام باستخدام المنهج التقابلي في تدريس اللغة الأجنبية، يليها بعد ذلك ما قام به العالمان "أوجان" (Hougen) و"وانيرش" (Weinreich) من أعمال عدها البعض بمثابة القواعد النظرية الأولى للسانيات التقابلية.

تستمد اللسانيات التقابلية (التحليل التقابلي) جذورها من النظريتين السلوكية والبنائية، إذ ترى هاتان النظريتان أن الصعوبة في تعليم اللغة الثانية تكمن في تشابك أنظمة اللغة الأولى مع أنظمة اللغة الثانية وتداخلها، وعليه فبالإمكان معرفة المشكلات التي تواجه متعلم أية لغة من خلال تصنيف التقابلات اللغوية من كلتا اللغتين<sup>(٥)</sup>، وقد نشأ المنهج التقابلي في إطار المدرسة الوصفية لخدمة أهداف تربوية في جانب علم اللغة التطبيقي في مجالات متعددة، أهمها مجال تعليم اللغات، ويعد هذا المنهج أحدث المناهج، فقد نشأ بعد الحرب العالمية الثانية بفكرة بسيطة لدى من تعلموا لغات أجنبية، ووجدوا صعوبات واختلافات بين "اللغة الأم" أو اللغة الثانية التي يتعلمونها<sup>(٦)</sup>.

يتبين مما سبق أن الدراسات التقابلية ظهرت لأول مرة بدراسات "تشارلز فريز" (Charles Fries) بجامعة ميشيجان بالولايات المتحدة، ثم ما قام به العالمان "أوجان" (Hougen) و"وانيرش" (Weinreich)، وتستمد الدراسة التقابلية جذورها من النظريتين السلوكية والبنائية، وقد جاء لخدمة أهداف تربوية. وأن نشوء هذا المنهج قد ساعد في حل كثير من المشاكل اللغوية والتواصلية، وقد بدت جدواه وفاعليته جلية منذ ذلك العهد إلى يومنا هذا.

### أهداف منهج التحليل التقابلي:

ذهب عدد من خبراء اللغة إلى أن للتحليل التقابلي أهدافا يسعى إلى تحقيقها وتتمثل أهمها فيما يلي:

(١) فحص أوجه التشابه والاختلاف بين اللغات، ويتحقق من حيث إن منهج التحليل

التقابلي "يستهدف مقابلة لغة الدراسة (اللغة الأم) باللغة المتعلمة (اللغة الهدف) أي مقابلة اللغة الأولى باللغة الثانية - وبذلك تساعد هذه الدراسة على تقديم مادة لغوية مناسبة لتعليم اللغة الثانية "العربية" (اللغة الهدف) - مع الاستفادة مما تتمخض عنه الدراسة من مشكلات بنيوية وتطويرية خاصة باللغة الانتقالية"<sup>(٧)</sup>.

(٢) التنبؤ بالمشكلات التي تنشأ عند تعليم لغة أجنبية ومحاولة تفسيرها، ويرمي إلى "التنبؤ بالمشكلات المتوقع نشوءها ورسم حلول لها في تعليم اللغة الثانية، أو الترجمة أو التخفيف من حدتها. ووسيلة تحقيق هذه الغاية هي المقارنة بين لغتين أو أكثر من عائلة لغوية أو عائلات لغوية مختلفة، وإبراز أوجه التشابه والاختلاف بينهما. ويهتم هذا المنهج بالصعوبات التي يحتمل أن تصادف أحادي اللغة في محاولته ليكون ثنائياً"<sup>(٨)</sup>.

(٣) الإسهام في تطوير مواد دراسية لتعليم اللغة الأجنبية، ويرمي إلى "استخدام ثمره الهدفين السابقين، وتطوير مواد دراسية لتعليم اللغة الأجنبية بعيدة عن تلك المشكلات. وقد كان فريز Fries يؤكد منذ الوهلة الأولى أن أفضل المواد فاعلية في تعليم اللغة الأجنبية هي تلك المواد التي تستند إلى وصف علمي لهذه اللغة، مع وصف علمي مواز للغة الأم"<sup>(٩)</sup>.

يبدو من المعطيات السابقة أن التحليل التقابلي يهدف إلى الكشف عن التأثيرات اللغوية التي تقع بين اللغة الأم واللغة المتعلمة، وذلك عن طريق المقابلة بينهما، وإبراز أوجه التشابه والاختلاف بين لغة الدارس واللغة الهدف، ثم التنبؤ بالمشكلات المتوقع حدوثها خلال التعليم، واقتراح حلول مناسبة لها، كما أنه يستعمل ثمره الدراسة في تطوير مواد دراسية لتعليم اللغة الأجنبية.

#### مستويات التحليل التقابلي:

إن اللسانيين العرب حددوا موضوع دراستهم باللغة الفصحى، وأن تأثيرات لغة الأم تظهر على اللغة الثانية في المستويات اللغوية الآتية:

- **المستوى الصوتي (phonology):** ويدرس أصوات اللغة، ويشمل علم الأصوات العام (phonetics)، وعلم الفونيمات (phonemics)<sup>(١٠)</sup>، ويحدد التقابل الدلالي للوحدات الصوتية في اللغة الواحدة، ولكن تحديد السمات الحاسمة التي تميز كل وحدة صوتية عن الأخر، يتم ببحث الخصائص النطقية والفيزيائية والسمعية للأصوات، أو للصوتين موضع التقابل.
- **المستوى الصرفي (morphology):** ويعني بدراسة التغييرات التي تعترض صيغ الكلمات فتحدث معنى جديداً<sup>(١١)</sup>، حيث تتكون كل لغة من اللغات بعدد محدود من الوحدات الصوتية، وتعبّر اللغة بهذا العدد المحدود من الوحدات عن المعاني الكثيرة المتجددة، غير المتناهية وذلك لأن البنية اللغوية لا تتكون من الوحدات الصوتية مفردة بل من وحدات صوتية مركبة في أنساق وأبنية مختلفة<sup>(١٢)</sup>.
- **المستوى النحوي (syntax):** الذي يختص بتنظيم الكلمات في جمل أو مجموعات كلامية<sup>(١٣)</sup>، ويدرس كيفية تكوين الجمل من الكلمات المختلفة، ولقد اتجه اللغويون منذ سنة ١٩٥٧م بصورة متزايدة إلى بحث بناء الجملة، فقد كانت موضوعات الأصوات وبناء الكلمات قد نالت نصيباً أكبر من الاهتمام على مدى مائة عام؛ ولوحظت الثغرات في دراسة بناء الجملة فانصرف لغويون كثيرون إلى بناء الجملة<sup>(١٤)</sup>.
- **المستوى المفرداتي (vocabulary):** الذي يختص بدراسة الكلمات المنفردة ومعرفة أصولها، وتطورها التاريخي، ومعناها الحاضر وكيفية استعماله<sup>(١٥)</sup>.
- **المستوى الدلالي** ويختص بدراسة معاني الكلمات، وتعد الدلالة من أقدم قضايا الفكر في الحضارات المختلفة، وهذا ما ولّد الحاجة إلى المعاجم التي تبحث في الدلالة اللفظية<sup>(١٦)</sup>.



يتبين مما سبق أن منهج التحليل التقابلي يقوم بعملية في جميع مستويات اللغة، من صوت ونحو وصرف ومفردات ودلالة. ومن خلال هذه المستويات يحصل القصور الذي يعاني منه دارسو اللغات الأجنبية.

### النعته في اللغتين العربية والهوساوية:

#### ١/ النعته في اللغة العربية:

النعته في اللغة: "وصفك الشيء، تنعته بما فيه وتبالغ في وصفه، والنعته: ما نعته به، نعته ينعته نعته: وصفه ورجل ناعته من قوم نعات، قال الشاعر: أنعته من نعاتها". "ونعته الشيء، وتنعته إذا وصفته"<sup>(١٧)</sup>.

تعريف النعته في اصطلاح النحويين: "النعته ويسمى الصفة أو الوصف، وهو لفظ يأتي بعد اسم يسمى المنعوت أو الموصوف، ليوضح معنى فيه، أو فيما يتعلق به، نحو: جاء الرجل الصادق، وجاء الرجل الصادق أخوه."

فالصفة في المثال الأول هي كلمة "الصادق" وضحت معنى الموصوف نفسه، وهو الرجل. "والصفة في المثال الثاني هي كلمة "الصادق" لم توضح معنى في الموصوف نفسه وهو الرجل وإنما وضحت معنى فيما يتعلق بالموصوف وهو أخوه". والنعته في المثال الأول "حقيقي" وفي المثال الثاني: "سبي"<sup>(١٨)</sup>.

#### النعته في لغة الهوسا:

Siffofi sune kalmomi masu yin karin bayani game da sunaye, kamar dai yadda sunansu ya nuna. Su kalmomi ne masu siffantawa ko nuna yadda abu yake. Akwai siffofi masu nuna namiji ko mace ko kuma jam'i<sup>(١٩)</sup>.

#### ترجمة:

"النعته أو الصفة كلمة توضح أسماء، وهي كلمات تدل على صفة الشيء أو حاله، منها ما هو للمذكر وما هو للمؤنث ومنها ما هو للجمع.

يتبن مما سبق أن النعت في اللغة العربية والهوسا عبارة عن صفة لشيء وتأتي للتوضيح والبيان.

### أقسام النعت في اللغتين العربية والهوسا:

#### أقسام النعت في اللغة العربية:

ينقسم النعت إلى قسمين: ١- النعت الحقيقي ٢- والنعت السببي

#### ١/ النعت الحقيقي:

النعت الحقيقي: هو الذي يدل على معنى في نفس منعوته الأصلي أو هو الذي يتضمن حقيقة الأول، وحالا من أحواله.

ولا بد أن يشمل النعت الحقيقي على ضمير مستتر يعود على المنعوت. تقول: "هذا رجل عاقل" ف"عاقل" صفة لـ"رجل" وتشتمل على ضمير يعود عليه، والتقدير هذا رجل عاقل هو.

#### حكم النعت الحقيقي:

يطابق النعت الحقيقي المنعوت في أربعة من عشرة: واحد من ألقاب الإعراب، وهي الرفع والنصب والجر، وواحد من التعريف والتنكير، وواحد من التأنيث والتذكير، وواحد من الأفراد والتثنية والجمع.

تقول: زيد رجل حسن. والزيدان رجلان حسان والزيدون رجال حسنون، وهند امرأة حسنة، والهندان امرأتان حسناتان، والهندات نساء حسنات<sup>(٢٠)</sup>.

#### ٢/ النعت السببي:

هو الذي يدل على معنى في شيء بعده له صلة وارتباط بالمنعوت.

مثل: "مررت برجل قائمة أمه" فتؤنث الصفة لتأنيث الأم. و"مررت بامرأة قائم أبوها" فتذكر الصفة لتذكير الأب<sup>(٢١)</sup>.

### حكم النعت السببي:

أنه يتبع منعوته في اثنين من خمسة فقط:

(١) واحد من أوجه الإعراب، وهي الرفع والنصب والجر.

(٢) وواحد من التعريف والتنكير، وأما من ناحية التأنيث والتذكير، فإنه يكون على حسب ما بعده.

يتبين مما سبق أن النعت في اللغة العربية ينقسم إلى قسمين: حقيقي يبين صفة في منعوته الأصلي، وسببي يدل على صفة في شيء له صلة وارتباط بالمنعوت، ويتبع النعت المنعوت في الإعراب والجنس والتعريف والتنكير.

### أقسام النعت في لغة الهوسا:

تنقسم الصفات في لغة الهوسا باعتبارات مختلفة إلى ما يلي:

٢ / أقسام النعت باعتبار الحقيقة والسبب:

#### SARKAKKIYAR SIFA

Sarkakkiyar sifa tana iya zawu a cikin Jimla ta siga biyu kamar haka:

1. Sarkakkiyar jimla mara sababai: Sunan wanda aka siffanta a farkon jimla

Misali:

Dalibai masu kofari ne

ترجمة:

ينقسم النعت في لغة الهوسا باعتبار الحقيقة والسبب إلى النعت الحقيقي والنعت السببي.

النعت الحقيقي: هي الصفة التي تأتي بعد الموصوف، نحو: الطلاب مجتهدون

Sarkakkiyar jimla mai dalili: ana kawo sunan wani a matsayin sababi wato

dalilinsa ne za a siffanta wanda ake so a siffanta

Misali:

Baban Musa mai tausayi ne

Abokin Audu Mai ilimi ne

Matar Ado mai kudi ce.

ترجمة:

النعته السببي هو الذي يكون اسم ما سببا في وصف اسم آخر في الجملة، نحو: موسى أبوه شفيق، صديق عبد عالم، زوجة آدو غنية.

### ١ / أقسام الصفة باعتبار اللون:

يقال:

المفرد المذكر	Namiji Tilo	المفرد المؤنث	Mace Tilo	الجمع	Jama'i
أسود	Baki	سوداء	Baka	سود	Bakake
أبيض	Fari	بيضاء	Fara	بيض	Farare
أحمر	Ja	حمراء	Ja	حمر	Jajaye

وتلحق بها (اللواصق) في الجملة إشارة إلى الصفات تأتي بعد الموصوف أو قبله فإذا جاءت قبل الموصوف وكانت صفة للمذكر تلحق بـ "n" وإن كانت للمؤنث تلحق بـ "r" وإذا جاءت الصفة بعد الموصوف فلا تلحق به أية لاحقة سواء أكان مذكرا أم مؤنثا<sup>(٢٢)</sup>.

يقال في حالة التذكير

جاء ولد أبيض Farin Yaro ya zo، الولد الأبيض جاء Yaro Fari ya zo

في حالة التأنيث:

جاءت بنت جميلة Kyakkyawar yarinya ta zo، بنت جميلة جاءت Yarinya

kyakkyawa ta zo

في حالة الجمع:

جاء أولاد بيض Fararen yara sun zo، أولاد بيض جاءوا Yara farare sun zo

## ٢/ أقسام النعت باعتبار صفة الإنسان أو أي شيء آخر:

المفرد المذكر	Namiji Tilo	المفرد المؤنث	Mace Tilo	الجمع	Jam'i
طويل	Dogo	طويلة	Doguwa	طوال	Dogaye
متوسط	Matsakaici	متوسطة	Matsakaiciya	وسطاء	Matsakaita
قصير	Gajere	قصيرة	Gajeriya	قصر	Gajeru

الكلمات المذكورة أعلاه تدل على الصفة، هذه الصفة قد تكون في الإنسان وقد تكون في غيره من المخلوقات وأشأنها عند الاستعمال في الجمل شأن سابقتها (باعتبار اللون)؛ لا بد من إلحاقها بلواحق إما (لاحقة n) للمذكر والجمع أو (لاحقة r) للمؤنث نحو:

طالب طويل	Dogon Dalibi
طالب طويل	Dalibi Dogo
طالبة طويلة	Doguwar Daliba
طالبة طويلة	Daliba Doguwa
طلاب طوال	Dogayen Dalibai

يلاحظ القارئ أن تقسيمات النعت في لغة الهوسا تختلف عن تقسيماته في اللغة العربية، ففي لغة الهوسا ينقسم باعتبارات مختلفة منها التي تدل على اللون، ومنها المركبة ومنها التي تدل على صفة إنسان أو شيء آخر.

### مطابقة النعت المنعوت في اللغتين العربية والهوسا:

#### مطابقة النعت المنعوت في اللغة العربية:

"يجب موافقة النعت الحقيقي لما قبله فيما هو موجود فيه من أوجه الإعراب الثلاثة، ومن التعريف والتنكير تقول: جاءني زيد الفاضل، ورأيت زيد الفاضل، ومررت بزيد الفاضل، وأما الأفراد والتثنية والجمع والتنكير والتأنيث، فإن رفع الوصف ضمير الموصوف المستتر وافقه

فيها، نحو: جاءتني امرأة كريمة، ورجلان كريمان ورجال كرام، وكذلك جاءتني امرأة كريمة الأب، أو كريمة أبا، وجاءني رجلان كريما الأب، أو كريمان أبا، وجاءني رجال كرام الأب، أو كرام أبا<sup>(٢٣)</sup>.

#### مطابقة النعت المنعوت في لغة الهوسا:

كما تجب المطابقة بين النعت والمنعوت في اللغة العربية كذلك تجب في لغة الهوسا ويكون ذلك في التذكير والتأنيث والإفراد والجمع نحو:

BaKin yaro yazo	تقول للمفرد المذكر	جاء ولد أسود
Dogon Gida	بيت طويل	
Jummai doguwa ce	وتقول في المفرد المؤنث	جُمِّي طويلة
Sabuwar Mota	سيارة جديدة	
Yaran nan biyu dogaye sun zo	الولدان الطويلان	جاء
'Yan matan nan biyu gajeru	البتتان	القصيرتان
masu kokari ne	مجتهدتان	
Fararen yara sun tafi	ونقول في الجمع:	ذهب أولاد بيض
Na sayi sababbin kaya <sup>(24)</sup>	اشترت ملابس جديدة	

#### مواضع الاتفاق والاختلاف بين اللغة العربية والهوسا في النعت:

##### مواضع الاتفاق:

(١) الاتصال بين النعت والمنعوت قوي بين اللغتين بحيث لا يفصل بينهما بفواصل. جاء

ولد أبيض Farin Yaro ya zo

(٢) قد يحتل النعت موقع ركني الجملة في اللغتين المسند إليه أو نائب الفاعل. ولد عاقل

Wani yaro mai hankali

(٣) يجوز تعدد النعت لمنعوت واحد في اللغتين. نحو: اشتريت سروالا أبيض جديدا na  
sayi wando fari sabo

(٤) يتطابق النعت والمنعوت في النوع المذكر والمؤنث. سروال جديد Sabon Wando وجبة  
جديدة Sabuwar Riga

(٥) ينقسم النعت في اللغة العربية إلى الحقيقي والسببي، وكذلك في لغة الهوسا جاء الولد  
الصغير Yaro karami ya zo، وجاء الولد الكريم أبوه، Yaro wanda babansa mai  
karamci ne ya zo

#### مواضع الاختلاف:

يطابق النعت منعوته في اللغة العربية في النواحي التالية الإعراب (الرفع والنصب والجر) وأما  
في الهوسا فلا يوجد ما يسمى بالإعراب.

الرتبة بين النعت والمنعوت لا تتغير في اللغة العربية، حيث يسبق المنعوت النعت دائما،  
أما في الهوسا فالرتبة غير محفوظة بين النعت والمنعوت فقد يأتي قبل المنعوت أو بعده نحو:  
جبة جديدة Riga Sabuwa أو جبة جديدة Sabuwar Riga.

فائدة هذه الدراسة في تدريس اللغة العربية للطلاب الهوساويين وغير الهوساويين:

(١) تساعد هذه الدراسة المدرسين في جميع المراحل التعليمية في تخفيف صعوبات تركيب  
النعت في الجملة العربية.

(٢) تستعين المراكز التربوية والتعليمية، والقائمون بتصميم مناهج تدريس اللغة العربية على  
تنوع أساليبها واستراتيجيتها في تدريس اللغات الأجنبية من استخدام الدراسة التقابلية  
بين اللغتين العربية والهوسا على هذا المستوى.

(٣) تنفيذ هذه الدراسة طلاب المدارس العربية الإعدادية الهوساويين وغير الهوساويين في  
العالم عامة ونيجيريا خاصة وولاية كنو على الوجه الأخص.

(٤) توجه هذه الدراسة مصممي المناهج إلى المجالات التي يجب أن يولوها اهتماما خاصا أثناء تصميم مناهجهم العربية.

**الصعوبات التي تواجه دارسي الهوسا عند تعلمه النعت والمنعوت في اللغة العربية:**  
إعراب النعت (الرفع والنصب والجر) فإنه من المتوقع أن يخطأ الدارس الهوساوي في ذلك، إذ لا يوجد في نظام لغة الهوسا هذا الإعراب، نحو: جاء الرجل العاقل، ورأيت الرجل العاقل ومررت بالرجل العاقل.  
وقد يشكل النعت السببي صعوبة أيضا للدارس الهوساوي، نحو: جاءني الفاضل محمد أبوه بدلا من جاءني محمد الفاضل أبوه، ضربني العالم خالد أخوه بدلا من ضربني خالد العالم أخوه، ونصحتني الزاهد فاطمة خالها بدلا من نصحتني فاطمة الزاهد خالها. وغيرها.

#### منهج البحث:

اعتمد الباحثان على المنهج شبه التجريبي (Quasi Experimental Method) الذي عرف بأنه: "هو المنهج الذي يقوم على دراسة الظواهر الإنسانية كما هي موجودة في أرض الواقع دون أن يقوم بأي تغييرات عليها، ويعرف أيضا بأنه: "دراسة العلاقات بين متغيرين على ما هما عليه في الواقع دون أن يتم التحكم في المتغيرات". (Bst-academy.com, 2018).

#### مجتمع البحث:

يتمثل مجتمع هذا البحث في جميع طلاب اللغة العربية للصف الثاني الإعدادي في المدارس العربية بولاية كنو للعام (٢٠١٨/٢٠١٩م) البالغ عددهم (٤٩٩٥) من ثماني وتسعين مدرسة، وتمثل المجموعة الكلية من العناصر التي يسعى الباحثان أن يعمّما عليها النتائج ذات العلاقة بمشكلة البحث. وقد اعتمد الباحثان على أسلوب تحديد العينة القصدية البسيطة، حيث تم اختيارها من طبقاتها.



## عينة البحث وأسلوب اختيارها:

تم اختبار عينة البحث عن طريقة العينة القصدية البسيطة في مدرستين عربية من مجتمع البحث الأصلي (٤٩٩٥)، وتم تقسيمها إلى مجموعتين، مجموعة تجريبية التي تلقت دروسا بالطريقة التجريبية، وهي: المدرسة العربية الثانوية الحكومية (الإرشاد) بكُورَا، والأخرى هي المجموعة الضابطة وهي: مدرسة الدروس الإسلامية العالية بشَاهُوْثِي، محافظة عَوَلِي كَنُو، وتضمنت المجموعة التجريبية (٤٠) طالبا، وطالبة، كما اشتملت المجموعة الضابطة على (٤٠) طالبا وطالبة. كما يتضح ذلك في الجدول التالي:

## الجدول رقم (١)

ر/م	عينة البحث	جنس العينة	نوع العينة	توزيع العينة التجريبية والضابطة	المجموع الكلي
				مجموع العينة الضابطة مجموع العينة التجريبية	
١.	المدرسة العربية الثانوية الحكومية (الإرشاد) كورا	بنين	التجريبية	٢٠ -	٢٠
٢.	مدرسة الدروس الإسلامية العالية شَاهُوْثِي	بنين	الضابطة	٢٠ -	٢٠
٣.	المدرسة العربية الثانوية الحكومية للبنات طَنْبَنَّا	بنات	التجريبية	٢٠ -	٢٠
٤.	المدرسة العربية الثانوية الحكومية للبنات سُمَيَّلا	بنات	الضابطة	٢٠ -	٢٠
	المجموع الكلي			٤٠	٨٠

### أداة البحث:

تم استخدام أداة "الاختبار" خلال هذه الدراسة لقياس معارف الطلاب السالفة في المجموعتين: التجريبية والضابطة.

صمم الباحثان اختبارا تحصيليا لطلاب الصف الثاني الإعدادي في المدارس العربية الإعدادية بولاية كنو وجرى على النحو التالي:

١. مقدمة الاختبار: ويتضح فيها الغرض من الاختبار والمعلومات الإرشادية عنه.
٢. تدريب يتعلق بالقواعد النحوية. وتحتة عشرة أسئلة.
٤. تدريب يتعلق بترتيب الكلمات وتحتة عشرة أسئلة
٥. تدريب يتعلق بتمييز النعت والمنعوت وتحتة عشرة أسئلة.

### صدق الأداة:

قدم الباحثان أسئلة الاختبار إلى المحكمين المتخصصين في اللغة العربية والتربية للتأكد من صدقها، حيث أعطى الباحثان كلا منهم نسخة للأسئلة على صورتها الأولية، وطلب منهم أن يقوموا بتقويمها وتصحيحها، وقد قام الباحثان بتعديلها بعد التقويم.

### تجريب الأداة:

تم إجراء التجربة الاستطلاعية على العينة المكونة من (٣٠) طالبة بمدرسة البنات الحكومية الثانوية ثانًا وكورا، وكان الهدف من هذه الدراسة الاستطلاعية تجريب الأداة على العينة الإستطلاعية التي اختارها الباحثان خارج عينة البحث للتأكد من ملائمتها لقياس ما وضع له. لكي يتصف بالواقعية، والتعرف على المدة الزمنية التي سوف يستغرقها الطلاب في الإجابة عن تلك الأسئلة، ومعرفة العوائق والصعوبات التي قد تحدث عند تطبيق الاختبار بصورة نهائية.

**ثبات الأداة:**

تم إجراء الاختبار على نفس العينة الاستطلاعية، المكونة من ثلاثين طالبة، فقد تم حساب فقرات هذا الاختبار عن طريق تحليل معامل الصعوبة، والتمييز، ومعامل تحديد الزمن للاختبار للتأكد من صلاحية تطبيقها على عينة البحث. وقد بلغت قيمة معامل الثبات للاختبار (٠.٧٢) عند تقبل هذه القيمة مناسبة لأهداف البحث.

**أسلوب تحليل البيانات:**

لقد استخدم الباحثان العديد من الأساليب الإحصائية المناسبة خلال برنامج الرموز الإحصائية للعلوم الاجتماعية (statistical package for social science) التي يرمز لها اختصاراً بالرمز (spss)

- (١) تم حساب التكرارات والنسب المئوية، للتعرف على الصفات الشخصية لمفردات البحث وتحديد استجابات أفرادها، وتم معالجتها من خلال المعادلة التالية.
- (٢) المتوسط الحسابي (mean) وذلك لمعرفة مدى ارتفاع أو انخفاض استجابة أفراد عينة البحث من عبارات متغيرات البحث الفرعية.
- (٣) ويتم اختبار "ت" (t-test)، لدراسة الفرق بين المجموعتين المستقلتين.

**النتائج والمناقشة:**

قام الباحثان بتحقيق هدف الدراسة عن طريق تطبيق الأداة على أفراد العينة الفعلية من طلبة الصف الثاني الإعدادي في المدارس العربية بولاية كنو، واستعملا في ذلك وسيلتين: الأولى؛ التطبيق القبلي، والثانية: التطبيق البعدي على طلاب المجموعتين؛ التجريبية البالغ عددها (٤٠)، والضابطة، البالغ عددها (٤٠)، وبعد جمع البيانات، تمّ تفرّيعها وتصنيفها. واستخدم الباحثان آلة اختبار (ت) الحاسبة لمعالجة البيانات والحصول على نتائجها، وذلك كما يلي:

سعى الباحثان إلى عرض سؤال البحث مستخدمين الإحصاء الوصفي التحليلي، واختباره بالأسلوب الإحصائي الملائم-اختبار (ت) (t-test) - على كل من المجموعتين: التجريبية، والضابطة وذلك في أدائهم.

### الجدول رقم (٢)

النسبة المئوية	عدد أفراد المجموعة	المجموعات
٥٠٪	٤٠	المجموعة التجريبية
٥٠٪	٤٠	المجموعة الضابطة
١٠٠٪	٨٠	المجموع الكلي

يتبين من الجدول أعلاه أن الباحثين اختارا ثمانين طالبًا وطالبة بهدف التدريب، وتطبيق الأداة عليهم في هذه الدراسة، حيث تمّ تقسيم الطلاب إلى فئتين متكافئتين، وهما: المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة، فالمجموعة التجريبية: هي التي تلقت دروسها حول تركيب النعت في الجمل العربية، وعدد أفرادها (٤٠)، والمجموعة الضابطة لم تلق أيما درس وعدد أفرادها (٤٠).

ما أثر التحليل التقابلي بين العربية والهوسا في تنمية استعمال النعت والمنعوت

في الجمل العربية لدى طلبة الصف الثاني الإعدادي بولاية كنو؟

للإجابة عن هذا السؤال؛ تمّ حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات أفراد العينة وفقاً لمستوياتهم التحصيلية على التحليل التقابلي بين اللغة العربية والهوسا في تنمية استعمال النعت والمنعوت في الجمل العربية. بالإضافة إلى ذلك، استخلص الباحث نتائجه حسب توزيع عينة البحث إلى مجموعتين مستقلتين، كما تكونت من المجموعة الضابطة والتجريبية. ويوضح الجدول رقم (٣) ذلك.

المجموعة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الخطأ المعياري	الفرق	التعليق
المجموعة التجريبية	٤٠	١٦.٣٢٠٠	١٦.٣٢٠٠	٦٠٤٧٦.	٥.٩٢٠٠٠	تفوقت المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة
المجموعة الضابطة	٤٠	١٠.٤٠٠٠	٣.١٦٢٢٨	٨٧٧٥٠.		

يتضح من الجدول السابق رقم (٤.٣)، أن هناك فروقاً دالة إحصائية في التحصيل الأكاديمي بين المجموعة التي تلقت تدريباً خاصاً والتي لم تتلق تدريباً خاصاً (المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة) في التحليل التقابلي بين اللغة العربية والهوسا في تحسين بناء الجمل العربية، كما أن المتوسط الحسابي لأداء المجموعة التجريبية في الاختبار البعدي لمهارة الكتابة بلغ (١٦.٣٢٠٠) بانحراف معياري (٣.١٦٢٢٨)، بينما المتوسط الحسابي لأداء المجموعة الضابطة على الاختبار القبلي بلغ (١٠.٤٠٠٠) بانحراف معياري (٣.١٦٢٢٨)، مما يدل على أن الطلبة في المجموعة التجريبية حصلوا على المتوسط الحسابي المرتفع. ويمكن تفسير هذه النتيجة؛ على أن المجموعة التي تلقت تدريباً خاصاً قد استفادت كثيراً من التدريب الذي تلقت في التحليل التقابلي بين اللغة العربية والهوسا في تحسين بناء الجمل العربية.

خاتمة:

خلاصة البحث:

تقدم الحديث في هذا المقال عن أثر التحليل التقابلي بين اللغتين العربية والهوسا في تحسين تركيب النعت لدى طلبة الصف الثاني الإعدادي بولاية كنبو، وقد تناول فيه الباحثان الحديث حول مفهوم التحليل التقابلي، وأهدافه ونشأته، وأهميته، ومستوياته، ثم النعت من حيث مفهومه، وأقسامه وأغراضه وتعددده، في اللغتين العربية والهوساوية ثم قابل الباحثان بينهما، وناقشا الصعوبات التي تواجه الدارس عند تعلمه.

### نتائج المقال:

خلال هذه الدراسة توصل الباحثان إلى النتائج التالية:

- (١) وجود فكرة المصطلحات الثلاثة التي تفيده معنى واحدا وهي النعت والصفة والوصف.
- (٢) وجود أقسام النعت الحقيقي والسببي في اللغتين، ووجود أقسام أخرى للنعت في اللغة الهوساوية، كتقسيمه باعتبار اللون، وباعتبار كون الصفة مركبة أو مفردة وغيرهما.
- (٣) أن اللغة العربية تلزم مطابقة النعت المنعوت في الإعراب والتذكير والتأنيث والتعريف والتنكير والعدد في حين توجد في اللغة الهوساوية المطابقة من حيث التذكير والتأنيث والتعريف والتنكير والعدد فقط.
- (٤) عدم التوافق بين اللغتين في الرتبة، حيث إن اللغة العربية تحتفظ برتبة النعت دائما حيث يأتي بعد المنعوت دائما، أما في اللغة الهوساوية فإن الرتبة غير محفوظة، فقد يسبق النعت المنعوت والعكس أيضا.

### قائمة الحوامش:

- (١) (القاسمي، ٢٠٠٩ م، ص ٨٥)
- (٢) (سليمان، ٢٠١٩ م، مقابلة شخصية)
- (٣) (أبو الخير، ٢٠٠٦ م)
- (٤) (ياقوت، ١٩٨٥ م)
- (٥) (بوفروم، ٢٠٠٩ م)
- (٦) (صالح توفيق، محمد يونس، ٢٠١٠ م)
- (٧) (البدر اوي، ٢٠٠٨ م، ص: ١٤)
- (٨) (عبد السلام، ٢٠١٠ م، ص: ٧١).
- (٩) (الراجحي، ١٩٩٦ م، ص: ٢-٣).
- (١٠) (باي، ١٩٨٨ م)

- (١١) (باي، ١٩٨٨م)
- (١٢) (الصفصافي، ٢٠٠١م)
- (١٣) (باي، ١٩٨٨م)
- (١٤) (الصفصافي، ٢٠٠١م)
- (١٥) (باي، ١٩٨٨م)
- (١٦) (الصفصافي، ٢٠٠١م)
- (١٧) (ابن منظور، ٢٠٠٣م، ص: ٩١٠-٩١١)
- (١٨) (فؤادي، ١٩٨٤م، ص: ١٢).
- (19) (Zarruk, 2010, P43)
- (٢٠) (ياقوت، ٢٠٠٥م/٢٠٠٦م، ص: ٢٥-٢٦).
- (٢١) (معي الدين، ٢٠٠٩م، ص: ٢٨٥).
- (٢٢) (بلو، ٢٠١٤م، ص: ٢٩)
- (٢٣) (ابن هشام، د.ت. ص: ٤٦٩-٤٧٠).
- (24) (Yar'adua, Junaid, 2007, P.19)

### قائمة المصادر والمراجع

- أحمد سليمان ياقوت، (١٩٨٣)، علم اللغة التقابلي دراسة تطبيقية، دار المعرفة.
- أحمد شيخ عبد السلام، (الدكتور)، (٢٠١٠)، مقدمة في علم اللغة التطبيقي، من منشورات الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.
- باي، م، (١٩٨٨) أسس علم اللغة، ترجمة وتعليق مختار عمر، ط ٨، القاهرة: عالم الكتب، ص ٤٣، ٤٣، ٤٤
- البدراوي، زهران (الدكتور) (٢٠٠٨) علم التطبيقي في المجال التقابلي، القاهرة، دار الآفاق اللغوية.
- بو الخير، أ، م، (٢٠٠٢) اتجاهات معاصرة في علم اللغة التقابلي، كلية التربية بدمياط الجديدة، مصر، ص ٩.

أبو الخير، أ، م، (٢٠٠٦) علم اللغة التقابلي بحوث ودراسات، مصر: دار الأصدقاء، ص  
- - ١١.

الصفصافي، أ، م، ق، (٢٠٠١)، علم اللغة التقابلي وتطبيقاته على اللغات الشرقية،  
القاهرة، دار الآفاق العربية، ص ١١ - ١٢

عبد العزيز محمد فاخر، (الدكتور)، (د.ت) توضيح النحو شرح ابن عقيل وربطه بالأساليب  
الحديثة والتطبيق، دار الهندسية القاهرة.

عبد السلام هارون، (٢٠٠١)، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي  
بالقاهرة.

عبد الراجحي، (الدكتور)، (١٩٨٣)، التطبيق النحوي، دار المعرفة الجامعة الاسكندرية،  
مصر.

عبد الراجحي، (الدكتور)، (٢٠١٣)، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، دار المعرفة  
الجامعية.

ابن فارس، أ، ح، أ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج ٥، دار  
الفكر، ص ٥١.

محمود فهمي حجازي، (الدكتور) (د.ت)، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء.

ابن منظور، (الدكتور) (٢٠٠٣)، لسان العرب، دار المبحث القاهرة، م ٢.

Ahmad Bello Zaria, (2014), Nahawun Hausa, Thomas Nelson Nigeria Limited  
8, Ilupeju Bye Pass Ikeja Lagos, Nigeria

Rabi'u M. Zarruk and others, (1996), Sabuwar Hanyar Nazarin Hausa don  
Qananan Makarantun Sakandire, Littafi na Biyu, University Press Plc,  
Lagos, Nigeria

Muhammad Hambali Jinju, (2001), Rayayyen Nahawun Hausa, Northern  
Nigeria Publishing Company, Zaria.

M.A.Z.Sani, (1999), Tsarin Sauti Da Nahawun Hausa, University Press  
PLC, Ibadan.



**تعامل المفسرين مع معاني المفردات:  
دراسة سيميائية في تفسير "رد الأذهان إلى معاني القرآن" لأبي بكر محمود جومي**

إعداد

**الدكتور أيوب شيخ أحمد الرفاعي**

و

**الدكتور عثمان أبوبكر معاذ**

جامعة يوسف ميتاما سولي- كنو، نيجيريا

By

**Dr. Ayuba Shehu Ahmad Rufai**

Yusuf Maitama Sule University, Kano

and

**Dr. Usman Abubakar Mu'azu**

Yusuf Maitama Sule University , Kano

[dankoki19@gmail.com](mailto:dankoki19@gmail.com)

**مستخلص البحث:**

تهدف هذه الورقة إلى تسليط الأضواء على أسس منهجية تتعلق بدلالات مفردات القرآن الكريم، وتناقش ما تقوم به هذه الأسس في ضبط منهجية شرح المفردات لدى المفسرين. والملاحظ من التفاسير القرآنية أنها تستند إلى اللغة في بيان دلالات ألفاظ القرآن؛ إذ إن الحاجة إلى اللغة ضرورة ملحّة عندما توجد مفردة غريبة لا يوجد نصّ يفسرها، فعندئذ يكون النظر إلى معاني المفردات من لغة العرب موصلا إلى فهم النص القرآني، فلا بدّ إذن لكلّ مفسّر أن ينطبق على المعنى بالدلالة الانطباقية أو التضمينية أو الالتزامية. وينتهج هذا المقال المنهج الوصفي الذي يعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع، ويهتم بوصفها وصفا دقيقا، ليحلّ إشكالية تستجوب عن مدى اعتماد المفسرين الأفارقة على منهجية التعامل مع ألفاظ القرآن

الكريم، كل ذلك ليتوصّل إلى نتائج تُثبت أن تفسير "ردّ الأذهان إلى معاني القرآن" من التفاسير القرآنية التي اعتمدت على الأسس الضابطة للتعامل مع معنى المفردة في النص القرآني. وتوصّل المقال أخيراً إلى نتائج تُثبت أن تفسير "ردّ الأذهان إلى معاني القرآن" لأبي بكر محمود جومي يعدّ من التفاسير المختصرة التي تتحرى الإيجاز، وتلتزم الأسس الضابطة لمنهجية شرح المفردة القرآنية.

#### المقدمة:

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد؛ فإن التفاسير القرآنية منذ الآونة الأولى لحركة تأليفها لم تزل مُكَنَزَةً للبحث الدلالي؛ حيث إنها تتناول مصدراً من مصادر اللغة العربية، وهو القرآن الكريم. وقد تعرّض كثير من اللغويين لمنهج المفسرين في التعامل مع معاني المفردات في كتبهم، كما ناقش عدي جواد الحجّار الأسس الضابطة للتعامل مع معنى المفردة في كتابه "الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني" إلا أن اهتمامه كان موجّهاً إلى التفسيرات المطوّلة فركز أكثر على تفسير الطبري وتفسير الرازي محاولاً استنباط ما فيها من المسائل الفقهية. أما هذا المقال فالهدف منه تسليط الأضواء على منهج المفسرين في التعامل مع ألفاظ القرآن دلالة وتسييقاً، ويتخذ المقال تفسير "ردّ الأذهان إلى معاني القرآن" لأبي بكر جومي محلاً للدراسة؛ ليرهن على ما يتمتع به هذا التفسير من منهجية خاصة في التعامل مع دلالات ألفاظ القرآن بين التفاسير العربية النيجيرية؛ فتفسير ضياء التأويل لعبد الله بن فودي يتّسم بالشمولية والاستطرادات، في حين يتقيد تفسير كفاية ضعفاء السودان بأصله المطول لأنه اختصار من الضياء، أما التفسير محلّ الدراسة فمؤلّف على نمط الاختصار. والمقال يختار نماذج على وجه ضرب الأمثلة لا على وجه الإحصاء للإشارة إلى مصداقية رجوع أبي بكر جومي إلى هذا المنهج

التفسيري في ضبط معاني المفردات، ويتبنى المنهج الوصفي الذي يعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع، ويهتم بوصفها وصفا دقيقا، ليحل إشكالية تستجوب عن مدى اعتماد أبي بكر جومي على منهجية التعامل مع ألفاظ القرآن الكريم، شرحا وتفسيرا.

### أبوبكر جومي وتفسيره " ردّ الأذهان إلى معاني القرآن ":

هو أبوبكر بن محمود بن محمد بن علي براء البدوي، فجدّه علي براء من العرب الرُّحَل الذين كانوا يرعون المواشي، وقد وصل إلى منطقة سُوكُوتُو بعد أن وطّد الإسلام أركانها فيها<sup>(١)</sup>. وُلد في اليوم الخامس والعشرين من رمضان ١٣١٤هـ الموافق ٧ نوفمبر ١٩٢٤م<sup>(٢)</sup>. نشأ أبوبكر جومي في حجر والديه، فتعلم مبادئ القراءة والكتابة من والده الأستاذ محمود، وكان يتعهده ويربيه تربية خاصة، ويصحبه في كل حالاته تقريبا، وكانت جدته تلقبه "عَيّا" أي مداعبا لكثرة نشاطه وحبّه للتحاوّر والنقاش مع الآخرين<sup>(٣)</sup>. درس بالمدرسة الابتدائية في " دُوغُونُ دَاجِي " في العام ١٩٣٣م. ومن هذا المنطلق بدأت رحلاته العلمية، واصل تعلّمه بتفوق كبير<sup>(٤)</sup>.

وفي عام ١٩٤٢م. قُبل لموصلة الدراسة في كلية كدونا التي خصصت للطلاب الأذكياء من شمال نيجيريا، وبعد سنة دراسية كاملة التحق بكلية القضاء بمدينة كنو - مدرسة العلوم العربية - ووظف في الاجتهاد حتى تخرج فيها عام ١٩٤٧م<sup>(٥)</sup>.

استغلّ أبوبكر جومي هذه الفرصة وطاف بين مجالس علماء كنو إلى أن انتُخب بين أعضاء البعثة العلمية الأولى إلى " بخت الرضا " في جمهورية السودان العربية، للحصول على الدبلوم في التدريس، في عام ١٩٤٥م<sup>(٦)</sup>.

أخذ أبوبكر جومي علومه من أساتذة كثيرين على عادة طلاب العلم في البيئة التي عاش فيها، ومن هؤلاء الأساتذة بعد والده<sup>(٧)</sup>: الشيخ محمد الثاني إمام وخطيب المسجد الجامع لمدينة جومي الواقعة في ولاية زنفرا نيجيريا. والشيخ سعد ياسين المقرئ اللبناني - وهو الذي

أجازته رواية حفص عن عاصم بن أبي النجود الكوفي - والدكتور الأديب جنيد بن محمد البخاري في ولاية سوكوتو بشمال نيجيريا. والشيخ محمد الناصر بن محمد المختار كبر في ولاية كنو نيجيريا.

توفي أبوبكر محمود جومي - رحمه الله تعالى - صباح يوم الجمعة ١٤ من ربيع الأول ١٤١٣ هـ. الموافق ١١ سبتمبر ١٩٩٢ م. في مستشفى لندن بعد مرض قصير، وصلى عليه الشيخ إبراهيم بن سليمان عرب، في ليلة مطيرة، ودفن في ولاية كدونا<sup>(٨)</sup>.

ألف أبوبكر محمود جومي، مؤلفات كثيرة، منها تفسيره الذي أسماه "ردّ الأذهان إلى معاني القرآن" يقع في مجلدين كبيرين، طبع مرات عديدة، وكتاب العقيدة الصحيحة، وترجمة معاني القرآن إلى لغة الهوسا.

أما تفسير "ردّ الأذهان إلى معاني القرآن" فمن التفاسير المختصرة، اهتم فيه مؤلفه بسلامة اللغة وسهولتها، وراعى فيه أحوال الجمهور. ويسعى أبوبكر جومي إلى إزالة ما في التفاسير القرآنية من القصص الواهية، وفي هذا الصدد يقول جومي في خاتمة التفسير: "فإن كثيرا من القصص التي أدخلت في تفاسير القرآن أذهلت العقول، فجعلت الناس يقرؤنها للتفكه بما لا للعمل بما جاء به القرآن من العبر والمواعظ والشرائع، وربما أدى ذلك إلى نسبة ما لا يجوز شرعا أو عقلا إلى خيرة خلق الله؛ الأنبياء والملائكة والصالحين"<sup>(٩)</sup>.

ويبدو لكل من يطلع على هذا التفسير أن أبابكر جومي قد سلك منهجا متميزا، حيث إنه كما يلحظ محمد منصور إبراهيم "يفسر المفردات ويذكر مجمل المعاني وأسباب النزول، ويذكر الموضوع الرئيس الذي تدور حوله السورة في مجملها، ويعلق على القصص، ويذكر الفوائد المستنبطة من الآيات، ويقلل من التعليقات اللغوية"<sup>(١٠)</sup>.

أما المنابع التي استقى منها أبوبكر جومي أفكاره في هذا التفسير فتكاد تكون محصورة في مصدرين هما: تفسير الجلالين للإمامين الحلي والسيوطي، وتفسير في ظلال القرآن لسيد قطب، كما أشار إلى ذلك جومي في خاتمة التفسير؛ حيث يقول: "ولم أخالف ألفاظ

الإمامين الجلالين - جلال الدين المحلي وعبد الرحمن السيوطي - إلا بما أشار إليه الإمام سليمان بن عمر العجيلي (الشهير بالجمّل) في حاشيته عليهما، في كتابه (الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية)... واتبعت سيد قطب في كتابه (في ظلال القرآن) في الإشارة إلى المواضيع الرئيسة لدروس السور، واختصرت كلامه لقدر الحاجة ومقتضى المقام" (١١).

طبع هذا التفسير في مجلدين أولاً في بيروت على نفقة أحد المحسنين السعوديين، وهو السيد أحمد باماعود، وذلك سنة ١٩٧٩م. ثم طبع للمرة الثانية على نفقة رئيس نيجيريا الحاج شبحو شاغاري، ثم أعاد طبعه التاجر الحاج إبراهيم بللو كنو، ثم طبعه رئيس جمهورية نيجيريا الأسبق الجنرال إبراهيم بدماصي ببَنَغْدَا، ثم طبعه الحاج آدم طَنّ جُومًا (١٢)، ثم توالى الطباعات التجارية بعضها في مجلدين، وبعضها الآخر في مجلد واحد ضخّم.

### الأسس الضابطة للتعامل مع معنى المفردة في كتب التفسير:

لقد أدرك المفسرون ما للغة من الأهمية في بيان النص القرآني؛ لذلك استندوا إليها في بيان كثير من النصوص القرآنية عند غياب نصّ شرعي يفسرها، فعندئذ يكون النظر إلى مفردات الألفاظ واستعمالاتها في لغة العرب موصلاً إلى فهم النص القرآني ليتضح مدى دلالة تلك اللفظة على مراد معين" (١٣).

وقد حدّد الإمام الرازي الزوايا التي يلجأ إليها المفسرون عند تحديد معنى المفردة القرآنية، وذكر أن " جميع آيات القرآن أو الكثير منها دالة بالمطابقة، أو التضمّن، أو الالتزام" (١٤). وعلى ضوء هذه المقولة، فمراعاة دلالة الألفاظ في النص القرآني من أهم ما يسعى إليه المفسرون، إذ بها يعرف أن اللفظة تنحصر في دلالة انطباقية، أو يراد منها ما يدخل في ضمنها وما يلازمها من المعنى، كما أشار إلى ذلك عدي جواد (١٥).

وقد التفت المفسرون إلى بعض الموارد التي تدخل في المعنى ضمنا عند تحديد معنى اللفظة داخل السياق القرآني، ففسروا " الوسيلة " في قوله تعالى: ((يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ))<sup>(١٦)</sup> بأنها: العمل الصالح<sup>(١٧)</sup>، المحبة<sup>(١٨)</sup>، الدعاء<sup>(١٩)</sup>، إلى غير ذلك. فكل معنى من المعاني السابقة يصلح أن يكون هو الوسيلة باعتبار معيّن وتأويل أنه جزء من المعنى الأوسع.

وفي بعض المواقع يلجأ المفسرون إلى المعنى الانطباقي عندما يتحرون الدقة في بيان مراد الله تعالى من الألفاظ القرآنية، فتكون دلالة اللفظ عندئذ على تمام ما وضع له على الإطلاق<sup>(٢٠)</sup>، كما أفاد المفسرون من لفظ " آناء " في قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾<sup>(٢١)</sup> فمن المفسرين من فسّر هذه اللفظة بمعنى: ساعات الليل<sup>(٢٢)</sup>، ومنهم من قال المراد من اللفظة: الثلث الأخير من الليل<sup>(٢٣)</sup>، ومنهم من فسّر اللفظة ب: صلاة العشاء<sup>(٢٤)</sup>. والملاحظ من هذا الطرح، أن هذه الدلالات - على الرغم من اختلافها - تتداخل مع بعض على وجه العموم والخصوص.

وفي بعض الأحيان يلجأ المفسرون عند تحديد معنى المفردة إلى المعنى الالتزامي، فيشرحون الكلمة معتمدين على ما يلزم وجود ذلك الشيء المراد<sup>(٢٥)</sup>، كما أفاد المفسرون من لازم لفظ " القوة " في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ﴾<sup>(٢٦)</sup> فسرها البعض: أنه كل ما يتمّ الجهاد به<sup>(٢٧)</sup>، وفسرها البعض الآخر: الرمي والركوب<sup>(٢٨)</sup>، وقال آخرون المراد بالقوة: كل ما يتقوى به في الحرب<sup>(٢٩)</sup>. والملاحظ في كل هذه الأمثلة أن هذه الدلالات مع اختلافها سعةً وضيقةً تعدّ من لوازم القوة وما يتبع ذلك من الاستعداد والتمرن على أسباب الشجاعة.

### التعامل مع الألفاظ في تفسير " ردّ الأذهان إلى معاني القرآن ":

اعتمد أبوبكر جومي في تفسيره "ردّ الأذهان إلى معاني القرآن" على ثلاث وسائل في تعامله مع الألفاظ القرآنية، وهذه الوسائل لا تختلف عما كان لدى المفسرين السابقين، إلا

أنه يلجأ إلى طريقة المعجميين في معظم الأحيان بعد النظر إلى المعنى المطابقي حيناً وإلى المعنى التضميني أو المعنى الالتزامي في بعض الأحيان، على ما أشار إليه السيميائيون، ويورد الباحثان نموذجاً لكل المعاني الثلاثة من القرآن الكريم للتمثيل على طريقة أبي بكر جومي في التعامل مع الألفاظ القرآنية.

### المعنى التضميني:

والمعنى التضميني هو الذي سماه الأصوليون بالدلالة التضمينية، والمقصود بهذا النوع من المعنى هو أن يدلّ اللفظ على جزء معناه الموضوع له داخل ذلك الجزء في ضمنه، كدلالة الكلي على جزئياته، أو الطبيعي على أفرادهِ<sup>(٣٠)</sup>. ففي هذا يكون المقصود من استعمال الكلمة جزء معناها كقولك: قرأت الكتاب وأنت تقصد باباً أو فصلاً منه<sup>(٣١)</sup>.

يعتني أبو بكر جومي في تفسيره بالمعنى التضميني أثناء شرح المفردات القرآنية، ذلك لمعرفة الدور الذي يقوم به هذا المعنى في بيان مراد الله تعالى. ومن نماذج المعنى التضميني للمفردة القرآنية في "رد الأذهان إلى معاني القرآن" ما يأتي:

١. قول جومي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾<sup>(٣٢)</sup> أي يمين كلٍّ منهما من الكوع...<sup>(٣٣)</sup>.

فالمعجم اللغوية تذكر أن اليد من أعضاء الجسد، وهي من المنكب إلى أطراف الأصابع<sup>١</sup> إلا أن اللجوء إلى المعنى التضميني حدّد مراد الله تعالى من هذه اللفظة، على نحو ما أشار إليه جومي من أن المقصود اليمين من الكوع. وعلى ذلك فالاعتماد على المعنى المركزي أو الدلالة المعجمية في مثل هذه المواقف لا يظهر مراد الله تعالى في الآية.

٢. ومن المعنى التضميني في تفسير "ردّ الأذهان إلى معاني القرآن" أيضاً قول جومي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾<sup>(٣٤)</sup> خرجوا من القبور<sup>(٣٥)</sup>.

فلفظة برز في المعاجم اللغوية " أصل واحد، وهو ظهور الشيء وبدوه " لكن الدلالة التضمينية تقيّد المراد أنه الخروج من القبور، كما أشار إلى ذلك أبو بكر جومي. فلو اكتفى المفسر بالدلالة المركزية عند تفسير لفظة " برزوا " لما استطاع أن يحدد المقصود، وهذا دون شكّ يساعد على فهم النص القرآني، والوقوف على حقيقة مراد الله تعالى.

٣. ومن المعنى التضميني في تفسير " ردّ الأذهان إلى معاني القرآن " أيضا قول جومي عند تفسير قوله تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾<sup>(٣٦)</sup> استولى<sup>(٣٧)</sup>.

فكلمة حوذ (الحاء والواو والذال) أصل واحد، وهو من الخفة والسرعة وانكماش في الأمر، فالإحواز السير السريع، ويقال حاذ الحمارُ أُنْته يُحْوذها، إذا ساقها بعنف... ومن الباب استحوذ عليه الشيطان، وذلك إذا غلبه وساقه إلى ما يريد من غيّه<sup>(٣٨)</sup>.

فمما سبق يُلاحظ أن " حوذ " تضمن دلالة الغلبة وسوق الشيء بالسرعة على ما أشار إليه ابن فارس، إلا أنها كما يوضّح جومي تكتسب دلالات أخرى تُضمن في الدلالة الأصلية وتتراوح بين العلو والغلبة، لأنك إذا غلبت على الشخص أو أسرته فقد استوليت عليه.

ومجمل القول؛ فالاعتماد على الدلالة التضمينية وضّح المقصود من مراد الله تعالى، إذ إنه لو لم يكن على دراية بهذا النوع من الدلالة لاختلطت عليه الأشياء فيلبس المعنى على القارئ. ومن هنا تأتي أهمية الاعتماد على هذه المعاني في توضيح معاني الألفاظ المفردة.

#### المعنى المطابقي:

والمقصود بالمعنى المطابقي هو أن يدلّ اللفظ على تمام ما وضع له عند الإطلاق في النص ويطابقه، ليطابق اللفظ والمعنى، وهي الدلالة الأصلية في الألفاظ والتي وضعت لأجلها<sup>(٣٩)</sup>. وعلى ذلك فهذا المعنى يدلّ على تمام ما وضع للفظ، ويأتي فيما إذا كان المعنى



مؤلفا من أجزاء وأريد به مجموع الأجزاء لذلك أطلق عليه محمد حسن حسن جبل اسم " المعنى الأرومي " لأنه فُصد أرومة أي أصل الجزء المعبر عنه باللفظ<sup>(٤٠)</sup>.

١. ومما جاء من هذا النوع في تفسير " ردّ الأذهان إلى معاني القرآن " قول جومي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ﴾<sup>(٤١)</sup> جمع أيم وهي من ليس لها زوج بكرا كانت أوثيبا، ومن ليس له زوج، وهذا في الأحرار والحرائر<sup>(٤٢)</sup>.

فأصل أيم (الهمزة والياء والميم) ثلاثة أصول متباينة: الدُّخَان، والحَيَّة، والمرأة التي لا زوج لها<sup>(٤٣)</sup>.

أشار جومي إلى أن المعنى المقصود من الأيم ليس قاصراً على جنس بشري دون آخر، فالمعنى المطابقي الذي استعان به جومي في هذا الصدد هو ما أعطى النص القرآني معنى واضحاً.

٢. ومما جاء من هذا النوع التفسيري في " ردّ الأذهان إلى معاني القرآن " قول جومي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾<sup>(٤٤)</sup> " السفهاء " المبذرين من الرجال والنساء الكبار<sup>(٤٥)</sup>.

فكلمة سفه (السين والفاء والهاء) أصل واحد يدلّ على خفة وسخافة، وهو قياس مطرد، فالسفه: ضد الحلم، يقال: ثوب سفیه، أي رديء النسيج، ويقال: تسفّهت الريح إذا مالت<sup>(٤٦)</sup>.

فاعتماد جومي هنا على المعنى المطابقي هو الذي أعطاه فرصة الوقوف على مراد الله تعالى من كلمة " سفه " ففهم أن دلالة الكلمة لا تقف عند خفة العقل بل تتعدى إلى الإسراف بغض النظر عن كبر سن المسرف، ويحدد المفسر المراد بأنه الكبار من النساء والرجال، وهذا يدلّ دلالة يقينية على عمق تفكيره، وتمرسه مع الأسس الضابطة لشرح مفردات القرآن الكريم.

٣. وما جاء من هذا النوع التفسيري في " ردّ الأذهان إلى معاني القرآن " قول جومي عند تفسير قوله تعالى: ﴿يُؤْفُونَ بِالنَّذْرِ﴾<sup>(٤٧)</sup> في طاعة الله، والنذر هنا كلمة شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، وما اشتملت عليه من الطاعات، ويوفون النذر بالقيام بالواجبات والمندوبات بقدر الطاقة؛ إذ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها<sup>(٤٨)</sup>.

فجذر نذر (النون والذال والراء) كلمة تدل على تخويف وتخوّف، منه الإنذار: الإبلاغ، ولا يكاد يكون إلا في التخويف، وتناذروا: خوّف بعضهم بعضا، ومنه النذر، وهو أنه يخاف إذا أخلف<sup>(٤٩)</sup>.

وعلى ضوء المعنى المركزي لهذه المفردة، يتبين أن جومي اعتمد على المعنى المطابقي في تفسير هذه الآية، فذكر أن النذر أشمل وأوسع من خوف الإخلاف، بل يتعدى إلى تدويل الأعمال بالطاعات، وتحسيها على قدر الطاقات، حتى تتفق مع ما يحبه الله ويرضى. وعلى ذلك فإن التمرّس العقلي عند تفسير المفردات وشرح مراميها يقوم بدور كبير في تحديد مراد الله تعالى، وهذا في ما يرى الباحثان هو السرّ في مطابقة هذا التفسير بالبيئة الزمكانية لأبي بكر جومي.

#### المعنى الالتزامي:

يقصد بالمعنى الالتزامي دلالة اللفظ على معنى خارج عن معناه الموضوع له، ولكنه لازم لذلك المعنى بحيث يستتبعه استتباع الرفيق اللازم الخارج عن ذاته.<sup>١</sup> كدلالة لفظ الدواة على القلم؛ لأن طلب الدواة كفاية في الدلالة على طلب القلم. فالدلالة هنا على ما هو خارج عن المعنى بعد الدلالة على نفس المعنى.

وقد أسهب العلماء في هذا النوع من المعنى؛ حيث وضعوا لها شروطا يجب توفّرها، وذلك كما يقول الرازي: لا بدّ أن يكون التلازم بين معنى اللفظ والمعنى الخارج اللازم تلازما ذهنيا، فلا يكفي التلازم الخارجي دون رسوخه في الذهن، ويشترط كذلك أن يكون التلازم واضحا بيّنا<sup>(٥٠)</sup>. ومن المعنى الالتزامي في تفسير " ردّ الأذهان إلى معاني القرآن " ما يأتي:

١. وما جاء من هذا النوع في تفسير " ردّ الأذهان إلى معاني القرآن " قول جومي عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾<sup>(٥١)</sup> واقعين على صدورهم ميتين، فالرجفة تصاحب الفرع عادة، والجثوم دلالة العجز عن الحركة<sup>(٥٢)</sup>.
- فلفظة **جثم** (الجيم والثاء والميم) أصلٌ صحيح يدلُّ على تجمُّع الشيء. فالجُثمَان: شخص الإنسان. وجثم، إذا لطئ بالأرض. وجثم الطائر يجثم. وفي الحديث: "نهى عن المِجثمة"، وهي المصبورة على الموت<sup>(٥٣)</sup>.
- فأبوبكر جومي كما يلحظ من الطرح السابق اعتمد على المعنى اللزومي لتحديد معنى الآية، والوقوف على المراد من الجثوم الذي هو العجز لأن الوقوع على الصدر يشير إلى العجز.
٢. وما جاء من هذا النوع في تفسير " ردّ الأذهان إلى معاني القرآن " قول جومي عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا﴾<sup>(٥٤)</sup> بمعنى غائراً، عطف على يرسل دون يصبح؛ لأن غور الماء لا يتسبب عن الصواعق<sup>(٥٥)</sup>.
- فجذر: **غور** (الغين والواو والراء) أصلان صحيحان، أحدهما: خفوض في الشيء وانحطاطاً وتطامناً، والأصل الآخر: إقدام على أخذ مال قهراً أو حرباً<sup>(٥٦)</sup>.
- فأبوبكر جومي في الآية السابقة دبر الموقف وما يلزم كلمة الغور من المعاني فشرحها معتمداً على المعنى الالتزامي، وبيّن ضمناً أن غور مصدر بمعنى الفاعل، وهو عطف على يرسل لأن الغوران يكون بالإرسال لا بالصيرورة، وهذا دون شك ساعد في تحديد مراد الله تعالى في الآية.
٣. قول جومي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾<sup>(٥٧)</sup>... تعجبون من ذلك<sup>(٥٨)</sup>.

فجذر: فكه (الفاء والكاف والهاء) أصل صحيح يدلّ على طيبٍ واستطابة<sup>(٥٩)</sup> لكن الدلالة الالتزامية أوضحت المقصود؛ لأن من لوازم الاستطابة التعجب ففهم من ذلك المعنى المراد.

وعلى ذلك فالمعنى الالتزامي لا يستفاد من اللفظ مباشرة، وإنما بواسطة معرفة اللزوم أو العلاقة بين المعنى الالتزامي الذي هو خارج إطار اللفظ، والمعنى المطابقي الذي هو مفاد دلالة اللفظ<sup>(٦٠)</sup>.

#### الخاتمة:

تناول هذا المقال منهج المفسرين في التعامل مع المفردات القرآنية أثناء تفسير النص القرآني، واتخذ المقال تفسير "رد الأذهان إلى معاني القرآن" لأبي بكر محمود جومي محلاً للتطبيق، فتيّن أن جومي لا يختلف عن ما كان معهوداً لدى المفسرين القدماء سوى أنه سلك وسائل أخرى منهجية نتيجة تمرّسه بمستجدّات المرحلة الراهنة. واستطاع المقال أخيراً أن يصل إلى النتائج الآتية:

- اعتمد جومي في تفسيره على مصادر قيمة ذات طابع الثروة في لغتها مثل حاشية الجمل على تفسير الجلالين، وفي ظلال القرآن كما أشار إلى ذلك في مقدمته؛ الأمر الذي جعله مهتمّاً بالمفردات القرآنية أيما اهتمام.
- زواج جومي في تفسيره بين الأصولية والمعجمية؛ الأمر الذي أعطاه فرصة الشرح بطريقة الأصوليين حيناً، وبطريقة المعجميين حيناً آخر حسب متطلبات المقام.
- يتحرى أبوبكر جومي الاختصار في تفسيره، لذلك اعتمد على الأسس الضابطة لشرح المفردات؛ لأنها تأخذ القارئ إلى المراد من النص دونما أي دوران.

### التوصية:

- وبهذا الخصوص يوصي الباحثان الدارسين من بعدهما بالآتي:
- إجراء دراسات حول التفاسير القرآنية خاصة النيجيرية لما فيها من كنوز معرفية.
  - مراجعة التراث العربي النيجيري من زوايا مختلفة، الأمر الذي يُدخل أعمال علماء نيجيريا في مصاف التراث العالمي.

### المراجع:

- إبراهيم، محمد المنصور (٢٠٠٠م). الشيخ أبوبكر محمود غومي: حياته، مواقفه، وآراؤه. بحث تكميلي للحصول على درجة الماجستير، قسم الدراسات الإسلامية بجامعة عثمان بن فودي سوكتو- نيجيريا.
- أبوبكر ثاني حسين، وفخر الأديبي عبد القادر، (٢٠١٢م). الشيخ أبوبكر محمود غومي وجهوده في نشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية في نيجيريا. مقال نشره في مجلة بحوث إسلامية واجتماعية متقدمة بماليزيا، العدد الثاني.
- جبل، محمد حسن حسن (٢٠٠٩م) المعنى اللغوي؛ دراسة عربية مؤصلة نظريا وتطبيقيا، القاهرة، مكتبة الآداب.
- ابن جزى الغرناطي، ( ٤٢٤هـ) التسهيل لعلوم التنزيل، بيروت، دار المكتبة العصرية.
- ابن أبي حاتم، (١٩٩١م) تفسير ابن أبي حاتم، بيروت، دار الفكر.
- الحجار، على جواد (٢٠١١م) الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، بيروت، مركز الغدير.
- أبي حيان الأندلسي، (١٩٩٢م) البحر المحيط، بيروت، دار الكتب العلمية.
- شبحو غلادنتي، (١٩٩٧م) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، القاهرة: دار الطلائع.

- الطبري، محمد ابن جرير (١٤١٥ هـ) تفسير جامع البيان، بيروت، دار الفكر.  
غومي، أبوبكر محمود (١٩٧٩ م) ردّ الأذهان إلى معاني القرآن، بيروت، دار الطلائع.  
ابن فارس، أحمد (٢٠٠٨ م) مقاييس اللغة، القاهرة، دار الحديث.  
فخر الدين الرازي، (١٤١٢ هـ) المحصول في علم الأصول، القاهرة، مؤسسة الرسالة.  
فخر الدين الرازي، (٢٠٠٠ م) مفاتيح الغيب، بيروت، دار الكتب العلمية.  
ابن فودي، عبد الله (٢٠٠٨ م) كفاية ضعفاء السودان، كنو، دار الأمة لوكالة الطباعة والنشر.  
مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (٢٠٠٨ م) المعجم الوسيط، بيروت، دار الفكر.  
مقاتل بن سليمان، (١٤٢٤ هـ) تفسير مقاتل، تحقيق أحمد فريد، بيروت، دار الكتب العلمية.

Gumi A. M. and Tsiga I. A. 1994, **Where I Stand**, Ibadan Nigeria

هوامش:

## الشيخ يحيى فاروق ثيوط وتحقيق منظومة مُرُوي الصَدِي في علم الصرف للشيخ محمد بن صالح الفلاتي: تعليقات وملحوظات

إعداد

**د / عمر بابوا موسى**

شعبة اللغة العربية، قسم الآداب والإنسانيات  
كلية التعليم المستمر، جامعة بايرو كنو.  
[ubmusa.sce@buk.edu.ng](mailto:ubmusa.sce@buk.edu.ng); 08062139025

### Abstract:

This paper looks into the editing of a book of Versifications of Arabic Morphology by Sheikh Yahya Faruk Chedi, (1959-2010) a renowned scholar of Arabic Grammar and Morphology, it centres on how the book was edited, and the effort of this editor in bringing out the versification as clean as possible, however the work of human being will never be perfect, that is why this research made some observations and corrections pertaining to some technical issues of edition, morphology and lexicography, which escaped the mind of the editor. A qualitative study approach involved book of versifications (Murwiy Assadiy by Sheikh Muhammad bn Saleh Alfullatii), Arabic Dictionaries, Arabic morphology books and its likes. Finding revealed some shortcomings of the editor of the book, concerning his edition, morphological issues and lexicological issues. It recommended that the works of our African scholars on Arabic Studies have to be globalized by reviewing it to meet the global standard of publication,

### المستخلص:

الغرض من دراسة هذا التحقيق هو تعليق وتقريب وتصحيح وتوضيح لبعض مغاليقه، والإشادة بمجهود هذا المحقق، الذي بذل جهودا جبارة في بلورة مسائل هذا النظم، الأمر الذي يؤرق الباحثين من قديم الزمان، فالمحقق قام بما ينبغي أن يقوم به غير هيباب ولا متردد، مع ما كابده من مشاكل كأداء فاستحق الشكر الجزيل على ما بذل من جهده وأنفق من وقته، وقد قرأت

التحقيق قراءة مستفيد معجب بنشاط هذا المحقق، ولكن الأعمال البشرية كلها عرضة للسهو، وما من شك في أن الهدف مما سيسجل في السطور الآتية إنما هو الحرص على ظهور النظم المحقق بصورة تتواءم ومحتواه ومنزلة المحقق، وليس الغرض عد المثالب والمآخذ التي اعترت التحقيق، ونرجو إن قدر الله إعادة طبع هذا الكتاب أن يقوم دار النشر بتفعيل هذه التعليقات والتصحيحات، وقد ترك الباحث ما وقع فيه المحقق من الخلل المنهجي خشية الإطالة وقسمه الباحث إلى مقدمة ومبحثين، المبحث الأول يتناول تعليقات في التقديم والتمهيد، والثاني يتناول المسائل الصرفية والمعجمية الواردة في النظم، والله المستعان وعليه التكلان.

#### النظم في سطور:

كتاب مرو الصدي في علم الصرف أحد المنظومات الصرفية للشيخ محمد بن صالح الفلاحي، وهو نظم كتاب فتح الأفعال وحل الإشكال بشرح لامية الأفعال، المشهور بالشرح الكبير للشيخ الإمام العلامة جمال الدين محمد بن عمر المعروف ببقرق (٨٦٩-٩٣٠هـ) أتحف به صاحبه العلماء بل وطلبة اللغة العربية، أتقن في ترتيب المسائل كما هي عند جمال الدين، وسماه مرو الصدي كما ورد في قوله:

وَلَامِيَّةُ ابْنِ مَالِكٍ قَدْ حَوَى وَرَا  
دَ سَمِيَّتُهُ مُرْوِي الصَّدِيِّ وَمُعَلَّلًا<sup>(١)</sup>

وقد حاز النظم حقا هذا اللقب استهل الناظم نظمه بقوله

يَقُولُ مُحَمَّدُ الْفَقِيرُ ابْنُ صَالِحٍ  
بِسْمِ إِلِهِ الْعَرْشِ أَبْدَأُ أَوْلًا<sup>(٢)</sup>

إلى قوله:

وَبَعْدَ فَجَا التَّصْرِيفُ عِلْمًا مُنْجِيَا  
لِفَهْمِ كِتَابِ اللَّهِ قَدْ يُتَوَصَّلُ  
وَمِفْتَاحُ أَبْوَابِ مِنَ اللُّغَةِ أَعْقِلَا  
بِهَا وَحَدِيثِ الصَّدَقِ هُوَ نَابِلَا غَلَا



فَهَاكَ نِظَامًا قَدْ حَوَى وَأَحَا      طَ بِالْمُهَّمِ تَفَاصِيلًا كَذَا جَمَلًا خَلَا<sup>(٣)</sup>

وختم هذا النظم بقوله:

وَمَا زُمْتُهُ قَدْ تَمَّ مُنْتَهِيًا مُسَ      هَلَا وَبِتَيْسِيرِ الْإِلَهِ تَكَمَّلَا  
أَبْيَاتُهُ جَعَّغَ وَفَتْ عَامَ زَمَقَشِ      لِهَجْرَةِ سَيْفِ اللَّهِ أَحْمَدَ أَرْسَلَا<sup>(٤)</sup>

وأبيات النظم ٩٩٨ وذلك بالحساب الجمل. والنظم لامية من البحر الطويل، وابن مالك نظم لاميته في البحر البسيط، يا سبحان الله. لماذا اختار محمد بن صالح البحر الطويل مع أن ابن مالك اختار البسيط، ما الرابط بين البحر البسيط والبحر الطويل؟ يُعدّ البحر البسيط من البحور الطويلة في الشعر، وهو بحر يعمد إليه أكثر الشعراء في الموضوعات الجدّية، ومما يمتاز به جزالة الموسيقى ودقّة الإيقاع، وهذا البحر يقترّب من البحر الطويل في الشبوع والكثرة، إلا أنه لا يتسع كالبحر الطويل في استيعاب المعاني<sup>(١)</sup>، ولا يلين لينه للتصرّف بالتراكيب والألفاظ، لكنّه من ناحية أخرى يفوق البحر الطويل رقةً، ولذلك نجده كثيرًا في أشعار المولّدين، وذلك على عكس الأشعار الجاهليّة<sup>(٥)</sup>.

رحم الله صاحب هذا النظم على هذا المجهود الميمون، ورحم الله المحقق على ما بذل من جهد جهيد لتحقيق هذا النظم.

### تعريف بالناظم:

هو محمد بن صالح الفلّاتي<sup>(٦)</sup> وفي الحقيقة إن المصادر التاريخية ضنت بمعلومات عن هذه الشخصية، فإن نشأته و تعلمه وتعليمه وشيوخه وتلاميذه وغير ذلك من المعلومات التي تنير الطريق أمام الباحث للتعرف على المؤثرات التي تأثرت بها الشخصية، غير موجودة، إلا أن محقق كتاب مرو الصدي الشيخ يحيى فاروق ثيوطي رحمه الله أثبت لنا اسمه من نظمه فقال:

يُقُولُ مُحَمَّدُ الْفَقِيرُ ابْنُ صَالِحٍ      بِسْمِ إِلَهِ الْعَرْشِ أْبْدَأُ أَوْلَا<sup>(٧)</sup>

وهو من معاصري الشيخ عثمان بن فودي، ومع ذلك لم يؤثر له ذكر في إنفاق الميسور وغيره من الكتب التي هي مظان تراجم هؤلاء العلماء، وهو من علماء صكتو، وقيل جاء من بُرُنُو وسكن صُكُتُو، وذكر المحقق أن لهذه الشخصية مؤلفات، منها تقييد الأخبار، ومرو الصدي في علم الصرف، وافترض المحقق سنة ولادته ووفاته ١١٠٨-١٢٢٩هـ<sup>(٨)</sup>.

### تعريف بالمحقق:

هو الشيخ يحيى بن أحمد بن آدم الذي اشتهر بيحيى فاروق ثيط، وفاروق هو الأخ الشقيق لأبيه وهو الذي تولى تربيته منذ صغره، ولد سنة ١٩٥٩م بحارة ثيطِ كنو نيجيريا، ألحقه أبوه بمدرسة الشيخ مصطفى ثيط القرآنية، ثم انتقل بعد ذلك إلى مدرسة الشيخ عبد الله القرآنية أيضا ولم يختم القرآن في هاتين المدرستين، ولما ألحق بمدرسة الشيخ محمد دابُو حاز شرف ختم القرآن هناك سنة ١٩٧٣م، وبدأ تعلم العلوم عند زوج شيخه الشيخ محمد دابُو السيدة بركة، ثم بعد ذلك التحق بمدرسة نور الأطفال للشيخ محمد مِي يَن مَكْرُنْتَا بحارة طُورِي، ثم مدرسة يُولَاوَا الإسلامية كنو نيجيريا، ثم مدرسة العلوم العربية كنو نيجيريا سنة ١٩٧٩م وتخرج سنة ١٩٨٢م ثم التحق بجامعة بايرو كنو نيجيريا فحصل على شهادة الدبلوم في اللغة العربية والدراسات الإسلامية ونال درجة الامتياز ١٩٨٥-١٩٨٧م، ثم الليسانس في الجامعة نفسها، ١٩٨٥-١٩٩٠م لكن تخصص في اللغة العربية بدرجة الامتياز، ثم واصل السير ونال درجة الماجستير في اللغة العربية ١٩٩٨م والدكتوراه في الجامعة نفسها، ٢٠٠٨م وله جهودات في التعليم والوعظ والتأليف وبخاصة في مجال اللغة العربية ومن تلك المؤلفات:

- الإعراب من كمال العرب.
- تصريف الأفعال بين ابن مالك الأندلسي في لامية الأفعال وبين محمد بن صالح النيجيري في مروى الصدى

- تيسير تصريف الأفعال بمضمون منظومة لامية الأفعال لابن مالك.
- تحقيق كتاب لمع البرق فيما لذي تشابه من الفرق، وهو نظم الفن الرابع من كتاب الأشباه والنظائر قام به الشيخ عبد الله بن فودي.
- تحقيق كتاب مروِي الصدي في علم التصريف (وهو محل بحث هذه الورقة).
- حل الإشكال عن مسائل الاشتغال. وغيرها من الكتب.

تولى الشيخ يحيى قيادة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المعروفة ب(الحسبة)، وخلال قيادته، قام بعض السياسيين بالمؤامرة ضده، فاعتقلته الحكومة الفدرالية وُزجَّ في السجن بتهم غير ثابتة، ثم أطلقوا سراحه سنة ٢٠٠٦/٦/٥م وبعد إطلاق سراحه ابتلاه الله بمرض حتى اضطر إلى أن يسافر إلى جمهورية مصر العربية، ثم بعد ذلك إلى المملكة العربية السعودية يستشفى من هذا المرض، وبعد رجوعه إلى كَنُو عاوده المرض، فاستشفى في مستشفى عبد الله واسي (نَسْرَاوَا) بمدينة كَنُو ثم رجع إلى المملكة العربية السعودية، لاستشارة الطبيب، ومكث هناك أسبوعين، ثم رجع إلى بلده فوافته المنية بعد خمسة أيام من عودته يوم الاثنين ٢٠/رمضان/١٤٣١هـ الموافق ٣٠/أغسطس/٢٠١٠م رحمه الله<sup>(٩)</sup>.

### المبحث الأول: تعليقات وتصحيحات في التقديم والتمهيد:

وهنا يشرع الباحث في بيان التصحيحات والتعليقات المتعلقة بتقديم الكتاب وتمهيده، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

في التقديم قال المحقق الشارح: "ولقد أجاد فيه رحمه الله - الشيخ محمد بن صالح الفلاحي - ومن رأى صنيعه في هذا الكتاب علم سعة باعه وطول ذراعه وعمق نظره في علم الصرف، فلقد جمع كثيرا من مسائل تصريف الأفعال حتى إنه زاد في كثير من المواضع على لامية الأفعال لابن مالك"<sup>(١٠)</sup> وفي هذا دلالة على أن المحقق ما حقق مصدر المنظومة، وقد

خفي عليه أن الذي قام بهذه الزيادات هو جمال الدين بحرق، وهذا مما يجدر أن ينتبه إليه القارئ.

وقال في الصفحة ١٧ من كتاب مروي الصدي: "والكتاب أثر من آثار هذا العالم الفذ ينحو نحو لامية الأفعال لابن مالك حيث يجتمع فيه جهد العالمين الكبيرين ابن مالك ومحمد بن صالح" والجدير هنا أن يقول المحقق حيث يجتمع فيه جهد العلماء الكبار ابن مالك وجمال الدين بحرق ثم محمد بن صالح الذي قام بنظم كتاب جمال الدين بحرق، لكنه سكت المحقق رحمه الله عن ذكر جمال الدين لعدم اطلاعه على كتاب فتح الأقفال.

ومما أدهشني ما ذكره المحقق رحمه الله في سنة ولادته-محمد بن صالح- ووفاته فقد قال: "وإذا نظرنا إلى هذه المنظومة قد أتمها عام ١١٤٧هـ فإنه من الممكن أن يكون قد نظمها وهو في سن الأربعين لأنها سن الكهولة فنفرض عام ولادته ١١٠٨هـ، وقد يكون غير ذلك ونفرض عام وفاته ١٢٢٨هـ لأنه ختم تأليف كتابه الثاني تقييد الأخبار عام ١٢٢٨هـ"<sup>(١)</sup> والذي نستشف من هذا أن الشيخ محمد بن صالح عاش ١٢١ سنة، وهذا ليس بغريب، والغريب في ذلك أن المحقق في هذه الصفحة خلال ذكر مؤلفات الشيخ محمد بن صالح ذكر ما أورده "موري لست Morray Last" في كتابه الخلافة في صكتو فنسب كتاب تقييد الأخبار إلى محمد بن صالح وذكر أن الكتاب ألف ١٢٨٤هـ ١٨٦٨م وموضوعه تاريخ كانو من بداية الجهاد" والمربك أن المحقق ذكر سنة وفاة الشيخ ١٢٢٨هـ وهنا يحكي ما قاله موري لست من أنه ألف كتابا في سنة ١٢٨٤هـ وذلك أن بين سنة وفاته وهذه السنة ٥٦ سنة وهذا يجدر بالمحقق رحمه الله أن يتفطن إلى هذا، لأن ذلك من ضمن عملية التحقيق.

وقول المحقق في بيان منهج الناظم ذلك نقطة وهي أنه يكثّر النقل "من كتاب القاموس المحيط للفيروزآبادي، وكتاب الصحاح وتاج العروس، وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري، وكتاب تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك، مع الإشارة إلى ذلك في المنظومة..." وبعد الفحص والمراجعة ظهر للباحث أن الناظم اعتمد على ما أورده جمال

الدين بحرق في كتابه فتح الأفعال، وهذا يدل على أن المحقق ما اطلع على هذا الكتاب، فالناقل هو جمال الدين بحرق لا الشيخ محمد بن صالح الفلاحي والله أعلم.

ثم بعد ذلك تناول المحقق مصادر هذه المنظومة فذكر لامية الأفعال، وكتاب الصحاح للجوهري، وكتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، والقاموس المحيط للفيروزآبادي، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك، وهذه هي المصادر الأولية حسب تعبير المحقق، وأما المصادر الثانوية لهذه المنظومة حسب تعبير المحقق فهي الخلاصة لابن مالك، وكتاب الصحاح ليونس بن حبيب، وجامع المنافع لابن الشجري، وضياء الحلوم.

وفي الحقيقة إن هذه المصادر ليست للشيخ محمد بن صالح الفلاحي بل هي لجمال الدين بحرق، والمراجع الثانوية كما عبر بذلك المحقق فيها ملحوظات على النحو الآتي:

كتاب الصحاح ليونس بن حبيب كتاب غير موجود ولا أدري أين وجده المحقق، فإن الكتب التي ترجمت لشخصيته ما ذكرته، مثل الفهرست ٦٦-٦٧. ومعجم الأدباء ١٥/٣ ووفيات الأعيان ٢٤٥/٧. والأعلام للزركلي ٢٦١/٨.<sup>(١٢)</sup>

ثم كتاب جامع المنافع لابن الشجري وهذا الكتاب أيضا غير موجود، لأن الباحث تتبع ترجمة ابن الشجري وما وقف عليه، مع أن المحقق ذكره في الهامش عند ما نقل ترجمة ابن الشجري من كتاب العقد الثمين في تراجم النحويين، للذهبي فقال: "وله تصانيف كثيرة منها جامع المنافع ولم أقف عليه"<sup>(١٣)</sup>، ثم أحال القارئ إلى ذلك الكتاب، كأن صاحب العقد ذكره من ضمن مصنفات ابن الشجري وقد ذكر الباحث هذه المسألة في مجلة "طغول"<sup>(١٤)</sup> فالذهبي لم يذكر هذا الكتاب من ضمن كتب ابن الشجري.

وقوله في كتاب ضياء الحلوم قال المحقق "لم أقف عليه" والكتاب هو ضياء الحلوم المختصر من شمس العلوم لابن عبد الله محمد بن نشوان بن سعيد الحميري لخص فيه كتاب أبيه شمس العلوم في ثلاثة مجلدات مكتوبة في القرن السادس في حياة المؤلف، وهو معجم لغوي من أهم المصادر اللغوية في الكتب الزيدية اليمنية واشتهر باسم "الضياء" وأبوه نشوان

بن سعيد قاض، سياسي، لغوي، ومؤرخ، وأديب يعني، وقد قام بتحقيق الكتاب عبد الرؤوف بن الوليد العرفج بجامعة الإمام الرياض ١٤٤٠ هـ ٢٠١٨ م - بعد وفاة المحقق بشماني سنوات - في مرحلة الدكتوراه تحت إشراف د/ سعود بن عبد الله بن حسين، وهناك نسخة مخطوطة في سلطنة عمان وزارة الثقافة والرياضة والشباب<sup>(١٥)</sup>.

### المبحث الثاني: تعليقات وتصحيحات في المسائل الصرفية والمعجمية:

وهنا تطرق الباحث إلى المسائل الصرفية والمعجمية التي قام بتحقيقها الشيخ يحيى فاروق ثيط في هذه المنظومة فيقول وبالله تعالى التوفيق:

وفي باب الرباعي المجرد اللازم قال الناظم:

١٦ - وَقَرَّشْتُم أَي قَعَدْتُمْ مُسْتَرْخِيًّا كَذَا كَعَزَيْدٌ أَي أَسَاءَ خُلُقًا وَبَهْدَلًا<sup>(١٦)</sup>

وقوله قرشتم: فيه تصحيف، والصحيح قرشح الرجل بالحاء المهملة لا بالميم، إذا وثب وثبا متقاربا وفرشح الرجل وثب وثبا متقاربا وبالقاف أيضا كذلك، والقرشحة الاسترخاء، وقرشح أيضا جلس وألصق فخذه بالأرض<sup>(١٧)</sup>.

وقوله:

١٧ - كَهَذْرَمٍ فِيهِ مِثْلُ حَذْرَفٍ سُرْعَةً وَبَرَشَمٍ حُزْنًا بَرَطُمْتُ عَبَسْتُ وَلَا<sup>(١٨)</sup>

فقوله حذرف: تصحيف والصحيح خذرف وهو السريع في جريه والخذروف شيء يديره الصبي في يديه فيسمع له دوي<sup>(١٩)</sup> وحذرف بالحاء المهملة أهمله الجوهري، وصاحب اللسان وقيل الحذرف على صيغة اسم المفعول هو المملوء من الأواني<sup>(٢٠)</sup>.

وقوله في البيت:

١٨ - وَحَضْرَمٌ فِي الْكَلَامِ أَي لَحْنِ اسْمِعْ وَكَرَفَشَ أَي مَشَى كَمَنْ قُبِدَ اعْقَلًا<sup>(٢١)</sup>

والصحيح أنها كرفس بالسين المهملة والكرفسة مشية المقيد<sup>(٢٢)</sup> وليس كرفش بالشين المعجمة.

وفي البيت:

٢٠- تَعَمَّقُ فِي الْكَلَامِ ثُمَّ جَرَبَدَ ان قَبَاصًا كَجَرَمَزِ اجْتِمَاعًا وَخَزَعَلًا<sup>(٢٢)</sup>

والصحيح جرنب بالزاي لا بالذال أي ذهب أو انقبض أو سقط<sup>(٢٣)</sup> وجرنب بالذال أهمله الجوهري، وقيل هو من سير الإبل والخيل، كالجرناب بالكسر، وفرس مجربد، وهو القريب القدر في تنكيس الرأس، وشدته الاختلاط مع بطة إحارة يديه ورجليه إلخ<sup>(٢٤)</sup>.

وفي البيت:

٢٢- كَذَا قَرَفَطَ الرَّيِّقِ قَارِبَ خَطْوِهِ وَبَرَدْنَتْ أَي فَهَرَّتْ نَمَتْ عَنَجَلًا<sup>(٢٥)</sup>

فقوله عنجل هو الصحيح خلاف ما قاله محقق كتاب فتح الأقفال وحل الإشكال للدكتور مصطفى النحاس، حيث قال عنجل الرجل ثقل عليه النهوض لعظم بطنه، والذي في تاج العروس هو ما أثبتته الشيخ يحيى في هذا التحقيق، فمادة عنجل يقال عنجل الشيخ إذا نحس لحمه وبدت عظامه<sup>(٢٦)</sup>.

وفي باب الفعل الرباعي المعدى قال الناظم:

٢٤- مِثَالُ الْمُعَدَّى قَرَطَبَهُ صَرَعَهُ كَقَرَّ ضَبَّ اللَّحْمُ بِالْقَرَضَابِ أَي قَطَعَ امثلاً<sup>(٢٧)</sup>

وهنا يجد القارئ أن جمال الدين بحرق أورد مادة قرضب دون قرطب ولكن الناظم أوردتها وذلك لأن بعض النسخ أورد قرطبه إضافة على الأولى، ومن هذا تجد الناظم يقول في البيت:

٣٢- تَجِدُ عَدَّهَا خَمْسِينَ مَعَ وَاحِدٍ نَمًا مِثَالًا عَلَى الْوَلَاءِ كَانَتْ لِفَعَلًا<sup>(٢٨)</sup>

هنا اختلاف بين الناظم وصاحب أصل الكتاب في عد هذه الأفعال قال جمال الدين بحرق في مبحث الرباعي اللازم والمتعدي بعد سردها " فهذه خمسون مثلاً"<sup>(٢٩)</sup> وذلك

باعتبار فرطحه و فلفطحه شيء واحد لأنه قال مفرطح ومفلفطح، وهذا في المتعدي وفي اللازم جريز وجزمر عنده واحد لذلك قال أيضا انقبض واجتمع<sup>(٣٠)</sup>. وبهذا يكون عد جمال الدين بحرق هو الصواب.

وفي البيت:

٣٧- وَللثَالِثِ اجْعَلْ نَحْوَ كَزْبِرٍ بَشْرَمَتْ وَعَصْفَرٍ أَوْ زَبْرَقَتْ عِنْدَمَ فَلْفَلَا<sup>(٣١)</sup>

وفي هذا البيت تصحيف كلمة شبرم من الشبرم: حَبُّ شَبِيهِ بِالْحِمِّصِ يُطْبَخُ وَيَشْرَبُ مَاؤُهُ لِلتَّداوِي<sup>(٣٢)</sup> والمكتوب في البيت بشرم لم أجدها في المعاجم والقواميس والله أعلم  
وفي البيت ٣٩ قال الناظم:

٣٩- وَعَلَقَمٌ أَوْ لِلْحَامِسِ ادْعُ كَقَمَطَرِ ال كِتَابِ كَذَا بِنْدُقَتْ طِينًا لِتَعْمَلَا<sup>(٣٣)</sup>

والمشكل في هذا أن المحقق أثبت مادة قمطر في النظم لكن عند الشرح أورد كلمة قرمط، مع أن جمال الدين أورد كلمة قمطر الكتاب أي اتخذ له قمطرا، والشيخ يحيى فاروق قال قرمط وهو من القرمطة وهي دقة الكتابة تقول قرمط الكتاب أي اتخذ له قمطرة<sup>(٣٤)</sup> وما وجد الباحث من قال بذلك، وهذا في الحقيقة خطأ من المحقق في شرح هذه المادة فكلمتا قمطر وقرمط كلمتان مختلفتان والله أعلم  
وفي البيت ٥٠ قال الناظم:

٥٠- وَلَجَّ أَقَامَ ثُمَّ زَحَّ وَزَحَزَحَتْ وَنَحَّ وَنَحْنَحَتْ وَتَعْتَعَ كَوْنَلَا<sup>(٣٥)</sup>

الشيخ يحيى فاروق رحمه الله حقق هذه الكلمة (لح) بالجيم والصحيح أنها بالحاء فح هو المعني ب أقام بالمكان كما ورد في أصل المنظومة، وهو كتاب فتح الأقفال<sup>(٣٦)</sup>، وكذا في كتاب الأفعال في باب الشئائي المكرر<sup>(٣٧)</sup> والمحقق نفسه ذكره في الشرح بالحاء المهملة.

وقول المحقق عند قول الناظم في البيت ٥٣:

٥٣- وَقَدْ زَادَ صَرَ ثُمَّ دَمَّ عَلَيْهِمَ وَدَمَدَمَ غَيْرُهُ وَزَلَّ وَزَلَزَلَا<sup>(٣٨)</sup>



"وهذه الأفعال الثلاثة الأخيرة زادها الخليل بن أحمد الفراهيدي على ما ذكره الجوهري في الصحاح" وهذه المقولة لم يجدها الباحث في الصحاح ولكن ما حصل عليه الباحث هو ما أورده ابن الحاجب في الشافية من قوله " وقال الكوفيون في نحو زُلْزَلٍ وَصَرَصَرَ - أي: فيما يبقى بعد سقوط الثالث مناسبٌ للمعنى الذي كان قبل سقوطه مناسبةً قريبة - : إن الثالث زائد، لشهادة الاشتقاق: فَرَزَزَلٌ مِنْ زَلٍّ، وَصَرَصَرَ مِنْ صَرَ، وَدَمَدَمَ مِنْ دَمٍّ،" (٣٩) والذي يبدو للباحث أن المحقق اختلط عليه الأمر في عزو هذا إلى الخليل، والذي حكى عن الخليل هو "كأنهم توهّموا في صوت الجندب استطالة ومدًا فقالوا: صَرَ وتوهّموا في صوت البازي تقطيعًا فقالوا: صرصر" (٤٠) والله أعلم.

وفي البيت ٦١ قال الناظم:

٦١- سَمَحَتْ صَبَحَتْ أَوْ سَمَّجَ وَصَرَحَ فَصَحَّتْ جَلُدَتْ أَوْ نَجُدُ وَحَصُنُ صَبَلًا (٤١)

فقد ذكر الناظم كلمة فصُح ولم يذكر كلمة فسُح بالسين، لكن ذكرها المحقق موافقا في ذلك جمال الدين بحرق فقد ذكر فسح المكان أي وسع (٤٢) وهذا مما أربكني، وكأن المحقق حصل على الكتاب الأصل، لكنه لم يبين وهذا بعيد، وإما أنه حصل على نسخة من النظم فاعتمد عليها أو على طرفها والله أعلم.

وفي البيت ٧٧ مسألة فَعَل هل ورد مضاعفا أولا؟ قال الناظم:

٧٧- وَعِنْدَ الْخَلِيلِ لَمْ يَرِدْ فِي الْمَضَاعِفِ سَوَى دَمٍّ ثُمَّ الْجَوْهَرِيِّ حَكَى اعْقَلًا (٤٣)

والمحقق رحمه الله لما كان يشرح هذا البيت قال ذهب الخليل بن أحمد الفراهيدي إلى أن هذا البناء لم يرد منه من المضاعف إلا فعل واحد وهو دم، فعلق في الهامش على هذا القول، فقال: " هذا ما ذكره الناظم ولكن الخليل ذكر هذا الفعل في نصر ينصر حيث قال: وليس في باب التضعيف على فَعَلٍ يَفْعُلُ غير هذا"، كأنه يُحْطِيءُ الناظم في هذا النقل، ولكن الناظم نقله من جمال الدين بحرق وهو موافق لما في العين أيضا قال الخليل في العين: "

دم يدم، ولغة ثانية على قياس فعل يُفْعَل، وليس في باب التضعيف على فعل يفعل غير هذا. وتقول: دمت يا هذا، وإذا أردت اللازم قلت: دمت<sup>(٤٤)</sup>.

وقول المحقق في الصفحة ٣٨٠ في باب كبر الأعضاء "و إذا تدبرنا ما سبق نجد أن فَعَلَ في هذه المعاني السابقة كلها لازم ذلك ولأن هذه المعاني لا تتعلق بغير من قامت بها وأما فرقته وفرزته وخشيته فقد ذهب سيبويه في فرقته وفرزته على حذف الجار والأصل فرقت منه وفرزت منه و أما خشيته فذهب إلى أن الأصل خشيت منه إلخ" ثم أحالنا المحقق إلى الشافية مع أنه ينبغي أن يراجع الأصل وهو "الكتاب" وهذا خلل في المنهجية وذلك كثير. وفي البيت ١٢٣ قال الناظم:

١٢٣- فَمِنْهُ لِكَبْرِ الْعُضْوِ نَحْوِ رَقَبِ عَجْزِ طَحْلٍ وَ أَذِنًا شَفَهُ قُلُّ مُرْتَلَا

١٢٤- جِبَهُ وَعَصِصَتْ أَوْ كَبِدٌ وَلَسِنْ عَيْنٍ وَتِي عَشْرَةٌ فَمَالُهُ مَادَّةٌ بَلَا

في تفسيره لهذه المواد اللغوية نظر وبخاصة في رقب فقال المحقق رقب عنقه يرقب أي غلظ فهو أرقب أي غليظ العنق<sup>(٤٥)</sup> والباحث لم يقف على من قال بهذا، والصواب رقب رقبا. وهو أرقب بين الرقب أي غليظ الرقبة،<sup>(٤٥)</sup> ولعل هذا من اجتهاد المحقق لأن الفيروزآبادي قال في القاموس المحيط الرقبة العنق أو أصل مؤخره،<sup>(٤٦)</sup> مع أنه قال والأرقب هو الغليظ الرقبة ولم يقل العنق والله أعلم.

وفي قوله تي عشرة... فذكر عشرة خلافا لجمال الدين فإنه ذكر تسع مواد من هذا الباب فإن الشيخ محمد بن صالح زاد مادة واحدة فهي جبه فهو عظيم الجبهة<sup>(٤٧)</sup> وهذه الزيادة ليست منه بل من نسخة أخرى ذكرها المحقق في الهامش. ومثل هذا ما يبدو في البيت ١٣٥ قال الناظم:

١٣٥- بَدَتْ عِنْدَهُمْ مِنْ هَذِهِ لُغَتَانِ حَصْنٌ رُهَا أَرْبَعٌ جَا بَعْدَ خَمْسِينَ بِالْوَلَا

قال جمال الدين بحرق فيما شارك فعل من فعل بعد سرد هذه المواد، فهذه نحو خمسين مثالا فيها لغتان، لكن الشيخ محمد بن صالح قال أربع بعد خمسين فزاد أربع مواد، ولكنه في الحقيقة من باب جمع النسخ واستخراج هذه النتيجة.

وفي البيت ١٥٣ قال الناظم:

١٥٣ - وَقَدْ زَادَ فِي الْقَامُوسِ فِيهَا وَلِغٌ وَبِقٌ كَذَا تَحِمُّ الْحُبْلَى اشْتَهَتْ مَا كَأَلًا حَالًا

١٥٤ - عَلَى لُغَةٍ أُخْرَى وَلِغٌ كَوَهَبٌ كَذَا وَبِقٌ كَوَعْدٌ عَشْرٌ مَعَ اثْنَيْنِ قَدْ تَلَا

هذه الأفعال زادها جمال الدين بحرق والذي قاله جمال الدين: "وقد ظفرت بثلاثة أفعال من الضرب الأول نقل الوجهين فيها صاحب القاموس... وأما الثلاثة فهي ولغ الكلب يلغ كورث يرث ويولغ كوجل يوجل، وفيه لغة أخرى كوهب يهب فيصير من أمثلة فعل المفتوح لا من فعل المكسور، وبِق يبق ويوبق أي هلك... ووحمت الحبلى بالحاء المهملة تحم وتوحم... (٤٨).

وفي البيت ١٤٠ قال الناظم:

١٤٠ - وَجَدُ وَوَرِكْتَ أَوْ وَعِقْ وَوَكْمٌ وَقَهٌ وَفِي عَيْنِ آتِيهَا اِفْرِدُ الْكَسْرَ تُعْتَلَا

وهنا يجدر بالتحقق أن يذكر أن الناظم عليه أن يفصل القول هنا، وذلك لما ذكر ابن مالك الأفعال التي جاءت على يفعل شذوذا فذكر ابن مالك ثمانية منها، فزاد جمال الدين بحرق على جمال الدين بن مالك خمسة أفعالا فصارت ثلاثة عشر فعلا، وزاد ابن الحاجب، وهم ووعم ووسع ووطئ<sup>(٤٩)</sup> لكن وسع ووطئ الأصل فيهما فعل يُفَعِّلُ إلا أنهم ردوها إلى الفتح لمكان حرف الحلق،<sup>(٥٠)</sup> فقالوا يَسَعُ و يَطُّ، كما أوردها المحقق الشارح، واختلفوا في وهم فقالوا وَهَمْتُ أَهْمٌ، والظاهر أن أَهْمٌ مضارع وَهَمْتُ - بفتح العين - ومضارع وَهَمْتُ بالكسر أوهم بالفتح، ويجوز أن يكون وَهَمْتُ أَهْمٌ بكسرهما - من التداخل<sup>(٥١)</sup>.

وفي مسألة وفق التي وردت في البيت ١٤٨-١٥٠ قال الناظم:

١٤٨ - وَفِيقَ عِنْدَ نَجْلِ مَالِكٍ وَفِيقَ الْجَوَا دُ أَيَّ حَسَنَ ابْنُهُ بِهِ قَدْ تَأَوَّلَا

١٤٩- لَهُ تَبَعًا فِي شَرْحِ تَسْهِيلِهِ خِلَا فَمَا قَالَ فِي الْقَامُوسِ ذُو الْعِلْمِ وَاعْتِبَالًا  
١٥٠- وَمَا كَانَ فِي الصَّحَاحِ ذَلِكَ مِنْ وَفْقٍ تَأْمُرُكَ أَيَّ صَادَقْتَهُ كُنْ مُحْصَلًا<sup>(٥٢)</sup>

وفي هذه الأبيات وقع الناظم في خطأ في قوله: "خلاف ما قال في القاموس"، فإنه نظم كتاب فتح الأقفال، وجمال الدين قال كذا قاله بدر الدين بن مالك تبعاً لوالده في شرح التسهيل رحمهما الله، ولم يذكر ذلك في الصحاح ولا في القاموس، وهنا فرق بين خالفه ولم يذكره، لكن المحقق تبع الناظم حيث قال وخالفهما في ذلك الفيروزآبادي في القاموس المحيط إلخ، وفي كتاب الأفعال لابن القطاع الصقلي هذا المعنى الذي قال به ابن مالك وابنه وهي قوله وَفْقَ الْأَمْرِ حَسُنَ<sup>(٥٣)</sup>.

وقول المحقق الشيخ يحيى فاروق في مسألة لزوم فعل أكثر من تعديه، قال رحمه الله "الأولى أشار إلى أن ابن مالك ذكر في التسهيل أن التعدي واللزوم في فعل سيات أي الكثرة ولم يكن المتعدي أكثر من اللازم و العكس كما كان في فعل" فقال في الهامش "إلا أن الناظم ربما فهم ذلك من كلام ابن مالك حيث قال "لفعل تعد ولزوم" ولم يفصل كما فصل في فعل المكسور حيث قال "لزوم فعل أكثر من تعديه"<sup>(٥٤)</sup> وليس هذا من الناظم بل من تعليق جمال الدين بحرق حيث قال: "تنبهان: الأول قال في التسهيل "لَفَعْلٌ تَعَدُّ وَلِزُومٌ" أي يكثر فيه الأمران لأنه لما كان أخف الأبنية وضعوه للنوعت اللازمة والأعراض والأمراض والألوان... وهذا يؤكد بأن هذا ليس مما فهمه الناظم والله أعلم".

مسألة غلبة المفاخر: ذكر المحقق في هذه المسألة اختلاف العلماء في قياسيتها وعدمها، وأورد ما قاله سيوييه في الكتاب "وليس في كل شيء يكون هذا، ألا ترى أنك تقول نَارَعَنِي فَنَزَعْتُهُ أَنْزَعُهُ، اسْتُعِنِي عَنْهُ بَعَلْبُهُ، وكذا غيره، بل نقول: هذا الباب مسموع كثير" ومن هذا استنبط المحقق أن هذا الباب عند سيوييه مسموع في صياغة مضارعه وسيوييه لا يعني هذا بل يشير إلى باب الاستغناء في اللغة وهو مشهور عنده، والأستاذ عبد الله أشار إلى هذا في كتابه النظم الحاوي في علم النحو بأهم الفتاوي<sup>(٥٥)</sup> وابن مالك في التسهيل يشير إلى

مذهب الكسائي في ذلك وهو فتح عين أفعله لا أفعله في المغالبة إن كان عينه أو لامه حرفا من حروف الحلق، وقد ذكر ابن مالك في التسهيل أن الكسائي يجيز فتح العين من هذا النوع لأجل حرف الحلق<sup>(٥٦)</sup> لكن في شرح شافية ابن الحاجب قال يلزم الفتح،<sup>(٥٧)</sup> وفرق بين من يجيزه ومن يلزمه، وعلى أية حال ماخالف ابن مالك سيبويه نظرا إلى هذا القول، بل خالف الكسائي، في إجازة فتح العين والذي أوقع المحقق في هذا هو اعتماده على شرح شافية ابن الحاجب دون الرجوع إلى التسهيل وقال جمال الدين بحرق: "ومذهب الكسائي أن حرف الحلق مانع من الضم من ذا النوع، أي المبني للغلبة"<sup>(٥٨)</sup> وهنا ما صرح بالجواز أيضا والله أعلم.

قال محمد بن صالح في باب مثال ما فاؤه واو في البيت الأخير من هذا الباب:

١٩٧- وَشَطُّ وَوَعْظُ وَعَظًا وَجَفُّ وَوَكْفُ وَعَكُّ إِلَى وَرَقٌ وَوَصْفُ وَصَفًا وَقَصَّتْ قَدِ اقْبَالًا  
٢٠٢- وَعَاهُ كَأَوْعَى أَوْ وَصَى وَوَفَى وَكَأ هُ تِي عَدُّهَا تِسْعٌ وَسِتُّونَ أَوْلًا<sup>(٥٩)</sup>

ورق/ورف فإن جمال الدين بحرق أورد مادة ورف بالفاء ولكن الشيخ محمد صالح أورد مادة ورق بالقاف، وبتتبع هذه المواد اللغوية ترى أن الواردة في فتح الأفعال تسع وستون، ولكن جمال الدين بحرق بعد إيراد هذه المواد قال فهذه سبعون مثالا، وهذا عجيب، فإني قمت بتعداد هذه المواد فوجدتها أيضا تسعا وستين إلا أن الشيخ محمد صالح ما أورد مادة ورق، ولعل ذلك موجود في بعض النسخ، فإن كان الأمر كما توخيت فهذه المواد سبعون مادة، وإلا فصاحب مرو الصدي على حق في قوله تسع وستون، فمادة ورف يقال ورف الظل طال وأيضا ورف النبت يرف ورفا وهو اهتزازة ونضارته فهو نبت وارف<sup>(٦٠)</sup> والله أعلم.

وفي البيت ٢٠٣ و ٢٠٤ قال الناظم:

٢٠٣- وَحَلَقِي لَامٍ مِنْهُ نَحْوُ وَجَأَتْ أَوْ وَدَعَتْ وَزَعَتْ أَوْ وَقَعَتْ وَلَعَتْ تَلَا  
٢٠٤- وَثَقَّتْ وَبَهَتْ أَوْ وَصَعَتْ فَهَذِهِ ثَمَانِيَةٌ وَأَفْتَحُ مُضَارِعَهَا وَلَا<sup>(٦١)</sup>

وهنا تناول مسألة المضارع من المثال الواوي من باب فعل المفتوح في الماضي يكون مكسور العين في المضارع إذا لم يكن لامه حرف حلق كما مثل بأمثلة كثيرة، وأما إذا كان لامه حرف حلق فإنه يفتح عينه في المضارع، فأتي بثمانية أمثلة وهي وجأ وودع ووزع ووقع وولع ووثق وبه ووضع، والمحقق لما أخذ يشرح هذا البيت الأخير واستخرج الأمثلة التي أتى بها الناظم ذكر كلمة وثق فقال الشارح المحقق: "نحو وثق رأسه يثقه أي شدخه" (٦٢)، وفي هذا إشكال لأنه ليس من بين حروفه حرف حلق، ومع ذلك ذكره الناظم في هذه الأفعال، والصارم ينبو والجواد يكبو والنار تحبو والكمال لله الواحد القهار" وفي الحقيقة أن هذا الخطأ ليس من الناظم ولعل هذا من النسخ أو من المحقق لأن البيت ينبغي أن يكون: وثغت وبهت إلخ فالكلمة هي الوثغ وثغ يثغ، ولكن المحقق رحمه الله ما قام بما ينبغي عليه من الرجوع إلى المعاجم للثبوت في هذه الكلمة حيث أورد وثق رأسه أي شدخه ولا تكاد تجد ذلك في المعاجم والقواميس كلها بل وثغ رأسه - كما في القاموس المحيط - كوعد شدخه (٦٣) ولو أن المحقق استعان بشروح اللامية لما وقع في بعض الأخطاء التي وقع فيها، مثل فتح المتعال على القصيدة المساة بلامية الأفعال (٦٤) وغيره من كتب اللغة.

وفي البيت ٢٣٢-٢٣٣ قال الناظم:

٢٣٢- مُضَارِعِ هَذَا النَّوْعِ يُكْسَرُ لَازِمًا سَوَاءَ أَبِي يَأْبَاهُ قَدْ شَدَّ أَوْ قَلَا  
٢٣٣- لَدَى عَامِرٍ كَذَا بَغَى عِنْدَ طِيءٍ تَقُولُ بَغَى (٦٥) يَبْغِي كَفْتَحَ بَغَى تَلَا (٦٦)

وهنا تناول الناظم مسألة كسر عين المضارع من فعل المفتوح في الماضي الناقص اليائي، فذكر الناظم أمثلة لذلك تبعا لجمال الدين بحرق في الفتح، واستثنى ثلاثة أفعال وهي أبي وقلا وبقى، فالكلام هنا في قلا يقلي ويقلى، فالمحقق في هذه المادة قال بعد إيرادها: "قلا يقلاه أي أبغضه وهذا عند بني عامر" (٦٧) والعجيب أن الباحث ما وجد من قال ذلك إلا الشيخ رحمه الله، فالمشهور عند اللغويين أن هذه اللغة ليست لغة بني عامر بل هي لغة طيء، وطيء من عرب الجنوب من القحطانية، وبني عامر من المضرية، والمضرية من عرب

الشمال وهي من العدنانية، والذين نسبوا هذه اللغة إلى طيء هم: أولاً أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، في التهذيب قال: "قلت وكلام العرب الفصيح: قلاه يقلبه قلى ومقلية: إذا أبغضه، ولغة أخرى وليست بجيدة: قلاه يقلاه وهي قليلة،" (٦٨) وهنا لم يصرح بكونها لغة طيء بل اكتفى بقوله لغة أخرى ويبدو ذلك فيما ذكره الجوهري، ثانياً الجوهري في الصحاح: "والقلى: البغض: فإن فتحت القاف مددت. تقول: قلاه يقلبه قلى ونقلاه، ويقلاه لغة طيء:" ثالثاً صاحب لسان العرب قال: "قلا: ابن الأعرابي: القلا والقلا والقلاء المقلية. غيره: والقلى البغض، فإن فتحت القاف مددت، تقول قلاه يقلبه قلى وقلاء، ويقلاه لغة طيء" (٦٩) ورابعا الأستاذ عبد الله بن فودي قال:

وَشَدَّ طِيءٌ بِفَتْحٍ فِي قَلَا      وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ قِيَاسٌ يُجْتَلَا<sup>(٧٠)</sup>

ونظرا لهذه النقول فإن المحقق جانبه الصواب في نسبة هذه اللغة إلى بني عامر، ومما يلفت نظر القارئ أن جمال الدين بحرق قال في الفتح: "وذكر في التسهيل أيضا أن التزام كسر هذا النوع لغة غير طيء من سائر العرب، ومفهومه أن طيئا يفتحونه قياسا ولم ينقل عنهم غيره إلا في قلاه يقلبه قلا، أي أبغضه." وهذا في الحقيقة مُرْبِكٌ أيضا، ومعنى ذلك أنهم يفتحون كل فعل على فعل المفتوح إذا كان لامه ياء غير مادة قلا يقلبه؟، وهذا إما أن يكون معناه أن طيئا تجيز فتحه أو كسره فتقول يقلبه ويقلاه، وإما أن لها وجهها واحدا في هذه المادة وهي يقلبه لا غير والله أعلم.

مسألة كدّ يكد قال الناظم في البيت ١٣٦ - ٢٣٧:

٢٣٦- أَتَى رَابِعُ الْأَنْوَاعِ وَهُوَ الْمُضَاعَفُ      يَجِي لِأَزْمَا كَحَنَّ أَوْ رَثَّ لِلْبَلَا

٢٣٧- وَعَبَّ وَصَحَّتْ كَدَّ ضَحَّ كَفَّحَ غَطُّ      طَ صَرَ وَنَدَّ فَرَّ أَوْ زَفَّتِ السَّلَا<sup>(٧١)</sup>

وهنا أورد الناظم مسألة ما يلزم كسر عينه في المضارع وهو مفتوح في الماضي، وأتى بأمثلة من هذا النمط، فذكر من ذلك مادة كدّ تبعا لجمال الدين بحرق في الفتح "كدّ في

عمله يَكْدُ باشره بشدة" (٧٢) فقال المحقق الشارح الشيخ يحيى فاروق رحمه الله في الهامش بعد هذه المادة: "ولكن جاء في لسان العرب كد يَكْدُ بالضم، وكذا في تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد الهروي يقال هو يَكْدُ كدًا ولم أفق على المصدر الذي نقل الناظم هذا الفعل الذي يكسر عينه في المضارع، وصاحب الصحاح لم يذكره بالكسر وهكذا صاحب القاموس" (٧٣) والمحقق رحمه الله على الصواب في ذلك، لكن العهدة على جمال الدين بحرق لا على الناظم، فإن النسخة التي اعتمد عليها محقق فتح الأقفال أتت بهذه المادة على يَكْدُ، وكذا قال الراجسي الصعيدي المالك في شرح اللامية " و (كَدَّ فِي عَمَلِهِ يَكْدُ) بِأَشْرُهُ بِشَدَّةً،" (٧٤) وهو موافق في ذلك جمال الدين بحرق والله أعلم،

وفي مسألة فَعَلَ المفتوح في الماضي يضم عينه في الأجوف الواوي مثل باء بيوء، وعاد يعوذ ذكر الناظم كلمة مات فذكر لها وجهين وهما مات يموت ويميت وذلك في البيت ٣٢١ حيث قال:

٣٢١ - وَمَاتَ يَمُوتُ أَوْ يَمِيْتُ مَعًا وَقَدْ قُرِيَ أُنْدًا مِثْنًا أَخِي بِهِمَا اِعْقَالًا (٧٥)

لكن المحقق الشارح رحمه الله ما زاد على ذلك شيئاً، والباحث يرى أن على المحقق أن يستدرك على الناظم، لأن في بعض نسخ فتح الأقفال لجمال الدين بحرق، ذكر وجه آخر وهو يمات، والذي في المعاجم أن هذه المادة تأتي على يمات أيضا كما قال صاحب الصحاح: الموت: ضد الحياة. وقد مات يموت ويمات أيضا. قال الراجز:

بنيتي سيدة البنات \* عيشي ولا نأمن أن تماتي (٧٥)

وفي جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي: والموت: معروف مات يموت موتا وقالوا: مات يمات موتا لغة يمانية (٧٦). وقال الفيروزآبادي مات يموت ويمات ويميت، فهو مِيْتُ ومِيَّت: ضد حي (٧٧).

وفي البيت ٢٦٢ إلى ٢٦٥ قال الناظم:

٢٦٣ - مِثَالُ الْمُعَدَى مِنْهُ ذِي الْكَسْرِ حَبَّه فَفَقَطْ لُغَةً قُلْ مِنْ أَحَبِّ مُهَلَّلًا



٢٦٤- وَمِنْ حَبَّةِ الْمَحْبُوبِ قَدْ صِيغَ وَالْمَحْبُوبُ قَدْ صِيغَ وَالْمَحْبُوبُ قَدْ صِيغَ وَالْمَحْبُوبُ قَدْ صِيغَ وَالْمَحْبُوبُ قَدْ صِيغَ

٢٦٥- بِهِ قُرِئَ اسْمَعَنَّ شَاذًا يَحِبُّكُمْ بِفَتْحٍ وَجَا الْوَجْهَانَ فِي هَرَ مُمَصِّلاً

قال المحقق في مرو الصدي شارحا هذه الآيات "النوع الأول ما لزم في مضارعه كسر عين المضارع من فعل المفتوح المضاعف المتعدي كما ينذر الضم في المضاعف اللازم وذلك في فعل واحد فقط وهو حبه يجبه وهو لغة قد صيغ من أحب الرباعي نحو حبه المحبوب يجبه والمحبوب قد صيغ من حبه الثلاثي كما صيغ المحب من أحب الرباعي وبهذا قرأ بعض القراء قوله تعالى <sup>٧٨</sup> فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ بِرَ عَفُورٌ رَحِيمٌ بن آل عمران: ٣١ <sup>(٧٨)</sup> بفتح الياء وكسر الحاء وفتح الباء المشددة. " <sup>(٧٩)</sup> وقوله وبهذا قرأ بعض القراء يوهم أن هذه القراءة من القراءات المقبولة المتواترة التي وافقت اللغة العربية ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية، بل إن هذه القراءة شاذة، كما ذكر ذلك الناظم، وأوردها أبو البقاء العكبري في كتابه إعراب القراءات الشواذ، وقال: " قوله " تحبون الله يقرأ بفتح التاء من حب وهي لغة معروفة وكذلك "يحبكم وقرأه قوم على التشديد للتكثير أو على معنى يحبكم الله إلى خلقه" <sup>(٨٠)</sup> والله المستعان.

#### الخاتمة:

- بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله على ما أعان ويسر، في جمع هذه التعليقات والملحوظات، فقد شرع الباحث في هذه التعليقات والملحوظات بتقسيم عمله إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، يود الباحث أن يوجز مجموعة النتائج التي توصل إليها هذا البحث.
- أبرز لنا هذا البحث قيمة هذه المنظومة التي أدلى بها الشيخ محمد بن صالح الفلاقي رحمه الله حيث عرفنا مصدرها.
  - الجهود التي بذلها المحقق الشيخ يحيى فاروق ثيوط رحمه الله في تحقيق هذا العمل لأنه قام بالعمل بدون معرفة مصدر المنظومة.

- تبين لنا أن المحقق لم يكن ملماً بأصل الكتاب الذي قام بنظمه الناظم، وهو كتاب فتح الأقفال وحل الإشكال.
- وأن كتاب فتح الأقفال هو المعروف بشرح الكبير الذي شرح صاحبه - جمال الدين بحرق - لامية الأفعال لابن مالك.
- وقع المحقق في بعض الأخطاء التي نشأت من عدم معرفة أصل الكتاب الذي نظمه الناظم.
- أن العمل البشري مهما أجاد واجتهد لا يسلم من الكبوات. حيث اجتهد الشيخ يحيى فاروق وأصاب في الكثير وأخطأ في القليل.
- أكد لنا أن الرجوع إلى المصادر الأولية مما يصون من الأخطاء الجوهرية والمنهجية. ويوصى الباحث بمراجعة الكتب والمنظومات العلمية بغية إثرائها وتنقيحها، وإخراجها في أحسن حال وأجوده، فإن لعلمائنا مواهب كمينية، ينبغي إبرازها والإشادة بها. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

### المصادر والمراجع

- إعراب القراءات الشواذ لأبي البقاء العكبري المتوفى سنة (٦١٦ هـ - ١٣١٩ م)، تحقيق محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٦٠ م ١٤١٧ هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥ هـ)، تحقيق: مصطفى الحجازي، طبعة دار الهداية مادة ح ذ ر ف.
- تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠ هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م.

- جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، طبعة دار العلم للملايين - بيروت ط الأولى، ١٩٨٧م ٧٨٩/٢.
- جهود الشيخ يحيى فاروق ثيوط النحوية والصرفية جمعا ودراسة: رسالة الماجستير، جامعة الحاج محمود كعت العالمية، قام بها الطالب طلحة زكريا يونس، إشراف الدكتور عمر باوا موسى، ٢٠١٧م.
- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلّي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة.
- شرح التسهيل لابن مالك: جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الجياني الأندلسي (٦٠٠ - ٦٧٢هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن السيد ود/محمد بدوي المختون.
- شرح شافية ابن الحاجب، لحسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني الأسترابادي، ركن الدين (المتوفى: ٧١٥هـ)، تحقيق: الدكتور عبد المقصود محمد عبد المقصود (رسالة الدكتوراة)، طبعة مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- فتح الأقفال وحل الإشكال بشرح لامية الأفعال المشهور بالشرح الكبير للشيخ الامام العلامة جمال الدين محمد بن عمر المعروف ببقرق (٨٦٩-٩٣٠هـ)، تحقيق: الدكتور مصطفى النحاس، كلية الآداب، جامعة الكويت، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.
- فتح المتعال على القصيدة المساة بلامية الأفعال، للمؤلف أحمد بن محمد الراقّي المالكي (ت ١٢٥٠)، تحقيق: إبراهيم بن سليمان، طبعة مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

القاموس المحيط: لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، طبعة مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

كتاب الأفعال لابن القطاع الصقلي المتوفى، وكذا النهاية في غريب الحديث والأثر، وتاج العروس مادة قرشح، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، مادة خ ذ ر ف. كتاب الأفعال لعلي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، المعروف بابن القطاع الصقلي (المتوفى: ٥١٥هـ)، طبعة عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ١٥٧/٣.

كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، طبعة دار ومكتبة الهلال ١٥/٨. وفتح الأفعال وحل الإشكال بشرح لامية الأفعال المصدر السابق. لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، طبعة دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة، - ١٤١٤هـ فصل العين المهملة.

المفتاح في الصرف لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل الجرجاني، تحقيق الدكتور علي توفيق الحمد، كلية الآداب جامعة اليرموك - إربد عمان، طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت ط (١) ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م. نقلا من نزهة الطرف.

مروي الصدي في علم الصرف للشيخ محمد بن صالح الفلاحي، تحقيق وشرح: الدكتور يحيى فاروق ثيظ، جامعة بايروكنو، طبعة دار الأمة.

المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، إميل بديع يعقوب، بيروت: دار الكتب العلمية، د ت.

النظم الحاوي في علم النحو بأهم الفتاوي للأستاذ عبد الله بن فودي، تحقيق الدكتور عمر باوا موسى، رسالة الدكتوراه بجامعة إفريقيا العالمية ٢٠١٤. إشراف الأستاذ عبد الله آدم أبي نظيفة، السودان، الخرطوم.

النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، طبعة المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود.

يونس بن حبيب وأثره في مدرسة الكوفة: أسامة فؤاد رمضان حمادة، رسالة الماجستير في اللغة العربية، إشراف الأستاذ الدكتور صادق عبد الله أبو سليمان، ٢٠١٦م ١٤٣٧هـ، جامعة الأزهر، غزة، عمادة الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية / ٢٤.

مجلة قراءات إفريقية، مقالة عقبة بن نافع الفهري وانتساب الفلانيين إليه دراسة تقويمية، للدكتور علي يعقوب بتاريخ ٢٦ / ٠٨ / ٢٠١٨.

مجلة النهار الموريتانية، مقالة أصل الفلان القديم بقلم الحارث إدريس الحارث.

مجلة طغل، كلية الآداب والدراسات الإسلامية، جامعة عثمان طن فوديو، صكتو، نيجيريا العدد ١٨ (١) مقال: " انتقادات واستدراكات الأستاذ عبد الله بن فودي الصرفية

على جمال الدين بحرق، الدكتور عمر باوا موسى / ٢٦٧

ومجلة النهار الموريتانية " بحث حول أصل الفلان القديم بقلم الحارث إدريس الحارث

[www.anahar.info/node/1968](http://www.anahar.info/node/1968)

### الهوامش:

- (١) ولعل هذا هو السر الذي دفع الناظم بأن يجعله في هذا البحر، لأنه يقوم بنظم شرح لامية الأفعال فهو يحتاج إلى الاتساع واستعاب المعاني، والبحر اللائق بهذا هو البحر الطويل.
- (٢) المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، إميل بديع يعقوب،، بيروت: دار الكتب العلمية، / ٧

- (٣) بتصريف.
- (٤) وقد ذكر المحقق قصة أصل الفلانيين، وأن أصلهم من عقبة بن نافع، وهذا رأي لاتسعهه الوثائق، وبخاصة أن هذه الشخصية برزت في ساحة الجهاد في غرب إفريقيا، فإن زواجه ببج منقو، وإنجابها خمسة أولاد وبنت واحدة مما يحتاج إلى الغرلة التاريخية والقرائن الواقعية، وعلى القارئ أن يراجع مقالة عن انتساب الفلانيين إلى عقبة بن نافع التي قام بها الأخ الدكتور علي يعقوب المحاضر بالجامعة الإسلامية نيجر، في مجلة قراءات إفريقية بتاريخ ٢٦/٨/٢٠١٨. أوزر موقع المجلة <https://www.qiraatafrican.com/home/new/>
- (٥) ومجلة النهار الموريتانية " بحث حول أصل الفلان القديم بقلم الحارث إدريس الحارث وهو بحث جمع أشياء كثيرة عن هذه القضية التاريخية. [www.anahar.info/node/1968](http://www.anahar.info/node/1968)
- (٦) جهود الشيخ يحي فاروق ثيظ النحوية والصرفية جمعا ودراسة: رسالة الماجستير جامعة الحاج محمود كعت العالمية قام بها الطالب طلحة زكريا يونس، إشراف الدكتور عمر باوا موسى ٩-٣١.
- (٧) مروي الصدي في علم الصرف للشيخ محمد بن صالح الفلاتي تحقيق وشرح: الدكتور يحي فاروق ثيظ، جامعة بايرو كنوط دار الأمة ١/١٠.
- (٨) المصدر نفسه ١/٢٨.
- (٩) يونس بن حبيب وأثره في مدرسة الكوفة: أسامة فؤاد رمضان حمادة، رسالة الماجستير في اللغة العربية، إشراف الأستاذ الدكتور صادق عبد الله أبو سليمان، ١٦/٢٠١٦ م ١٤٣٧ هـ جامعة الأزهر - غزة عمادة الدراسات العليا كلية الآداب والعلوم الإنسانية /٢٤.
- (١٠) مروي الصدي في علم الصرف المصدر السابق ١/٤٧.
- (١١) مجلة طفل، كلية الآداب والدراسات الإسلامية، جامعة عثمان طن فوديو، صكتو، نيجيريا العدد ١٨ (١) مقال: " انتقادات واستدراكات الأستاذ عبد الله بن فودي الصرفية على جمال الدين بحرق، الدكتور عمر باوا موسى /٢٦٧.
- (١٢) ضياء العلوم <http://manuscript.com/ar/product/>
- (١٣) مروي الصدي في علم الصرف المصدر السابق ٢/٣٠٥. وراجع كتاب الأفعال لابن القطاع الصقلي.
- (١٤) كتاب الأفعال، لعلي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، المعروف بابن القطاع الصقلي (المتوفى: ٥١٥هـ)، طبعة عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ٢/٤٩٢، لكن فيه

- بالفاء فرشح وفي تاج العروس ٥٦/٧ بالقاف وفي النهاية في غريب الحديث بالفاء أيضا  
٤٣١/٣.
- (١٥) مروى الصدي في علم الصرف المصدر السابق ٣٠٥/٢.
- (١٦) راجع الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية للجوهري مادة ح ذرف.
- (١٧) راجع تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن عبد الرواق الحسيني، أبي الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي (المتوفى ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى الحجازي، طبعة دار الهداية ح ذرف.
- (١٨) مروى الصدي في علم الصرف المصدر السابق ٣٠٥/٢.
- (١٩) تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور (المتوفى ٣٧٠هـ) ت محمد عوض مرعب ك دار إحياء التراث العربي- بيروت الطبعة الأولى، ٢٠٠١م باب الكاف والسين، والعجيب أني ما وجدت كلمة بالشين في المعاجم وذلك مما يشير إلى أن المحقق يعتمد على ما وجد في نسخات المنظومة من معاني المواد دون الرجوع إلى المعاجم والله أعلم.
- (٢٠) مروى الصدي في علم الصرف المصدر السابق ٣٠٥/٢.
- (٢١) القاموس المحيط: لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي طبعة مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م مادة ج رب زوتاج العروس مادة ج رب ز.
- (٢٢) تاج العروس من جواهر القاموس المصدر السابق مادة ج رب ذ. و تهذيب اللغة باب الجيم والزاي.
- (٢٣) مروى الصدي في علم الصرف المصدر السابق ٣٠٥/٢.
- (٢٤) لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن علي، أبي الفضل، جمال الدين بن منطور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، طبعة: دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤١٤ هـ فصل العين المهملة.
- (٢٥) مروى الصدي في علم الصرف المصدر السابق ٣٠٨/٢.
- (٢٦) المصدر نفسه ٣٠٨/٢.
- (٢٧) فتح الأفعال وحل الإشكال بشرح لامية الأفعال المشهور بالشرح الكبير للشيخ الامام العلامة جمال الدين محمد بن عمر المعروف ببهرق (٨٦٩-٩٣٠هـ)، تحقيق: الدكتور مصطفى النحاس كلية الآداب- جامعة الكويت، سنة ١٤١٤هـ ١٩٩٣م ٣٣/٣.

- (٢٨) المصدر نفسه. ٣١/.
- (٢٩) مروى الصدي في علم الصرف المصدر السابق ٣٠٥/٢.
- (٣٠) النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) ط المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي مادة ش ب ر م.
- (٣١) مروى الصدي في علم الصرف المصدر السابق ٣١٢/٢.
- (٣٢) المصدر نفسه ٣١٦/٢.
- (٣٣) المصدر نفسه ٣١٣/٢.
- (٣٤) فتح الأقفال وحل الإشكال بشرح لامية الأفعال المصدر السابق. ٣٩/.
- (٣٥) كتاب الأفعال لعلي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، المعروف بابن القطّاع الصقلي (المتوفى: ٥١٥هـ)، طبعة عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ١٥٧/٣.
- (٣٦) مروى الصدي في علم الصرف المصدر السابق ٣١٣/٢.
- (٣٧) شرح شافية ابن الحاجب، لحسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني الأسترابادي، ركن الدين (المتوفى: ٧١٥هـ)، تحقيق: الدكتور عبد المقصود محمد عبد المقصود (رسالة الدكتوراة)، طبعة مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م ٦٢٥/.
- (٣٨) الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الرابعة ١٥٧/٢.
- (٣٩) مروى الصدي في علم الصرف المصدر السابق ٣١٣/٢.
- (٤٠) فتح الأقفال وحل الإشكال بشرح لامية الأفعال المصدر السابق. ٤٠/.
- (٤١) مروى الصدي في علم الصرف المصدر السابق ٣٣٩/٢.
- (٤٢) كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، طبعة دار ومكتبة الهلال ١٥/٨. وفتح الأقفال وحل الإشكال بشرح لامية الأفعال المصدر السابق. ٤٤/.
- (٤٣) مروى الصدي في علم الصرف المصدر السابق ٣٧٩/٢.
- (٤٤) لسان العرب المصدر السابق مادة رق ب.
- (٤٥) القاموس المحيط: المصدر السابق، مادة رق ب.
- (٤٦) فتح الأقفال وحل الإشكال بشرح لامية الأفعال المصدر السابق. ٥٤/.



- (٤٧) المصدر نفسه. ٦٤/.
- (٤٨) شرح شافية ابن الحاجب، المصدر السابق ١٣٦/١.
- (٤٩) المفتاح في الصرف لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل الجرجاني، تحقيق الدكتور علي توفيق الحمد، كلية الآداب جامعة اليرموك- إربد، عمان ط مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م. نقلا من نزهة الطرف ٣٨/١.
- (٥٠) شرح شافية ابن الحاجب، المصدر السابق ١٣٦/١.
- (٥١) مروى الصدي في علم الصرف، المصدر السابق، ٣٩١/٢.
- (٥٢) كتاب الأفعال: علي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، المعروف بابن القطّاع الصقلي، (المتوفى: ٥١٥هـ)، طبعة عالم الكتب ط الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م ٣٠٦/٣.
- (٥٣) مروى الصدي في علم الصرف، المصدر السابق ٤٠٣/٢.
- (٥٤) النظم الحاوي في علم النحو بأهم الفتاوي للأستاذ عبد الله بن فودي، تحقيق: الدكتور عمر باوا موسى رسالة الدكتوراه بجامعة إفريقيا العالمية ٢٠١٤. إشراف الأستاذ عبد الله آدم أبي نظيفة السودان، الخرطوم. ١١٩/.
- (٥٥) شرح التسهيل لابن مالك: جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الجبالي الأندلسي (٦٠٠- ٦٧٢هـ) تحقيق: الدكتور عبد الرحمن السيد والدكتور محمد بدوي المختون ٤٤٧/٣.
- (٥٦) شرح شافية ابن الحاجب، المصدر السابق، ٧١/١.
- (٥٧) فتح الأقفال وحل الإشكال بشرح لامية الأفعال المصدر السابق. ٩٨-٩٩.
- (٥٨) مروى الصدي في علم الصرف، المصدر السابق، ٤١٣/٢.
- (٥٩) جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ) ت رمزي منير بعلبكي ط دار العلم للملايين - بيروت ط الأولى، ١٩٨٧م ٧٨٩/٢.
- (٦٠) مروى الصدي في علم الصرف، المصدر السابق، ٤٢١/٢.
- (٦١) المصدر نفسه ٤٢٢/٢.
- (٦٢) القاموس المحيط: المصدر السابق مادة و ث غ، والعجيب أيضا إيراد هذه الكلمة في الفتح مع تحقيق الدكتور مصطفى النحاس بالتاء بدل الثاء وتغ وهو خطأ أيضا والصواب بالثاء وتغ والله أعلم.
- (٦٣) فتح المتعال على القصيدة المساة بلامية الأفعال، للمؤلف حمد بن محمد الرائقي المالكي (ت ١٢٥٠)، تحقيق: إبراهيم بن سليمان، طبعة مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ٤١٧.

- (٦٤) هذا هو المكتوب في المنظومة المطبوعة بالغين لا بالقاف والصواب أن المادة بالقاف كما أثبتها المحقق في شرحه، والمادة من زيادة الناظم، وليست واردة في فتح الأقفال لجمال الدين بحرق ٧٣/.
- (٦٥) مروى الصدي في علم الصرف، المصدر السابق، ٤٣٤/٢.
- (٦٦) المصدر نفسه ٤٤١/٢.
- (٦٧) تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م.
- (٦٨) لسان العرب مادة مادة ق ل ي.
- (٦٩) الحصن الرصين في علم الصرف للأستاذ عبد الله بن فودي /٢٦.
- (٧٠) مروى الصدي في علم الصرف، المصدر السابق، ٤٤٢/٢.
- (٧١) فتح الأقفال وحل الإشكال بشرح لامية الأفعال المصدر السابق. ٧٣/.
- (٧٢) مروى الصدي في علم الصرف، المصدر السابق، ٤٤٣/٢.
- (٧٣) فتح المتعال على القصيدة المسماة بلامية الأفعال، المصدر السابق، ٢٠٢/.
- (٧٤) مروى الصدي في علم الصرف، المصدر السابق، ٤٩١/٢.
- (٧٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، مادة م و ت.
- (٧٦) جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، المصدر السابق، مادة ت م و.
- (٧٧) القاموس المحيط، المصدر السابق، فصل الميم مادة م و ت.
- (٧٨) الآية ٣١ من سورة آل عمران.
- (٧٩) مروى الصدي في علم الصرف، المصدر السابق، ٤٦٥/٢.
- (٨٠) إعراب القراءات الشواذ لأبي البقاء العكبري المتوفى سنة (٦١٦ هـ ١٣١٩ م)، تحقيق: محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٦٠ م ١٤١٧ هـ.

## التعريف المعجمي من خلال "منظومة العقد الفريد فيما يحتاجه المرید" للشيخ عبد القادر التالكي

إعداد

**الدكتور / جميل عبد الله**

قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنونيجيريا

الجوال: ٠٨٠٦٦٩٨٩٤٣

البريد الإلكتروني: jamilekanawi@yahoo.com

### ملخص البحث:

يهدف المقال إلى تسليط الضوء حول إحدى المحاولات النيجيرية في مجال المعجمية وفقه اللغة والدلالة، متمثلة في "منظومة العقد الفريد فيما يحتاجه المرید" للشيخ عبد القادر التالكي، وهو عالم يكاد ينفرد من بين علماء نيجيريا التقليديين بالاهتمام بقضايا فقه اللغة والمعجمية والدلالة. يسعى المقال عبر المنهجين الوصفي والاستقرائي - بعد التعريف بالناظم والمنظومة - إلى تتبع أنواع التعريف المعجمي الواردة في سبعة أبواب من المنظومة لمعرفة نسبة ورود كل نوع منها وأسباب ذلك، وكيف وظف الناظم كل نوع في تعريف مواده، ومدى تمكنه من نظمه ومن المادة العلمية واللغوية التي يتعاطاها.

### المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.  
فإن لعلماء هذه البلاد النيجيرية جهودا جبارة، ومساهمات عريقة في خدمة الدين الإسلامي ولغته العربية منذ قرون بعيدة، يشهد لذلك ما أروثوه من المؤلفات القيمة في مختلف العلوم الشرعية واللغوية، إلا أن الشيخ عبد القادر التالكي تفرد من أولئك

الفظاحل بتطرقه إلى مجال لم يسبق إليه من قبل، وهو عنايته بقضايا فقه اللغة والمعجم والدلالة كما يتجلى ذلك في هذه المنظومة التي بين أيدينا، وفي مؤلفاته الأخرى مثل "النهر الطافح للبيب الرابع"، وتهدف الدراسة الراهنة إلى تتبع أنواع التعريف المعجمي الواردة في المنظومة، وبيان نسبة ورود كل منها في المنظومة وسوف تتمحور الدراسة في النقاط التالية:

- نبذة عن حياة الناظم
- خلفية عن المنظومة
- مفهوم التعريف المعجمي وأنواعه
- التعريف المعجمي في المنظومة
- الخاتمة
- الهوامش
- قائمة المصادر والمراجع

#### ١- نبذة عن حياة الناظم:

أ/ نسبه ومولده: هو الشيخ الأديب الشاعر اللغوي المحدث الفقيه الصوفي أبو أحمد عبد القادر بن محمد بللو بن عبد الله بن محمد الملقب بـ "حمّاري" (Hamhari) بن دابو عواند بن أبي بكر بن عثمان بن محمد بايرو، ينتمي جده الأعلى إلى أسرة فلانية عريقة استوطنت قرية "دلّول بايرو" (Dallol Bayero) القريبة من فوتا تُوْزُو الواقعة في وادي نهر السنغال، نزحت هذه القبيلة من موطنها الأصلي نتيجة الفوضى والاضطرابات السياسية التي عمت الناحية بعد سقوط دولة "سنغاي" (Songhai) على يد المغاربة في أواخر القرن السادس عشر الميلادي، واتجهت شرقاً حتى وصلت إلى بلاد الهوسا، وألقت عصا التسيار في بلدة "هَطِيْجِيَا" الواقعة في ولاية جَعَاوَا حالياً، ثم نزحت الأسرة أخيراً إلى قرية تالِكُو (Taliko)،

وهي قرية لا تبعد عن بلدة هطيحيا كثيرا، وتقع في محلية جاكسكو (Jakusko) التابعة لولاية يوبي حاليا<sup>(١)</sup>.

وأمه هي السيدة خديجة بنت محمد أجي<sup>(٢)</sup>. من أسرة معروفة بالعلم، كان والدها الشيخ محمد أجي عالما جليلا وقورا، معروفا بالورع والتقوى في عصره<sup>(٣)</sup>.

ولد الشيخ عبد القادر التالكي يوم الخميس ١٥ من شهر الربيع الأول عام ١٣٣٣ هـ الموافق لسنة ١٩١٢م في بلدة هطيحيا، وبعد خمس سنوات من مولده هاجر والده من هطيحيا إلى تالكو، فنشأ فيها وترعرع حتى شب، وهذا السبب في نسبه نفسه دائما إلى هذه القرية<sup>(٤)</sup>.

ب/ نشأته: نشأ الشيخ في ظل رعاية والده السيد محمد بلو الذي غدى ابنه الصغير وزوّده بالعلوم الدينية والعربية منذ نعومة أظفاره، رباه تربية حسنة على الأخلاق الحميدة، وساعدت البيئة التي عاش فيها في تكوينه البدني والنفسي، إذ نشأ وترعرع في جو بدوي صاف، فمارس الرعي والزراعة وأنواع الألعاب الرياضية التي تمارس في المجتمعات الفلانية، يقول الناظم في رعاية والده:

نشأت في ظل الأديب البارِع \* الماجد الأصل الأمين الطائع  
هو الذي في الرشد والإحسان \* ومن طريق العلم قد ربّاني  
الوالد المؤدّب الأديب \* وفي جميع شأنه عجيب  
جزاه ربي عنّي السلام \* في جنة الفردوس والسلام<sup>(٥)</sup>

ج/ طلبه للعلم وشيوخه وتلاميذه: كانت قرية تالكو مدرسته الأولى؛ حيث تلقى مبادئ تعليمه على يد والده محمد بلو الذي غرس فيه حب المعرفة كما تشير إليه الأبيات السابقة، أخذ عن والده القرآن الكريم حتى حفظه على يديه قبل أن يتجاوز الثانية عشر من عمره، ثم أخذ عنه مبادئ علم الفقه والحديث واللغة والأدب، كما قرأ الكتب المعهودة على النظام التعليمي القديم<sup>(٦)</sup>، وقرأ كذلك على يديه كتاب الوسائل المتقبلة المشهورة

بالعشرينيات، وحفظه عن ظهر القلب، ثم اتجه إلى الشعر العربي القديم، فحفظ المعلقات السبع في الشعر الجاهلي، ومقامات الحريري، وحفظ قسطا كبيرا من قصائد الشيخ عثمان بن فودي وأخيه عبد الله قبل أن يتجاوز الخامسة عشر من عمره، بتوفيق من الله تعالى، الذي من عليه بقوة الذاكرة وحدة الذكاء، ما جعله يتفوق على كثير من أقرانه<sup>(٧)</sup>.

ولم أتبين للتالكي أن قرية "تالكو" لا تروي ظمأه من طلب العلم، دفعته طموحاته العلمية إلى أن يغادر بلدته، فانتقل إلى بلدة "غَمَاوَا" الواقعة حاليا في ولاية بوتشي حيث اتصل بأستاذه وشيخه الأول بعد والده الشيخ الحاج علي غماوا، فأقام عنده لمدة سنة وبضعة أشهر، أخذ عنه طرفا من علم التوحيد وبعض العلوم الشرعية والعربية، ويقال إن التالكي تأثر بهذا الشيخ تأثراً كبيراً لما كان يمتاز به من الصلاح والتقوى والتنسك<sup>(٨)</sup>.

انتقل الشيخ التالكي بعد ذلك إلى مدينة "أَزْرِي" الواقعة هي الأخرى في ولاية بوتشي حاليا، واتصل بمعهد الشيخ عبد الله غَبَارِي (Gabari)، ولازمه لمدة سنة وبضعة أشهر كذلك، أخذ عنه خلالها الفقه والإعراب، وبدأ عنده بدراسة ألفية ابن مالك في النحو، ومقامات الحريري التي حفظ عنده القصائد التي تتخللها، ثم واصل إلى مسقط رأسه هَطِيحِيَا فنزل عند الشيخ الفاضل الصوفي محمد "أَبَارِي" (Abari) الذي كان يعتبر مقدا في العلم وبحرا في المعرفة حتى عد فريداً زمنه. أقام التالكي عنده ثلاث سنوات أخذ عنه خلالها رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وأكمل عنده دراسته لمقامات الحريري، بالإضافة إلى ما أخذ عنه من التربية الصوفية والأوراد التيجانية<sup>(٩)</sup>.

قادت الشيخ همته إلى مدينة كنو حاضرة العلماء والأدباء والشعراء والمفسرين والمحدثين آنذاك لينهل من ينابيعها العلمية والثقافية، فاتصل بمعهد الشيخ الفقيه المحدث الصوفي الإمام محمد سَلْغَا (Salga) فقرأ عنده الفقه والتفسير والحديث، حيث واصل عنده دراسته لمختصر الخليل التي بدأها عند الشيخ محمد أباري، إلا أن المنية وافت الشيخ سلغا قبل أن يتروى التالكي من علومه، فواصل دراسته عند خليفته الشيخ محمود سلغا فأكمل عنده المختصر.

وممن درس عنده واستفاد من علومه بكنو: الشيخ صالح مالم أبوبكر، والشيخ مالم علي، والشيخ مالم شؤا الملقب بمودبو، والشيخ التجاني عثمان، والشيخ ثاني ميهولا، والشيخ أبوبكر عتيق، والشيخ مالم تمدابو، والشيخ مالم ثاني كافنغا.

وتمكن الشيخ من الاتصال ببعض علماء صكتو، فأخذ عنهم جل دراساته في البلاغة والإعراب، وكان أكثر اتصاله بهم في كنو، من هؤلاء الشيخ أبوبكر يابو (Yabo) الذي لازمه لمدة ست سنوات، والشيخ أبوبكر بيكا (Baika) الذي لازمه التالكي لمدة قصيرة، أخذ عنه خلالها البلاغة والإعراب<sup>(١٠)</sup>.

أما عن تلامذته فقد درس عنده وتأثر به الكثيرون، وممن تذكرهم المراجع: الحاج يوسف محمد باشا فقيه وأديب وشاعر، والحاج إبراهيم غمبو حافظ متقن فقيه، ومالم هارون محمد، ومالم أبه محمد، ومالم سليمان كناعم، ومالم عبد المؤمن صالح، العالم الماهر في علم الحساب، ومالم محمد شؤا، والسيد الناسك مالم أبوبكر من جالنعو، في ولاية ترابا، والإمام الصوفي الشيخ تكز محمد، وهو إمام جامع ومدرس ومفت في بلدة غولولو (Gololo) في ولاية بوئشي، وغيرهم<sup>(١١)</sup>.

**د / مؤلفاته وإسهاماته العلمية:** لقد ساهم الشيخ التالكي مساهمة جلييلة في خدمة الإسلام وعلوم لغته العربية في ميدان التأليف والكتابة، مساهمته في ميدان التدريس والدعوة، وساعد في مد التيار الثقافي الإسلامي في منطقته، بل لا توجد في إمارة بدي - كما يقول الدكتور آدم محمد - من بين معاصريه من ساهم في مجال التأليف مثله<sup>(١٢)</sup>، ولعل ذلك راجع إلى ريادته فيه، وينقل آدم عن الدكتور أبي بكر مي قوله بهذا الصدد: "يخبرنا (الشيخ التالكي) بأنه بدأ يخوض في مجال التأليف قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره، ولما بلغ الستين توقف نشاطه في التأليف، إلا في أحوال طارئة حين يسجل تجاربه وأفكاره وآراءه في رسائل وقصائد قصيرة"<sup>(١٣)</sup>.

أما مؤلفاته، فقد ألف الشيخ ما يربو على ثلاثين مؤلفاً في شتى فنون العلم والمعرفة، إلا أن معظم مؤلفاته منظوم، ولعل ذلك راجع إلى انجذابه إلى الشعر أكثر من النثر، قد ضاع معظم هذه المؤلفات عبر السنين على يد الورثة والطلاب<sup>(١٤)</sup> ويمكن تصنيف هذه المؤلفات إلى صنفين رئيسيين هما: كتب اللغة والأدب، وكتب العلوم الشرعية، ومن ما تذكر المراجع من كتبه:

❖ في اللغة والأدب:

- ديوان التالكي في مدح الشيخ الصمداني
- ديوان تحبير النقول في معاني أصحاب العقول
- ديوان تهنئة الوراد في مدح خير العباد
- ديوان نفحات الملك الغني في السياحة في أرض بمكو
- النهر الطافح للبيب الراجح، وهو نظم لكتاب المزهر للسيوطي
- كتاب القواعد، منظومة في الصرف
- ❖ أما في العلوم الشرعية، فنذكر:
- كتاب مسائل العدة، وهو منظوم
- إنقاذ العدة في شرح مسائل العدة
- تنبيه العوام على تضييع الصيام
- العقد الفريد فيما يحتاجه المرید، وهو نظم لكتاب "الألفاظ الكتابية" للشيخ عبد الرحمن الهمداني، وكتاب "فقه اللغة" للثعالبي<sup>(١٥)</sup> وغيرهما من الكتب اللغوية القديمة، وهو موضوع دراستنا هذه، ويصنفه البعض ضمن مؤلفاته الشرعية وإن كان الظاهر منه غلبة الجانب المعجمي اللغوي الدلالي؛ لأن دافع المؤلف الأساسي هو بيان أحكام الحيوانات المذكورة فيه من حيث الحلية والحرمة.
- روضة الفقراء في ذكر صفات خير الأنبياء



- شرح منظومة الحصال المكفرة للذنوب المكدرة والمؤثرة وغيرها<sup>(١٦)</sup>.

هـ/ وفاته: توفي الشيخ التالكي رحمه الله تعالى بعد أن لازمه مرض البواسير لمدة من الزمن، وذلك في ليلة الخميس لتسع خلون من شهر ذي الحجة سنة ألف وأربعمائة وخمسة عشر هجرية (١٤١٥هـ) الموافق لليوم العاشر من شهر مايو سنة ألف وتسعمائة وخمس وتسعين ميلادية (١٩٩٥م)، وأوصى بأن يصلي عليه المعلم إبراهيم ظنكا وأن يدفن في بيته<sup>(١٧)</sup>.

## ٢- خلفية عن المنظومة:

### أ/ مادة المنظومة:

تقع منظومة عقد الفريد في ٢٤٦٤ بيتا من بحر الرجز في ٣١٤ صفحة<sup>(١٨)</sup>، ويرجع تاريخ تأليفها إلى سنة ١٣٨٧هـ، وموضوعها الرئيس كما يقول الدكتور آدم محمد هو "صناعة الكتابة"، وقد عزا ذلك إلى مؤلف الكتاب في مقدمته، ثم عاد فقال: "إلا أنه في الواقع معجم من المعاجم اللغوية، جمع في تضاعيفه المفردات اللغوية التي تؤدي معاني مترادفة، ويبدو أنه استفاد بكتاب "الألفاظ الكتابية" لعبد الرحمن بن عيسى الهمداني المتوفى سنة ٣٠٠هـ، وكتاب "فقه اللغة" للثعالبي وغيرها من كتب اللغة القديمة، وإلى الآن لا يزال مخطوطا"<sup>(١٩)</sup>.

هذا ما أورده الدكتور آدم عن الكتاب، لكن حسب المخطوطة التي بيد الباحث، والتي يقوم بدراستها حاليا الأخ محمد جنجري في قسم اللغة العربية بجامعة بايرو كنو، فإن صفحات المخطوطة لا يتجاوز ٦٨ صفحة، أما عمدة المؤلف ومرجعه الأساسي فهو كتاب "حياة الحيوان الكبرى" للدميمري، على أنه اعتمد على الألفاظ الكتابية وغيرها من الكتب اللغوية والشرعية كما سيذكر الباحث لاحقا.

افتتح المؤلف المنظومة بقوله:

يقول راجي ربه المنـتـان \* القادر المقتدر الحنّان  
 عبيد للقادر ذي العصيان \* مرتجيا عفوا من الديّان  
 الحمد لله الذي تعيّننا \* لنا الحلال والحرام بيننا  
 ثم صلّاته مع السـلام \* على النبي الهاشمي الإمام  
 وآله وصحبه الكـرام \* ومقتفيهم على السـدام<sup>(٢٠)</sup>

واختتمها بقوله:

هنا انتهى الغرض بحمد الله \* وعونه فلا تكن باللاهـي  
 وأسأل الله العظيم ناظرا \* بدعوة صالحة ومن قـرا  
 أمهيتها ألفا بلا خـلاف \* هاكم كفوسا وشرابا صاف  
 ونيفا وذا بلوغ القصد \* وتمّ ذا القصد كمثل ما بدي  
 عام قريش حاز مجدا أبدا \* والحمد لله على نيل الهدى  
 ثم صلاة الله والسـلام \* على النبي الهاشمي الإمام  
 وآله وصحبه الكـرام \* ومقتفيهم على السـدام<sup>(٢١)</sup>  
 وكل ذلك جريا على سنن علماء الإسلام في الافتتاح والاختتام تيمنا وتبركا.

#### ب/ هدفه من المنظومة:

أما عن هدف المؤلف من تأليف المنظومة، فقد قصد من خلالها إلى تبين أحكام الحيوانات التي يوردها من حيث الحلية والحرمة، إضافة إلى هدف لغوي معجمي دلالي آخر، وهو إيراد أسماء هذه الحيوانات، وتعريفها، وذكر ما يتعلق بها من أحكام صرفية واشتقاقية وغير ذلك، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله:

وبعد فالقصد بهذا النظم \* تعريف أعلام كذاك حكم<sup>(٢٢)</sup>

حيث ذكر غرضيه من التأليف، وهما تعريف أجناس الحيوانات والحشرات والطيور، فاستعمل كلمة الأعلام بدل الأجناس، وهو لم يقصد أن يورد في نظمه أعلام الأجناس التي تطلق على أجناسها برمتها، كما يطلق لفظ أم عريط للعقرب، وثعالة للثعلب كما يقول ابن مالك رحمه الله في ألفيته:

ووضعوا لبعض الأجناس علم \* كعلم الأشخاص لفظاً وهو عم<sup>(٢٣)</sup>

أما الغرض الثاني فهو بيان أحكام هذه الحيوانات والطيور والحشرات شرعاً من حيث الحليّة والحرمة، وإلى هذا أشار بقوله: "كذلك حكم". وكان التالكي كثير النقل والرجوع إلى أقوال العلماء سواء فيما يتعلق بالمسائل اللغوية أو الشرعية في المادة التي يتناولها، فنجد في الأولى على سبيل المثال قوله في ما يتعلق بصفات الأسد وأسمائه:

قال ابن خالويه ذي خمس مائة \* وزاد بعض اللغويين ذا مائة

بعد الثلاثين فمن أشهـرها \* أسامة وبهـس خذ عدها<sup>(٢٤)</sup>

ويقول أيضاً فيما يتعلق بالتمييز بين ذكر البقر وإناثها:

وقال في الكامل إن أردت \* تمييزه اضمم كلما أردت

تقول هذا بقرة للذكـر \* وهذه الأنثى على ذا اعتبر<sup>(٢٥)</sup>

أما ما يتعلّق بالثانية فيقول في حرمة الأسد الشبيه بالإنسان والبقر:

ومنه نوع يشبه الإنسان \* والبقر في رأسه قرنان

وحكمه التحريم شـافعي \* قال به كذا ومـاورد<sup>(٢٦)</sup>

وقوله في الأرنب البحري:

والأرنب البحري مثله ولا \* يؤكل عند الكل في ما نقل<sup>(٢٧)</sup>

ج / مصادره:

ذكر التالكي أنه اعتمد عموماً على كتب الأدباء واللغويين، قائلاً:

ملخصاً من كتب الأدباء\* كاليافعي وسيد البلغاء

فيروزآبادي صاحب القاموس\* وسيد الشهير كالفانوس<sup>(٢٨)</sup>

لكن المطلع في المنظومة يجد أنه استقى معلوماته من مصادر مختلفة ما بين لغوية وأدبية وشرعية بحكم مادة الكتاب الذي يجمع بين القضايا اللغوية والشرعية، وكان مرة يذكر المؤلف مع المرجع كما أشار إلى ذلك في قوله السابق "فيروزآبادي صاحب القاموس، وكما في قوله في ذكر أنواع البوم وأصنافها:

أنواعها الهامة والصداء كما تقول خُفَّاشٌ وضوع عَلمَا

ذكره الجاحظ في الإيضاح\* كذا غراب الليل في الصحاح<sup>(٢٩)</sup>

وطورا يذكر المؤلف وحده كما نجد في نقله السابق عن ابن خالويه قوله في أسماء الأسد

وصفاته، وقوله نقلا عن ابن بختيشوع في تعريف التمساح البري:

قال ابن بختيشوع أُسْفُنْفُورٌ \*تمساح بري فذا مشهور<sup>(٣٠)</sup>

وأونة يكتفي بذكر المرجع وحده كما وجد الباحث في إحالته في جمع ابن أوى:

وإن أوى اجمع بنات أوى\* بالحل والتحریم منهم يروى

والثاني المشهور في المحرر\* وصاحب المنهج في قول السر<sup>(٣١)</sup>

وقوله السابق في أنواع البوم، فإنه قال في عجز البيت: "كذا غراب الليل في الصحاح".

د/ منهجه وأسلوبه:

ذكر الناظم من باب التواضع أنه استعمل الرجز المعتل الركيك في نظمه على ما عرف

عنه من جودة النظم، وطلاوة السبك، فقال:

مستعملا ما شذ من زحاف\* وبعض ما قد عيب من قواف<sup>(٣٢)</sup>

وأضاف:

إذ لست أهلا بالذي سلكت\* لكنني بالنظم قد شغفت<sup>(٣٣)</sup>

وذكر أنه تبنى منهجا ألفبائيا في ترتيب مواده أبوابا وفصولا فقال:

أرجو بذاك نائلا جزيلاً\* مبوبا الحروف والتفصيلاً<sup>(٣٤)</sup>

غير أن هذا الترتيب لم يكن دقيقا، حيث نجد خللا واضطرابا في تطبيقه، فقد ذكر أنه بدأ بالأسد مجرد كونه سلطان الحيوانات، مع أن هناك حيوانات تسبقه في الترتيب الألفبائي، ذكرها فيما بعد مثل الإبل وغيرها، قال الناظم:

مبتدئا للأسد السلطان\* منتهيا للنحل ذي سلطان<sup>(٣٥)</sup>

أما عن منهجه في تعريف المواد وشرحها فقد ذكر أنه يكتفي بالأسماء والشرح ولا يتطرق لخواص الحيوانات ومنافعها ولا ما ترمز إليه من دلالات ومعاني، وأنه إذا ذكر الصفة بعد الاسم فإنما يقصد بها التشبيه إلا ما كان من أمر الأسد، فإن كل الصفات التي أوردها بعده من قبيل المرادفات النعتية له، كما أنه إذا ذكر الحكم الشرعي فإنه يعم جنس المذكور، يقول في ذلك:

وتارك الخواص والتعبييرا\* وآتيا الأسام والتفسيرا

فالصفة التشبيهية إلا للأسد\* ومطلقا للجنس في الحكم فقد<sup>(٣٦)</sup>

### ٣- مفهوم التعريف المعجمي وأنواعه:

يقصد بالتعريف المعجمي كل المعلومات التي يقدمها المعجمي من أجل توضيح دلالة المفردة اللغوية التي يعالجها وتقريبها إلى قرائه ومستخدميه، ويعرف كذلك بالشرح، وتسلك المعاجم اللغوية طرائق متعددة في تعريف مداخلها، وتتمثل هذه الطريقتان في التعريف الجوهرية، والتعريف بالعبارة الشارحة، والتعريف بالمرادف، والتعريف بالإحالة الصريحة، والتعريف بالسلب والضد والنقيض، والتعريف بالإحالة الضمنية أو العلائق الاشتقاقية، والتعريف بالأمثلة، وفيما يلي تعريف موجز لهذه الأنواع:

### أ/ التعريف الجوهري:

ويعرف كذلك بالتعريف الأرسطي نسبة إلى أحد أساطين الفلاسفة المناطقة أرسطو، وحقيقته هو ذلك التعريف الذي يهدف إلى بيان ما هو موجود بالفعل في الخارج، منفصلاً عن تمثيلنا للحقيقة<sup>(٣٧)</sup> أو هو: الذي يقوم بتحديد جوهر المعرف أي جوهر الشيء الذي له جنس وفصل، كما عند المناطقة،<sup>(٣٨)</sup> ويعتمد هذا النوع على قطبين، الأول ما يسمى (النوع)، ويمثل المجموعة التي ينتمي إليها المعرف، والثاني (الفصل)، وهو السمة أو السمات التي تميز المعرف عن بقية عناصر المجموعة<sup>(٣٩)</sup>.

ويستخدم هذا النمط من التعريف غالباً للكلمات التي تحيل إلى ذوات مثل الحيوانات والطيور والنباتات والأدوات. ولذلك فهو أكثر شيوعاً في الموسوعات والقواميس المختصة منه في القواميس العامة<sup>(٤٠)</sup>.

ومن نماذج هذا النوع قول المعجم الوسيط في البئر: "حيوان ثديي من الفصيلة السنورية، ليست له معرفة وهو حيوان مفترس كبير الحجم، ويسمى في مصر (النمر)<sup>(٤١)</sup>".

### ب- التعريف بالعبارة الشارحة:

وهو تعريف المفردة أو المدخل بجملة أو أكثر، وهو يشترك في هذا مع التعريف الجوهري، إلا أن التعريف بالعبارة الشارحة لا يتضمن بالضرورة حدود لحصر ملامح المعرف كالجنس والنوع.. إلخ على النحو الذي يوجد في التعريف الجوهري<sup>(٤٢)</sup>.

ومن نماذج هذا التعريف قول المعجم العربي الأساسي: "بحث عن الشيء: طلبه وفتش عنه"<sup>(٤٣)</sup>.

### ج/ التعريف بالمرادف:

وهو أن تكون مجموعة من الكلمات تشرح كلمة واحدة، أو كلمة واحدة تشرحها كلمة واحدة. كقولنا في الأسد: الليث، والبأس: الشجاعة ونحو ذلك.

**د/ التعريف بالإحالة الصريحة:**

وهي تلك الإشارة إلى مواضع وجود التعريف من المعجم ينص عليها المعجمي مستخدماً الألفاظ الصريحة نحو (انظر) أو ما شابهها من صيغ، ويقابله الإحالة الضمنية أو التعريف بالعلاقة الاشتقاقية الآتي ذكرها، ومن فوائد هذا النوع من التعريف تحقيق الاقتصاد في المساحة المعجمية بعدم تكرار التعريفات التي سبق ذكرها، أو التي تأتي لاحقاً لموضع المدخل المعني، ومن نماذج هذا النوع قول المعجم العربي الأساسي: بُرْصَةٌ: (انظر: بورصة) <sup>(٤٤)</sup>.

**هـ/ التعريف بالسلب أو الضد أو النقيض:**

ويفسر هذا النوع من التعريف المدخل بواسطة الإشارة إلى كونه خلاف كلمة أو نقيضها أو عكسها أو ضدها <sup>(٤٥)</sup>، وهو كالتعريف بالمرادف قد يؤدي إلى التسلسل أو الدوران إذا لم يكن القارئ يعرف الكلمة المعرّفة، كقولنا: الموت: ضد الحياة، والباطل: عكس الحق، والسواد: نقيض البياض، ويحتاج هذا النوع من التعريف، مثله مثل التعريف بالمرادف إلى أن يعزز ويساند بالتعريف بالعبارة الشارحة حتى يتضح المقصود منه. لأن لا يكون تعريفاً بلا طائل.

**و/ التعريف بالإحالة الضمنية أو بالعلائق الاشتقاقية:**

"يقوم هذا النوع من التعريف على تفسير الألفاظ بالإحالة إلى عوائلها الاشتقاقية، ويكتفي فيه المعرّف بشرح معنى الصيغة الاشتقاقية، دون أن يشرح الجذر المشتق منه، ويكون على القارئ الرجوع إلى الجذر في موضعه من القاموس" <sup>(٤٦)</sup>، وهو كصنوه التعريف بالإحالة الصريحة مما يحقق الاقتصاد في المساحة المعجمية، ومن أمثله قول الوسيط: "البخّال: شديد البخل" <sup>(٤٧)</sup>، وقول الأساسي: "بابلي: منسوب إلى بابل" <sup>(٤٨)</sup>.

## ز/ التعريف بالأمثلة:

المثال هو النص أو الجملة أو العبارة التي يضعها المعجمي من تلقاء نفسه، ويستعملها في توضيح دلالة المفردة أو تعزيز حكم من أحكامها الإملائية أو النطقية أو النحوية والصرفية حتى يراها القارئ في سياق لغوي حي تتفاعل فيه مع المفردات الأخرى، وقد حدّر المعجميون من الركون إلى هذه الطريقة في تعريف المفردات المعجمية نظرا إلى كونها نوعا من انسحاب المعجمي وفراره من مسؤوليته، وإحالتها إلى القارئ الذي قد لا يكون في مقدوره استنباط الأحكام المتعلقة بالمفردة من خلال السياق اللغوي الذي يضعه المعجمي بين يديه، فالأحرى أن تأتي الأمثلة، ومثلها الشواهد بعد واحد من الطرائق التعريفية المذكورة حتى تكون سندا وتعزيزا لها. ومن نماذجه قولك في توضيح معنى كلمة صوّت: صوّت الناخبون في الانتخابات النيجيرية العامة في جميع الدوائر الانتخابية المنتشرة في أرجاء البلاد.

## ٤- التعريف المعجمي في المنظومة المدروسة:

قام الباحث في هذه العجالة بمسح سبعة أبواب من المنظومة من باب الهمزة إلى باب الخاء، وذلك من الصفحة الأولى إلى الصفحة الخامسة والعشرين، وقد غطت هذه العيّنة ٤٢٩ بيتا من أصل ١١١٩ بيتا تشتمل عليه المنظومة، ويمثل ذلك نسبة ٣٨.٣٣ من مجموع أبيات المنظومة، وحصيلة هذا المسح والاستقراء أن عشر الباحث على ستة من بين الأنواع السبعة للتعريف المعجمي المذكورة أعلاه، وهي ما عدا التعريف بالسلب، ويرى الباحث أن ذلك راجع إلى طبيعة مدونة المنظومة التي تعالج مفردات تتعلق بالحيوانات والحشرات والهوام والطيور، والتي لا تكون فيها علاقات تضاد، وإنما تكون بينها علاقات تقابل جنسي بين ذكورها وإناثها. وفيما يلي تفصيل مختصر عن كل نوع على حدة.

أ/ التعريف بالمرادف: حصل منه الباحث على ١٦٧ موضعا، وهو ما يمثل نسبة ٤٢.١٧ في المائة، ولعل ذلك راجع إلى طبيعة نص الكتاب النظامية المقيدة بقيود الوزن، ما



يجعل المرادفات أيسر الوسائل لتعريف المواد اللغوية فيها وأضمنها لاحتواء أكبر عدد من المواد وتعريفاتها، ومن نماذج هذا النوع: قوله في الأتان:

إبالة بالكسر حزمة الحطب \*أَتَانٌ بِالْفَتْحِ جِمَارَةٌ حَطَبٌ<sup>(٤٩)</sup>

وقوله في البرقانة:

بُرَا بضمُّ طائر السَّمُوِيلِ \* بَرْقَانَةٌ الجِرَادُ ذَا مَنْقُولٍ<sup>(٥٠)</sup>

وقوله في الجنُدَع:

والجندع الجندب ذيك أسود \* وحكم ذا المنع فهذا أقصد<sup>(٥١)</sup>

وقد يكتف من هذه المرادفات في تعريف المدخل الواحد، كما فعل في تعريف الأسد؛

حيث أورد له ٣٢ مرادفاً بما فيها كناياته، في ١٣ بيتاً ابتداءً من قوله:

الأسد معروف وجمعه أسود \* وأسْدٌ وَأَسْدٌ أَيًّا مُرِيد

إلى قوله:

وحكمه التحريم شافعي \* قال به كذا و————— أوردي<sup>(٥٢)</sup>

وكما فعل مع كلمة البعوض، أورد لها ثلاثة مرادفات فقال:

ثم البعوض البقّ ذيك جَرَجِسٌ \* في لغة وقيل فيه قَرَقَسٌ<sup>(٥٣)</sup>

ومثله الجُّحَلُ في قوله:

والجُّحَلُ الجَبَارَى أَوْ حَرَبَاءٌ \* وقيل بل جعل فذا أسماء<sup>(٥٤)</sup>

ب/ التعريف بالعبرة الشارحة: وهي تلي التعريف بالمرادف كثيرة، حيث وردت ١٣٥

مرة، ويمثل ذلك نسبة ٣٤.٠٩، ومن نماذجها قوله في الأفال:

أفال والأفائل الصغار \* من الأبال اجمع أفيــــــــــــلا داري<sup>(٥٥)</sup>

وقوله في بنات الماء:

بنات ما سمكٌ ببحر الروم \* شبه النساء يصرنحن كالتــــــــــــتفهيم<sup>(٥٦)</sup>

وقوله في الجحْدَب:

والجخدب ضرب من الجنادب\* أو دابة الجمع بـذا جَخَادِب<sup>(٥٧)</sup>  
وأكثر ما تتسم العبارة الشارحة في المنظومة بالإيجاز، فتتركب من نعت ومنعوت أو  
مضاف ومضاف إليه، فمن الأول قوله في الجثلة:

والجبهة الخيل وجثلة بضم\* النملة السوداء والكل علم<sup>(٥٨)</sup>  
ومن الثاني قوله في الجُدُجِد:

والجدجد قد قال الجوهري\* صَرَّار الليل قوله مـرَضِي<sup>(٥٩)</sup>  
وذلك لطبيعة النص النظامية كما في التعريف بالمرادف، وذلك ليس بمعيب إذا لم يخل  
بالمعنى ويوقع في اللبس والغموض، على أنه قد يطيل العبارة الشارحة أحيانا، كما قال في  
أبو براقش:

بالفتح والتشديد سمك فاعلم\* أبو براقش طائرٌ مُمي  
ذات تلؤن يكون أحمر\* وأزرق وأخضر وأصفـر  
ذي حسن الصوت طويل الرقبة\* أحمر المنقار فكن ذا ثقفة<sup>(٦٠)</sup>  
وقوله في التمساح:

والتّم كالإوز طائر فذي\* حل وفي التمساح خلف احتذي  
في فكه الأعلى له ستون\* ناب وفي الأسفل أربعون  
وظهره كظهر سلحفات\* وحكمها التحريم للصفات<sup>(٦١)</sup>  
وعثر الباحث على موضع واحد كثف فيه التعريف مع العبارة الشارحة، وذلك في كلمة  
ثُقّة حيث أورد فيها عبارتين شارحتين هما عبارتان عن رأيين مختلفين في شرح المادة وتعريفها،  
يقول الناظم:

وثُقّة نـوع من السباع\* عناق الأرض غنجل\* فراع  
وشكله كالفهد لكن يصغر\* وقيل ذي سَنور بري أشهر  
في قدر ثعلب وفي التـحرّيم\* وجهان والأول للعموم<sup>(٦٢)</sup>

ج/ التعريف الجوهري: ويلى التعريف بالعبارة الشارحة ورودا، حيث ورد ٥٥ مرة ممثلا نسبة ١٣.٨٨ في المائة، ولعل من المفارقة أن يحتل هذه المرتبة الثالثة من بين أنواع التعريفات في المنظومة نظرا إلى أنه التعريف الأمثل للمواد التي تعالجها المنظومة؛ لكن استغرابنا قد يزول إذا وضعنا في الاعتبار أن الناظم ليس متخصصا في المعجمية الحديثة، ولربما غير مطلع على المعاجم المتخصصة التي تتبنى هذا النوع من التعريف، بل جل مراجعه من المعاجم وكتب اللغة القديمة التي لا تعرف هذا النوع من التعريف ولا تكثر به، ويلاحظ أن جل هذه التعريفات ناقصة لا تحتوي على الحدود التي يرسمها المناطق في هذا النوع من التعريف، من نوع وفصل ورتبة، وإنما تكتفي إما بذكر النوع، أو ذكر الفصل الذي ينتمي إليه الحيوان أو الحشرة أو الطير، فمما ورد من الأول، قوله في البرغوث:

وبرغش نوع من البعوض\* وبرغوث دابة عضيض<sup>(٦٣)</sup>

وقوله في البهار:

بنات وردان سياتي بعد ذا\* بهار حوت أبيض حل احتذا<sup>(٦٤)</sup>

وقوله في التدرج:

تثقل كالقنفذ ولد الثعلب\* وتدرج الطائر منعه أبيض<sup>(٦٥)</sup>

ومن الثاني قوله في الثقة:

وتقة نوع من السباع\* عناق الأرض غنجل فراغ<sup>(٦٦)</sup>

وقوله في الحسون:

وجمعها حسائل يا سائل\* حسون طائر أتت دلائل<sup>(٦٧)</sup>

وقوله في الحبث:

والحبث الثعلب قد تقدم\* والحبث حية خبيث علم<sup>(٦٨)</sup>

أما ذكر الرتبة فلم يجد له الباحث ذكرا للأسباب المذكورة سابقا.

د- التعريف بالإحالة الصريحة: ورد هذا النوع سبع مرات، تمثل نسبة ١.٧٦ في المائة؛ حيث يحيل الناظم غالبا إلى أماكن لاحقة من المنظومة يورد فيها تعريف المفردة أو يذكر جزءا من التعريف ثم يحيل إلى موضع إتمامه من المنظومة، ومما ورد من هذا النوع قوله:  
بُعْبِعُ تَيْسَ الظَّبَا سِيَّاتِي \* مَا فِيهِ فِي الظَّبِي مِنَ الْهَيْمَاتِ<sup>(٦٩)</sup>  
وقوله في بنات وردان:

بنات وردان سِيَّاتِي بَعْدَ ذَا \* بَهَارِ حَوْتِ أَبِيضِ حَلِّ احْتِذَا<sup>(٧٠)</sup>  
وقوله في الأخيل، وهو مما أحل فيه إلى موضع سابق من المنظومة بعد تعريفه تعريفا جوهريا ناقصا:

وَالْأَخِيلُ الطَّائِرُ تَيْكَ مَرًّا \* فِي بَابِ هَمْزٍ حَكْمَهُ اسْتَقْرًا<sup>(٧١)</sup>  
هـ/ الإحالة الضمنية أو العلائق الاشتقاقية: وقد وردت مرتين في العينة المدروسة؛ وهو ما يمثل ٠.٥٠ في المائة، وذلك في قوله في الأزوية:

أَزْوِيَّةُ الْأَنْثَى مِنَ الْوَعُولِ \* وَحَكْمُهَا الْحَلُّ عَلَى الْمَنْقُولِ<sup>(٧٢)</sup>  
وقوله في التيس، وقد أحال بالضمير في قوله بعده قائده إلى التيس المذكور سابقا إشارة إلى أنه مشتق من التيس نفسه، يقول الناظم:

وَالتَّيْسُ وَالْأَتْيَاسُ وَالتَّيْسُوسُ \* ذَكَرَ الظَّبَا جَمْعًا بِذَلِكَ تَقْيِيسُ  
كَذَا الْوَعُولُ الْمَعَزُ وَالتَّيَّاسُ \* قَائِدُهُ تَيْسُوسَةُ الْأَتْيَاسِ<sup>(٧٣)</sup>  
و/ التعريف بالمثال: وقد ورد هو الآخر مرتين، ممثلا بذلك نسبة ٠.٥٠ في المائة، وذلك في قوله في الأسود السالخ:

وَالْأَسْوَدُ السَّالِخُ فِي الصِّفَاتِ \* مَمْتَعُ الصَّرْفِ لِمَا سِيَّاتِي  
تَقُولُ هَذَا أَسْوَدَانُ سَالِخُ \* أَسْوَادُ سَالِخَةٍ سَالِخِ<sup>(٧٤)</sup>  
وقوله في ثاغية النعجة في أول باب الناء المثالثة:  
ثَاغِيَةُ النَعْجَةِ مِنْهُ مَالَهُ \* ثَاغِيَةُ رَاغِيَةٍ وَلَا لَالَهُ

دقيقة جلييلة مقلال \* يقولها أعرابهم أمثال<sup>(٧٥)</sup>

وهو مثل من أمثال العرب كما أشار إلى ذلك الناظم يضرب فيمن لا يملك شيئاً من المال.

ز/ **التعريف المزدوج:** وهو استعمال نوعين من الأنواع المذكورة في تعريف مفردة واحدة ومن أمثله جمعه بين التعريف بالمرادف والتعريف بالعبارة الشارحة في تعريف أساريع؛ حيث قال: أساريع اليسروع دود أحمر\* تكون في الرمال فامنع أشهر<sup>(٧٦)</sup> وجمعه بين التعريف بالمرادف والتعريف الجوهري في تعريف الأنوق، قال: أنوق رخمة وقيل طائر\* في رأسه كالعرف ذيك دائر<sup>(٧٧)</sup> وكجمعه بين التعريف الجوهري والإحالة الصريحة في تعريف الأحيل الذي سبق في الإحالة الصريحة قبل قليل.

ح/**غياب التعريف:** حيث يورد الناظم المفردة دون تعريفها، وذلك إما أن يقول معروف على طريقة قدامى المعجميين العرب، وإما أن لا يذكر التعريف بالمرّة، ومن الأول قوله في تعريف الجراد:

جراد معروف والأنثى كالذكر\* واحدة جرادة كلاً يُقَرُّ<sup>(٧٨)</sup>

وقوله في تعريف البراق الذي أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم عليه:

وَبُدِّجَ لِلضَّانِّ كَالْعُودِ\* للمعز البراق ذي المعهود<sup>(٧٩)</sup>

أشار إلى أنه معهود يعرف جميع الناس، لذا فهو غني عن التعريف.

ومن الثاني وهو الأكثر قوله في ابن آوى وقد اكتفى بالحديث عن طريقة جمعه:

وابن آوى اجمع بنات آوى\* بالحل والتحرير منهم يروى<sup>(٨٠)</sup>

وقوله في البقر الأهلي:

والبقر الأهلي اسم يقع\* للذكر والأنثى على ما يسمع<sup>(٨١)</sup>

حيث اكتفى بمعلومة صرفية نحوية عن المفردة من أنها تستعمل للذكر والأنثى.

**الخاتمة:**

تناول المقال في عجالة الحديث عن ناظم هذه المنظومة ولادة ومنشأ وتعلما وتعلما وتأليفا، ثم أعطى خلفية وجيزة عن المنظومة وموضوعها ومصادرها ومنهجها، ثم تطرق بعد ذلك إلى الحديث عن طرائق التعريف المعجمي، وأخيرا أورد أمثلة لأنواع هذه التعريفات في المنظومة وطرائق معالجة الناظم لها.

**النتائج:**

حصل الباحث خلال هذه الجولة على نتائج منها:

- أن هذه المنظومة فريدة من نوعها في المؤلفات العربية النيجيرية، حيث احتوت على معلومات معجمية وشرعية، كما تفرد صاحبها من بين المؤلفين والناظمين النيجيريين بتطرقه إلى مجالات معجمية ودلالية ولغوية لم يتطرق إليها قبله أحد من العلماء.
- اشتملت المنظومة من حيث المادة على أسماء الحيوانات والحشرات والطيور، وسلك الناظم في ترتيبها منهجا ألفبائيا، يكتفي فيه بتعريف الأسماء وذكر أحكامها الشرعية، غير ملتفت إلى ما ترمز إليه من دلالات ومعاني، ولا إلى ما لها من خواص ومنافع طبية وغيرها.
- استعمل الناظم ستة من بين أنواع التعريف المعجمي السبعة، ما عدا التعريف بالسلب، وهي على الترتيب: التعريف بالمرادف، والتعريف بالعبارة الشارحة، والتعريف الجوهرى الناقص، والتعريف بالإحالة الصريحة، ثم التعريف بالإحالة الضمنية والتعريف بالمثال بالتساوي.

**الهوامش:**

- (١) أبوبكر، آدم محمد، (الدكتور): تنبيه أولي البصائر عن افتراق الزواجر: شرح منظومة الكبائر للشيخ عبد القادر التالكي، زاربا، مطبعة جامعة أحمد بلو، الطبعة الأولى، ٢٠١٩، ص: ٢، وعبد الله، ثاني أبوبكر: فن المديح النبوي لدى الشيخ عبد القادر التالكي النيجيري: دراسة أدبية تحليلية لديوانه "تهنئة الورد في مدح خير العباد"، بحث مقدّم لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية من قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة بخت الرضا، ١٤٣٦هـ/١٥١٥م، ص: ٣٣، وعمر، يونس الحاج: الشيخ عبد القادر التالكي: حياته وشعره: دراسة وصفية تحليلية، بحث

- مقدم لنيل درجة الماجستير من قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الحاج محمود كعت العالمية، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥، ص: ٣٠، وطناًلادي، محمد ثالث: دلالات المورفييمات الزائدة في الأفعال الماضية الثلاثية في ديوان "تهنئة الوُزاد في مدح خير العباد" للشيخ عبد القادر التالكي: دراسة تحليلية، بحث لنيل درجة الماجستير مقدم إلى قسم اللغة العربية، جامعة أحمد بلو، زاريا، ٢٠١٦، ص: ١٣.
- (٢) طنلادي، محمد ثالث، المرجع السابق، والصحفة نفسها.
- (٣) محمد الأول، عيسى عبد المؤمن: التالكي: حياته وإنتاجاته الشعرية، مجلة الأقلام، العدد الأول، جامعة ميدوغوري، يونيو ٢٠٠٢م، ص: ٦٤.
- (٤) أبوبكر، آدم محمد، المرجع السابق، صص: ٢-٣، وعبد الله، ثاني أبوبكر، المرجع السابق، ص: ٣٤، وطناًلادي، محمد ثالث، المرجع السابق، ص: ١٣.
- (٥) أبوبكر، آدم محمد، المرجع السابق، ص: ٣، وطناًلادي، محمد ثالث، المرجع السابق، صص: ٣-٤، ويوسف، عبد الله يوسف، ص: ٤، وعمر، يونس الحاج، المرجع السابق، ص: ٣١.
- (٦) عبد الله، أبوبكر ثاني، المرجع السابق، ص: ٣٩، وطناًلادي، محمد ثالث، المرجع السابق، ص: ١٤، وأبوبكر، آدم محمد، المرجع السابق، ص: ٣، ويوسف، عبد الله يوسف، ص: ١٥.
- (٧) أبوبكر، آدم محمد، المرجع السابق، ص: ٣.
- (٨) أبوبكر، آدم محمد، المرجع السابق، ص: ٤، وعمر، يونس الحاج، المرجع السابق، ص: ٣٢، ويوسف عبد الله يوسف، ص: ١٥، وعبد الله أبوبكر ثاني، المرجع السابق، ص: ٣٩.
- (٩) أبوبكر، آدم محمد، المرجع السابق، ص: ٤، وعمر، يونس الحاج، المرجع السابق، ص: ٣٢، ويوسف عبد الله يوسف، ص: ١٥، وعبد الله أبوبكر ثاني، المرجع السابق، ص: ٣٩.
- (١٠) عمر، يونس الحاج، المرجع السابق، صص: ٣٣-٣٥، ويوسف عبد الله يوسف، صص: ١٥-١٦، وعبد الله أبوبكر ثاني، المرجع السابق، صص: ٣٩-٤٠.
- (١١) يوسف، عبد الله يوسف، المرجع السابق، صص: ١٦-١٧، وعبد الله ثاني أبوبكر، ص: ٤١، وعمر، يونس الحاج، المرجع السابق، صص: ٣٦-٣٧.
- (١٢) وطناًلادي، محمد ثالث، المرجع السابق، صص: ١٥-١٦.
- (١٣) أبوبكر، آدم محمد، الدكتور: المرجع السابق، ص: ٤.
- (١٤) أبوبكر، محمد مي، الدكتور: ديوان تهنئة الورد في مدح خير العباد للشيخ عبد القادر التالكي: مسح عام وتقويم: بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية-جامعة بايرو كنو، (١٩٩٣)، ص: ٣١.

- (١٥) أبوبكر، آدم محمد، الدكتور: المرجع السابق، ص: ٥.
- (١٦) أبوبكر آدم محمد، الدكتور: المرجع نفسه، ص: ٧، وعمر الحاج يونس، المرجع السابق، صص: ٣٨-٣٩ بتصرف.
- (١٧) عمر، الحاج يونس، المرجع السابق، ص: ٣٩.
- (١٨) طنلادي، محمد ثالث، المرجع السابق، ص: ١٨.
- (١٩) أما النسخة التي بيد الباحث، والتي حصل عليها من الأخ محمد جنجر بخت مغربي، والذي حصل عليها هو بدوره من أحد أحفاد الشيخ المسى الحاج بَقْلَالِي (Bafalalle)، وهو أخذها من خاله الذي درس مباشرة على يد الشيخ التالكي فتقع في ثمان وستين صفحة (٦٨) من القطع المتوسط.
- (٢٠) أبوبكر، آدم محمد، الدكتور: المرجع السابق، صص: ٦-٧.
- (٢١) التالكي، عبد القادر بن محمد: (الشيخ): العقد الفريد فيما يحتاجه المرید، مخطوط، ص: ١.
- (٢٢) المصدر نفسه، ص: ٦٨.
- (٢٣) المصدر السابق، ص: ١.
- (٢٤) الجياني، محمد بن عبد الله بن مالك الطائي: ألفية ابن مالك، دار التعاون، (د.م.)، (د.ت.)، ص: ١٤.
- (٢٥) التالكي، عبد القادر بن محمد: (الشيخ): العقد الفريد فيما يحتاجه المرید، المصدر السابق، ص: ٢.
- (٢٦) المصدر نفسه، ص: ٧.
- (٢٧) المصدر نفسه، ص: ٢.
- (٢٨) المصدر نفسه، ص: ٣.
- (٢٩) المصدر نفسه، ص: ١.
- (٣٠) المصدر نفسه، ص: ٨.
- (٣١) المصدر نفسه، ص: ٣.
- (٣٢) المصدر نفسه، ص: ٤.
- (٣٣) المصدر نفسه، ص: ١.
- (٣٤) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
- (٣٥) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
- (٣٦) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
- (٣٧) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.



- (٣٨) عبد المالك، عبد الله: قضية التعريف في القواميس العربية الحديثة، بحث مقدم إلى شعبة اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، المملكة المغربية لنيل دبلوم الدراسات العليا في الآداب، تخصص علوم اللغة العربية، ١٩٩٨\١٩٩٩م، ص: ١٧١.
- (٣٩) المرجع نفسه، ص: ١٧٢.
- (٤٠) المرجع نفسه، ص: ١٨٣.
- (٤١) المرجع نفسه، ص: ١٨٤.
- (٤٢) أنيس، إبراهيم، الدكتور وآخرون: المعجم الوسيط، القاهرة، دار الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ\٢٠٠٤م، ص: ٣٧.
- (٤٣) عبد المالك، عبد الله، المرجع السابق، ص: ١٨٠.
- (٤٤) القاسمي، علي، (الأستاذ الدكتور) وآخرون: المعجم العربي الأساسي، دار لاروس، ١٤٢٤هـ\٢٠٠٢م، ص: ١٣٢.
- (٤٥) المعجم العربي الأساسي، ص: ١٤٧.
- (٤٦) عبد المالك، عبد الله، المرجع السابق، ص: ١٩٧.
- (٤٧) المرجع نفسه، ص: ١٩٣.
- (٤٨) المعجم الوسيط، المصدر السابق، ص: ٤٢.
- (٤٩) المعجم العربي الأساسي، المصدر السابق، ص: ١٢٧.
- (٥٠) التالكي، عبد القادر بن محمد، (الشيخ): المصدر السابق، ص: ٢.
- (٥١) المصدر نفسه، ص: ٦.
- (٥٢) المصدر نفسه، ص: ١٥.
- (٥٣) المصدر نفسه، ص: ٢.
- (٥٤) المصدر نفسه، ص: ٦.
- (٥٥) المصدر نفسه، ص: ١٢.
- (٥٦) المصدر نفسه، ص: ٣.
- (٥٧) المصدر نفسه، ص: ٨.
- (٥٨) المصدر نفسه، ص: ١٢.
- (٥٩) المصدر نفسه، ص: ١٢.
- (٦٠) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
- (٦١) المصدر نفسه، ص: ٩.

- (٦٢) المصدر نفسه، ص: ١٠.
- (٦٣) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
- (٦٤) المصدر نفسه، ص: ٦.
- (٦٥) المصدر نفسه، ص: ٨.
- (٦٦) المصدر نفسه، ص: ٩.
- (٦٧) المصدر نفسه، ص: ١٠.
- (٦٨) المصدر نفسه، ص: ١٩.
- (٦٩) المصدر نفسه، ص: ١٧.
- (٧٠) المصدر نفسه، ص: ٧.
- (٧١) المصدر نفسه، ص: ٨.
- (٧٢) المصدر نفسه، ص: ٢٥.
- (٧٣) المصدر السابق، ص: ٣.
- (٧٤) المصدر نفسه، ص: ١١.
- (٧٥) المصدر السابق، ص: ٣.
- (٧٦) المصدر نفسه، ص: ١١.
- (٧٧) المصدر نفسه، ص: ٣.
- (٧٨) المصدر نفسه، ص: ٤.
- (٧٩) المصدر نفسه، ص: ١٣.
- (٨٠) المصدر نفسه، ص: ٦.
- (٨١) المصدر نفسه، ص: ٤.
- (٨٢) المصدر نفسه، ص: ٧.

### المصادر والمراجع:

- أبوبكر، آدم محمد، (الدكتور): تنبيه أولي البصائر عن افتراء الزواجر: شرح منظومة الكبائر للشيخ عبد القادر التالكي، زاريا، مطبعة جامعة أحمد بلو، الطبعة الأولى، ٢٠١٩.
- أبوبكر، محمد مئي، الدكتور: ديوان تهنئة الوراد في مدح خير العباد للشيخ عبد القادر التالكي: مسح عام وتقويم: بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية- جامعة بايروكنو، (١٩٩٣).
- أنيس، إبراهيم، الدكتور وآخرون: المعجم الوسيط، القاهرة، دار الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤.
- طنّالدي، محمد ثالث: دلالات المورفيمات الزائدة في الأفعال الماضية الثلاثية في ديوان "تهنئة الوراد في مدح خير العباد" للشيخ عبد القادر التالكي: دراسة تحليلية، بحث لنيل درجة الماجستير مقدم قسم اللغة إلى العربية، جامعة أحمد بلو، زاريا، ٢٠١٦.
- عبد الله، ثاني أبوبكر: فن المديح النبوي لدى الشيخ عبد القادر التالكي النيجيري: دراسة أدبية تحليلية لديوانه "تهنئة الوراد في مدح خير العباد"، بحث مقدّم لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية من قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة بخت الرضا، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م.
- عبد الملك، عبد الله: قضية التعريف في القواميس العربية الحديثة، بحث مقدم إلى شعبة اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، المملكة المغربية لنيل دبلوم الدراسات العليا في الآداب، تخصص علوم اللغة العربية، ١٩٩٨ / ١٩٩٩م.

- عمر، يونس الحاج: الشيخ عبد القادر التالكي: حياته وشعره: دراسة وصفية تحليلية،  
بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الحاج  
محمود كعت العالمية، ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥ م.

- القاسمي، علي، (الأستاذ الدكتور) وآخرون: المعجم العربي الأساسي، دار  
لاروس، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٢ م.

- محمد الأول، عيسى عبد المؤمن: التالكي: حياته وإنتاجاته الشعرية، مجلة الأقاليم، العدد  
الأول، جامعة ميدوغوري، يونيو ٢٠٠٢ م.

## اللهجات العربية واللهجات الهوسوية: مقارنة وصفية

إعداد:

**سماني حسن حسين**

قسم اللغة العربية، جامعة كاشيري الفيدرالية، ولاية غومبي-نيجيريا

[hassansammani84@gmail.com](mailto:hassansammani84@gmail.com); 08037733449

9

**عبد الله أبوبكر زرندا**

قسم اللغة العربية، جامعة كاشيري الفيدرالية، ولاية غومبي-نيجيريا

[abubakarzaranda@yahoo.com](mailto:abubakarzaranda@yahoo.com); 09038128141

مستخلص:

من المسلم أن لكل لغة كبيرة لهجات متباينة، يختلف بعضها عن بعض من حيث الخصائص والصفات؛ وذلك عندما تنتشر اللغة في مناطق واسعة وبيئات منعزلة، وتتكلم بها جماعات متباينة، وطوائف مختلفة من الناس فتصبح تلك اللغة غير قادرة على أن تحتفظ بوحدها الأولى أمدا طويلا، بل لا تلبث أن تتشعب إلى لهجات تختلف فيما بينها في المنهج الذي تسلكه كل مجموعة في سبيل تطورها، حتى يتسع الفرق بينها، ويتميز بعضها عن بعض بصفات خاصة فيما يتعلق بالأصوات، أو القواعد، أو الدلالة، وبذلك يتولد عن اللغة الأصلية عدد من اللهجات تختلف في عدد من الوجوه، ولكنها تظل متفقة في وجوه أخرى. تهدف هذه المقالة إلى إبراز أوجه الاتفاق والاختلاف بين اللهجات العربية والهوسوية لمعرفة مدى صلة اللغتين، وتستعين الورقة بالمنهج الوصفي المقارن. ويتكون هذا البحث من ثلاثة محاور: المحور الأول: مفهوم اللهجة وعلاقتها باللغة، والمحور الثاني: أوجه اختلاف

اللهجات العربية، وأما المحور الثالث: فيتمثل في أوجه اختلاف اللهجات الهوسوية ثم الخاتمة.

**المحور الأول: مفهوم اللهجة وعلاقتها باللغة أو مفهوم اللغة واللهجة والفرق بينهما:  
اللهجة في اللغة:**

جاء في لسان العرب: (لهج) لهج بالأمر لهجا ولهوج وألهج كلاهما أولع به... واللهجة طرف اللسان واللهجة جرس الكلام، يقال فلان فصيح اللهجة، وهي لغته التي جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها.. واللهجة اللسان<sup>(١)</sup>. وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "ما أظلت الخضراء ولا أقلت العبراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر..."<sup>(٢)</sup> وعلى هذا تنص المعاجم العربية على أن اللهجة هي اللسان أو طرفه أو جرس الكلام، أو هي اللغة التي جبل عليها الإنسان فاعتادها ونشأ عليها.

**اللهجة في الاصطلاح:**

أما الاصطلاح فاللهجة هي: "مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث، فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات، وتلك البيئة الشاملة التي تتكون من عدة لهجات هي التي اصطلح على تسميتها باللغة"<sup>(٣)</sup>.

والصفات اللغوية المقصودة في هذا التعريف تشمل صفات صوتية - تتعلق بمخارج الحروف، وكيفية نطقها، وتداخل أعضاء النطق عند نطق الأصوات، وإتقان مقاييس أصوات اللين، وكيفية إمالتها وما يمس ذلك من قضايا دلالية؛ لأنه إذا تمشت هذه

الصفات في بيئة جغرافية معينة تمتعت لهجة أهل هذه البيئة بخاصية تميزها عن سواها من لهجات البيئات المجاورة.

### العلاقة بين اللغة واللهجة:

أما العلاقة بين اللغة واللهجة فهي علاقة الجزء بالكل، أو علاقة الخاص بالعام لأن بيئة اللهجة جزء من بيئة أوسع وأشمل، تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها وصفاتها، لكنها تشترك جميعها في مجموعة من الظواهر اللغوية. فاللغة عادة تشمل عدة لهجات لكل منها ما يميزها، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات...<sup>(٤)</sup>.

### المحور الثاني: أوجه اختلاف اللهجات العربية:

لقد عقد ابن جني في (خصائصه) فصلاً خاصاً حول ما سماه "اختلاف اللغات وكلها حجة" وهو يقصد باللغات - اللهجات العربية المختلفة، وينص على جواز الاحتجاج بها جميعاً ولو كانت خصائص بعضها أكثر شيوعاً من خصائص بعضها الآخر، فيقول: "اعلم أن سعة القياس تبيح لهم ذلك ولا تحظره عليهم ألا ترى أن لغة التميميين في ترك أعمال (ما) يقبلها القياس، ولغة الحجازيين في إعمالها كذلك، لأن لكل واحد من القومين ضرباً من القياس يؤخذ به ويُخَلد إلى مثله، وليس لك أن تردّ إحدى اللغتين بصاحبتهما لأنها ليست أحقّ بذلك من وسيلتها. لكن غاية مالك في ذلك أن تتخير إحدى فتقويها على أختها وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها وأشدّ أنسا بها<sup>(٥)</sup>. فأما ردّ إحداهما بالأخرى فلا. أولاً ترى إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم: نزل القرآن بسبع لغاتٍ كلها كافٍ شافٍ<sup>(٦)</sup>. هذا حكم اللغتين إذا كانتا في الاستبدال والقياس متدانييتين متراسلتين أو كالمتراسلتين، فأما أن تقلّ إحداهما جدا وتكثر الأخرى جدّاً فإنك تأخذ بأوسعهما رواية وأقواهما قياساً ألا تراك لا تقول: مررت بك ولا المال لك قياساً على قول قُضاعة: المأل له ومررت به ولا

تقول أكرمْتُكشٌ ولا أكرمتكسٌ قياساً على لغة من قال مررت بكشٌ وعجبت منكسٌ حدّثنا أبو بكر محمد بن الحسن عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال ارتفعت قريش في الفصاحة عن عننة تميم وكشكشة ربيعة وكسكسة هوازن وتضجّع قيس وعجرفيّة ضبّة وتلّتلة بهراء. فأما عننة تميم فإن تميماً تقول في موضع أن: عن تقول: عن عبد الله قائم<sup>(٧)</sup>. وأما تلّتلة بهراء فإنهم يقولون: تعلمون وتفعلون وتصنعون بكسر أوائل الحروف.

وأما كشكشة ربيعة فإنما يريد قولها مع كاف ضمير المؤنث: إنكشٌ ورأيتكشٌ وأعطيتكشٌ تفعل هذا في الوقف فإذا وصلت أسقطت الشين وأما كسكسة هوازن فقولهم أيضاً: أعطيتكسٌ ومنكسٌ وعنكسٌ. وهذا في الوقف دون الوصل<sup>(٨)</sup>.

فإذا كان الأمر في اللغة المعول عليها هكذا وعلى هذا فيجب أن يقل استعمالها وأن يتخيّر ما هو أقوى وأشيع منها إلا أن إنساناً لو استعملها لم يكن مخطئاً لكلام العرب لكنه كان يكون مخطئاً لأجود اللغتين. فأماً إن احتاج إلى ذلك في شعرٍ أو سجع فإنه مقبول منه غير منعيّ عليه. وكذلك إن قال: يقول على قياس من لغته كذا كذا ويقول على مذهب من قال كذا وكذا<sup>(٩)</sup>.

وكيف تصرّفت الحال فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ وإن كان غير ما جاء به خيراً منه<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن فارس في الصحاحي في فقه اللغة: اختلاف لغات العرب من وجوه:

(١) الاختلاف في الحركات: نحو قوله تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ الفاتحة: ٥ ونستعين بفتح النون وكسرهما، وعند غيره: هي مفتوحة في لغة قريش وأسد وغيرهم يكسرهما.

(٢) الاختلاف في الحركة والسكون: نحو معكم ومعكم. وجمعة وجمعة.

ومنها قولهم: أن زيداً وعن زيداً<sup>(١١)</sup>.

(٣) الاختلاف في إبدال الحروف: كإبدال الميم بباء والباء ميماً في لغة مازن نحو:



- (با سَمَك) بدلا من (ما اسمك) و(مِكر) بدلا من (بِكر)<sup>(١٢)</sup>
- (٤) ومنه الاختلاف في التقديم والتأخير: نحو قوله تعالى: (فإن أعرضوا فقل أندرتم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فصلت: ١٣ وصافعة<sup>(١٣)</sup>.
- (٥) الحذف والإثبات: ومن الاختلاف في الحذف والإثبات: استحييت واستحييت وصدّدت وأصدّدت.
- (٦) الاختلاف في الحرف الصحيح: يُبدلُ حَرْفًا مُعْتَلًا نحو أَمَّا زيد وأَيُّما زيد.
- (٧) الإمالة والتفخيم: ومن الاختلاف في الإمالة والتفخيم: قَصَى ورمى فبعضهم يفتحهم وبعضهم يميل<sup>١</sup>.
- (٨) الاختلاف في السكون: ومنه الاختلاف في الحرف الساكن يستقبله مثله فممنهم من يكسر الأول ومنهم من يضم نحو اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ.
- (٩) الاختلاف في التذكير والتأنيث: فإن من العرب من يقول: هذه البقر وهذه النخل ومنهم من يقول: هذا البقر وهذا النخل.
- (١٠) الاختلاف في الحركة الإعرابية: ومنها الاختلاف في الاعراب: نحو نصب تمييز (كم) الخيرية عند لهجة تميم، وغيرهم يوجب جرّه، فتقول بنو تميم: كم درهما أنفقت، وغيرهم كم درهم أنفقت<sup>(١٤)</sup>. ونحو: (ما زيد قائماً) و(ما زيد قائم) و(إنّ هذين) و(إنّ هذان).
- (١١) الاختلاف في صورة الجمع: نحو: أسرى وأُسارى.
- (١٢) الاختلاف في التحقيق والاختلاس: نحو: يأمركم ويأمركم وعُفي له وعُفي له.
- (١٣) الاختلاف في الوقف على هاء التأنيث: مثل: هذه أمّة وهذه أمّت.
- (١٤) الاختلاف في الزيادة: نحو: أنظرُ وأنظُرُ.
- (١٥) ومن الاختلاف اختلاف التضاد: وذلك كقولهم: السدفة التي تعني الظلمة في لغة تميم، والضوء في لغة قيس<sup>(١٥)</sup>؛ ولمق التي تعني كتب الشيء في لغة عقيل، ومحا الشيء عند سائر العرب<sup>(١٦)</sup>.

### المحور الثالث: أوجه اختلاف اللهجات الهوسوية

إن لغة هوسا شأنها شأن اللغات الأخرى تفرعت عنها لهجات كثيرة، تختلف بعضها عن بعض في المظاهر اللغوية خاصة فيما يتعلق بالأصوات أو القواعد النحوية أو الصرفية أو الدلالية، منها:

(١) الاختلاف في الحركات: نحو (Talla) في لهجة كنو و(Talle) لل لهجة غومبي. وهو عرض البضائع وترويجها للبيع. ومنه أيضا (Biki) في لهجة كنو، وبضم الباء في لهجة غومبي وغيرها (Buki) وهو الزفاف.

(٢) الاختلاف في إبدال الحروف: كإبدال (U) (m) في لهجة سوكتو نحو: (Amre) بدلا من (Aure) في غيرهم من اللهجات الهوسوية، و (Samrayi) في لهجة غومبي بدلا من (Saurayi) وهو الشباب العزب، ومنه أيضا إبدال حرف (F/ف) (Hه) في لهجة غومبي فتقول (Hura) بدلا من (Fura) وهي الشربة المصنوعة من كريات الدخن باللبن.

(٣) الاختلاف في الحذف والإثبات: نحو (Mai) في كثير من كنو وزاريا و(Mayi) بمعنى الزيت في لهجة بوئي وغومبي، و(Hula) لأهل كنو و(Hulla) لل لهجة كشنا.

(٤) الاختلاف في التذكير والتأنيث: فإن من الهوسا من يقول: (Ban gan sa ba) بدلا من (Ban gan shi ba) أي لم أراه، لمن سأل أين فلان.

(٥) الاختلاف في الإدغام نحو (Kasuwa) بمعنى السوق في لهجة كنو وغيرها، وفي لهجة من الهوسا تقول: (Kassuwa).

(٦) الاختلاف في الدلالة: ومن الاختلاف اللهجي في المستوى الدلالي الترادف وهو (أن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسمين، والأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد، من غير أن تشعر إحدهما بالأخرى، ثم يشتهد الوضعان ومن ذلك<sup>(١٧)</sup> (Riga) القميص في

لهجة، ومن الهوسا من يقول: (Taguwa). ومنه أيضا (Masa) وهي الخبز في لهجة بوثي وغيرهم، وتسمى (Waina) في غيرهم كلهجة كنو وكشنا وزنفرا وغيرها. ومن الاختلافهم قولهم (Tseho) وهي القذى في لهجة سوكونو وزنفرا، ويطلق عليها (Kwantsa) عند سائر الهوسا. ومنه (Zariyaa) وهو تَكَّة السروال في لهجة سوكونو و(Tazuge) في كنو وكشنا.

ومن اختلاف الترادف في لهجات الهوسا (Bojuwa) في لهجة وهو القدر، وتسمى (Tukunya) في لهجة كنو وجغاوا. ومنه (Santolo) في لهجة وفي لهجة أخرى (Buhu) ويراد به الكيس الذي يدخر فيه الأرز أو القمح أو غيرها. ومن أمثلة ذلك أيضا (Masassara) المراد به الحمى في لهجة سوكونو وزنفرا و (Zazzafi) في كثير من اللهجات كلهجة كنو وغومبي وزكرك وغيرهم.

### أوجه الاتفاق والاختلاف بين اللغتين:

لقد ثبت من اللغويين المحدثين ما بين العربية ولغة الهوسا من أواصر القرى، فقد كتب الطاهر محمد داود أطروحته لنيل درجة الدكتوراه<sup>(١٧)</sup> عن مدى صلة القرى بين العربية ولغة الهوسا، وهذا يدل على اهتمام الباحثين بهذا المجال وموثوقية ما أثبتته علم اللغة الحديث في هذا المضمار، وتنعكس هذه العلاقة في العوامل المؤدية إلى نشوء اللهجات في اللغتين كما يتضح للقارئ في المستويات الآتية:

(١) اختلاف الحركات: فاختلاف الحركات شيء ثابت في اللغة العربية بين لهجة وأخرى، ووقد تبنت لغة الهوسا هذه الظاهرة لإنشاء لهجة داخل حقلها اللغوي، ففي العربية على سبيل المثال من يقول نستعين بكسر حرف المضارع على لهجة هذيل بدلا من فتحه على لهجة قريش وأسد. وهذا نفس ما يلحظ من الاختلاف اللهجي بين غومبي وكنو في لفظة (Talla-Talle) بين إمالة وفتح الحرف الأخير من اللفظة.

(٢) تتفق اللغتان في إبدال الحروف، والحذف والاثبات، وفي الإدغام وغيره كما سبق الذكر.  
 (٣) تختلف اللغتان في الإمالة والتفخيم والوقف على هاء التأنيث، وفي اختلاف التضاد حيث لا توجد هذه الوظيفة في لغة الهوسا. فعلى هذا تميزت اللغة العربية عن لغة الهوسا في هذه الظاهرة اللغوية.

#### الخاتمة:

لقد مر في هذه المقالة الحديث عن اللهجات العربية ولغة الهوسا بدءاً بتعريف اللهجة وعلاقتها باللغة، ومروراً بسرد أوجه اختلافات اللهجات العربية، مع ذكر أوجه اختلافات اللهجات الهوسوية؛ للوقوف أخيراً على أوجه الاتفاق والاختلاف بين اللغتين في الظواهر المؤدية إلى اختلاف اللهجات.

وفي الختام استطاع البحث أن يصل إلى نتائج أهمها:

- إن الاختلافات اللهجية في لغة الهوسا ثابتة وبكثرة على نمط ما يوجد في اللهجات العربية.
- تتفق اللغتان في هذه القضية إلا أن العربية تنفرد بالاختلافات في التضاد الذي لا وجود له في لغة الهوسا.
- الكثير من اختلافات اللهجات في لغة الهوسا يعود إلى الدلالة، ولعل ذلك راجع إلى أنها لغة سماعية والقواعد فيها وضعت متأخرة نسبياً.

#### الهوامش والمراجع:

- (١) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر-بيروت، ط/٣-١٤١٤هـ، ج/٢، ص/٣٥٩.
- (٢) الترمذي، محمد بن عيسى بن سوري الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ج/٥، ص/٦٦٩.

- (٣) إبراهيم أنيس (الدكتور)، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، السنة: ٢٠٠٢ م، ص/١٥.
- (٤) د. رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، ط/٦، مكتبة الخانجي لطباعة والنشر ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ص/٧٢-٧٣.
- (٥) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، المحقق: محمد علي النجار، دار العالم الكتب، (د. ت)، ج: ٢، ص/١٠.
- (٦) الإمام أحمد أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند أحمد، موقع وزارة الأوقاف المصرية، ج/٤٤، ص/٣٠٧.
- (٧) ابن جني أبو عثمان، الخصائص، ص/١١.
- (٨) المصدر نفس، ص/١١.
- (٩) ابن جني، الخصائص، ص/١٢.
- (١٠) المصدر نفسه، ص/١٢.
- (١١) أحمد ابن فارس ابن زكرياء القزويني، الصحاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ط: ١، دار الفكر العلمية، السنة: ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص/٢٥.
- (١٢) علي عبد الواحد وافي (الدكتور)، فقه اللغة، ط: ٣، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر، سنة ٢٠٠٤، ص/٩٨.
- (١٣) أحمد ابن فارس، الصحاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص/٢٥.
- (١٤) المصدر نفسه، ص/٢٦.
- (١٥) إبراهيم أنيس (الدكتور)، في اللهجات العربية، ص/٧٥.
- (١٦) الأنباري، محمد بن القاسم، كتاب الأضداد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا- بيروت ١٩٨٧م-١٤٠٧هـ، ص/١١٤.
- (١٧) المصدر نفسه، ص/٣٥.
- (١٨) محمد إبراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه-موضوعاته-قضاياها، دار ابن خزيمة، ط/١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ص/٢٠١.
- (١٩) بقسم اللغة العربية، جامعة بايرو كنو، سنة ٢٠٠١م.

## اختلاف النحاة في تعريف حروف الجر وعددها: عرض وتعليق

إعداد

**رابع عبدالله**

قسم اللغة العربية

كلية التربية الفدرالية زاريا، ولاية كدونا- نيجيريا

By

**Rabi'u Abdullahi**

Department of Arabic, Federal College of Education, Zaria

E-mail: [rabibsawa@gmail.com](mailto:rabibsawa@gmail.com); Phone No: 08032875741

### ملخص البحث

إن الحرف بوصفه ركن من أركان الكلام العربي الثلاثة، يقوم بدور فعال في تأدية المعاني السياقية من أوجه شتى، فتارة يكون بارزا في سياقه كما في الأسماء المجرورة بحروف الجر، أو بدور مستتر كما في الإضافة حيث تقدر دلالة بعض حروف الجر، كفي وعلى وغيرهما، كما أن منها ما يقوم بدوره الأصلي الموضوعي أو بوصفه زائدا يفي بغرض لا غنى عنه في سياقه، إضافة إلى تأكيده للكلام، أو يرد شبيها بمزيد دلالة على الخصوصية العربية، واختلاف النحاة في عدد الحروف المدروس اختلاف تنوع في غالبه، أو هو مما تختص به لهجة دون أخرى.

### مقدمة

يكاد النحاة القدامى يتفقون على أنّ الكلام العربي ينقسم إلى ثلاثة أقسام: اسم وفعل وحرف<sup>(١)</sup> والحرف بذلك ثلث الكلام العربي ولا رابع له، قال ابن الأنباري: "إذ بها (الحروف) يعبر عن جميع ما يخطر بالبال، فالمخبر والمخبر عنه داخلان تحت الاسم، والخبر

هو الفعل وما اشتق منه أو تضمن معناه، ولا بد من رابط بينهما، وهو الحرف، ولن يوجد إلى معنى رابع سبيل ليكون للكلام قسم رابع" (٢).

والحرف هو العنصر الأصغر في هذا التأليف من حيث بناؤه، وبه يُكَمَّل للسياق المعنى العام، وكان أكثر مقاصد كلام العرب مبنيًا على معاني حروفه، وهي مع قلتها قد كثر دورها وبعُد غورها (٣).

### مفهوم الحرف:

#### الحرف لغة:

الحرف عند أصحاب المعاجم يدل على "الطرف" أو "الناحية" أو "الجانب" أو "الوجه" أو "الشفير"، وهذه من أبرز المعاني لمادّة "ح ر ف"، وفي ذلك قال ابن منظور: "وحرفا الرأس شِقَّاه، وحرفا السفينة والجبل جانبهما" (٤) وقال الجوهري: "حرف كل شيء طرفه وشفيره وحدّه ومنه حرف الجبل" (٥) ويرى ابن سيده أن لفظة "الحرف" عند المعجميين ما يأتي إلا بمعنى "الناحية"، إذ حرف الشيء ناحيته، وفلان على حرف من أمره: أي ناحية منه، أي إذا رأى شيئًا لا يعجبه عدل عنه" (٦).

وقال أحمد فارس "الحرف: الحاء الراء والفاء ثلاثة أصول تعني: "حدّ الشيء والعدول، وتقدير الشّيء، فأما الحدّ فحرفٌ كلُّ شيء حدّه، كالسيف وغيره، ومنه الحرف، وهو الوجه، تقول: هو من أمره على حرفٍ واحد، أي طريقة واحدة، قال الله تعالى ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ (٧) أي على وجه واحد، وذلك أنّ العبد يجب عليه طاعة ربّه تعالى في السراء والضراء، فإذا أطاعه في السراء وعصاه في الضراء فقد عبّده على حرفٍ" (٨).

ويمكن إجمال معاني "الحرف" لغة في: عدم الاستقرار، والتأرجح، والقابلية للانحراف والسقوط على جانبي الحد، والمكابدة، والمشقة من استمرار الوجود على الحد، والاستعداد

من وضع إلى آخره<sup>(٩)</sup> وخلاصة القول إن المحاولة في ذكر حدود "الحرف" تعود إلى معنى مجازي له، مأخوذ من معنى أصلي له، الذي هو الحد الدقيق المرتفع، وهذا أقرب تعبير في القرآن الكريم إلى المعنى الأصلي لهذه المادة<sup>(١٠)</sup>.

### الحرف اصطلاحاً:

يطلق "الحرف" اصطلاحاً على أحد الدلالات الثلاثة الآتية:

- الدلالة الأولى: يطلق على واحد حروف التهجي أو الحروف الهجائية<sup>(١١)</sup> وهي ثمانية أو تسعة وعشرون حرفاً على اختلاف بين الباحثين<sup>(١٢)</sup>، وذلك نحو: الألف والباء والتاء والتاء وغيرها<sup>(١٣)</sup>. وهي ما تسمى بـ"حروف المباني".
  - الدلالة الثانية: يطلق على "اللغة والقراءة" قال ابن سيده: "الحرف: القراءة التي تقرأ على أوجه، وجاء في الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: "نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف"<sup>(١٤)</sup> أراد بالحرف: اللغة<sup>(١٥)</sup>.
  - الدلالة الثالثة: أحد أقسام الكلمة<sup>(١٦)</sup>: اسم وفعل وحرف، وكان الحرف ثلث كلام العرب، وله دور في إيصال معاني الأفعال إلى الأسماء أو لدلالاتها على معنى. لذلك تطلق عليه الأداة التي تسمى الرابطة، لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل، وفي ذلك يقولون: "كل كلمة بُنِيَتْ أداة عارية في الكلام لتفرقة المعاني فاسمها حرف"<sup>(١٧)</sup>. وقد عرف العلماء "حرف المعنى" بتعريفات كثيرة، متباينة التراكمات ومتقاربة المقاصد، وهنا يحاول الباحث تتبع هذه التعريفات وترتيبها ترتيباً زمنياً.
- عرف سيبويه الحرف بأنه ما "جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل"<sup>(١٨)</sup> وعلق السيرافي على هذا التعريف وقال: "إن سأل سائل فقال: "وحرف جاء لمعنى" وقد علمنا أن الأسماء والأفعال جنس لمعنى؟ قيل له وحرف جاء لمعنى في الاسم والفعل"<sup>(١٩)</sup>.



وهذا التعريف يتسم بالغموض لأنه لم يعط حدا فاصلا وتعريفا جامعاً مانعاً بين الحرف وغيره من الكلمات العربية في دائرته، وإنما أتى بوصف للحرف، وهو سبب وقوف السيراني على التعريف ليتمه بعبارة، وعلى هذا فهو تعريف جزئي.

وأما المبرد فقد عرفه بقوله: "الكلام كله اسم وفعل وحرف جاء لمعنى" (٢٠) ولا يخلو هذا التعريف من الغموض أكثر مما في تعريف سيوييه، إذ لم يوضح موقع المعنى أفي نفسه أم في غيره؟.

وابن يعيش عند حديثه عن حرف المعنى قال: كلمة دلت على معنى في غيرها" (٢١)، وهذا التعريف يتطلب حدوداً تحدده حتى يكون جامعاً مانعاً وميله إلى الوصف أكثر من ميله إلى الحد.

وما عرفه به الرضي وابن هشام لا يجاوز الوصف له، إذ الرضي قال فيه: "ما لا يستغني عن جملة يقوم بها" (٢٢) وما "لا يحسن فيه شيء من العلامات التسع كـ"هل" و"في" و"لم" هو نفس ما عرفه به ابن هشام (٢٣).

ونقل الإمام السيوطي عن ابن النحاس خلاف ما سبق عن الحرف حيث قال: "والحق أن الحرف له معنى في نفسه" (٢٤).

وأما الزجاجي فعرفه بقوله: "الحرف ما دل على معنى في غيره" (٢٥).

ويرى السيهلي أنّ الحرف: "ما دل على معنى في نفسه ولم يفهم العرب من الحرف ذلك المعنى"، (٢٦) وعرفه الزمخشري بأنه: "ما دل على معنى في غيره ومن ثمّ لم ينفك عن اسم أو فعل يصحبه إلا في مواضع مخصوصة" (٢٧).

ولا تخلو كل هذه التعريفات من الاستدراكات ليكون التعريف جامعاً مانعاً، وذكر ابن يعيش والمرادي وابن عصفور أن السبب في رد عامة التعريفات السابقة يثبت في الملاحظات التالية:

(١) التعبير بـ"الكلمة" أولى من التعبير بـ"ما" وفي ذلك قال ابن يعيش: "وقولنا "الكلمة" أسدّ من قوله "ما" لأن الكلمة أقرب من الحرف فهي أدل على الحقيقة"،<sup>(٢٨)</sup> وأكد المرادي هذه الحقيقة لأنّ تصدير الحد بقولهم "الكلمة" أولى من التصدير بـ"ما"<sup>(٢٩)</sup>

(٢) اختلافهم في أنّ للحرف معنى في نفسه أو في غيره، ويرى المرادي أن الاختصار على أن الحرف "يدل على معنى في غيره" غير تام، لأن من الأسماء ما يدل على معنى في غيره كأسماء الاستفهام أو الشرط، فاستحسن أن يزداد لفظ "فقط" لتخرج ما له معنى في نفسه وفي غيره، وأما ابن عصفور الإشبيلي فقد ردّ هذا التعريف عند ما تعقب على تعريف الزجاجي فقال: "أما قوله: "الحرف ما دل على معنى في غيره" ليس بحد صحيح للحرف، لأنه ليس بمانع، لأن الأسماء قد تدل على معنى في غيرها، ألا ترى أنك إذا قلت: "قبضت بعض الدراهم"، أدت كلمة "بعض" من المعنى في الدراهم ما تؤديه "من" إذا قلت من الدراهم، ولا بد أن يقول في تعريف الحرف: كلمة تدل على معنى في غيرها ولا تدل على معنى في نفسها، وحيث لا تدخل عليه الأسماء، لأن الأسماء وإن دلت على معنى في غيرها فهي مع ذلك دالة على معنى في نفسها، ويسلم الحد من إدخال "ما" فيه"<sup>(٣٠)</sup>.

(٣) إنكار السكاكي في أن يكون للحرف معنى، إنكار مردود، لأنه يرى أن ذلك يقتضي أن تكون الحروف أسماء<sup>(٣١)</sup> وهذا رأي غير صحيح من وجهين:

- الأول: أن يساوي بذلك بين حروف الهجاء وحروف المعاني.
- الثاني: أن دلالتها على معنى الاسمية لا يخرجها من حرفيتها، فهناك أسماء تشبه الحرف في المعنى ولم تخرج عن اسميتها، كأسماء الاستفهام والشرط، فإن كل واحد منهما يدل بسبب تضمنه معنى الحرف على معنى في غيره،<sup>(٣٢)</sup> كما أن هناك حروفا تشبه الفعل وتسمى "المشبهات بالفعل" ولم تخرج عن حرفيتها<sup>(٣٣)</sup>.

وقد اقترح الرومي تعريفا للحرف يجمع مقاصد أصحاب التعاريف السابقة تحت ألفاظهم المتنوعة، فقال: "الحرف هو كلمة لا محل لها من الإعراب تدل على معنى عام في الأفراد يختص بالتركيب"<sup>(٣٤)</sup>.

ويرى الباحث أن الحرف لا يستغني عن متعلق يؤدي به دلالته تامة، وإن كان يحمل معنى عند خلوه عنه، لكن لا يتألف مع مثله كلام<sup>(٣٥)</sup>.

### حروف الجر:

معنى الجر لغة واصطلاحاً:

الجر لغة: الجذب والشدة والاقتياد وهي من مادة: "جرر"<sup>(٣٦)</sup> ويحمل معنى السحب والتوصيل<sup>(٣٧)</sup>.

والجر اصطلاحاً: فهو نقل أو وصل ما قبل الجار إلى ما بعده، من فعل أو شبهه، وبحرف الجر توصل الاسم بالاسم والفعل بالاسم، ولا يدخل حرف الجر إلا على الأسماء<sup>(٣٨)</sup> غالباً، ويتم عند النطق به جر الفك الأسفل إلى الأسفل وخفضه وتسمى الحركة كسرة<sup>(٣٩)</sup>.

### خصائص المجرورات الشكلية: (شجرة المجرورات):

اشتملت اللغة العربية على حالات إعرابية أربعة، وهي: الرفع والنصب والجر والجزم، ولكل حالة علامتها، وقد أثبت الاستقراء أن المجرور لا يكون إلا اسماً، فالجر إذاً من خصائص الاسم<sup>(٤٠)</sup>.

كان للأسماء بالنسبة للمجرورات خصائص لا تخرج عنها، وقد اختلفت النحاة في بعضها، ويرى الباحث بصدد الحديث عن الأسماء المجرورة بالحرف صلاحية الإشارة إلى بقية الخصائص، وهي بمجموعها خمسة:

- الخصيصة الأولى: الأسماء المجرورة بالحرف: وهي كل ما جُرَّ بحرف من حروفها، وهي أم باب المجرورات، وقد بدأ بها ابن هشام لأنها الأصل<sup>(٤١)</sup>، مثل: من المسجد الحرام، والآدمي كالنخلة إن قطع رأسه مات، ورجع عن ذنوبه.
- الخصيصة الثانية: الأسماء المجرورة بالإضافة: ويقال بالمضاف، وهي الأسماء التي تلازم حالة الجر لعلّة الإضافة<sup>(٤١)</sup>، نحو: بيت الله، ورسول الله، ومكر الليل.
- الخصيصة الثالثة: الأسماء المجرورة بالتبعية: وهي التي لا يمسها الحكم الإعرابي إلا على سبيل التبع، فهي تابعة لحكم متبوعها الإعرابي<sup>(٤٢)</sup> وهي أربعة<sup>(٤٣)</sup> أو خمسة<sup>(٤٤)</sup> أو ستة<sup>(٤٥)</sup>.
- الخصيصة الرابعة: الأسماء المجرورة بالجوار: وهو أن يكون للاسم إعرابه الخاص به، ولكنه يجر بدلا من ذلك مجاورته اسما مجرورا<sup>(٤٦)</sup> نحو: هذا جُحْرٌ ضَبٌّ خَرِبٌ، يجر خَرِبٌ مجاورته لـ"ضَبٌّ" المجرور، وكان حقه الرفع، لأنه نعت لجر المرفوع على الخبرية<sup>(٤٧)</sup>.
- الخصيصة الخامسة: الأسماء المجرورة بالتوهم: وهو "الحمل على معنى كلام يخالف المذكور في الإعراب، ويوافق في المعنى"<sup>(٤٨)</sup>، ويرى ابن هشام أن الجر بالتوهم يرجع إلى الجر بالمضاف<sup>(٤٩)</sup> نحو: ليس زيدٌ قائمًا ولا قاعدٌ" يجر قاعد على توهم دخول حرف الباء في خبر ليس<sup>(٥٠)</sup>، مثل: ليس زيدٌ قائمًا ولا بقاعدٍ.

### مفهوم حرف الجر:

تمثل دراسة حرف الجر جانبا مهما من جوانب البحث النحوي، ولا يستغني عنها المتكلم لإقناع المتلقي، وقد تمذهب النحاة بمذاهب شتى وانتهجوا مناهج متنوعة<sup>(٥١)</sup>. عرف ابن الحاجب حرف الجر تعريفا يكاد يكون جامعا مانعا من ناحية الوظيفة اللفظية والمعنوية للحروف الأصلية، حيث قال: الحرف "ما وضع للإفضاء بفعل أو شبهه أو معناه إلى ما يليه"<sup>(٥٢)</sup> وقيل: هو "كل حرف يجر الاسم الذي بعده بنفسه"<sup>(٥٣)</sup>، وأما تعريف الدكتور عباس حسن فهو جامع بين الدلالة المعنوية والوظيفة السياقية حيث قال: "هي حروف تجر الاسم الظاهر والمضمر بعدها، وتدل على معنى، كالإصاق للباء"<sup>(٥٤)</sup>.

وإنما سُمِّيَتْ حروف الجر لأنها تجر ما قبلها فتوصله إلى ما بعدها، وعلة التسمية تعود إلى إما لأنها تجر معاني الأفعال إلى الأسماء، وهذا تعليل دلالي، وإما لأنها تعمل إعراب الجر فيما بعدها فيكون هذا تعليل لفظي<sup>(٥٥)</sup>، كما تسمى حروف الإضافة: وهي تسمية أطلقها عليها الكوفيون لأنها تضيف الأفعال إلى الأسماء الداخلة عليها<sup>(٥٦)</sup> وكان سيبويه في شرحه يطلق عليها حروف الإضافة<sup>(٥٧)</sup> وتسمى حروف الخفض: وهي التسمية الثانية التي أطلقها الكوفيون عليها، لأنها تخفض ما بعدها وقد أعلَّ الجبالي هذه التسمية بقوله: "سموا أيضا خوفاض لأنها تعمل إعراب الخفض فيما بعدها، سواء أكان الإعراب ظاهرا أم مقدرا أم محلا، مثلما قيل في حروف النصب وحروف الجزم لأنها تعمل النصب والجزم فيما دخلت عليه من أفعال"<sup>(٥٨)</sup> وكما تسمى حروف الصفات: وهي من مصطلحات الكوفيين لأنها تُحدث صفة في الاسم الذي يأتي بعدها، من ظرفية أو غيرها<sup>(٥٩)</sup>، وإن كثرة مصطلحاتها تدل على نشاطها وحيويتها ودورها الوظيفي بين بقية حروف المعاني في تقويم السياق، ولذلك أكد الفراء بأنها هي أكثر حروف المعاني دورانا في الكلام<sup>(٦٠)</sup> ومن قبل ذكر الفيروزآبادي: أن كثرة الأسماء دالة على شرف المسمى<sup>(٦١)</sup>.

ويفهم من التعريفات السابقة أن لحروف الجر وظيفتين:

- وظيفة نحوية حيث تُحقق الترابط بين مكونات الجملة في السياق.
- وظيفة دلالية حيث تؤدي معنى جديدا في الجملة وهي أداة تحدّد دلالة السياق، وفي هذا الصدد قال عباس حسن: "إن وظائفها متكاملة ومتداخلة، تنصهر فيها الروابط النحوية بالمكونات الدلالية"<sup>(٦٢)</sup>.

## عدد حروف الجر:

اختلف النحاة في عددها، وقد عدّها سيبويه ثمانية عشر حرفاً، وهي: إلى، الباء، التاء، حاشا، حتى، خلا، ربّ، على، عن، في، الكاف، كي، اللام، لولا، مذ، منذ، من، الواو<sup>(٦٣)</sup> ولم يذكر: عدا، و متى، و لعلّ.

أما عبد القاهر الجرجاني، فقد عدّها سبعة عشر حرفاً: الباء، من، إلى، في، اللام، ربّ، على، عن، الكاف، مذ، منذ، حتى، واو القسم، تاء القسم، حاشا، خلا، عدا<sup>(٦٤)</sup> ولم يعدّ "كي" و "لعلّ" و "لولا" و "متى".

وعدها الزمخشري ثمانية عشر حرفاً، ولم يعدّ منها: "لعلّ" و "لولا" و "متى" من حروف الجر<sup>(٦٥)</sup> وهي ثمانية عشر حرفاً أيضاً عند ابن الحاجب: ولكنه عدّها منها واو "ربّ" ولم يذكر منها "كي" و "لعلّ" و "لولا" و "متى"<sup>(٦٥)</sup>.

ومنهم من يعدّها عشرين حرفاً كابن مالك في ألفيته حيث ذكرها في البيتين:

هاك حروف الجر، وهي: من، إلى \* حتى، خلا، حاشا، عدا، في، عن، على

مذ، منذ، ربّ، اللام، كي، واو، وتا \* والكاف، والباء، ولعلّ، ومتى<sup>(٦٦)</sup>

وقد أضاف إليها أصحاب سيبويه "لولا" الامتناعية كما في شرح الكافية الشافية وشرح التسهيل<sup>(٦٧)</sup>. وقد عدّها الأشموني عشرين حرفاً حيث أضاف ثلاثة حروف على السابقة وهي: كي، لعلّ، متى<sup>(٦٨)</sup> كما هي عند أحمد المالقي في "رصف المباني" ٢٣ حرفاً وذلك بإضافة ما يلي: "مُنْ" مضمومة الميم، "مَع" بسكون العين، و"لولا"<sup>(٦٩)</sup>.

وأوصلها أبو حيان إلى ثمانية وعشرين حرفاً<sup>(٧٠)</sup> والمشهور أنّها عشرون حرفاً.

هذا، وأما "لعلّ" و "متى" و "كي" فيندر الجر بها لقلة ورودها في الكلام، وكثر حولها

اختلافات بين النحاة<sup>(٧١)</sup>. وتجر "لعلّ" في لغة عُقَيْل، كما قال شاعر منهم:

لعلّ الله فضلكم علينا \* بشيء أن أمكم شريم

بجر لفظ الجلالة، واللام الأولى هي لام لعل قد تحذف وتثبت، والثانية تفتح وتكسر نحو: لعلّ أو لعلّ<sup>(٧٢)</sup>، و"متى" حرف جر في لغة هذيل، بمعنى من الابتدائية، يقولون: أخرجها متى كمّه، أي من كمّه<sup>(٧٣)</sup>، و"كي" لا تجر معربا ولا اسما صريحا، وإنما تجر "ما الاستفهامية والمصدرية"<sup>(٧٤)</sup>.

### تقسيمات حروف الجر:

قسمها النحاة باعتبارات مختلفة، وتنحصر فيما يأتي:

(١) من حيث الاسم الذي تجره: ما يجرّ الأسماء الظاهرة وهي عشرة: "مذ، منذ، متى، الكاف، ربّ، التاء، كي، لعل، حتى". والبقية تجر الأسماء الظاهرة والمضمرة<sup>(٧٥)</sup>.

(٢) من حيث الأصالة وعدمها: فهي في ذلك ثلاثة أقسام:

أ- حروف جر أصلية، وهي حروف تؤدي معنى فرعيا جديدا في سياقها، وتصل بين عاملها والاسم المجرور بها، وهي: "من" و"متى" و"في" و"عن" و"على" و"مذ" و"منذ" واللام" و"الواو" و"الكاف" و"الباء" و"التاء".

ب- حروف الجر الزائدة: وهي التي لا تفيد معنى جديدا أو معنى أصليا من أصل وضعها، ولا تجلب معنى جديدا، بل تُقوّي المعنى القائم في الجملة، ويكون إعراب الاسم بعدها مجرورا وله محل من الإعراب حسب مقتضيات العوامل الإعرابية، والحروف الزائدة هي: "الباء" و"اللام" و"الكاف" و"من".

ج- حروف الجر الشبيهة بالزائدة: وهي تجر الاسم بعدها لفظا فقط، ويكون لها مع ذلك محل من الإعراب، وتفيد الجملة معنى جديدا مكمّلا لمعنى موجود، ولا يصح حذف الحرف الشبيه بالزائد، وهي: "لعلّ" و"ربّ" و"لولا" في الغالب، و"حلا" و"عدا" و"حاشا"<sup>(٧٦)</sup> نحو: ربّ مبلغ أوعى من سامع، وقد اهتم سيبويه بقضية زيادة

حروف الجر في كتابه، وأثبتها في القرآن الكريم بمفهومها، بيد أنه لم يستخدم مصطلح "الزيادة" في كل ما وقع منه، بل يصطلح عليه بـ"توكيد لغوي".

(٣) من حيث الوضع والبنية: وحروف الجر من هذه الحيشة أربعة أقسام: (٧٧) كما يلي:

- القسم الأول: الأحادية: وهي ما وُضِعَتْ على حرف واحد: وهي خمسة، ١-الباء، ٢-اللام، ٣-الكاف، ٤-التاء، ٥-الواو.
- القسم الثاني: الثنائية: وهي التي وُضِعَتْ على حرفين، وهي خمسة ١-من، ٢-في، ٣-عن، ٤-مذ، ٥-كي.
- القسم الثالث: الثلاثية: وهي التي وُضِعَتْ على ثلاثة أحرف وهي سبعة، ١-على، ٢-إلى، ٣-خلا، ٤-منذ، ٥-متى، ٦-عدا، ٧-رُبَّ.
- القسم الرابع: الرباعية: وهي التي وضعت على أربعة حروف: وهي أربعة، ١-حتى، ٢-لولا، ٣-لعل، ٤-حاشا، بناء على أنها عشرون حرفا.

#### الخاتمة:

تناولت المقالة ما تحتويه حروف الجر بصفة عامة، من نواحي البنية والألفاظ والمعاني، وهذا يدل على أن كون الحرف أصغر عنصر في بناء التركيب لا يقل عن أهميته ولا تتفهمه حاجة المتكلم إليه بحال، وهذه الخاتمة عبارة عن:

#### نتائج البحث:

توصل هذا البحث إلى النتائج التالية:

- (١) أن الحرف جزء لا يستغني عنه السياق بحال، وأنه ركن أساسي في أداء المعنى المراد،
- (٢) أن العلاقة بين حروف الجر وبين جزئياتها السياقية تتنوع بتنوع موقعها، فدالاتها من حيثية الزيادة تختلف عما في المعاني الأصلية،
- (٣) أن المجزورات بحرف الجر تعتبر أم باب المجزورات الخمسة،



(٤) أن اختلاف معاني حروف الجر إلى أصلية وثانوية تناوبية تدل على أهميتها في الكلام العربي.

(٥) أن اختلاف النحاة في تعاريف حروف الجر لا يميل إلى التضاد بل هو إلى اختلاف التنوع أقرب، لذلك لا يسبب تعقيدا في فهم النص خلال الاختلاف.

### الهوامش والمراجع:

- (١) سيبيويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (١٩٨٨م) الكتاب، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، ط٣ مكتبة الخانجي، القاهرة، ج١ ص١٢، الأنباري، أبو البركات عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد، (١٩٥٧م) أسرار العربية، تحقيق: محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ص٣، السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلمية بيروت، ج١ ص٣٥، موفق الدين، علي بن يعيش، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، ج١ ص١٩. الإشبيلي، أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن عصفور، (١٩٩٨م) شرح الجمل للزجاجي، تقديم: فواز الشعار، إشراف: إميل بديع يعقوب، الدكتور، ط١ دارالكتب العلمية - بيروت، ج١ ص١٥ وما بعدها.
- (٢) الأنباري، أبو البركات عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد، المرجع السابق، ص٣، مارينا نجار، (١٩٨٦م) معاني حروف الجر بين الوصف النحوي القديم والاستعمال اللغوي المعاصر، رسالة مقدمة إلى الجامعة الأميركية ببيروت، لنيل درجة الماجستير، ص٢.
- (٣) الحسين بن قاسم المرادي، الجني الداني في حروف المعاني، ص١٩
- (٤) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر بيروت، ج٩ ص٤٢ مادة: "حرف"
- (٥) إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ج٣ ص١١٠٨
- (٦) ابن سيده المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل، (٢٠٠٠م) المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبدالحميد هندراوي، الدكتور، ط١ دارالكتب العلمية، بيروت لبنان، ج٣ ص٤١٢.
- (٧) سورة الحج الآية ١١.

- (٨) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (١٩٧٩م) معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ط١، دار الفكر بيروت ج٢ ص٤٢.
- (٩) محمد حسن الشريف، (١٤١٧-١٩٩٧م) معجم حروف المعاني في القرآن الكريم: مفهوم شامل مع تحديد دلالة ط١ مؤسسة الرسالة - بيروت، ص١ "م" في تمهيد المعجم.
- (١٠) المرجع السابق نفسه، ص١ "ن"
- (١١) يطلق عليه "حرف الهجاء أو حروف التهجّي" بمعنى "التعدد" يقال هجى الحروف إذا عددها، وقد أورد اللغويون تعليقات في الربط بين حرف الهجاء ومادة "الحرف" قال المرادي: "سموا الحرف بذلك لأنه طرف الكلام وفضلة" وقيل لأنه "يأتي على وجه واحد" الجنى الداني في حروف المعاني، ص٢٨، والفيروزآبادي يقول: قيل للحرف حرف لوقوعه في طرف الكلمة أو لضعفه في نفسه، أو لحصول قوة الكلمة به أو لانحرافه "البصائر: ص١ ج٨٦، وبمثل هذا قال الكفوي في الكلبيات ج٢ ص٢٤١، وناقش ذلك الشيخ محمد حسن الشريف بما فيه كفاية في مصنفه: معجم حروف المعاني في القرآن الكريم: مفهوم شامل مع تحديد دلالة الأدوات، ص (ف) في تمهيد كتابه.
- (١٢) وقد تضاربت الآراء في عددها، فهي ٢٩ عند الخليل كما في كتاب العين، فإنه قال: في اللغة العربية تسعة وعشرون حرفاً، يراجع: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، المرجع السابق، ص١١٠. وأحمد بشارة جمعة سليمان، (٢٠١٤م) الهمزة أول الحروف الهجائية، مقالة في مجلة جامعة بحري للآداب والعلوم الإنسانية، العدد ٦، السنة ٣، ص١ و٣ وما بعدها.
- (١٣) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، (١٩٨٦م) تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الفتاح الحلوة، الدكتور، مطبعة حكومة الكويت، ج٢٣ ص١٢٧.
- (١٤) البخاري، محمد بن عبدالله، صحيح البخاري، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، الحديث ٤٩٩١، و مناع القطان، نزول القرآن على سبعة أحرف، مكتبة الوهبة، القاهرة، ص٨.
- (١٥) ابن سيده المرسي، المرجع السابق، ج٣ ص٤١٤، ابن منظور الأفرقي، المرجع السابق، ج٩ ص٤٢.
- (١٦) وقد صرح بذلك ابن عباس رضي الله عنهما فقال: "نزل القرآن على سبع لغات" العسقلاني، ابن حجر، أحمد بن علي، (١٤٣٣-٢٠١٢م) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ط١ دار الغديد الجديد، ج٧ ص٣٩.

- (١٧) بناء على التقسيم الثلاثي الذي جرى عليه القدامى، وقد شذ بعض المحدثين عنه مثل: إبراهيم أنيس في كتابه "من أسرار اللغة"، ومهدي المخزومي، في كتابه "في النحو العربي: قواعد وتطبيق، وتمام حسان في كتابه: اللغة العربية معناها ومبناها" ومن سار على منوالهم.
- (١٨) فتح الرحمن صديق حمد علي، المرجع السابق، ص ٢
- (١٩) سيبويه، المرجع السابق ج١ ص ١٢
- (٢٠) السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبدالله المرزبان، (١٤٢٩-٢٠٠٨م) شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدي و علي سيد علي، ط١ دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ج١ ص ٥٢
- (٢١) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، (١٩٩٤م) كتاب المقتضب، تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف جمهورية مصر العربية، ج١ ص ١٤٢
- (٢٢) موفق الدين، علي بن يعيش، المرجع السابق، ج٢ ص ٨
- (٢٣) الرضي، محمد بن حسن الاستربادي، (١٩٨٦م) شرح الكافية الشافية، ط١ دار المأمون للتراث، ج١ ص ١٦١
- (٢٤) الأنصاري، أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن هشام المصري، أوضح المسالك على ألفية ابن مالك، المكتبة العصرية صيدا- بيروت، ج١ ص ٢٦
- (٢٥) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الأشباه والنظائر في النحو، ج٢ ص ٩
- (٢٦) الزجاجي، أبو القاسم بن عبد الرحمن، (١٩٧٩م) الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، الدكتور، ط٣ دار النفائس، ج١ ص ٥٤
- (٢٧) السهيلي، أبو القاسم، عبد الرحمن عبدالله، (١٩٩٢م) نتائج الفكر في النحو، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ، علي محمد معوض، الشيخ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ص ٦٨
- (٢٨) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، (١٩٩٣م) المفصل في صنعة الإعراب، ط١، مكتبة هلال، بيروت ص ٣٧٩
- (٢٩) ابن يعيش، المرجع السابق، ج٢ ص ٨
- (٣٠) المرادي، المرجع السابق، ص ٢٠
- (٣١) الإشبيلي، أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن عصفور، (١٤١٩-١٩٩٨م) مرجع سابق، ص ٣٠

- (٣٢) السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي سراج الدين، (١٩٨٧م) مفتاح العلوم، ط٣ دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ص٣٨٠
- (٣٣) ابن يعيش، المرجع السابق ج٣ ص٩٠، والمرادي، المرجع السابق، ص٢٠
- (٣٤) الرماني النحوي، أبو الحسن علي بن عيسى، (٢٠٠٥م) معاني الحروف، تحقيق: عرفان بن سليم العشا حسونة الدمشقي، الشيخ، ط١، المكتبة العربيو صيدا - بيروت، ص٢٣
- (٣٥) عبد العزيز عبدالله الرومي، (١٤٢٣) حروف المعاني العاملة في سنن أبي داود معانيها وأحكامها واستعمالاتها، رسالة مقدمة إلى قسم الدراسات العليا العربية، جامعة أم القرى، لنيل درجة الدكتوراه في النحو والصرف، بإشراف الاستاذ الدكتور محمد صفوت مرسي، ص١٤
- (٣٦) فتح الرحمن صديق حمد علي، (٢٠١٧م) حروف الجر: وظائفها ومعانيها في الجملة العربية، دراسة نحوية صرفية تطبيقية في الربيع الأول من القرآن الكريم، بحث لنيل درجة الماجستير، مقدم إلى قسم اللغة العربية، جامعة شندي، العراق، ص٦.
- (٣٧) ابن منظور الأفرقي، المرجع السابق، ج٤ ص١٢٧، و الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، المرجع السابق ج١٠ ص٣٩٣ مادة جر.
- (٣٨) فتح الرحمن صديق حمد علي، ص٧.
- (٣٩) شادي مجلي عيسى سكر، معاني حروف الجر في القرآن الكريم، ص٣، وأحمد فليح، (٢٠١١م) حروف الجر ومعانيها دراسات نحوية، المركز القومي - عمان، ص١٥
- (٤٠) فاضل صالح السامرائي، الدكتور، (٢٠٠٠م) معاني النحو، ط١، دار الفكر عمان، ج٣ ص٥
- (٤١) الأنباري، عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد (١٩٦١م) الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٤، مطبعة السعادة، ج١ ص٩٩. و عاهد حسين عبد الله عياش، (٢٠٠٧م) الإضافة في شعر عنتر العبسي: دراسة نحوية دلالية إحصائية، رسالة مقدمة إلى قسم الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، للحصول على درجة الماجستير، في النحو العربي، ص١١.
- (٤٢) وقد تعهد المصنفون والباحثون الابتداء بالجرورات، يراجع: أريج بنت عثمان بن إبراهيم المرشد، (١٤٢٢) أم الباب في النحو: دراسة نحوية، رسالة مقدمة إلى قسم الدراسات العليا، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، للحصول على شهادة الماجستير، ص٨٩.

- (٤٣) عاهد حسين عبدالله عياش، المرجع السابق، وأحمد حسب الرسول محمد عبد الرحمن، (٢٠٠٦م) الإضافة عند ابن مالك وابن هشام، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، كلية الدراسات العليا جامعة الخرطوم، ص١٦
- (٤٤) يراجع: يحيى فاروق ثيوط، الدكتور، مراجعة: محمد الثاني خامس درما، الأستاذ الدكتور، قسم اللغة العربية، جامعة بايرو كنو، (٢٠٠٩م) الجوامع لأحكام التواضع، ط١، دار الأمة لوكالة المطبوعات كنو، القاهرة، ابن هشام، أوضح المسالك، المرجع السابق، ج٣ ص٢٩٥، وعباس حسن، النحو الوافي، ج٣ ص٣٤٣.
- (٤٥) كالإمام الزجاجي في شرح جملة، يراجع: قطر الندى وبل الصدى، ص٣٤٣، وابن عصفور الإشبيلي، المرجع السابق، ج١ ص١٩١، وهي عندهم: النعت والتوكيد والبدل والعطف.
- (٤٦) الفاكهاني، عبد الله بن أحمد النحوي، تحقيق: متولي رمضان أحمد الدميري، (١٩٨٨م) شرح كتاب الحدود النحوية، ص١٧٧ ونحوه، وهي الأربعة السابقة مع تقسيم التوكيد إلى اللفظي والمعنوية.
- (٤٧) زين الدين شعبان بن محمد القرشي، الأثاري، تحقيق: زهير زاهد، الدكتور، وهلال ناجي، الدكتور، (١٩٨٧م) ألفية الأثاري: كفاية الغلام في إعراب الكلام، ط١، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ص١٠٠، وهي: نعت وتوكيد لفظي وتوكيد معنوي وبدل وعطف نسق وعطف بيان.
- (٤٨) يراجع: مرتضى الإيرواني، الدكتور، الجر على الجوار في القرآن الكريم، ص٢، وقاسم محمد صالح، الدكتور، (٢٠٠٧م) ظاهرة الحمل على الجوار المنفصل في النحو، مقالة في المجلة الأردنية في اللغة العربية، وآدابها، المجلد ٣ العدد ٢، جامعة مؤتة، ص٣ وما بعدها.
- (٤٩) محمد محي الدين عبد الحميد، (١٩٣٧م) تنقيح الأزهرية، ص٢١٠
- (٥٠) قاسم محمد صالح، الدكتور، ظاهرة الحمل على التوهم في النحو، ص٣،
- (٥١) محمد محي الدين عبد الحميد، المرجع السابق، ص٢١٠
- (٥٢) محمد محي الدين عبد الحميد، (١٩٣٧م) المرجع السابق، ص٢١١.
- (٥٣) عبد الحسين المبارك، الدكتور، حروف الجر ومذاهب النحاة في استعمالها، ص١٣٥
- (٥٤) محمد طيب فانكا الناغوي، (١٣٦٩-٢٠٠٢م) حروف الجر وأثرها في الدلالات، ط١ كلية الدعوة الإسلامية الجماهيرية العظمى- طرابلس، ص٥١
- (٥٥) المرجع السابق نفسه، ص٥٢
- (٥٦) عباس حسن، (١٩٧٣م) المرجع السابق، ج٢ ص٣٣٩

- (٥٧) فتح الرحمن صديق حمد علي، المرجع السابق، ص٨ وما بعدها.
- (٥٨) ابن يعيش، المرجع السابق، ج٤ ص٤٥٤ ومارية حسن منصور سمارة، (٢٠١٠م) سقوط حرف الجر في اللغة سماعاً: دراسة نحوية، رسالة مقدمة إلى كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، للحصول على درجة الماجستير، ص٥٥، المبرد، المرجع السابق، ج٤ ص١٣٧، الزمخشري، أبو القاسم محمود ابن عمرو، (٢٠٠٤م) المفصل في علم العربية، تحقيق: فخر صالح قدارة، ط١، دار عمار للنشر والتوزيع، ص٢٨٨
- (٥٩) سيبويه، المرجع السابق، ج٢ ص١٤٧
- (٦٠) ابن يعيش، المرجع السابق، ج٤ ص٤٥٤ و عبدالله بن أحمد الخثران، (١٩٩٠م) مصطلحات النحو الكوفي: دراستها وتحديد دلالتها، ط١، هجر للطباعة والتوزيع والإعلام، ص١٢٠ باختصار. و علي محمود، (٢٠٠٧م) الحروف العاملة في الأسماء في المفضليات، بحث مقدم إلى قسم اللغة العربية جامعة الخرطوم، السودان، لنيل درجة الماجستير، وأحمد محمد خير، ص١١٩ باختصار. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، (١٩٨٤م) معاني القرآن. ط٣ عالم الكتب - بيروت، ج٢ ص٢٢٢
- (٦١) مارية حسن منصور سمارة، المرجع السابق، ص٥٥، الطبري، الإمام، (١٩٩٦م) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج١ ص١٣١، وابن يعيش، المرجع السابق، ج٤ ص٤٥٤.
- (٦٢) الفراء، المرجع السابق، ج٢ ص٢٢٢ بتصرف. ابن السراج البغدادي، أبوبكر بن محمد بن سهل، (١٩٩٦م) الأصول في النحو، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج١ ص٤٠٨، عمار محمود إسماعيل، الدكتور، (١٩٩٨م) الأخطاء الشائعة في استعمال حروف الجر، ط١، دار عالم الكتب، الرياض، ص٤٠-٤٢
- (٦٣) قال الفيروزآبادي: "اعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسئى، أو كماله في أمر من الأمور أما ترى أن كثرة أسماء"
- (٦٤) الأسد دلت على كمال قوته" يراجع: الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المكتبة الشاملة، ص٦١.
- (٦٥) عباس حسن، المرجع السابق، ج٢ ص٣٤٠، محمد حسن الشريف، المرجع السابق، ١/ش.
- (٦٦) سيبويه، المرجع السابق، ج١ ص٤١٩
- (٦٧) الجرجاني الشافعي، عبد القاهر عبد الرحمن بن محمد، (٢٠٠٩م) العوامل المئنة، ط١ دار المنهاج، المملكة العربية السعودية، ص٩٨

- (٦٨) الزمخشري، أبو القاسم محمود ابن عمرو، المرجع السابق، ص٢٨٨ وما بعدها.
- (٦٩) محمد طيب فانكا الناغوي، المرجع السابق، ص٥٣.
- (٧٠) الأنصاري، أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن هشام المصري، ج٢ ص٨٩، عبدالعزيز بن علي الحربي، (٢٠٠٣م) الشرح الميسر على ألفية ابن مالك في النحو والصرف، ط١، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، ص١٦٩. وابن عقيل، بهاء الدين عبدالله الهمداني المصري، (١٩٧٤م) شرح ابن عقيل، ط١ دار الفكر بيروت، ج٣ ص٣.
- (٧١) محمد طيب فانكا الناغوي، المرجع السابق، ص٥٣.
- (٧٢) الأشموني، المرجع السابق، ج٢ ص٢٨٣.
- (٧٣) أحمد بن عبد النور المالقي، (الإمام) رصف المباني في حروف المعاني، تحقيق أحمد محمد الخراط دار ابن خلدون ص٣٨٨.
- (٧٤) أبو حيان الأندلسي، تحقيق: رجب عثمان محمد، الدكتور، مراجعة: رمضان عبد التواب الدكتور، (١٩٩٨) ارتشاف الضرب من لسان العرب، ط١، مكتبة الخانجي القاهرة، ص١٧٠.
- (٧٥) محمد طيب فانكا الناغوي، المرجع السابق، ص٥٧.
- (٧٦) فتح الرحمن صديق حمد علي، المرجع السابق، ص١٣.
- (٧٧) فتح الرحمن صديق حمد علي، المرجع السابق، ص١٣.
- (٧٨) فتح الرحمن صديق حمد علي، المرجع السابق، ص١٣.
- (٧٩) عباس حسن، المرجع السابق، ج٢ ص١٣٣، ابن عصفور الإشبيلي، المرجع السابق، ج١ ص٤٨٢.
- (٨٠) عباس حسن، المرجع السابق، ج٢ ص٤٣٤، بابكر النورزين العابدين، (٢٠٠٨م) حرف الجر الزائد والشبيه بالزائد: دراسة نحوية، مقالة في مجلة العلوم والثقافة، المجلد ٩ العدد ٢، ص٤ باختصار، ومارية حسن منصور سمارة، المرجع السابق، ص٨-٩ باختصار، وهيفا عثمان عباس فدا، الدكتورة، (١٤٢١-٢٠٠٠م) زيادة الحرف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، ط١، مكتبة القاهرة للكتاب، القاهرة- مصر ص٢١-٢٥٩، محمد طيب فانكا الناغوي، المرجع السابق، ص٦٩ وما بعدها.
- (٨١) المرادي، المرجع السابق، ص٣٢ بتصرف.

## التجربة الشعرية لدى إسحاق شعيب الجيلي في قصيدته ((يوم لا أنساه))

إعداد:

### الدكتور سليمان إبراهيم غروما

المحاضر بالجامعة الفيدرالية، كاشيري، ولاية غومبي-نيجيريا.  
قسم اللغات، كلية الآداب والإدارة والعلوم الاجتماعية.

Phone No: +2348060037547\+2347011524937

Email address: gurumohbilal@gmail.com

### المستخلص:

إن الشعر في جوهره لم يكن إلا تعبيراً عن شعورٍ داخليٍّ من الأديب، وبدون شعوره العميق لا يصدر منه الشعر الراقى، لذلك يقال: "الشعر منبعه الشعور"، فالشعر كما في العبارة السابقة هو العامل الذي يدفع الشاعر إلى تعبيره الخارق، إلا أن الشعور وحده لا يُعتبر عملاً أدبياً ما دام كامناً ومضمراً في النفس، ولم يظهر في صورةٍ لفظيةٍ معيّنة. فالتجربة الشعرية بطبيعتها إذن، تعتبر عنصراً أساسياً، وعاملاً مهماً من العوامل التي يستعين بها الشاعر في خلق العمل الفني المتمثل في نصّه الشعري، والتي تجعل شعره يعكس صورة المجتمع أو الوجدان الذي يريده. يهدف هذا البحث إلى لفت أنظار القراء إلى الزوايا المتشعبة، بغية دراسة ما يتعلق بالتأثيرات التي تركتها التجربة الشعرية على البناء الفني للقصيدة المدروسة، من حيث اختيار الألفاظ المناسبة للتعبير عن التجربة، ومدى توافق معانيها وانسجامها مع شعور الشاعر، ثم مدى تلاؤم صورته الفنية مع تعبيراته في تلك التجربة. يتألف البحث من فقراتٍ: كانت الفقرة الأولى في تحديد أدوات التعبير عن عاطفة الشاعر، وذلك من خلال ألفاظه وتراكيبه، وقدراته على تصوير شعوره وتجسيده، وتوافق المعاني وانسجامها مع مشاعره. ونصّت الفقرة الثانية على



سمات العاطفة، من حيث الصدق والحرارة، أو الكذب والصدق، أو الهدوء والثورة. وانصبت الفقرة الثالثة والأخيرة على تناسق الموسيقى وتلاؤمها مع الجوّ العام للقصيدة. يخلص البحث إلى أن الشعور والتعبير هما زميلان متلازمان، يسيران دائماً جنباً إلى جنب، بل يشتركان في بناء النص الشعري، بحيث يصعب الفصل بينهما، لأنهما يكونان التجربة الشعورية التي تحدد الإبداع من الشاعر.

#### المقدمة:

الشعر هو الاستخدام الفني للطاقت الحسية والعقلية والصوتية للغة، ولغة الشعر هي الوجود الشعري الذي يتحقق في اللغة انفعالاً، وصوتاً، وموسيقى، وفكراً. فالشعر في جوهره ليس إلا تعبيراً عن شعور داخلي من الشاعر، وبدون شعوره العميق لا ينبع منه الشعر الصافي، لذلك يقال: " الشعر منبعه الشعور"<sup>(١)</sup>.

فالشعور كما هو في العبارة السابقة هو العامل الذي يدفع الشاعر إلى تعبيره الخارق، فالتجربة الشعورية بطبيعتها إذن، تعتبر عنصراً أساسياً، وعاملاً هاماً من العوامل التي يستطيع بها الشاعر كتابة نصه الشعري، والتي تجعل شعره عاكساً لصورة المجتمع أو الوجدان الذي يريده<sup>(٢)</sup>.

هذه المقالة بعنوانها التجربة الشعورية لدى إسحاق شعيب الجيلي في قصيدته "يوم لا أنساه"، أرادت تسليط الضوء على تلك القصيدة الغرامية للوقوف على هذه التجربة الشعورية فيها، ومدى تأثيرها في الشاعر، حتى نستطيع أن نصدر الحكم على تفاعل الشاعر مع هذه التجربة الشعورية صحةً وعدمهاً عند الدراسة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم

يرى الباحث معالجة هذه المقالة تحت النقاط الآتية:

- ما مفهوم التجربة الشعورية في الشعر العربي؟
- من الشاعر إسحاق شعيب الجيلي؟
- ما لون التجربة الشعورية عند الشاعر؟
- ما أثر التجربة الشعورية في البناء الفني للقصيدة؟
- نتائج البحث.
- الخاتمة.
- قائمة المصادر والمراجع.

### مفهوم التجربة الشعورية:

هي الموقف الذي تعرّض له الأديب وتأثر به، وتفاعل معه نفسيًا عبر أحاسيسه ومشاعره أولاً، وثقافته ورؤيته الفكرية ثانياً، ومن ثمّ الترجمة الصادقة لهذا الموقف عبر اللغة، والصور، والألفاظ، أي من خلال الصورة التعبيرية.

والتجربة الشعورية نوعان:

أ- تجربة ذاتية، ب- وتجربة إنسانية عامة.

أمّا التجربة الذاتية فهي التي يعبرّ من خلالها الأديب عن موقف خاص تأثر به وتفاعل معه. والتجربة الإنسانية العامة: هي ما يعبرّ فيها الشاعر عن موقفٍ عامٍ تعرّض له المجتمع، أو الوطن، أو الأمة.<sup>(٣)</sup>

وبعبارة أخرى، فالتجربة الشعورية هي: الحالة النفسية والعقلية التي يكون عليها المتحدث، أو الشاعر أو الكاتب ساعة إفراز العمل الأدبي، وهي تمرّ بجميع الناس، ولا يمكن أن نتصور إنساناً لم يمرّ بها؛ ولكنّ الفرق يكون بين آثارها والتعامل معها، وماذا تلامس أو تصيب عند ما تمرّ بإنسانٍ ما. فهي بمثابة طاقة نارية تصيب من أمامها، وهذا الذي أمامها هو بدوره قد يكون مشحوناً بمخزون عاطفي هائل، فتكون هذه الطلقة سبباً

في إبقائه وتعجيزه، ومن ثم يبرز هذا التفجير عملاً أدبياً رائعاً، يستمتع به قارؤه وسامعه بعد أن ضني به مبدعه<sup>(٤)</sup>.

وبعبارة أخرى، فالتجربة الشعورية هي العنصر الذي يدفع إلى التعبير ولكنها ليست هي العمل الأدبي، لأنها مادامت مضمرة في النفس ولم تظهر في صورة لفظية معينة فهي إحساس أو انفعال لا يتحقق به وجود العمل الأدبي<sup>(٥)</sup>.

وعند حسني محمد حسن عازل، تعدّ التجربة الشعورية اصطلاحاً أدبياً شاع في محيط الأدب والنقد منذ مطلع العصر الحديث، عند الشعراء المجددين والمحافظين، وخاصة عند شعراء الكلاسيكية الجديدة، الذين من نظرياتهم أن اشتراطوا في الشعر الجيد أن يصدر عن الشعور الصادق بالموضوع الذي ينظم فيه الشاعر شعره، والقدرة على صياغة هذا الشعور في ألفاظ واضحة، ذات إيقاعٍ موسيقيٍّ مناسبٍ<sup>(٦)</sup>.

وعند تحديد حسني لمفهوم التجربة الشعورية، استشهد بأبيات الشاعر محمود غنيم حيث قال:

ليس شعراً ما لم يكن عن شعور      \*\* وله من قرارة النفس راحي  
 ليس شعراً ما احتاج قراؤه في      \*\* فهم أهدافه إلى شراح  
 ليس شعراً ما جاء عن غير طبع      \*\* بعد طول اللجاج والإلحاح  
 إن من ينشئ القريض بلا طب      \*\* مع يغوص الوغى بغير سلاح  
 كل شعر أتى بغير عمود      \*\* عدّ في الشعر من قبيل المزاح<sup>(٧)</sup>

وعلى هذا، فالتجربة الشعورية تعدّ عنصراً هاماً في تأسيس الخواص المميزة والمتفردة للعمل الأدبي، ولا تمثل في حدّ ذاتها العمل الأدبي نفسه، ذلك أنها من مكونات النفس، ولا يصبح العمل أدبياً، إلا إذا كانت هذه التجربة تبين لنا الصورة الموحية، وتحدد لنا غايته التي يقصد إليها، وتجسد اللغة - في أي عملٍ فنيٍّ - رؤيةً إلى الحياة فتأتي مكثفة تحمل شحنات

من الفكر والعاطفة، وتتجاوز واقعا معيشا لتكشف لنا عالما آخر، وفضاءً حيًّا بالصور والأفكار والتدفقات الشعورية في تلاؤمٍ وتمسكٍ.

### التعريف بالشاعر:

هو الأخ الأستاذ إسحاق بن شعيب بن إلياس بن عبد الله، الملقَّب بـ "الجيلي" من مواليد أواسط السبعينيات بمدينة إلورن، عاصمة ولاية كوارا، نيجيريا. تلقى الشاعر القرآن الكريم على يد الشيخ عبد الوهَّاب أوكي أبيدي (OKE AGBEDE) في منطقة البطل الأجيكوبي بإلورن (BALOGUN AJIKOBI).

وبعد ذلك التحق بمدرسة دار العلوم، إسليكوتو، إلورن حاصلا على شهادتها المباركتين: الإعدادية سنة ١٩٩٣م والتوجيهية (الثانوية) سنة ١٩٩٦م. وعندما انتهى من مدرسة دار العلوم لم يدخر وسعا ولا طاقة في سبيل تحقيق مآربه العلمية فسافر إلى جامعة عثمان بن فودي، صكتو، للحصول على شهادة الدبلوم سنة ٢٠٠٠م. ثمَّ الليسانس بجامعة إلورن سنة ٢٠٠٥م، والماجستير ٢٠١١م، وهو الآن يحضّر الدكتوراه في الجامعة نفسها، متخصصا في الأدب العربي.

عمل مدرّسا بمدرسة دار العلوم من سنة ٢٠٠٠م إلى سنة ٢٠١٢م، ثمَّ كليّة دار الكتاب والسنة، غا-أكني، إلورن، من سنة ٢٠٠٧م إلى الوقت الراهن.

لقد تبوأ الشاعر عدة مناصب علمية في مختلف الميادين الأدبية حيث عُيّن سكرتيرا لهيئة التدريس بمدرسة دار العلوم ٢٠١٠م، ثمَّ أجمعت كلية دار الكتاب والسنة مديرا، وعميدا، وأساتذة على تعيينه (شاعر الكلية) لإجادته قول الشعر، رواية ودراية. وكان -أيضا- أول رئيس تحرير لمجلة طلاب اللغة العربية بجامعة إلورن، (النهضة) سنة ٢٠٠٥م. وخير شاهد على نبوغه في الشعر العربي وعملاقته فيه إقبال مجموعة من المجلات العربية في نيجيريا، ودار الإذاعة بولاية كوارا، على نشر بعض قصائده مثل "الآثار بجامعة صكتو"، و(النهضة)

السالف ذكرها، ومجلة الشيخ عالم بالورن. و"مجلة الرشاد بلاغوس"، وحصاد المأدبة بجامعة ولاية كوارا، وهكذا دواليك.

وله من الأعمال الأدبية ما لا يعد على أصابع. نذكر منها: دراسة تحليلية لقصيدة فلسطين تناديكُم والسباعيتين، ودراسة وتحليل للسباعيتين: ومقامات الحريري وشوقي وحافظ للدكتور عيسى ألي أبوبكر. وشعر الدعوة في ديوان عبد اللطيف الكبري الإلوري دراسة وتحليل. وهذا الديوان "الرياحين" <sup>(٨)</sup>.

### لون التجربة الشعورية عند الشاعر في قصيدة "يوم لا أنساه":

نعني بلون التجربة الشعورية هنا نظرة الشاعر إلى وجدانه في تحقيق وعيه الشعري، إذ هي الحالة النفسية الخاصة التي يكون فيها الشاعر مستغرقا بفكره وشعوره في موضوع تجربته، وهي تجربة ذاتية، لأن موضوع قصيدته عبارة عن ذكريات الحب التي فاجأته يوم نُعي إليه نأى معشوقته فاطمة، الأمر الذي حرّمه النوم، وأضنى جسمه، وأيقظ حبه الكامن، وأدخله في تلك التجربة النفسية، وذلك هو المؤثر النابع من أعماق الشاعر، والذي أوحى إليه وألهمه المعاني المتناثرة في قوالب أبياته، مما ينبى عن وجدانه، أو حالته التصويرية التي أحسها شاعرنا، أو عايشها معايشة عميقة، لأن المعنى الشعري - كما يقال - لا ينبثق إلا من الصور، ولا ينبع إلا في أشكاله التعبيرية.

والآن معنا تلك القصيدة أستعرض أبياتها التي يعبر فيها الشاعر عما يجول بصدوره من آماله الشخصية وكيانه الشعوري تجاه حبيبته المخطوبة.

### نص القصيدة:

** أمضّ قلبي بحرّ البين أمضاه	أنسيثُ يوما ولكن لست أنساه
** بينها المرّ، كان القلب يأباه	إذ جاء ناعي النوى إليّ يخبرني
** بالحب، والعشق يصلّى كلّ جذواه	ظللت أذكر أيامًا أراقبها

من بعد عقدِ بنارِ الحبِّ مضطرم      \*\* قلبي، وجسمي بالإضناء عاناه  
 يفاطم هل جزائي من لدنك قلى!      \*\* والوعد فيك لعرقوب شهدناه  
 صافيتك الودِّ والإخوان تعذلني      \*\* كعذل يوسف عن ذنب تحاشاه  
 وكلما طُوبت بالصهر تمنعني      \*\* ضنًا بإعطاء ذاك الحب مرماه  
 تأبى وراحت تداري تبتغي - طمعا      \*\* من ليس في قلبه حظٌ لمولاه  
 فارقني حين نفس الحبِّ لاذعة      \*\* بالسهر ليلا، وفي اشرباب عيناه  
 بانت ونفسي ولهي من صبابتها      \*\* كمثل حالة قيس من عرفناه  
 إن أنس في العمر شيئًا كنت أكرهه      \*\* فليس شأنك مما كنت أنساه<sup>(٩)</sup>

هذا هو نص القصيدة، ويمكن أن ندرك أن الشاعر قسّمها إلى مجموعات ثلاث، فالجموعة الأولى تدور حول خبر نأى حبيبته، وبعدها عنه، وبينها المرّ، وكيف كان القلب يأبى هذا النأى، وأنه لا يستطيع نسيان ذلك اليوم الذي جعله يذكر الأيام التي قضاها في سبيل حبها، الأيام التي بلغت عقداً من الزمان. استوفى هذه في ثلاثة أبيات. وفي المجموعة الثانية الحديث عن إعراض مخطوبته، وإخلافها الوعد، حتى كان وعد عرقوب مثلاً لمواعيدها، امتدت هذه المجموعة في أربعة أبيات، وتنصّ المجموعة الأخيرة على مفارقة معشوقته له، وكيف كانت نفسه لاذعة حتى أصبح ساهراً يسامر نجوم السماء وهو ولهان في صبابتها، وأنه لا ينسى شأن مخطوبته المعرضة عنه، ويمكن الوقوف على هذه الأشياء في الأبيات الثلاثة التي اختتمت بها القصيدة.

بدأ الشاعر المجموعة الأولى بالبيتين الآتيين ليعبر عن حزنه ولوعته، وما يعانیه داخل قلبه من الألم تجاه محبوبته فيقول:

أنسيت يوماً ولكن لست أنساه      \*\* أمض قلبي، بحرّ البين أمضاه  
 إذ جاء ناعي النوى إليّ يخبرني      \*\* ببينها المرّ، كان القلب يأباه<sup>(١٠)</sup>

استعمل الشاعر الفعل الماضي المبني للمجهول في قوله "أنسيْتُ" حيث حذف المسند إليه والذي هو الفاعل، ليعبر عن مدى رسوخ يوم بين محبوبته، وكأن هناك أناسا حاولوا إقناعه بضرب الذكر صفحا عن معشوقته التي ناءت عنه وفارقتة، لكنه ما استطاع إلى ذلك سبيلا، لذلك جاء قوله "ولكن لست أنساه" منطلقا لصورته الفنية. وجعلها رمزًا يستلهم منه الأحاسيس والمشاعر التي تجيش بها نفسه، وتؤثر في تأليف قصيدته، كما استخدم مفردات أخرى كلها تفيد رسم صورته الفنية، من بين هذه الكلمات: أمضّ قلبي، حرّ البين، أمضى، ناعي، النوى، المرّ، ياباه". وفي توظيف هذه المفردات استطاع الشاعر أن ينقل مشاعره إلى المتلقي ليشاطره في آلامه التي تداخله من جزاء مفارقة محبوبته له، ألا ترى كيف وظّف الشاعر كلمة "حرّ البين" ليطلع القارئ على التهاب نار البين في نفسه، وأن هذا النأي ما زال يضرم جذوته في قلبه، ويتقاطع هذا القلب حزنا ولوعةً، لذلك جاءت لفظة "أمضاه" في محلها، كما أن كلمة "ناعي" هي الأخرى تحمل جزالة خبر بعد محبوبته ورحيلها عن الشاعر، وفي نعت هذا البين بلفظة "المرّ" إيحاءً أن الشاعر قد أحدث البين في نفسه مرارة المذاق، لأنه لم يخطر بباله أن محبوبته ستبين عنه، لذلك أردف هذا بقوله "كان القلب ياباه"، وكأن هذا النأي حدث على حين غفلة منه. ثم إنّ الشاعر واجه قارئه في البيت الثالث بدوام ذكر الأيام التي قضاها حينما يراقب محبوبته بالحب المنقطع النظير، حتى لا تزال نار العشق تصلى جميع جوانحه جذوةً ووقودًا، وفي استخدام فعل: "ظللت" إشارة إلى أن هذه الذكرى طبقت وغطت قلبه حتى لم تدع مجالاً لأيّ شيء أن يطرأ عليه: "لأن مادة الظاء واللام أصل واحد يدل على ستر شيء لشيء، وهو الذي يسمى (الظل)، وكلمات الباب عائدة إليه<sup>(١)</sup>.

ظللت أذكر أيامًا أراقبها\* بالحب والعشق يصلى كل جذواه

كما أنه أسفر عن المدة التي قضاها في سبيل هذا الحب، حيث دامت تلك المدة لعشر سنين وهو يتبطن نار الحب، والجسم يعاني من الضنى الذي تعرّض له بسبب ما لاقاه من

معشوقته التي لم تُعره الإقبال والرضى، وفي استخدام اللفظة "عقد" ما يسمى بـ"الاقتصاد التعبيري"، لأنه لو عمد إلى استعمال "عشر سنين"، أو "عشر سنوات"، أو "عشرة أعوام"، لكان في ذلك إطناب؛ ولأجلّ بالوزن، كما أن في تلك اللفظة "عقد" ما يشبه عُقدًا جمع "عقدة"، لأن جميع المحاولات الودّية التي قام بها الشاعر تجاه حبّه كلها بمثابة العقدة والتي لم يفز بجلّها بل باءت فاشلة بنأي محبوبته.

من بعد عقد بنار الحب مضطرم \*\* قلبي وجسمي بالإضناء عاناه  
كلّ هذه الصور الفنية اتخذها الشاعر وسيلة إلى إثارة انتباه المتلقي ليشاطره ما عاناه من  
الآلام داخل قلبه.

ثم انتقل الشاعر بعد هذه المجموعة إلى لوحة أخرى، حيث راح إلى سرد ما يقاسيه من  
قبل معشوقته، من إعراضٍ، وإخلافٍ للوعد، وإبائه، وما كابده أيضا من عدلٍ ولومٍ من قبل  
الإحوة، وهي أيضًا صورٌ جميلةٌ يستحضرها الشاعر في الأبيات التالية:

يا فاطم هل جزائي من لدنك قلّي! \*\* والوعد فيك لعرقوب شهدناه  
صافيتك الودّ والإخوان تعذلي \*\* كعدل يوسف عن ذنب تحاشاه  
وكلما طولبت بالصهر تمنعني \*\* ضنًا بإعطاء ذاك الحسب مرماه  
تأبى وراحت تداري تبغني طمعا \*\* من ليس في قلبه حظٌ لمولاه<sup>(١٢)</sup>

يستغرب الشاعر ويتعجب من أمر معشوقته التي جعلت جزاء صاحبنا قلّي وإعراضا، مع  
كل ما بذل من الجهود لنيل رضاها، وهو يستنكر منها ذلك في استفهام تعجبي إنكاري،  
لأنه ما كان ليخطر بباله أنها ستتصرف مثل هذه التصرفات التي صدرت منها، لذلك  
يقول: "يا فاطم هل جزائي من لدنك قلّي"، وفي استخدام أسلوب الترخيم "يا فاطم" ما  
يوحي بتحسر الشاعر، وقلة حيلته، وفوات بغيته منها، كما أن تنكير لفظه "قلّي" هو  
الآخر من جوانب تجربته الشعورية، ويعبر عن عظم بلاء الشاعر، وخيبة رجائه، كما أن  
الشاعر لم يكن ليخفي الصفات المذمومة التي تحلّت بها حبيبته والتي منها الإخلاف



بالوعد، حتى كانت مواعيدها مثيلات لمواعيد عرقوب، وفي ذكر لفظ "عرقوب" تناص شعري، ذلك أن الشاعر استوحى عجر هذا البيت من قول كعب بن زهير حيث يقول:

كانت مواعد عرقوب لها مثلاً\*\* وما مواعيدها إلا الأباطيل

وفي استخدام كلمة "شهدناه" ما يوحي بأن الشاعر في الحقيقة مخلفٌ وعده، لأنه لو استعمل لفظ "عرفناه، أو علمناه" لأوهم هذا الاستعمال أنه قد لا يصدر الإخلاف من محبوبته إليه، لكنه عارف أنها مخلفة الوعد عن خيرٍ نما إليه فقط، ولكن تعبير "شهدناه" تنبئ أن الإخلاف جاوز حد الخبر، بل وقع فعلاً لصاحبنا.

ثم استطرد الشاعر قائلاً: إنه عامل مخطوبته بصفاء الود ونقائه، من دون مجاملة ولا مداراة، حتى إن بعض الإخوة من أصحابه بدأوا يرمونه بالعدل والعتاب، إلا أن المخطوبة قابلت كل هذه المحاولات بالامتناع، والصد، والإباء، بغيةً منها وطمعاً في الزواج من الذي تتقف بالثقافة الغربية، وهذا المعنى مستقى من قوله:

.... تبتغي-طمعا-\*\* من ليس في قلبه حظٌ لمولاه

وكأنها- حسب ما نشم في هذا العجز- لم تنظر إلى الشاعر ولم تقدّر بأنه مثقف بالثقافة العربية الإسلامية، لذلك لم ترض بعلاقته والتزوج به، مع أنّ شاعرنا أراد الزواج منها لتكون له زوجة ومربيةً لبيته، قد أدركنا هذا في قوله: "وكلمًا طُوبت بالصهر"...، فكلمة "الصهر" هنا تدلّ على الزواج، عمد الشاعر إلى هذه الكلمة بدلاً من غيرها من الكلمات، كالعقد التي لا يختل بها الوزن، ليعبر عن مدى تعمق حبه لصاحبته، ومدى جدّيته في اتخاذها زوجاً له. إذًا، فكلمة "الصهر" من الصور الواردة في هذه الأبيات، لأنه يمكن أن نسأل أنفسنا لماذا أثر هذه الكلمة "الصهر" على غيرها؟

وفي القسم الثالث بعد وصف الشاعر تصرفات محبوبته السيئة التي خيبت حبية في سماء رجائه، عاد ليخبر عن مفارقة المحبوبة له، وبينونتها التي أصبحت بما نفسه ولهى ولاذعة

بالسهر والحمى ليلاً، وأنه لا يزال يشرب لعله يفوز برؤيتها مرة أخرى، ويطمئن قبله، ولكن هيهات يرتب الزجاج إذا انقأى.

وأخيراً، يسجل الشاعر أنه مهما نسي كل ما يكرهه من الحياة، فإنه يصعب عليه نسيان محبوبته النائبة عنه.

فارقنتي حين نفس الحب لاذعة \*\* بالسهر ليلاً، وفي اشرباب عيناه  
إن أنس في العمر شيئاً كنت أكرهه \*\* فليس شأنك مما كنت أنساه<sup>(١٣)</sup>.

#### أثر التجربة الشعرية في البناء الفني للقصيدة:

إذا كانت اللغة الشعرية هي الانزياح عن لغة النثر باعتبار أن لغة النثر توصف بأنها لغة الصفر في الكتابة، والانزياح عنها يعدّ دخولاً في اللغة الشعرية التي تعني كل ما ليس شائعاً ولا عادياً ولا مصوغاً في قوالب مستهلكة، فالشعر إذاً، نشاط لغويّ ينهض على إعادة النظر في النظام اللغوي، والإمساك بما يتضمنه من قوانين توليدية تسمح بتمزيق ذلك النظام اللغوي المتعارف نفسه قصد خلق ذرى تعبيرية جديدة.

فالتجربة هي أسلوب الصياغة الذي يستخدمه الشاعر، وهو لغة الشعر. والمقصود بالأسلوب هنا هو جملة الوسائل المستخدمة من قبل الشاعر؛ من ألفاظ، وصور، وخيال، وعاطفة، وموسيقى والتي بتضافرها تكوّن لنا نسيجاً شعرياً، وعلى هذا، فإن اختيار الألفاظ الملائمة، وترابط الصوت مع المعنى فيها هو جزء من الطريقة التي يحقق بها الشاعر خياله، ليكون قادراً على إيصال تجربته الشعرية إلى المتلقي، وخلق جو صافٍ بين الشاعر وقارئه، وعلى هذا الضوء، فقد أسعفنا الأدباء والنقاد بوضع المقاييس النقدية التي يمكننا من خلالها تقييم تجربة الشاعر الشعرية للوقوف على ما في العمل الأدبي من البنية الفنية.

وتلك المقاييس هي: <sup>(١٤)</sup>

## ١/ تحديد أدوات التعبير عن عاطفة الشاعر:

إنّ الحديث عن أدوات التعبير عن عاطفة الشاعر يتجسد في النقاط التالية:

أ- الألفاظ وقدرتها في تحمل الطاقة العاطفية للتعبير.

معروف أن الألفاظ هي إحدى الدعائم الأساسية التي يقوم عليها بناء القصيدة، وإحدى الأدوات المستخدمة من قبل الشاعر لخلق نصٍّ معبّرٍ عن تجربته، ذلك أن لكل شاعر من الشعراء معجمه الشعري الخاص به، ولكل شاعر نظريته الخاصة لهذه الألفاظ والكلمات، فهو يخلق بينها مجموعة من العلاقات التركيبية والدلالية التي من شأنها أن تحقّق له المكنون الداخلي لذاته الشعري، وتنسج له جزءاً كبيراً من لغته الشعرية التي يتميز بها عن غيره، وإلا، كان شعره ترديداً لما يقوله. ففي النص الشعري المدروس كيميّة كبيرة من الألفاظ التي توحى بمشاعر الإعجاب والدهشة والاستغراب، مما أعرب بها الشاعر عن تحسره وتفجعه لفراق حبيبته له، حيث عمد إلى اختيار ألفاظ ذات روعة وجمال تظهر ثقافته، وتعرب عن براعته في الإبداع الفني، التي انطبعت بطابع أحاسيسه وعواطفه، وهي دالة على سعة أفق الشاعر المعجمي، حيث وقعت في محلها المناسب، مما أدخلها في الألفاظ الشريفة، إذ شرف اللفظ أن يقع في محله المناسب، مما يوحي بجمالية المعجم الشعري للشاعر. من بين هذه الألفاظ: البين- النوى - ناعي - أمض - العشق - قلى- تعذلي - يصلى - جذواه - تحاشاه - الصهر - لاذعة - ولهى - الحب - صبايتها- اشرباب - عقد- مضطرم - الإضناء - يأباه- المرّ.

وبالنظر إلى هذه الألفاظ يستطيع القارئ أن يدرك أنّها تخطت الدلالة اللغوية والمعجمية إلى معانٍ ودلالات جديدة، وخلقت الطاقات الشعورية الضافرة، بحيث كانت منسجمة مع الأفكار، ومرتبطة بعاطفة شاعرنا الذي كان موقفاً إلى حدّ كبيرٍ في اختيار ألفاظه، لعلمه أنّه يجب أن يتحلّى كاتب الخطاب الأدبي بمزيد من الدقة الانتقائية للكلمات، فيضع الكلمات في مكانها الصحيح وفق معناها للموضوع الهدف، حتى تتواءم

تلك الكلمة مع طبيعة الصورة التي تدخل ضمن إطارها، ومع سياقية المعنى الذي يسعى لإيصاله إلى المتلقي<sup>(١٥)</sup>.

### ب/ التراكيب وقدرتها على تحمل الطاقات العاطفية للتعبير عن مشاعره:

التراكيب أنواع متباينة؛ يكون منها تركيب أفراد و تركيب إسناد، غير أنه لا يهمننا هنا القسم الأول، أي تركيب الأفراد، والذي يعيننا في هذه العجالة هو النوع الثاني أي تركيب الإسناد، وذلك أن اللغة العربية تتكوّن من طبيعة إسنادية بالمسند والمسند إليه، فلا بد من وجود هذين العنصرين في تكوين الكلام العربي، وهو ما ينص عليه النحاة المحدثون بأنّه العنصر الأساسي الذي يتكون منه المستوى النحوي، إذ عنده يمكن تحليل التراكيب الإسنادية إلى مسند ومسند إليه. وهذا النمط التركيبي الإسنادي في العربية لا يختص بنوع واحد من الجمل، وإنما يختص بنوعيهما: الفعلي والاسمي، فإنّ أيّا من هذين النوعين يتكوّن من مسند ومسند إليه مع اختلاف في الترتيب<sup>(١٦)</sup>.

وفي هذا المنطلق، فإنّ الشاعر قد حاول محاولة جديدة في توظيف ما يسمى بالانزياح الإسنادي بنوعيه: الاسمي والفعلي في هذه القصيدة، وبما أنّه بالأمتثلة تتضح المقاصد، فسيحاول الباحث الإشارة إلى بعض هذه التراكيب الإسنادية الانزياحية فيما يلي من السطور.

يقول الشاعر مصوّراً حالته النفسية حين فارقته محبوبته:

من بعد عقدِ بنار الحب مضطرم \* قلبي، وجسمي بالإضناء عاناه

فارتنتي حين نفس الحبّ لاذعة \* بالسهر ليلاً، وفي اشترئاب عيناه

بانّت ونفسي ولهي من صبابتها \* كمثل حالة قيس من عرفناه<sup>(١٧)</sup>

لقد اشتملت هذه الأبيات على انزياحٍ إسناديّ ضمن علاقات المبتدئ والخبر في الجملة الاسمية، فجملة الشاعر في البيت الأول تقول: قلبي مضطرم بنار الحب، وجسمي عاناه

الإضناء، إلا أنّ الشاعر قدّم ما حقّه التأخير، وأخر ما حقّه التّقديم لنكتة بلاغية، وفي قوله: بنار الحبّ مضطرم قلبي.. قدّم الخبر مع متعلقه على المبتدأ، وذلك لتخصيصه بالمسند إليه، أي لقصر المسند إليه عليه، لأنّه أفاد أنّ اضطرام نار الحبّ إنما يكون في القلب مختص به، وكذلك الأمر في قوله: وفي اشترئ باب عيناه" وفي مجيء المبتدأ مقدما في قوله: "نفس الحبّ لاذعة، ونفسي ولهي" إشارة إلى عظمة ذلك المكان الذي أصبح لاذعا وولھانا من جزاء ما اكتنف الموضوع من حب وصبابة.

أما الجملة الفعلية الواردة من قبيل الانزياح الإسنادي في القصيدة فكقوله:

أنسيْتُ يوماً ولكن لست أنساه \*\* أمضّ قلبي بحر البين أمضاه  
 إذ جاء ناعي النوى إليّ يخبرني \*\* بينها المرّ كان القلب يآباه  
 ظللت أذكر أياما أراقبها \*\* بالحب، والعشق يصلّي كلّ جذواه  
 صافيتك الود والإخوان تعذليّني \*\* كعذل يوسف عن ذنب تحاشاه  
 وكلّما طولبت بالصهر تمنعني \*\* ضمنا بإعطاء ذاك الحب مـرماه  
 فارقنتي حين نفسي الحب لاذعة \*\* بالسهر ليلا، وفي اشترئ باب عيناه  
 إن أنس في العمر شيئا كنت أكرهه \*\* فليس شأنك مما كنت أنساه<sup>(١٨)</sup>

لقد فطن الشاعر إلى السّر الكامن في الجملة الفعلية من حيث بلاغتها وفنيتها، لذلك عمد إلى استخدامها وتوظيفها في هذه القصيدة، ونرى شاعرنا لا يقف عند حدود الفعل المضارع فقط، بل استعمل الماضي فأفرز فيه روح الاستمرار والتجدد، على نحو قوله: "صافيتك الود"، في هذه الجملة يقرر الشّاعر أن علاقته الودية مع محبوبته لم تنقطع، بل ما زال صفاء حبه ومحبته لها، قائما على قدم وساق معنويين، ولكنه وجد نفسه في دهشة وحيرة شديدة لما وصل إليه خبر بينها الأليم، لذلك عدل إلى استعمال الفعل الماضي بدلاً من المضارع، ومن قبيل ذلك قوله في البيت الأول: أمضّ قلبي" أتى بالفعل الماضي لكن المعنى للمضارع.

وفي استخدام الفعل الماضي الرباعي المبني للمجهول في قوله: " أنسيثُ " نكتة بيانية، ذلك أن الشاعر قد بلغ منه العشق والحب كل مبلغ، حتى لما بانته عنه معشوقته لا تزال نار الود تلتهب في جرشيه، وكأن هناك أناسا يحاولون إنسائه قضية معشوقته التي فارقت من غير إيذان، ويمكن أن نقف على هذا الادعاء عندما قال:

صافيتك الود والإخوان تعذلني\*\*...

فجملة "والإخوان تعذلني" تدلّ دلالة سافرة على أن هذه المجموعة من الإخوان قد حاولوا قدر إمكانهم تصبيره وإقناعه بالتفويض.

ومن الملاحظ أنّ شاعرنا عفيف النفس، منضبط الجأش، وأنّه غير راكن إلى الفواحش، وذلك ناتج في استخدامه لهذه العبارة " وكَلِّمًا طولبتُ"، فالفعل الماضي "طولبت" دليل على أنّ الشاعر لم يكن ليهلك الحرث والنسل بالفحشاء، بل اتبع الحقّ من ربّه بطلب رضى محبوبته وقبولها، وفي الوقت ذاته، فإنّ مجيء ذلك الفعل مبنيًا للمجهول إشارة ودليل على حياء الشاعر.

وأحيانا أخرى يعدل الشاعر إلى الاستمرار والتجدد، كما في قوله:

وكَلِّمًا طولبت بالصهر تمنعني\*\* ضنا بإعطاء ذاك الحب مرماه

إذ كانت محبوبته لا تزال تتركب متن المنع والإعراض، إصراراً على عدم قبولها ورضاها لطلب الشاعر، ومن قبيل ذلك قوله..... والإخوان تعذلني

وقد يخرج المضارع من الاستمرار والتجدد إلى معنى الفعل الماضي كما في قوله:

تأبى وراحت تداري تبتغي طمعا " فالفعل " تأبى " وإن كان مضارعاً في الصورة، لكنّه ماضٍ في المعنى بقريئة الفعل الذي يليه "راحت". وكذلك قوله: أذكر أياماً أراقبها "ففعل" أراقبها" جاء في صورة المضارع، إلّا أنّه حاملٌ معنى الماضي لقريئة "أياماً" التي هي الفترة الزمنية التي خلت.

ومما يلاحظ أيضاً التشبيه الوارد في قوله:

صافيتك الود والإخوان تعذلي\*\* كعذل يوسف عن ذنب تحاشاه  
 بانث ونفسي ولهى من صبايتها\*\* كمثل حالة قيس من عرفناه<sup>(١٩)</sup>  
 كان الأديب حراً طليقاً في تخير ما يلائمه من صور التشبيه التي تثير الانفعال والوجدان  
 والعاطفة، فالشاعر هنا استخدم التشبيه الجمل في هذين البيتين، وذلك بذكر أداة التشبيه  
 في كليهما، ليخلق جواً صافياً لتجربته الشعورية.

كما أنه تفنّن في الالتفات، من الخطاب إلى الغيبة حيناً، ومن الغيبة إلى الخطاب مرة  
 أخرى، على نحو ما نلمس في الأبيات الآتية:

صافيتك الود والايخوان تعذلي\*\* كعذل يوسف عن ذنب تحاشاه  
 وكلما طولبت بالصره تمنعني\*\* ضنا بإعطاء ذاك الحب مرماه  
 بانث ونفسي ولهى من صبايتها\*\* كمثل حالة قيس من عرفناه<sup>(٢٠)</sup>

في البيتين الأولين بلاغة الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في كلمتين: صافيتك وطولبت،  
 بين كاف المخاطبة والتاء الساكنة، "ضمير الإناث"، وفي البيتين الأخيرين الالتفات من  
 الخطاب إلى الغيبة في كلمتي فارقتني وبانث، كل هذا يحدث صوراً فنية في العمل الأدبي.

### ج/ الترابط بين ألفاظ القصيدة والشعور العاطفي:

لقد أسفر الشاعر الجيلي عن قدرة كبيرة على التوفيق والربط بين ألفاظه وتراكيبه ومعانيه  
 التي أراد أن يعبر بها، فقد وُفق إلى حد بعيد في انسجام هذه التراكيب مع شعوره، واتساقها  
 مع انفعاله، متوحّدة مع المواقف والحوادث التي قيلت فيها القصيدة، كل هذه ظهرت جلية  
 فيما عرضه الباحث من ألفاظ الشاعر التي تمثلها الأبيات الآتية:

أنسيت يوماً ولكن لست أنساه\*\* أمضّ قلبي بحر البين أمضاه  
 إذ جاء ناعي النوى إليّ يخبرني\*\* بينها المركان القلب يـأباه  
 ظللت أذكر أياماً أراقبها\*\* بالحب والعشق يصلى كلّ جدواه

من بعد عقد بنار الحب مضطرم\*\* قلبي وجسمي بالإضناء عاناه  
يا فاطم هل جزائي من لدنك قلى\*\* والوعد فيك لعرقوب عرفناه  
فارقنتي حين نفس الحب لاذعة\*\* بالسهر ليلا، وفي اشرباب عيناه  
إن أنس في العمر شيئا كنت أكرهه\*\* فليس شأنك مما كنت أنساه<sup>(٢١)</sup>

## ٢ / سمات العاطفة من حيث الصدق والحرارة، أو الكذب والسطحية أو الهدوء والثورة:

كثيراً من شعراء نيجيريا تغزلوا بمحبتهم وإن كان الغزل الذي قيل في هذا النوع تقليدياً، لأنهم تطرقوا إليه استجابة لوجدانهم الشعري، وحبا لتقييد خواطهم، والقليل الذي نُظم إنما هو محاكاة لهذا الفن، ومن الذين تطرقوا إلى هذا الفن الشاعر الجيلي الذي كنا بصدد دراسة قصيدته الغزلية.

كانت عاطفة الشاعر في هذه القصيدة صادقة وملتزمة بنوع من الهدوء، وهذا راجع إلى رقة ألفاظ القصيدة وعدوبتها، وتميل تلك العاطفة إلى الحب العفيف الطاهر بالمعشوقة، لأن المعاني الواردة فيها لا تتعرض لأوصاف الجسم المحسوسة، وفي الوقت نفسه، نلاحظ حرارة العاطفة في هذه القصيدة النابعة من أعماق قلب المستهام بسبب فراق محبوبته، وإعراضها عنه، وعدم قبولها له، مما يجعله لا ينسى يوماً نما إليه خبر فراقها، ومع كل هذا، استطاع الشاعر ببراعة ألفاظه، ونصاعة تراكيبه، أن يبدع لنا في أعذب معانيه وصوره التي أخذت بنا إلى لحظة نستشعر بها صدق عاطفته ومشاعره عن حبه العميق لمعشوقته. كما أن أسلوبه لا يعرف الخشونة ولا التعقيد اللفظي، وأنه لا يخرج عن نطاق الأدب الإسلامي.

## ٣ / تلاؤم الموسيقى مع الجو العام للقصيدة:

إذا كانت موسيقى الشعر تعني مراعاة التناسب في أبيات القصيدة بين الإيقاع والوزن بحيث تتساوى الأبيات في عدد المتحركات والسواكن المتوالية، مساواة تحقق في القصيدة ما



يُعرف بوحدة النغم، فقصيدته "يوم لا أنساه" للشاعر إسحاق الجيلي اختار لها صاحبها لونا من ألوان الموسيقى الداخلية، حيث إنّ الامتدادات الصوتية التي عبّر عنها بكلماته تحتوي على أكبر قدر ممكن من حروف قافيته بنغمة الحبّ والمودة، مما استحوذت على لب الشاعر جماليّتها.

ثمّ إنه استخدم في قصيدته ما يسمى بالبيت المقوّى في علم العروض، "وهو ما اتفق فيه عروضه وضربه"<sup>(٢١)</sup>، حيث جاء في مطلع القصيدة:

أنسيت يوما ولكن لست أنساه \*\* أمضّ قلبي بحر البين أمضاه

أمّا موسيقى هذه القصيدة الخارجية فكانت واضحة المعالم، وذلك في اختيار بحر البسيط الذي هو ذو تفعيلات طويلة، وهو مناسب لمشاعر الشاعر المتدفقة، ويتميز بموسيقيته المنطلقة التي تطرب لها أذن المتلقي، والذي يحمل في طاقاته وهجا.

أمّا من حيث القافية فإنها جاءت مطلقة بروي الهاء المضمومة وقبلها ألف، وهذا الروي مع حركته (الضمة) يوحي بأنّ الشّاعر مغلوب على أمره بفراق حبيبته، وكأنه فوّض أمره إلى خالقه، لأن الهاء في اللغة العربية كما وردت في المعجم الوسيط تأتي بمعنى التلبية (مبنية على الفتح)، تنادي فلانا فيقول لك: هاء، أي لبيك.<sup>(٢٢)</sup>. ولأنّ النطق بالضمة يتطلب رفع الحنجرة وامتداد الصّوت، وكذلك يمكن أن نستخرج من اختيار هذا الروي كون الشاعر باكيا، وإن لم تسل الدموع فيما كتب، ولكن الهاء المضمومة عند النطق بها تظهر فكأن الناطق بها يبكي.

وكما أن تكرر حرفي السين والباء في المطلع في ست كلمات عنصر كبير من الموسيقى الداخلية الذي أكسب البيت أو القصيدة جرسا ممتعا ونغمة متوحدة ومتكررة في الحرفين: السين في كلمات أنسيت - لست - أنساه، والباء، في كلمات قلبي - بحر - البين، فهذا ما يطلق عليه المحدثون بـ الإيقاع.

وعلى هذا، فإن موسيقى هذا النص الأدبي قادرة على التطريب والتأثير في المتلقي وفي تحريك مشاعره وعواطفه.

#### ٤ / أثر العاطفة في المتلقي وقدرة الشاعر في نقل مشاعره إلى المتلقي:

حقيقة، لقد تميز الشاعر الجليلي بمهارته وتصويره البياني، حيث كان لتلك الصور إسهامات في توضيح معانيه وتوكيدها وإثارة خياله فينا، كما أسهمت هذه الصور في الكشف عن شخصية الشاعر الرقيقة العفيفة، الشحضية التي تُؤثر السّلم على الفوضى، واستطاع بوسائله السابقة من ألفاظ، وتراكيب، ومعان، أن ينقل إلينا شعوره بكل بساطة، فجعلنا نعيش معه حالاته الانفعالية عن طريق عمله الإبداعي، فمن ثمّ يسعنا الحكم على مشاعر الشاعر وعاطفته بأنها صادقة.

#### الخاتمة:

إن المتأمل في هذه القصيدة المدروسة يجد أن الشاعر الجليلي مليء بالانفعالات النفسية والعاطفية المتدفقة، واللغة الرفيعة، والصور الحية التي تفسح عن مقدرته على إخراج ما تجيش به نفسه من معاني أبياته. فهذه المقالة استهلّت بالمقدمة، مارة إلى مفهوم التجربة الشعرية في الشعر العربي، ثمّ الحديث عن لون التجربة الشعرية عند الشاعر، وصولاً إلى أثر هذه التجربة في البناء الفني للقصيدة مع الإشارة إلى أثر العاطفة في المتلقي والكلام عن موسيقى القصيدة. وفي نهاية هذه الدراسة توصلت الباحثة إلى النتائج الآتية:

(١) أن الشعر العربي النيجيري قد أصابه التطور والازدهار وأصبح ينافس العمل الفني المنتج في البلدان العربية.

(٢) أن التجربة الشعرية مصطلح نقديّ أشار إليه نقاد العرب القدامى لمأماً، وإن لم يستوعبوا بوعي نظري كامل معالمة، بينما اتخذوا النقد مدخلاً أساسياً لتعريف الشعر.

- (٣) أن غزل الشاعر الجيلي غزل عفيف، لأنه لم يتطرق إلى ذكر أوصاف محبته المحسوسة.
- (٤) وأنه رقيق الطبع، عفيف النفس، مما انعكس على إنتاجه هذا، وظهرت فيه ملامح الرقة والعفة في اختيار ألفاظه، وفي صوغ تراكيبه.
- (٥) وأنه استطاع أن يعبر عن شعوره النفسي في قالب الصدق الفني، حيث قد أحسن اختيار الألفاظ الملائمة، والتراكيب الصحيحة لنقل شعوره إلى المتلقي.

### الهوامش:

- (١) الفلاحي، أحمد علي إبراهيم. الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري دراسة اجتماعية نفسية، ط ١، ٢٠١٣، عمان، دار غيداء للنشر والتوزيع. ص ٢٦٥.
- (٢) جامعه ولاية بوتشي، غطو، نيجيريا، مجلة الآفاق، المجلد الثاني، العدد الأول، ٢٠١٧ م، ص: ١
- (3) www.Facebook.com 10/01/2020
- (٤) سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، بيروت- لبنان، ص: ١.
- (٥) حسني، محمد حسن عازل، تيارات ومذاهب أدبية حديثة، المصرية لخدمات الكمبيوتر، غير مؤرخ، ص. ٢٨٣.
- (٦) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- (٧) الجيلي إسحاق شعيب، ديوان الرياحين، ط ١، مطبعة الحسيني للنشر والتوزيع، (٢٠١٨م)، صفحة الغلاف.
- (٨) الجيلي، المرجع نفسه، ص: ١٢٤.
- (٩) الجيلي: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- (١٠) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ص: ٣٥٤.
- (١١) الجيلي: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- (١٢) الجيلي: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- (١٣) باشا، مهجة أمين، شعر الزهد في العصر العباسي، شرع للدراسات والنشر والتوزيع، (٢٠٠٢م)، ص. ١٢٠.

- (١٤) مندور، محمد. (٢٠٠٣) في الميزان الجديد، دار نهضة، مصر، للطباعة والنشر، القاهرة مصر، ط ١، ص: ٤٠.
- (١٥) عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ط ٣، ص: ١٩٠.
- (١٦) الجيلي: المرجع السابق- ص: ١٦٤.
- (١٧) الجيلي: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- (١٨) الجيلي: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- (١٩) الجيلي: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- (٢٠) الجيلي: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- (٢١) أسليجو، عبد الرفيع عبد الرحيم، الميزان الوافي في العروض والقوافي، ط٤، ٢٠١٦م\١٤٣٧هـ، ص: ٣٠.
- (٢٢) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المرجع السابق،

**التناص مع الحديث النبوي الشريف في شعر العلامة الأستاذ عبد الله بن فودي**

إعداد

**كبير عيسى**

قسم اللغة العربية كلية يوسف بلا عثمان دورا  
[kabirisa748@gmail.com](mailto:kabirisa748@gmail.com) ; 08027745369

و

**يحي بلّوا**

قسم الدراسات الدينية جامعة ولاية غمبي  
[yahyabello17@gmail.com](mailto:yahyabello17@gmail.com) ; 07037901474

و

**منتقى أبوبكر محمد**

قسم اللغة العربية كلية يوسف بلا عثمان دورا  
[muntakaabubakarmuhammad@gmail.com](mailto:muntakaabubakarmuhammad@gmail.com) ; 08026795811

**مستخلص البحث:**

التناص ظاهرة حديثة لها جذور في الأدب والنقد القديمين، حيث تأتي هذه الكلمة في المراجع القديمة بمعنى الاتصال والظهور والتحريك والخلخلة والجمع والتراكم والاستقصاء والانقباض والازدحام، حيث كان هذا المعنى الأخير قريبا من مفهومه الحديث الذي يشير إلى تداخل النصوص فيما بينها، أو بعبارة أخرى يشير إلى تفاعل وتفعيل وتأثر وتأثير بين النصوص. تهدف هذه المقالة إلى تتبع شعر العلامة الأستاذ عبد الله بن فودي للوصول إلى الأماكن التي أثر فيها الحديث النبوي الشريف لإبرازها وتحليلها وربط العلاقة بين النص المتناص والمتناص منه، مما يدل على أن الأستاذ عبد الله كان راسخ القدم في الثقافة الإسلامية خصوصا فيما يتعلق بالحديث النبوي الشريف، ويدل ذلك على أن أدبه لا يقتصر على النهل والعل من الثقافات اللغوية بل نهل وعلّ

كذلك من الثقافة الإسلامية المختلفة وبالأخص من الأحاديث النبوية الشريفة. وينتج هذا المقال أن وجود ظاهرة التناس بالحدِيث النبوي الشريف في شعر العلامة الأستاذ عبد الله بن فودي، مما يدل على المزاولة القديمة والمستمرة من قبل هذا الشاعر، وكذلك التأثير القوي بهذه المائدة الكبرى التي يتمنى كل مسلم أن يملأ بطنه منها، وهذا يدل على أن العلامة الأستاذ عبد الله بن فودي وضع للاحقين منهاجاً راسخاً في صناعة الشعر العربي الذي يساعدهم في الإنتاج الشعري مما يوجد علاقة وثيقة بين دينهم وأدبهم.

#### المقدمة:

الحمد لله وكفى والسلام على عباده الذين اصطفى وبعد: فمنذ أن وطئ العرب والمسلمون بأقدامهم هذه البلاد واعتنق أهلها ومعه اللغة العربية التي تحمل رسالته وتعاليمه، وصار التثقف بها شرط أساسي لفهم الدين مما يؤهل الإنسان بأن يكون عالماً وشيخاً في آن واحد، من ذلك الحين صار الشيوخ ورجال الدين في هذه البلاد يقومون بصناعة الشعر العربي وممارسته بعد ما قاموا به من الجهود المضيئة والتضحية بكل نفس ونفيس في دراسة القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وسائر الكتب الدينية للوقوف على أسرار هذه اللغة وتذوقها، مما ساهم في شحذ قرائحهم فأنتجوا أشعاراً عربية أثرت هذه الينابيع الإسلامية فيها بكل وضوح.

وتهدف هذه المقالة دراسة ظاهرة التناس مع الأحاديث النبوية في شعر العلامة الأستاذ عبد الله بن فودي، للوقوف على كيفية التأثير مع النصوص المتناس منها؛ ثم إلقاء الضوء على حياة هذه الشخصية، كما تذكر شيئاً عن التداخل بين التصوص الذي اصطلح عليه العلماء بالتناس، وترد ذلك بذكر شيء من الأثر الذي تركه الحديث النبوي الشريف على شعر العلامة الأستاذ عبد الله بن فودي، ويكون ذلك في المحاور التالية:

- المحور الأول: التعريف بالعلامة الأستاذ عبد الله بن فودي.
- المحور الثاني: نبذة عن تداخل النصوص فيما بينها (التناص).
- المحور الثالث: تحليل نماذج من ظاهرة التناص مع الحديث النبوي الشريف في شعر العلامة الأستاذ عبد الله بن فودي.

### المحور الأول: التعريف بالعلامة الأستاذ عبد الله بن فودي:

هو العلامة الأستاذ عبد الله بن محمد فودي؛ وكلمة فودي في اللغة الفلانية تعني: (الفقيه)، يصل نسبه إلى موسي جُكُل (Musa) Jokolo، وجُكُل هذا من زعماء قبيلة توردي (Torod-be) الفلانية، هاجروا نحو الشرق من فُوتَ تُوُرو (Futa Toro) من بلاد السنغال لوقت قديم ثم هاجروا منها إلى كُنَّ (Kwanni) من بلاد الهوسا، ولما واجهوا الأذى من ملك البلدة - محمد دِمَكْ - هاجروا منها إلى غوبر (Gobir)، وذلك في القرن الثالث عشر الميلادي<sup>(١)</sup>، ويكنى الشيخ عبد الله بن فودي (أبي محمد)، وقيل يكنى بأبي موسى<sup>(٢)</sup>.

وأمه حواء بنت محمد بن عثمان بن حم بن عال بن جب بن محمد سمبو بن ماسران بن بُوب بن موسي جُكُل، وكلا أبويه من أبناء عثمان بن تردب بن عقبة بن نافع. ويلقب علمنا هذا بنادرة الزمان، وعربي السودان، وعلامة السودان؛ ذلك لأنه استطاع أن يقوم بالمجهودات الجبارة والإسهامات القيمة والإبداعات الرائعة في مجالات العلم والأدب والجهاد<sup>(٣)</sup>.

ذكر الدكتور علي آدم أبو البشر<sup>(٤)</sup> بأن أصلهم يرجع إلى نصارى الروم؛ وذلك عندما وصلت جيوش الصحابة فآمن ملكهم وتزوج بنته عقبة بن نافع الصحابي المجاهد، فولدت له أولاداً كانوا أصل القبيلة الفلانية المشهورة، وأرجع محمد بلو أصلهم إلى اليهود أو النصارى معاً حيث قال: "وأما التورود فقيل إنهم من اليهود وقيل إنهم من النصارى"<sup>(٥)</sup>،

ويرى بالوغن (Balogun) بأن أصلهم يرجع إلي الجنس الحامي وأكد أيضاً بأن هناك نظريات أخرى ترى أنهم من أصل فارسي أو هندي<sup>(٦)</sup>.

اختلف الناس في تاريخ ولادة الأستاذ عبد الله بن فودي كما اختلفوا في مكان ولادته، غير أنهم اتفقوا على أنه ولد في إمارة غوبر<sup>(٧)</sup>، أما بالنسبة للمكان أو البلدة التي ولد فيها، فمنهم من ذهب إلي أنه ولد في مَرْتُون<sup>(٨)</sup>، وذهب آخرون إلي أنه ولد في "مَعَم"<sup>(٩)</sup>، وقيل في طَعْل<sup>(١٠)</sup>، وقيل غير ذلك<sup>(١١)</sup>.

وأما سنة ولادته فإنه ولد في سنة ١١٨٠هـ=١٧٦٦م علي أكثر الروايات وأقرها إلي الصحة؛ وذلك لما ذكره الشيخ عبد الله بنفسه في تزيين الورقات بأن ما بينه وبين أخيه الشيخ عثمان اثنا عشر عاماً: "وذلك قريب لما بيني وبين الشيخ من الأعوام إذ بيننا اثنا عشر عاماً"<sup>(١٢)</sup>، فمن المعروف عند المؤرخين أن الشيخ عثمان ولد سنة ١١٦٨هـ=١٧٥٤م، من هذا التاريخ يبدو أن لا تعارض بينه و بين ما ذكره الشيخ عبد الله، وهناك رواية أخرى ذهبت إلي أن الشيخ عبد الله ولد في جمادى الآخر سنة ١١٧٧هـ وذلك في عهد السلطان باباري<sup>(١٣)</sup>، وهناك رواية ثالثة تميل إلي أنه ولد سنة ١١٩٧هـ<sup>(١٤)</sup>.

نشأ الأستاذ عبد الله في بيت عريق متصف بالصلاح والتقوى، كما نشأ في بيئة تتسم بالعلم والدين ملتزمة بأوامر الله متمسكة بدينه. كان الشيخ في بداية طلبه تتلمذ عند والده حيث تعلم القراءة والكتابة، ولما بلغ الثالثة عشرة من العمر لزم أخاه الشيخ عثمان لمواصلة السير في التعلم، حيث درس الشيخ عبد الله عند أخيه كل الكتب المعروفة في المنطقة في الفقه والتوحيد والتفسير واللغة والنحو وغيرها<sup>(١٥)</sup>.

ومما تلقاه الشيخ عبد الله من أخيه علم التفسير، لازمه حيث ختم القرآن من فاتحته إلى خاتمته، ومن الجدير بالذكر أنه لم يلتزم كتاباً بعينه عندما يتعلم منه التفسير<sup>(١٦)</sup>، أخذ منه كتباً وعلوماً كثيرة يقال: إنه نقل عن الشيخ عثمان جميع مؤلفاته<sup>(١٧)</sup> ثم لازمه طويلاً وشاركه في الجهاد في سبيل نشر الدعوة، أخذ بعد الشيخ عثمان عن أساتذة كثيرة تمكنوا في فنون



العلم والمعرفة، منهم ابن خالته محمد بن محمد، أخذ عنه مقامات الحريري وغيرها من الكتب، كما أخذ من عمّه وخاله عبد الله بن محمد بن الحاج الحسن كتباً كثيرة أغلبها في النحو، كما تتلمذ علي يد إبراهيم البرنوي حيث أخذ عنه بعض الكتب في علم العربية. كذلك أخذ عن محمد بن عبد الرحمن المعروف ب(مَج)؛ حيث أخذ الخلاصة من أولها إلى آخرها، كما أخذ عن غير هؤلاء من العلماء حتى أنه ذكر الشيخ عبد الله بأنه ما من عالم أو طالب أتى من الشرق أو الغرب إلا استفاد منه بما لا يحصى<sup>(١٨)</sup>.

وبعد هذه الحياة الحافلة بالأخذ الطويل من العلماء المتضلعين خلف الأستاذ عبد الله وراءه تلامذة لامعة في سماء العلم والثقافة العربية والإسلامية؛ ولهذا فقد ذكرت المراجع أنه يبلغ عدد طلاب الشيخ عبد الله ومريديه سبعة وخمسين<sup>(١٩)</sup> منهم: ابن أخيه محمد بلو ومحمد البخاري وأسماء بنت الشيخ عثمان وعلي بن عبد الله بن فودي ومحمد مود والحاج سعد والقاضي سعد وهو متضلّع في اللغة والفقه، والوزير غطاط Gidado بن ليم وكان وزيراً للشيخ عثمان ولابنه محمد بلو وحفيده عليّ بابا Babba له مؤلف سماه: (أنيس الجليس في مناقب عثمان وأخيه وابنه)، وكثير غير هؤلاء.

كما كان الأستاذ عبد الله مجاهداً في الجيش الإسلامي الذي كوّنه الشيخ عثمان؛ كذلك كان كاتباً ومؤلفاً ألف في الفنون العلمية المختلفة؛ من العلوم الدينية واللغوية والأدبية ومن مؤلفاته:

- ١ - تزيين الورقات بجمع بعض ما لي من الأبيات ٢ - البحر المحيط ٣ - الحصن الرصين ٤ - ضياء التأويل في معان التنزيل، وهو تفسير للقرآن الكريم ٥ - كفاية ضعفاء السودان، وهو تلخيص لضياء التأويل ٦ - ضياء السياسة ٧ - ضياء الحكام ٨ - الفرائد الجليّة ووسائط الفوائد الجميلة في علوم القرآن ٩ - إيداع النسخ من أخذت من الشيوخ ١٠ - ألفية الأصول ١١ - فتح اللطيف الوافي لعلم العروض والقوافي وغيرها كثيرة، فقد ذكر الدكتور ثاني موسى أياغي ما يربو على تسعين مؤلفاً في الفنون العلمية المختلفة<sup>(٢٠)</sup>.

بعد هذه الحياة المليئة بالعلم والتعليم والإنتاجات العلمية والأدبية في مجالات شتى وفي موضوعات مختلفة، انتقل العلامة الأستاذ عبد الله بن فودي إلى رحمة ربه سنة ١٢٤٤ هـ الموافق ١٨٢٩م<sup>(٢١)</sup>، ودفن في بلده ومكان رباطه غوندوا (Gwandu)) رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه.

### المحور الثاني: نبذة عن تداخل النصوص فيما بينها (التناس):

تعددت تعريفات مصطلح التناس واختلفت تأويلاته كمفهوم نشأ في البلد الأوربي، وأول من عرفته هي (جوليا كريستيفا) البلغارية، حيث عرفته بقولها: "أحد مميزات النصّ الأساسية التي تحيل على النصوص الأخرى السابقة عنها والمعاصرة لها"<sup>(٢٢)</sup>، ومن الجدير بالذكر أنّ تعريف جوليا لهذا المصطلح يختلف من فترة لأخرى، فمثلاً في عام ١٩٦٩م في بحث لها بعنوان "أبحاث من أجل تحليل سيميائي" عرفته بقولها: "هو تقاطع عبارات مأخوذة من نصوص أخرى"<sup>(٢٣)</sup>، وفي سنة ١٩٧٦م عرفته في كتابها (نصّ الرواية) بقولها: "هو التقاطع والتعديل المتبادل بين وحدات عائدة إلى نصوص مختلفة"<sup>(٢٤)</sup>، ثمّ وصلت بعد حين إلى أنّ كلّ نصّ تسرّب وتحويل لنصّ آخر<sup>(٢٥)</sup>.

ويفهم من أقوال كريستيفا أنّ التناس لا يعني فقط التداخل مع النصوص القديمة، بل يتضمّن مفاهيم قادرة على استيعاب النصوص الجديدة. ومن عرف المصطلح بعد جوليا: دومنيك منجينو في دراسة بعنوان: (مدخل إلى مناهج تحليل الخطاب) عرفه بقوله: "مجموع العلاقات التي تربط نصاً ما بمجموعة من النصوص الأخرى وتتجلى من خلاله"<sup>(٢٦)</sup>، ومن عرفه من نقاد العرب محمّد مفتاح الذي سمى هذا المصطلح بالتعالق النصّي وعرفه بقوله: "التناس هو تعالق - الدخول في علاقة - نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة"<sup>(٢٧)</sup>.

يفهم الباحثون أنّ تعريفات التناس تدور حول جوهر التناس الذي يؤدّي في النهاية إلى تأثر نصّ ما بنصوص سابقة أو معاصرة، وبذلك تسمي القصيدة ليست كتابة بل إعادة

كتابة، وعلى هذا فكلّ نصّ يمثل نوعاً من التناص، لأنّ النصّ الجديد يقوم بعملية هضم النصوص التي سبقته وتمثلها وتحويلها. وقد قسم العلماء التناص كل حسب فهمه لمفهومه عنده، ومن هؤلاء:

الدكتور ناهم الذي قسمه إلى ثلاثة أنواع على النحو التالي:

- (أ) التناص الخارجي: ويعني به تأثر الشاعر أو الكاتب بنصوص قيلت قبله، ربما يطور في معناها عند توظيفها في نصه، وربما يتركها كما هي عند مبدعها الأول<sup>(٢٨)</sup>.
- (ب) التناص المرحلي: ويقصد به: تأثر صاحب النص بنصوص قيلت في عصره، تأثر بما نتيجة تقارب الحياة الاجتماعية، والثقافية، إلى نفر من المبدعين<sup>(٢٩)</sup>.
- (ج) التناص الذاتي، وهي عبارة عن تأثر صاحب النص بنصوص ذاته، ذكرها في نصه السابق، ثم يعيد صياغتها، أو يكررها كما هي بنوع من اللعب بالكلمات<sup>(٣٠)</sup>.
- هذا عند ناهم، لكن الدكتور حسام لم ينظر إلى هذه الأنواع بمنظور ناهم، وإنما قسم التناص إلى التناص في الشكل والتناص في المضمون<sup>(٣١)</sup>، وعرف التناص في الشكل بأنه: "تنظيم المعلومات داخل النوع، والمضموني هو: "أن ينهض النص الجديد على تشرب وتحويل لنصوص أخرى سابقة عليه أو معاصرة له<sup>(٣٢)</sup>".
- ويرى الباحثون أنه لا اختلاف بين ما ذهب إليه ناهم وما ذهب إليه حسام لأن ما يقصده حسام بالتناص الشكلي يندرج تحته: التناص الذاتي، لأن التناص الذاتي عند ناهم هو تناص الشاعر بنصوصه كما مرّ، وما يقصده بالتناص المضموني يندرج تحته التناص الخارجي والمرحلي، نظراً إلى أن التناص المرحلي هو وجود النصوص السابقة في النص، والمرحلي هو وجود النصوص المعاصرة.
- وتتنوع قوانين التناص إلى الآتي:

- (أ) قانون الاجترار، وهو: "تكرار للنص الغائب من غير تغيير أو تحويل<sup>(٣٣)</sup>".

(ب) قانون الامتصاص، وهو: القانون الذي يعيد صوغ النص، على أنه جوهرًا قابلًا للتجديد، لا يجمد النص ولا ينفيه، بل يتعامل معه تعاملًا حركيًا تحويليًا<sup>(٣٤)</sup>.

(ج) قانون الحوار: هو: تغيير للنص الغائب وقلبه وتحويله بقصد فناعة راسخة في عدم محدودية الإبداع<sup>(٣٥)</sup>.

وبالنظر إلى هذه القوانين يدرك القارئ أن الاجترار يعني إيراد النص المتناص بحرفه ومعناه بأن يقوم الشاعر بتكرار النص الغائب دون تغيير، حيث يكتفي بإعادة النص مثل ما هو أو بإجراء تغيير بسيط لا يمس جوهره وهذا النوع يسميه بعضهم التناص اللفظي، كما يعني الامتصاص بأن لا يجمد الشاعر النص الغائب ولا ينقله بل يعيد صياغته من جديد وفق متطلبات فكرية وتاريخية وجمالية ويسميه بعضهم التناص المعنوي، أما الحوار أو التحوير فهو أعلى مراحل التناص حيث يعمل الشاعر على تغيير النص المأخوذ المتناص ويحدث عليه تغييرًا عن طريق القلب أو التحوير إيمانًا منه بعدم محدودية الإبداع ومحاولة لكسر الجمود وهو ما يسميه بعضهم بالتناص الإيحائي، وهناك من النقاد من اقتصر في تقسيمه للتناص على قسمين وهما: التناص المباشر وغير المباشر وهذا ما فعلته الدكتورة عزة شبل<sup>(٣٦)</sup>. وللتناص آليات تعتبر بمنزلة الأهداف التي تحفز الشاعر أو الأديب أيًا كان إلى القيام به في نصوصه، نظر العلماء إلى التناص فاستنبطوا بأنه يقوم على أساسين، قسم يطور المعنى والقسم الآخر ينقصه، أما القسم الذي يطور المعنى فاصطلحوا عليه بالتمطيط والذي ينقصها اصطلاحوا عليه بالإيجاز.

ثم اختلفوا في تقسيم هذه الآليات حيث ذهبت حصة البادي إلى أن التتمطيط يتنوع إلى ستة أنواع على النحو الآتي<sup>(٣٧)</sup>:

- الأناكرام: الذي هو الجناس بالقلب وبالتصنيف، والباكرام (الكلمة المحورة)، الشرح، الاستعارة، التكرار، - الشكل الدرامي، أيقونة الكتابة.

▪ وقسمت الإيجاز إلى ثلاثة أنماط على النحو التالي<sup>(٣٨)</sup>:

- استدعاء الشخصية، استدعاء الوظيفة، استدعاء الخطاب.
- وقد قسم الدكتور ناهم التمطيط أيضاً إلى ستة أشكال كما فعلته حصة البادي، لكنه يختلف عنها قليلاً في بعضها؛ وتقسيمه كما يلي<sup>(٣٩)</sup>:
- الأناكرم، والباكرام، التكرار، التصحيفية، الشرح، المجاورة.
- بينما قسم الإيجاز إلى ستة أقسام أيضاً وهي على النحو التالي<sup>(٤٠)</sup>:
- التلميح، والحذف، التلخيص، الاقتباس، التضمين، الترجمة.

ويلاحظ المتلقي أن الفرق بين تقسيم ناهم وتقسيم حصة هو أن ناهم فصل بين الباكرام والأناكرم، في حين أنها اعتبرتهما شيئاً واحداً، ثم أنه استعمل المجاورة التي تعني "وجود معنى آخر يريده الشاعر من وراء الجملة أو النص الشعري الذي أورده"<sup>(٤١)</sup>، نظراً إلى تعريف المجاورة هذه يرى الباحثون أنها تعدل (الاستعارة) و (أيقونة الكتابة) اللتين عرفت حصة الثانية بأنها "علاقة المشابهة مع واقع العالم الخارجي فتجاور الكلمات المتجاورة أو تباعد"<sup>(٤٢)</sup>.

ثم إن ناهم فصل الحديث عن (آليات الإيجاز) حيث جعله في ستة أقسام، وبالتالي يمكن القول بأن ما ذكره ناهم يتفق مع ما ذكرته حصة البادي في المعنى إلا أن كلا منهما سلك طريقة تخالف طريقة صاحبه في التقسيم وفي بعض الألفاظ المستخدمة.

### المحور الثالث: تحليل نماذج من ظاهرة التناص بالحديث النبوي الشريف في شعر العلامة الأستاذ عبد الله بن فودي:

لقد أثرت الأحاديث النبوية الشريفة - باعتبارها المصدر الثاني بعد القرآن الكريم - تأثيراً بالغاً في اللغة العربية والأدب العربي، ونظراً إلى أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو الوساطة بين الخالق والمخلوق فقد اقتضى ذلك أن يعتمد على المنطق الخلاب والبيان الجذاب والحجة المقنعة والبيان الواضح والحكمة البالغة والكلام الذي يملك النفوس ويأسر

الألباب، وتأييدا لما ذُكر أثبتت طائفة من العلماء بأن فصاحة الرسول تفوق فصاحة كل مخلوق من بين هؤلاء العلماء السيوطي حيث قال: "أفصح الخلق علي الإطلاق سيّدنا ومولانا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حبيب رب العالمين جل وعلا"<sup>(٤٣)</sup> فالرسول أفصح الناس فصاحة وبلاغة تصدر عنه من غير تكلف ولا تصنع، وذكر القاضي عياض في معرض حديثه عن فصاحة الرسول وبلاغته: "وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان - صلى الله عليه وسلم - من ذلك بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وإيجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف وأوتي جوامع الكلم وخصّ ببدائع الحكم وعلم ألسنة العرب، فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله"<sup>(٤٤)</sup>.

فالمتتبع لأقوال الرسول - صلى الله عليه وسلم - يدرك بكل وضوح أنّ عليها أثر الإلهام وسمّة العبقريّة وطابع البلاغة، وأسلوبها أقرب إلى أسلوب عصر النبوة منه إلى أسلوب القرآن<sup>(٤٥)</sup>، فامتاز أسلوب الحديث بإشراق ديباجته واتساق عباراته وتساوق ألفاظه وفقره لأداء معنى واضح معيّن.

لذا أصبحت الألفاظ ومدلولات الأحاديث النبوي مصدرا لشعراء المسلمين، يقتبسونها في بناء لغتهم الأدبية، ويمكن تمثيل هذا التأثير مع الحديث النبوي في شعر العلامة الأستاذ عبد الله في مواضع متعددة منها قوله:

وإن سرّ غُوبر والتّوارق ذاك وال \* قتال سجال ليس مرجعنا سوى

فمن قتلاهم في جهنم دائما \* ومن في جنان الخلد ليسو على استوى

امتص العلامة حديث عبد الله بن عباس في قوله إن أبا سفيان بن حرب أخيره أن هرقل قال له: سألتك كيف كان قتالكم إياه؟، فرعمت (أنّ الحزب سجالٌ ودُولٌ، فكذلك الرُّسلُ تُبتلى ثمّ تكونُ لهم العاقبة)<sup>(٤٦)</sup>.

فهنا يريد تصوير معركتهم مع الكفار، فأخذ يعدد الأماكن التي فتحوها، ويذكر بعض أصحابهم الذين أدركتهم المنية خلال هذه الحروب، ومن بينهم الإمام محمد سنبو، فأشار إلى أنه متى ذكره توج في قلبه ألوان من الحزن، وبجانب آخر أن أمير غوبر متى ذكر أنهم قتلوا هذا الإمام تعتريه أنواع من الفرح والسرور، لأن مصائب قوم عند قوم مصالح، ولكي يسلى قلوب المؤمنين عن وقع هذه الرزية تناص مع هذه العبارة التي خرجت من عند الصحابي الجليل العالم بمكائد الحرب وحيلها، أبو سفيان بن حرب، ويدرك القارئ أن الشاعر أبدل لفظة "الحرب" بـ "القتال" التي في معناها، كما سيظهر في هذا الجدول:

الشعر	الحديث
القتال	الحرب
سجال	سجال

ومدلول الكلمة عند أبي سفيان هو نفس ما يعنيه الشاعر، وهو: الحرب يوم لك ويوم عليك "مأخوذ من مساجلة المستقين حيث يدلى هذا سجله مرة وهذا مرة" ومن التناص مع الحديث النبوي قوله:

وَأَنَّ قَرِينَ السَّوِّءِ يَعْدَى قَرِينَهُ \* بِمَا فِيهِ إِعْدَاءُ الصَّحَّاحِ الْأَجْرَابِ

وهذا امتصاص من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ، كَمَثَلِ الْمَسْكِ وَالنَّافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلُ الْمَسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْدِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ بَجَدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكَبِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ بَجَدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً"<sup>(٤٧)</sup>.

والعلاقة بين النص المتناص والمتناص منه هي: أن الشاعر نظر إلى النصر الذي امتن الله به عليهم في الفتوحات، وبجانب ذلك رأى كيف تغير الناس حيث مالوا إلى جمع حطام الدنيا، ولذلك عزم على التخلص من هذه الخصلة الذميمة خشية أن يتأثر بهم نتيجة معاملته معهم، فأراد أن يتوجه إلى المدينة زيارة للرسول صلى الله عليه وسلم، وفي طريقه

كتب هذه القصيدة يصف فيها حال المسلمين بعد أن فتح الله البلاد على أيديهم، فتناص هذه الجملة الحديثية التي تحذر المرء المسلم من مخالطة جليس السوء حتى لا يؤثر عليه، فامتص هذه الجملة وأدخلها في سياق حديثه وأصبحت كأنها في موضعها الأصلي، وذلك لشدة تأثر الشاعر بهدي المصطفى صلى الله عليه وسلم.

كما تعود الشاعر امتصاص دلالات الحديث النبوي هكذا كان يجتر ألفاظها حيناً، وحيناً آخر تراكيبها، أو يمتص دلالتها مع الإشارة إلى أن القول من أقوال المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك قوله:

صدق الرسول رأى جموع غزاته \* في البحر كالأملاك فوق كراس

يبدوا أنّ الشاعر قام بامتصاص حديث أمّ حرام قالت: "نَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا قَرِيبًا مِنِّي، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ يَتَبَسَّمُ، فَقُلْتُ: مَا أَضْحَكَكَ؟ قَالَ: «أُنَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ يَرَكَّبُونَ هَذَا الْبَحْرَ الْأَخْضَرَ كَالْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِرَّةِ» قَالَتْ: فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ فَدَعَا لَهَا، ثُمَّ نَامَ الثَّانِيَةَ، فَفَعَلَ مِثْلَهَا، فَقَالَتْ مِثْلَ قَوْلِهَا، فَأَجَابَهَا مِثْلَهَا فَقَالَتْ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «أَنْتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ»<sup>(٤٨)</sup>.

فالشاعر في معرض حديثه عن الأحوال التي تعرض لهم أثناء حروبهم، فكانوا يواصلون حروبهم في حالة النصر والفوز، غير أنهم في يوم من الأيام أرادوا أن يشنوا الغارة في ناحية من النواحي فاعترض طريقهم بحر منعهم من مواصلة سيرهم، غير أنهم بمعونة الله اجتازوا البحر وواصلوا الحروب، فأراد أن يشير إلى هذه المنة حيث وظف هذا الحديث بما فيه من المنة التي امتن الله بها على أصحاب رسوله، لكن الشاعر نظر إلى دلالة الحديث برمتها فعبّر بها في بيت واحد مع إيراد بعض ألفاظ الحديث، ورد في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم عرض عليه لكن الشاعر عبر عن القصة بأسلوب مغاير فقال "رأى" ثم في الحديث استعمل لفظ "أناس"، كما استعمل الشاعر لفظ غزاة الذي هو كناية عن الصحابة المجاهدين، ثم إنّ لفظ البحر تركها الشاعر كما وردت في النص لكن حول لفظه "ملوك" التي جاء بها



الحديث إلى "الأملاك"، فكلاهما جمع للملك، لكن لفظ ملوك جمع كثرة والأملاك جمع قلة، وتحويل "الأسرة" جمع للسرير، إلى الكراس جمع للكراسي، ويتضح ذلك في الجدول الآتي:

نص الشعر	نص الحديث
رأى	عُرِضُوا
غزاة	أناسا
البحر	البحر
الأملاك	الملوك
كراس	الأسرة

ويبدو من جماليات هذا التناص أن الشاعر أتى به قصدا لتسلية جماعته وتقوية نفوسهم مع حضهم على الثبات في قتال أعدائهم، كما صدر ذلك من الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه.

وكان قتال الأستاذ عبد الله للكفار قتالاً وضع أساساً لإثبات الحق وإعلاء كلمة الله، وعلى هذا درّب أتباعه وحذّرهم من أن يعملوا لطلب شيء من حطام الدنيا في الحرب حيث عبر ذلك في ثنايا هذه الأبيات:

خرجنا لوجه الله نرجو ثوابه \* وإعلاء إسلام لينتفع الكل

ومن قصده مال أو اظهار نجدة \* أو اشفاء غيظ لم يجاهد وذا الفضل

وتناص الشاعر هنا امتصاص من قول المصطفى - صلى الله عليه وسلم - لما جاء إليه رجل يسأله عن الرجل: يقاتل حمية، ويقا تل شجاعة، ويقا تل رياءً، فأَيّ ذلك في سبيل الله؟ قال: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"<sup>(٤٩)</sup> فامتص الشاعر دلالة الحديث بدون إيراد لفظ من ألفاظه، ويلاحظ أن كلا النصين يصف المجاهد وصفا حقيقيا حيث جاء نص الحديث بصيغة الإثبات: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"، والنص الشعري جاء بصيغة النفي حيث قال: "ومن قصده مالا أو إظهار نجدة أو

إشفاء غيظ لم يجاهد"، ويلاحظ الباحث أن هناك تغييرات بسيطة بين النص الغائب والقائم.

والأستاذ عبد الله كثيرا ما يكون في الحرب ويكون النصر في جانب جماعته، لكن لم يجره ذلك إلى الاعتزاز بالنفس والفخر بالقومية، وإنما يرجع كل النصر وأسبابه إلى الله تعالى وأنه حاصل بإرادة الله ومشئته وفي ذلك قوله:

تسير رياح النصر شهرا أمامهم\* بجاه رسول الله عز به الكل

يظهر جليا أن الشاعر هنا يتناص مع قوله عليه الصلاة والسلام: "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغامم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة"<sup>(٥٠)</sup>.

وتبدو جمالية التناص هنا في أن الشاعر تناص مع هذا النص ليعزز دلالاته الشعرية بمعنى أقوى وأثبت من معناه الشعري، فجعل يتحدث عن حال جماعته وكيفية فزع الأعداء بمجرد سماع خبر خروجهم إليهم يفزعون ويكونون في غاية الحيرة قبل أن يصلوا إليهم بمقدار ثلاثين يوما، كما هو حال الكفار في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا أخرجوا بخروج الرسول إليهم يقذف في قلوبهم الرعب، وتجانسهم الطمأنينة مسيرة شهر.

والأستاذ عبد الله متأثر جدا بالمصدر الثاني من مصادر الشريعة حيث يشم المتلقي في بعض الأحيان رائحة ألفاظه في شعره، كما يورد تارة بعض الألفاظ الحديثية ويشير إلى أنه أخذها من قوله - صلى الله عليه وسلم -، وتارة يورد نصا من الحديث بعينه بأسلوب الوعظ والإرشاد، نظرا إلى مكانته عالما قائدا وواعظا، ومن ذلك قوله:

لقول النبي لا تزال جماعة\* على الحق منا أو يجيء المقارح

يستشهد الشاعر صريحا بقول النبي - صلى الله عليه وسلم - "لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم على

ذلك" (٥١) وهو في أثناء مدح أخيه الشيخ عثمان، ويذكرهم على أنه هو وأصحابه من الذين بشر الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأنهم على الحق ولذلك يحض سائر أبناء قبيلته بأن يتمسكوا بالحق الذي جاء به الشيخ كي لا يستأثر به غيرهم، ففي محاولته لإقناعهم بما قاله استطاع أن يوظف حديث الرسول في بيته الشعري. ويلاحظ أنّ الشاعر لم ينقل الحديث برمته وإنما امتص بعض أجزائه وأدخل تغييرا بسيطا لم يخلّ بالمعنى، كاستبداله كلمة: "أمة" بـ "جماعة" واستبداله: "أمر الله" بـ "على الحق" كما استبدل: "يجيء المقارح" بـ "يأتيهم أمر الله".

ومن التناص الوارد مع الحديث النبوي قول الشاعر:

مطيع لما قد قاله سيّد الورى\* به بلّغو عنيّ أنته صحائح

فهو يمتص قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : "بلّغو عنيّ ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار" (٥٢) فنص الحديث يحض كل فرد من أمة الرسول على إبلاغ أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأن يجتنبوا تعمد الكذب على الرسول لأن ذلك يؤدي بالإنسان إلى دخول النار، فاستطاع الشاعر في بيته الشعري أن يصف ممدوحه بأنه كثير الاتباع للرسول - صلى الله عليه وسلم - لأنّ حياته كلها تضحية في إبلاغ دعوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فهو شغله الشاغل لا يمل منه ولا يفتر.

يظهر للقارئ أنّ الشاعر أخذ دلالة بعض الحديث وأدجمه في نصه الشعري، كما استطاع أن يقوم ببعض التغيير حتي ينسجم ويتلاءم مع أفكاره.

ومن المواضع التي تناص فيها مع الأحاديث النبوية الشريفة قوله:

جميع الدين إيمان وسلم\* وإحسان له فيها وصول

وهذا البيت امتصاص من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتُحَجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا"، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: "أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ" (٥٣).

استحضر الأستاذ عبد الله هذا الحديث عندما أراد أن يتحدث عن نعمة أنعم الله بها عليهم بسبب هذا الدين؛ ذلك أنه في بداية دعوتهم بعد أن حدثت مناظرة علمية بين الشيخ عثمان بن فودي من جانب وبين العالم البرناوي المصطفى الملقب ب(عَوْنِي) من جانب آخر؛ والذي أجاب عن الشيخ عثمان الأستاذ عبد الله بن فودي ودار الحوار بينهما في شأن حضور النساء مجلس الشيخ عثمان ليتعلمن شيئاً من أمور دينهم، بعد هذه المناظرة بعام أو عامين أرسل باوا (Bawa) سلطان غوبر في ذلك الوقت إلى العلماء في بلاده ليجتمعوا عنده في عيد الاضحى في مكانه بمغم (Magami)، وعندما اجتمع العلماء تصدق عليهم بأموال كثيرة، إلا أن الشيخ عثمان قام فقال: إني وجماعتي لا حاجة لنا إلى أموالك ولكن أسألك كذا وكذا، فعدد له أموراً كلها من إقامة الدين فأجابه السلطان بأني أعطيتك ما سألت ورضيت لك بجميع ما تحب أن تفعل في بلادنا هذه؛ لذلك حمدت جماعة الشيخ الله ورجعت بإقامة الدين ورجع سائر العلماء بالأموال فقال القصيدة التي فيها هذا البيت. ويبدو أنه في البيت المذكور قام بامتصاص ذلك الحديث حيث استوظف معناه مع تغيير طفيف، حيث جاء لفظاً (الإيمان والإحسان) معرفة في النص الغائب ونكرة في النص القائم، كما حول لفظه (الإسلام) في النص الغائب إلى (سلم) في النص القائم يوضح لك الجدول الآتي هذه التغييرات:

النص الغائب	النص القائم
الإسلام	الدِّين، سلم
الإيمان	إيمان
الإحسان	إحسان

ومن مواضع تناصه مع الحديث النبوي قوله:

عليه وآله صلوات ربي \* مع التسليم ما هبت قبول

وهذا امتصاص من حديث الصحابي كعب بن عجرة أنّ عبد الله بن عيسى، سمع عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: لقيني كعب بن عجرة، فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقلت: بلى، فأهدها لي، فقال: سألتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم؟ قال: " قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد " (٥٤).

فالشاعر في معرض حديثه عن النعمة التي أنعم الله بها عليهم من إتاحتهم الفرصة من ملك غوبر باوا في إقامة الدين ودعوة الناس إليه، فوصل هذا الموضوع حيث جعل يدعو بالصلاة والتسليم للنبي وآله، ورجى الله سبحانه وتعالى بأن يصلي ويسلم ما هبت الريح القبول، وهناك تغيير بين نص الحديث وبين بيت الشاعر حيث استوظف الحديث الاسم الظاهر (محمد) واستوظف الشاعر ضمير الغائب الهاء في قوله (عليه)، كما استوظف الحديث فعل الأمر (صل) واستوظف الشاعر جمع تكسير (الصلوات)، كما استوظف الحديث في موضع آخر الفعل الماضي بمعنى الدعاء في قوله (صليت) والشاعر استوظف (الصلوات)، يظهر ذلك جليا في الجدول الآتي:

## النص المتناص      النص المتناص

محمد

الهاء في (عليه)

صلّ

الصلوات

صليت

الصلوات

اللهم

رَبِّي

ومن مواضع تناصه بالحديث النبوي أيضا قوله:

والدّين في عزّ ونهج منهج\* والكفر في ذل ونهج منهج

هذا البيت امتصاص من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ يَا بِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ" (٥٥).

جاء هذا البيت في قصيدة نظمها في مدح الشيخ جبريل بن عمر وأعوانه أمثال الشيخ عثمان بن فودي والشيخ مصطفى بن الحاج الفريري؛ وذلك عندما اشتاق لزيارته بعد انتقاله من فُودي (Kude) إلى مج (Maji)؛ لذلك كان مستهل القصيدة:

عج نحو أضواج الأحبة من مج\* واشرب من الأنشاج ماء الزعبع

حاول أن يستوظف الحديث في بيته عندما يصف الإسلام بالعزة والعلو والكفر بالذل والصغار فهو بذلك يخبر عن الحالة التي وجد فيها الإسلام نفسه في هذه الديار بفضل وجود أمثال الشيخ جبريل وأنصاره، مما جعل الكفر ينحط إلى المرتبة الدنيا بعد سيادته في هذه البلاد، وعلى ذلك فالشاعر استخدم الأسلوب الخبري، بينما استخدم الحديث الأسلوب الإنشائي عن طريق الأمر الذي يعني الدعاء، ويظهر الفرق بين الحديث والبيت الشعري عن طريق الرسم البياني الآتي:

## الخاتمة:

خلاصة ما ذكره الباحثون عن العلامة الأستاذ عبد الله بن فودي فيما يتعلق بتأثره بالمصدر الثاني من مصادر الإسلام وهو الحديث النبوي الشريف، حيث تأثر به في إنتاجه الشعري مما جعل شعره يترك الأثر الكبير في العصور التالية، فقد تناولت هذه الورقات ترجمة الأستاذ العلامة عبد الله بن فودي من حيث الأصل والنشأة وطلب العلم والمساهمات التي قدمها في حياته العلمية، كما تناولت التناص من حيث المفهوم وناقشت أنواعه ومراحله، وبالتالي قامت بتحليل بعض النماذج من شعر العلامة التي ظهر فيها تأثره بالحديث النبوي الشريف، وقد توصل هذا البحث إلى عدد من النتائج من بينها ما يلي:

- أن شعر الأستاذ عبد الله بن فودي يعبر عن جزء من حياته فيما يتعلق بشيء من أفراحه كما ظهر في هذا المقال حيث تناول شيئاً من العلاقة الطيبة بينه وبين بعض شيوخه أمثال الشيخ جبريل بن عمر والشيخ عثمان بن فودي، كما اشتمل على شيء من أتراحه؛ وذلك مثل ما حدث حين انهزموا في معركة من معاركهم مع أعدائهم، كل ذلك متأثراً بشيء من المعين النبوي العذب.
- استنتج هذا البحث وجود ظاهرة التناص بالحديث النبوي في شعر الأستاذ عبد الله بن فودي، حيث أخذ بعض الأحاديث النبوية الشريفة واستوظفها في شعره مما يدل على تأثره الواضح والجلي بهذا المصدر الذي هو المصدر الثاني للإسلام.

- كذلك يبدو من النماذج التي قام الباحثون بتحليلها أن أغلبها كان تناصه فيها على قانون الامتصاص؛ لأنه لم يستوظف النصوص الغائبة بحرفها بل امتصها وأدخل فيها شيئاً من التغيير.
- كما أنه على حسب النماذج التي قام الباحثون بتحليلها أن الأستاذ عبد الله لم يستوظف قانون الاجترار؛ لأن جميع النصوص الغائبة التي استحضرها في شعره قام فيها بشيء من التغيير؛ إذ أن الاجترار عبارة عن استحضار النصوص بحرفها.

#### الهوامش والمراجع:

- (١) ثاني موسى أياغي: (الدكتور)، صفحات في ترجمة الشيخ عبد الله بن فودي ومنهجه في التفسير وعلوم القرآن، دار الهداية: القاهرة، ٢٠١١م، ص: ٣٢. و محمد الرابع أول سعاد: (الدكتور)، أسماء بنت عثمان فوديو وإنتاجاتها العربية، دار الأمة: كنو، ٢٠١٠م، ص: ٢٨-٢٩.
- (٢) عمر بن محمد بوي، توضيح الغامضات على كتاب تزيين الورقات، دت، ص: ١٥.
- (٣) ثاني موسى أياغي الدكتور، المرجع السابق، ص: ٣١.
- (٤) علي آدم أبو البشر: (الدكتور)، الشيخ عبد الله بن فودي النيجيري النحوي في ضوء كتابه البحر المحيط، ط١؛ القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠م، ص: ٤٢.
- (٥) محمد بلّو بن عثمان: (الإمام)، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، دت، ص: ٢٢٥.
- (٦) علي آدم أبو البشر الدكتور، المرجع السابق، ص: ٤٣.
- (٧) ثاني موسى أياغي الدكتور، المرجع السابق، ص: ٣٣.
- (٨) عبد الباقي شعيب: (الدكتور)، أساليب بلاغية في ديوان الشيخ عبدالله بن فودي، مكتبة دار الأمة: كنو، ٢٠٠٨م، ص: ٢١.
- (٩) مغم هذه هي الآن واقعة في مرادن من ولاية زنفرا، وتعرف بـ"مغمن ديدي". انظر: ثاني موسى أياغي الدكتور، المرجع السابق والصفحة نفسها.
- (١٠) هذا المكان هو مأوي الشيخ عثمان وفئته قبل قيام الجهاد.
- (١١) ثاني خامس درما: (الدكتور)، البحر المحيط للأستاذ الشيخ عبد الله بن فودي النيجيري تحقيق وتعليق، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو، ١٩٩٨م، ص: ٢.
- (١٢) المرجع نفسه والصفحة.



- (١٣) شعيب عبد الباقي الدكتور، المرجع السابق، ص: ٣٤.
- (١٤) المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- (١٥) ثاني خامس درما الدكتور، المرجع السابق، ص: ٤.
- (١٦) عبد الله بن فودي الأستاذ، تحقيق: الدكتور عبد الحميد: الفرائد الجليلة وسائط الفوائد الجميلة في علوم القرآن، ص: ٢٧.
- (١٧) ثاني موسى أياغي الدكتور، المرجع السابق، ص: ٣٥-٣٦.
- (١٨) المرجع نفسه ص: ٤٨.
- (١٩) المرجع نفسه ص: ٤٨-٥٠.
- (٢٠) المرجع نفسه ص: ٦٣-٦٩.
- (٢١) ar.m.wikipedia.org، صبيحة الخميس ١٢/٨/٢٠٢١ م
- (٢٢) النصّ الجديد ثمرة النصوص السابقة، www.alarab.co.uk
- (٢٣) حصّة البادي:التناص في الشعر العربي الحديث، دار كنوز المعرفة العلمية: عمان، ٢٠٠٨ م، ص: ٢١.
- (٢٤) المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- (٢٥) المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- (٢٦) المرجع نفسه ص: ٢١.
- (٢٧) زهرة خالص: التناص التراثي في حديث أبو هريرة، رسالة الماجستير غير منشورة، قسم اللغة العربية وأدائها جامعة الجزائر، ٢٠٠٦ م، ص: ٣٨.
- (٢٨) أحمد ناهم الدكتور:التناص في شعر الرواد، ط١؛ بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠٤ م، ص: ٥٠.
- (٢٩) المرجع نفسه ص: ٦٦.
- (٣٠) المرجع نفسه ص: ١٩٣.
- (٣١) فرج حسام أحمد، الدكتور: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠٠٩ م، ص: ١٩٩ و٢١٧.
- (٣٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- (٣٣) أحمد ناهم الدكتور، المرجع السابق، ص: ٥٠.
- (٣٤) المرجع نفسه ص: ٥٤.
- (٣٥) المرجع نفسه ص: ٦١-٦٢.

- (٣٦) عزة شبل، الدكتورة: علم لغة النص، مكتبة الآداب: القاهرة، ٢٠٠٩ م ص: ٦٠.
- (٣٧) حصبة البادي، المرجع السابق، ص: ١٠٥.
- (٣٨) المرجع نفسه، ص: ١٠٦.
- (٣٩) أحمد ناهم الدكتور، المرجع السابق، ص: ٧٧.
- (٤٠) المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- (٤١) المرجع نفسه ص: ٩٥.
- (٤٢) حصبة البادي، المرجع السابق، ص: ١٠٥.
- (٤٣) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، بيروت: دار الكتب العلمية، ج ١، ص: ١٦٥.
- (٤٤) عياض بن موسى القاضي: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، عمان: دار الفيحاء، ج ١، ص: ١٦٧.
- (٤٥) أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، د.ت، ص ٩٧
- (٤٦) الحديث أخرجه البخاري في باب قول الله تعالى قل هل تريبصون بنا، رقم ٢٨٠٤.
- (٤٧) الحديث أخرجه البخاري في باب المسك، رقم ٥٥٣٤.
- (٤٨) الحديث أخرجه البخاري في باب فضل من يصرع في سبيل الله فمات، رقم ٢٤٩٠.
- (٤٩) الحديث أخرجه البخاري في باب من سأل وهو قائم، رقم ٢٨١٠.
- (٥٠) الحديث أخرجه البخاري في باب التيمم، رقم ٣٣٥.
- (٥١) الحديث أخرجه البخاري في باب قول الله تعالى (إنما قولنا لشيء...)، رقم ٧٤٦٠.
- (٥٢) الحديث أخرجه البخاري في باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم ٣٤٦١.
- (٥٣) الحديث أخرجه مسلم في باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر، رقم ٨.
- (٥٤) الحديث أخرجه أبو داود وصححه الألباني في باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، رقم ٩٧٦.
- (٥٥) الحديث أخرجه الترمذي وصححه الألباني في باب مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رقم ٣٦٨١.

## مسح عام للشعر العربي الإفريقي: ماضيه، وحاضره، ومستقبله

إعداد:

**الدكتور حامد هارون محمد**

أستاذ محاضر بجامعة الملك فيصل بتشاد

رقم الهاتف: ٦٦١٦٢٥٠٥ (٢٣٥)

**مدخل:**

بدأت الهجرات العربية تتدفق إلى مصر وشمال إفريقيا، قادمة من اليمن وشبه الجزيرة العربية منذ العصور التي سبقت ظهور الإسلام ثم ازدادت كثافتها بعد ظهوره مع حركة الفتح الإسلامي للبلدان المجاورة للجزيرة العربية، وقد اتجهت حركة الفتح هذه شرقاً وغرباً حتى عبرت المحيط الأطلسي إلى المنطقة التي تعرف ببلاد الأندلس مروراً بشمال إفريقيا. وقد تآخمت هذه الفتوحات حدود الأراضي التي أصبحت فيما بعد، تشاد والنيجر ومالي والسنغال وذلك عبر مشارفها الشمالية، عندما وصلت جنود عقبة بن نافع الفهري الفاتح لهذه الأراضي إقليم فزان بليبيا وجبال الأطلس بالجزائر وإقليم كوار بالنيجر.

وبعد حركة الفتح هذه اندفعت القبائل العربية في الهجرة نحو هذه الأراضي المفتوحة بل تعدتها إلى الجنوب بحثاً عن المراعي إلى الأقاليم التي تشكلت منها الدول التي تعرف الآن بـ - تشاد - والنيجر ونيجيريا ومالي والسنغال.

والعرب أينما حلوا تحل معهم لغتهم، ويصحب اللغة دائماً الأدب شعره ونثره، والقواعد النحوية والعروضية، والشعر ديوان العرب، يصاحبهم في حلهم وترحالهم. يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين<sup>(١)</sup>.

وعليه فإن إفريقيا جنوب الصحراء تأثرت بهذه الهجرات وتسربت إليها اللغة العربية منذ زمن مبكر من التاريخ، كما عرفت الشعر منذ ذلك الحين. والمتتبع لحركة الشعر في إفريقيا جنوب الصحراء في أبعاده الثلاثة - ماضيه - وحاضره - ومستقبله، يستحيل عليه الإمام

بكل ذلك نظراً لسعة الموضوع، حسب الباحث أن يعطي لكل بعد قدرًا من التمييز بإلقاء نظرة على كل فترة من هذه الفترات لأن التفصيل فيها يستغرق مجلدات ومجلدات. وعليه فإن الباحث يتناول هذا الموضوع من خلال ثلاثة مباحث، الأول ماضي الشعر العربي في إفريقيا، والثاني حاضر الشعر في إفريقيا والثالث، مستقبله.

### المبحث الأول: ماضي الشعر العربي في إفريقيا:

يقصد بإفريقيا في هذا المجال - إفريقيا جنوب الصحراء أي إفريقيا السوداء لأن إفريقيا العربية، مصر والسودان وتونس والجزائر وموريتانيا، حالة الشعر فيها تدرس ضمن الشعر العربي عامة، لذلك عندما نقول الشعر العربي في إفريقيا نقصد به إفريقيا غير العربية، وبطبيعة الحال فإن هذا اللقب ينسحب تلقائياً على إفريقيا المجاورة للدول العربية، - تشاد - النيجر، نيجيريا، مالي، بروكينا - الكمرون، السنغال. لأن الشعر العربي غالباً يوجد في هذه الأقطار دون غيرها مثل إفريقيا الوسطى والكنغو برازيل وزائير وجنوب إفريقيا، فإن الإسلام قد يوجد في هذه الدول لكن الشعر العربي يندر وجوده فيها. فإن أردنا دراسة الأدب العربي في إفريقيا، لا بد أن نصدر الدراسة بتلك الدول: تشاد، والنيجر، ونيجيريا، ومالي، والسنغال، والكمرون.

والمتتبع لتاريخ هذه الدول يجد كمًا هائلاً من الأدب العربي شعره ونثره، ومعنى ماضي الشعر في هذه الدول، يقصد به الفترة التي تلت دخول الإسلام فيها وسبقت الاستعمار، لأن قبل دخول الإسلام، لم تسجل المصادر الإفريقية شعراً بلسان عربي إذ اللغة العربية صاحبت دخول الإسلام والشعر يصحب اللغة كما ذكرنا.

فقد اصطبغت هذه البلدان بعد دخول الإسلام فيها بالثقافة الإسلامية، وظهر فيها علماء أفذاذ، لا يقلون أهمية وقيمة ومكانة عن نظرائهم في العالم الإسلامي وبذلك صارت جزءاً من العالم الإسلامي حيث تكونت ممالك إسلامية في هذه المنطقة، مثل، غانة جنوب

موروتانيا في القرن الخامس الهجري ٤٦٩ - ٦٠٠ هـ الحادي عشر الميلادي ١٠٠٧ - ١٢٠٣ م، ودولة مالي - تمبكتو، الإسلامية، القرن السادس الهجري ٥٩٦ - ٨٧٤ هـ الثاني عشر الميلادي ١٢٠٠ - ١٤٦٩ م.

ودولة سنغاي التي قامت في جزء من مالي والنيجر، من القرن التاسع الهجري ٨٩٨ - ١٠٠٠ هـ الخامس عشر الميلادي ١٤٩٢ - ١٥٩١ م<sup>(٢)</sup>. ودولة كانم التي تأسست شرق بحيرة تشاد وشملت الجزء الغربي منها وهو ما يعرف ببرنو - في القرن الحادي عشر الميلادي<sup>(٣)</sup> الخامس الهجري، ومملكة باقرومي في القرن الخامس عشر الميلادي، ومملكة وداي في القرن السادس عشر الميلادي.

كل هذه السلطنات والممالك هي من صنع الإسلام، ومع الإسلام تنتشر وترسخ اللغة العربية، ويظهر من بين طياتها الشعر بطبيعة الحال كنتيجة لهذا الترسيخ. إذن لم يظهر الشعر الإفريقي بلسان عربي إلا بعد دخول الإسلام لهذه المناطق وتأثيره على شعوبها إيجاباً. والعلماء الذين برعوا في هذه السلطنات والممالك هم أنفسهم الشعراء في ذلك الوقت، والنماذج التي نوردها الآن تؤكد ذلك وأبدأ بدولة تشاد. عرفت تشاد الشعر منذ زمن مبكر من التاريخ، ففي القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، ظهر إبراهيم الكانمي الملقب بالشاعر الأسود.

ظهر في كانم بنماذج شعرية رائعة كأول شاعر يظهر في إفريقيا جنوب الصحراء، ثم سافر إلى مراکش في سفارة سلطانية من سلطان كانم آنذاك - واشتهر هناك وأصبح من أشهر الشعراء في تلك البلاد وقد مكنته هجرته هذه من أن يجد مكانة في مؤلفات المؤرخين والأدباء العرب، ومن أن يصير جزءاً من مجرى تاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس<sup>(٤)</sup>. وهو أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكانمي، ولد عام ٥٥٠ هـ في قرية بلمه إحدى قرى كانم، وتوفي بالمغرب سنة ٦٠٨ هـ..

كان الكانمي شاعراً مجيداً وفاقها وعالماً بالعربية، كان يحفظ كتاب الجمل، ويُدرّسه، كما كان يحفظ كثيراً من أشعار العرب، دخل المغرب في حدود عام ٥٩٤ هـ والتقى بمراكش بسفير صلاح الدين الأيوبي ابن حمويه وكان شاعراً أيضاً فصارت بينهما صداقة، كان ذلك في زمن دولة الموحدين بالمغرب<sup>(٥)</sup>.

لزم الكانمي في تلك الدولة، سميه إبراهيم بن يعقوب المنصور وزير الخليفة الموحدي، ومدحه بهذين البيتين:<sup>(٦)</sup>

أزال حجابَه عني وعيني \*\*\* تراه من المهابة في حجاب  
وقرني تفضُّله ولكن \*\*\* بعُدْتُ مهابة عند اقتراب

جمع الدكتور محمد بن شريفة أشعار الكانمي من المصادر المغربية في كتاب سماه: من أعلام التواصل بين بلاد العرب والسودان لكنه لم يستطع الحصول على قصيدة كاملة للكانمي بل هي عبارة عن مقطوعات وأبيات هنا وهناك، في أغراض متفرقة لكن من خلالها يفهم الغرض الذي يميل إليه الشاعر وهو المدح.

ومن مقطوعاته هذه الأبيات التي يرد فيها على الحساد الذين حاولوا إبعاده عن ممدوحه وزير الخليفة الموحدي، يقول فيها<sup>(٧)</sup>.

ما بعد باب أبي إسحاق منزلة يسمو إليها فتى مثلي ولاشرف  
أبعد ما بركت عنسي بساحته وصرت من بجره اللجي أغترف  
هموا بصرفي وقد أصبحت معرفة فكيف ذلك واسمي ليس ينصرف

يشير في هذا البيت الأخير إلى أن اسمه إبراهيم وممدوحه أيضاً اسمه إبراهيم. كما يدل البيت على معرفة الشاعر بالنحو، وسبق أن قلت إنه كان يحفظ كتاب الجمل في النحو للزجاج.

وله في الغزل هذه الأبيات:<sup>(٨)</sup>

غيري عليكن يا زهراء يصطبر لأن صبري على ذاك الهوى صبر  
لوني بلونك مزدان إذا اجتمعا كما يزين سواد المقلّة الحور  
ويبدو أن الشباب قد أغروا زهراء هذه بأن تعيره بسواد لونه فقال بعد هذين البيتين<sup>(٩)</sup>:  
وإن شككت فقيسي قيس تجربة ففي اختبارك ما يُنسى به الخبر  
إني وإن ألبستني العُجم حُلّتها فقد نماني إلى زكوانها مضر  
فلا يشؤك من الأعماد حالكها إن كان باطنها لصمصامة الذكر  
والكائمي رجل فاضل، فقيه وعالم، له في الوعظ هذين البيتين<sup>(١٠)</sup>:

أفي الموت شك يا أخي وهو برهان ففيم هجوم الخلق والموت يقظان  
أتسلو سلو الطير تلقط حبها وفي الأرض أشراك وفي الجو عقبان  
وبهذه الأخلاق ترقع عن المهجاء عندما سُئِلَ لم لا تهجو؟ فقال<sup>(١١)</sup>:

كم سائل لم لا تهجو؟ فقلت له لأنني لا أرى من خاف من هاجي  
لا يكره الدم إلا كل ذي أنف وليس لوم لتام الناس منهاجي  
هكذا ظهر الكائمي بهذه النماذج الشعرية الرفيعة الجيدة والممتازة ولم يصاحبه في فترته  
هذه شاعر آخر، أو لعل الآخرين لم تسعفهم الظروف ليسجلوا أشعارهم فضاعت، وحظي  
هو بدخوله المغرب والأندلس.

محمد الوالي الباقرمي. لم تذكر المصادر تاريخ ميلاده ولا تاريخ وفاته غير أنه عند الفراغ من  
أحد مؤلفاته حدد الزمان والمكان الذي ألف فيه الكتاب مما يدل على أنه من علماء القرن  
الحادي عشر الهجري وذلك في قوله.

بعدة نظمها من الليالي ثلاث  
تحدثنا بنعمة الإله  
في برنو زمن الخطيب  
بعون ذي الجلال<sup>(١٢)</sup>  
عمت على المخلوق لا تباهي  
أعني به نجل النجيب

في عام أربعين مع ثلاثة التي من بعد مائة وألف للهجرة  
 أي في عام ١١٤٣ هـ وقد ذكره محمد بلو في كتابه إنفاق الميسور بقوله: (من شيوخ  
 باقرمي، العالم العلامة سليمان وابنه النجيب أعجوبة الزمان، وطريفة الأوان، العالم، العلامة،  
 الزاهد، الورع، الفهامة، محمد الوالي، لطف الله به أمين<sup>(١٣)</sup> .  
 وعن أصلهما يقول: وزعموا أن الشيخ سليمان ذهب من بلدنا هذا إلى باقرمي  
 واستوطنها، وهو من قبيلتنا هذه فلان<sup>(١٤)</sup> .  
 ثم ذكر ما يمتاز به الوالي من العلم والمعرفة، وما قام به من تأليف فقال: (وقد ألف ولده  
 النجيب محمد الوالي، تواليف تدل على وفور علمه وكثرة إحاطته وتضلعه بالعلوم، منها  
 المنهل في علم التوحيد ونظمه على انتقابة ومنها قصائد وأشعار<sup>(١٥)</sup> .  
 ومن أشعاره هذه القصيدة التي ينكر فيها على المشتغلين بالتنجيم ومعرفة علوم الفلك، وترك  
 العلوم الشرعية، يقول فيها<sup>(١٦)</sup> :

من عذيري من أناس نجّموا	أفسدوا الدين وأبدؤا كل ضر
تركوا علم الكتاب المنزل	وحدثاً جا به هادي البشر
وعلمو الشرع والفقهِ التي	تنفع المرء وتحميه الخطر
صرفوا همّ إلى مكسبهم	لخطام زائل لا يستقر
آثرو الدنيا على أحرهم	لم يباعوا ما يؤديهم لضر

إلى آخر القصيدة، التي تبلغ سبعة عشر بيتاً.

كذلك من أشعاره هذه الوصية التي تُحفظ للصبيان يقول فيها من الرجز:

أوصيكم يا معشر الإخوان	عليكم بطاعة الديان <sup>(١٧)</sup>
إياكم أن تهملوا أوقاتكم	فتندموا يوماً على ما فاتكم
وإنما غنيمة الإنسان	شبابه والخُسْر في التواني



وَعَمَّروا أوقاتكم بالطاعة      والذكر كل لحظة وساعة  
فمن تَفُتُّه ساعة في عمره      تكن عليه حسرة في قبره  
إلى آخر القصيدة التي تقارب الثلاثين بيتاً.

ومن آثاره العلمية، هذه المنظومة في النحو التي تقارب ثلاثمائة بيتٍ وهي من نوع نظم العلوم، يقول في مقدمتها بعد البسملة والحمدلة.

وهذه منظومة مقرباً      بدءاً لمن يريد لها قد وجباً<sup>(١٨)</sup>  
ومن يريد علمها له يجب      وقل من يُتقنها ولم يُصِبْ  
سميتها بسُلم الطالب      لمن يروم كتب الإعراب  
سهل التعبير بالتقريب      وعداً بعون الله لا مكذوب  
والله في النفع وفي التسهيل      أرجو بجاه السيد الجليل  
ثم يبدأ في نظم مسائل النحو وأبوابها. وله آثار آخر، لم يتسع المجال لتبعتها.

### الشيخ محمد الأمين الكانمي:

كان الشيخ محمد الأمين الكانمي رجل علم وفقه ودين وسياسة، وقد ظهر هذا الشيخ في أوائل القرن الثالث عشر الهجري وأواخر القرن الثامن عشر الميلادي كعالم له أتباعه وتلامذته ومريديه، فقد اشتهر الأمين الكانمي بالصلاح والتقوى والتصوف، لكن الأوضاع السياسية المتردية في كانم آنذاك ساقته إلى سدة الحكم وزجت به في معمة الصراع السياسي.

ولد الكانمي بمنطقة دال- أو دالة - بكانم عام ١٧٧٨م، من أم كانمية وأب عربي وقيل العكس<sup>(١٩)</sup>.

أما تاريخ ميلاده ١٧٧٨ فقد حدده الكاتب عبد الله نجيب محمد في مقال له بعنوان: محمد الأمين الكانمي، زعيم برنو المجاهد، وذلك في مجلة الأزهر عدد صفر ١٤١٦هـ يوليو

١٩٩٥م، الجزء الثاني السنة ٦٨، إلا أنه حدد مكان الميلاد بفزان، وتابعه على ذلك محمد سعيد القشاط في كتابه من أعلام الصحراء، وزاد عليه بأن حدد القرية التي وُلد فيها وهي -تراغن.

نشأ الكائمي في منطقة بحيرة تشاد وطلب العلم في موطنه وخارجه ثم زار فاس بالمغرب والقاهرة والحجاز ونال من العلم ما لم يفز به غيره في حينه وعاد إلى موطنه عالماً عارفاً بالله يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، فكثرت أتباعه وتلاميذه والتف الناس حوله من جميع القبائل الموجودة حول بحيرة تشاد وما جاورها حتى ذاع صيته وعلت مكانته وعمت شهرته، يقول عنه الشيخ إبراهيم صالح الحسيني (كان رجلاً مشهوراً بالعلم، والمعرفة، وكان فقيهاً بارعاً، وصوفياً دمث الأخلاق، وكان ذكياً غاية في الذكاء، كان على اتصال بعلماء الأمصار التي زارها كالقاهرة والحرمين الشريفين، والقدس وفاس بالمغرب، ولقد قضى خمس سنوات بالأزهر الشريف<sup>(٢٠)</sup>).

اعتلى عرش الحكم في مطلع القرن التاسع عشر في الفترة ما بين ١٨١٨-١٨٣٥م ومما مهد له الطريق إلى تسلّم زمام الأمور في كاتم، تلك الظروف التي صاحبت مكانته العلمية وتدهور الأوضاع السياسية في المنطقة إثر تنامي قوة الفلانيين في نيجيريا بقيادة الشيخ عثمان بن فودي. فيتبادلون الرسائل الإصلاحية بعد هدوء الصراع المسلح، ويُدَيِّلُ كل طرف رسالته بأبيات شعرية هو ما يهمننا في هذا المجال فيُدَيِّلُ محمد بيلو رسالته التي بعث بها إلى الأمين الكائمي بهذه الأبيات:

رسالة ناصح يبيدي اليقيننا <sup>(٢١)</sup>	ألا من مبلغ عني الأميننا
به، برءاء فأوف العذر فينا	تعام إننا مما رمينا
علوا أو فسادا قاصدنا	وأنا ما تقلبنا عليهم
وبغياً -صاح- قمنا دافعينا	ولكن حين أخرجنا اعتداء

تبين أمرنا هذا أخاناً      وفتشهُ ولا تعجل علينا  
 فدع عنك الركون إلى الأعادي      ونصر الظالمين الفاجرينا  
 وتعلم أنهم أهل اعتداء      ووال أخوا الصالح المومنيننا  
 وخاللهم وظاهرهم عليهم      فإن الله مخزي الكافريننا

فيرد عليه الأمين الكانمي بهذه الأبيات عقب رسالة بعث بها إليه رداً لرسالته:

ألا عم صباحاً واحضر الذهن إنني      حريص على من يقبل القول بالفهم<sup>(٢٢)</sup>  
 فإني أرى نفسي على الحق والهدى      وما زغت يوماً عن طريق ذوي العلم  
 وما كنت مختاراً لما قد سمعتم      من الغزو والغارات والسفك للدم  
 ولست بعاتٍ في قتالي ومعتدٍ      عليهم، ولكن دافع الجور والظلم  
 كإنقاذ غرقى والحريق ومن ظلم      وذا واجب لا خوف فيه من الإثم  
 وفي الصلح خير إن رضيتم جوابنا      لننجو من التأويل والقول بالرجم  
 ولكن جيرانى الذين يلونكم      ذوو حبط لا يرتضون بذا السلم  
 فنسأل رب العرش يجمع أمرنا      على البر والتقوى ويحسن بالختم

وقال كتبت الأبيات بعد أن ركب الأصحاب على عجل وألحقتها فلا تنظروا ما فيها من

حلل والمقصد صحيح والسلام.

وفي الوقت ذاته ظهر في إقليم وداي ثلاثة علماء وشعراء، هم الشيخ الولي يعقوب بن إدريس، المعروف بأبي كويسة، والشيخ أحمد الحبو، والشيخ عبد الحميد الراشدي، ظهر هؤلاء بأشعار هي من صميم شعر العلماء الذي كان للنقاد فيه رأي.

### إقليم نيجيريا:

إذا انتقلنا إلى إقليم نيجيريا، ذاك الإقليم الحافل بعلمائه وشعرائه فإن هذه الصفحات سوف تضييق بذكرهم، حسبنا أن نأخذ نماذج لكل قرن، ففي القرون التي سبقت قرن ابن فودي لم يكن الشعر بمزدهر بما فيه الكفاية؛ أما في عهد ابن فودي وبعده فإن الأزقة والشوارع قد امتلأت به حتى الثمالة. يقول الشيخ محمد بلو بن عثمان بن فودي في رثاء الشيخ جبريل بن عمر الذي كان أستاذاً للشيخ عثمان بن فودي، وذلك في القرن الثاني عشر الهجري:

إن قيل في بحسن الظن ما قيل فموجة أنا من أمواج جبريلا<sup>(٢٣)</sup>  
ويقول عنه أيضا<sup>(٢٤)</sup>:

شيخ الشيوخ بأرضينا جبريل كشفت به ظلم الضلال كأنه  
بركاته ما نالها تفصيل في كشفها لبلادنا قنديل  
ويقول الشيخ عبد الله بن فودي عن هذا الشيخ:

فوق المبارز بالعلوم متوج شيخ الشيوخ فريد دهر ظاهر  
دين النبي المستقيم المنهج جبريل من جبر الإله به لنا  
والدين في وهج كشيء بهرج وافي وحزب ضلالة في -تلعة-  
متهزئ ولأثم متلجلج وأزاح منه حنادس الأعلاج من  
والشبل عند السير مثل الخنزرج وله شبول نائبون مكانه

يفهم من هذه الأبيات أن زمن الشيخ عثمان ملئ بالعلماء الأجلاء الفطاحل يرثيهم الشعراء إذا فقدوا.

وكانت نيجيريا وإقليم كنو بالأخص يُعجُّ بالعلماء منذ القرن الثاني الهجري وحتى عهد عثمان بن فودي القرن الثاني عشر منه.

أما في عهد الشيخ عثمان فإن أبرز الشعراء هم: ابنه محمد بلُو وأخوه عبد الله بن فودي الذي شغل الساحة حينها، واستخدم الأغراض الشعرية المطروقة كالمدح والفخر والثناء، وركز كثيرا على شعر الجهاد نظراً للدعوة التي تبناها هو وأخوه عثمان. يقول في تشجيعه لأخيه عثمان على مواصلة الدعوة<sup>(٢٥)</sup>.

ألا أبلغن عنى لحي رسالة	تعيها رجال أو نساء صوالح
لعالمهم أو طالب العلم رائم	لإظهار دين الله فيه يناصح
ولا تخش في إظهار دين محمد	بقولة قالٍ تأتسيه كنتاج
ولا تخش تكذيبا وإنكار جاحد	وهزء جهول ضل والحق صابح
وغيبة هماز وضغن مشاحن	يساعد من للعوائد راكح
وليس لما تبني يد الله هادم	وليس لأمر الله إن جاء ضارح

ويقول عن الجهاد<sup>(٢٦)</sup>:

رحلنا إليهم بالعيال ومالنا	حصرناهم شهرا بيباهم الحوا
ولم يبق بيت بين ريم وحصنهم	-ومازم- ومازوزي- لذلك ماخوا
فخلوا لنا أقواتهم وبلادهم	ونحن حواء بين زوم وطان روا
ويوم أتينا للقتال فأدبروا	نُقتلهم من تل -ماسوا- لدنبوا

إلى آخر القصيدة.

وفي الرثاء يقول محمد الناصر عندما زار قبر شيخه جبريل عمر<sup>(٢٧)</sup>:

حصل المراد ونلت هذا السولا	مذ زرت هذا القطب جبرائلا
كم دمعة لي بالشمال سفحتها	حرى تصب، وكم تهب شمولا
ومنعها حذي مخافة كاشح	جهل الهوى فمنحتها المنديلا
يادرة هي في الهوى أصلى بها	فقت الأصول وكم تهب شمولا

ضاءت فلم يك مشرق أو مغرب      إلا وكانت فيهما قنديلا  
يا درة تحت الرمال ونورها      عم البسيطة عرضها وطولا  
إلى آخر القصيدة الطويلة التي تنبئ بشاعرية قائلها لأنه ارتجلها في حينه ومع ذلك  
جاءت موزونة مرصوفة الألفاظ متسقة المعاني.  
فنحن إذا أخذنا الشيخ عبد الله بن فودي وابن أخيه الشيخ محمد بلو ومحمد الناصر كبرا  
هذا، لكفونا الحديث عن ماضي الشعر في إفريقيا.

#### إقليم مالي:

أما إقليم مالي الذي شهد ولادة أول دولة إسلامية في إفريقيا، هي دولة التكرور، بقيادة  
محمد الوجيه الفلاني في القرن التاسع الميلادي، فقد قام هذا الإقليم بدور مهم في مجال  
نشر الإسلام والثقافة الإسلامية والعلم والمعرفة وحتى الشعر في إفريقيا<sup>(٢٨)</sup>.  
خرّج هذا الإقليم علماء أجلاء أمثال الشيخ الحاج عمر مالم كبر، من علماء القرن الثاني  
عشر الهجري، لقد تحول هذا العالم حول بلاد الإسلام ونشر العلوم الشرعية والعربية وسكن  
أخيراً بلاد هوسا -كنو (نيجيريا)، يقول عن بلده ومدينته تمبكتو.

مدينتي	تمبكت	أحبها ما عشت
ومثلها ما ريت	بكل أفق جزت	
يا وطني تمبكت	دم في أمان قلت	
لولاك ما قاربت	إذا هبنا رباك	
أو ما شذي رباك	يا طب دائي جئت	
منابع العرفان	معارف الرحمن	
والسر والإعلان	فأصله تمبكت	

إن وليَّ الله ناصر دين الله  
 قال قريب الله السرر في تمبكت  
 تمبكت دار الكُـبـرَا دار وليي يعمـرا  
 وقد ولي -مَـي كـبـرَا مع السلام تمبكت<sup>(٢٩)</sup>

ومن علماء هذا الإقليم، الشيخ عبد الله ثقة، الحافظ العلامة كعبة قُصَّاد علم الحديث، تجول في بلاد السودان- كنو- فزان، واستقر أخيرا في كنو- تزاحم على بابہ الطلاب من شتى النواحي وقَدَّره العلماء حتى رثاه أحد أصحابه بقوله:

مدينة العلم عبد الله ذاك سكا وفي التعدد خذ من بعده عمرا

ولا أحصي علماء وشعراء مالي الذين أسهموا إسهاما بينا في نشر العلم في إفريقيا، فدورهم واضح وظاهر كظهور الشمس في وضح النهار.

ويكفي تمبكتو شرفا أن خرَّجت - علماء مشهورين أمثال الشيخ عبد الرحمن السعدى صاحب كتاب: تاريخ السودان والقاضي محمود كعت صاحب كتاب تاريخ الفتاش، والشيخ أحمد بابا المشهور بالتمبكتي، صاحب كتاب: الابتهاج بتطريز الديباج في تراجم المالكية. وغيرهم كثير.

ولو تتبع الباحث علماء وشعراء أقاليم إفريقيا لطلال البحث أكثر من اللازم؛ إذ أن هذا الأمر يحتاج إلى مؤلفات مطولة؛ وما أورده الباحث هنا هو عبارة عن نماذج لماضي الشعر في إفريقيا وحسب.

### المبحث الثاني: حاضر الشعر العربي في إفريقيا:

يقصد بهذا العنوان الفترة التي نالت الاستقلال وامتلك فيها زمام الحكم أبناء كل إقليم، فعملوا جاهدين في تطوير بلدانهم وازدهارها علميا وثقافيا واقتصاديا.

فقد أنشئت المدارس وبنيت الجامعات وتعلم وتثقف كثير من أبناء إفريقيا وحصلوا على ثقافة عالية في علوم اللغة، فكان منهم الشعراء والمحاضرون في الجامعات يعنون باللغة ويمحصون فيها بالنقد اللغوي والعروضي، فمن الطبيعي أن تهذب الأشعار ويكثر قائلوها، لذلك ظهرت الدواوين في كل بقعة من أفريقيا شرقها وغربها ووسطها.

وكان النصيب الأكبر في النتاج الشعري يحظى به إقليم تشاد في وسط إفريقيا، إذ أنشئت جامعة كاملة تدرس العلوم المختلفة باللغة العربية وفي مقدمتها علوم اللغة، تلك هي جامعة الملك فيصل بتشاد في إنجمينا كانت بهذه الجامعة كلية كاملة تسمى: كلية اللغة العربية، وبداخلها شعبة اللغة العربية وشعبة القراءات والدراسات الإسلامية، وأُلق بالكلية مؤخرًا، قسم الصحافة والإعلام وقسم اللغات والترجمة بالإضافة إلى قسمي اللغة العربية والقراءات والدراسات الإسلامية وذلك بعد أن غُيّر اسم الكلية إلى كلية الآداب والإعلام والفنون.

وبأبي في مقدمة شعراء هذا الإقليم كل من الشاعر عيسى عبد الله عميد الأدب المعاصر في تشاد، والشاعر عبد الواحد حسن السنوسي، والدكتور محمد عمر الفال، والدكتور حسب الله مهدي فضلة الفائز بجائزة الإيسسكو الأدبية في الشعر العربي في إفريقيا، في الرباط بالمغرب عام ٢٠٠١م.

فحاضر الشعر العربي في تشاد في هذه الفترة في ازدهار مستمر إذ ظهر لأغلب الشعراء دواوين شعرية بعد أن كان من قبل يُعد بالقصيدتين والثلاثة.

فعيسى عبد الله له أربعة دواوين طُبِع منها اثنان، وعبد الواحد له ديوانان طُبِع أحدهما، وعبد القادر محمد أبيه له ديوانان لم يطبع منهما واحد، وحسب الله مهدي فضلة له ديوان واحد مطبوع، ومحمد عمر الفال له ديوان واحد مطبوع، وعباس عبد الواحد له ديوان واحد مطبوع ناهيك عن القصائد المتفرقة.



طرق أصحاب هذه الدواوين، الأغراض الشعرية المعروفة في الشعر العربي وزادوا عليها موضوعات طرقوها هم رأوها مهمة في حياتهم، مثل الموضوعات الوطنية والسياسية والاجتماعية. تحدثوا فيها عن أوطانهم وما تعانيه هذه الأوطان من تخلف وعدم حرية رأي، وفي الموضوعات الاجتماعية تحدثوا عن الأخلاق الفاسدة للشعب لاسيما الشباب والفتيات.

يقول عيسى عبد الله عن الوطن<sup>(٣٠)</sup>:

يا مؤذنا فوق عالي الذرى يصبح  
هذه الديار التي كان ساكنوها  
حينما تداعت وحوش الورى عليهم  
ما استشار حكامها الشعب عن طريق  
هكذا الديار العذاري غدت سبايا  
حيث لا ترى غير مستعمر جديد  
أو ولي أمر يزيد اشتعال جمر  
خوف غدره من أخ لم يراع قُربى  
أو مُدى بأيدي دعاة رأوا فزاغوا  
إلى آخر القصيدة التي يتحدث فيها بأسى عن أرضه التي لم ينلها الاستقلال الحقيقي  
فهي تعاني من حكامها الجدد وشعبها يعاني الولايات من هؤلاء المستعمرين الجدد خدمة  
للمستعمر القديم.

ويقول عبد القادر محمد أبه عن الشعر السياسي: في قصيدة بعنوان - ملاك:

أنا يا أيها الناس ملاكا لست شيطانا

لقد عادوا ينادونا لعدل عندهم كانا

وقد زعموا بأنهم لهم في العدل برهانا  
لقد كذبوا، لقد كذبوا، كفى التاريخ سلطانا  
فلا التاريخ ينسأهم ولا التاريخ ينسانا  
لهم في كل زاوية سجينا ثم سجانا  
ومشقة ومغسلة ومقبرة ودفانا  
لهم في كل أخدود دماء جمرها قانا  
يغشونا يضلونا باسم العدل بهتانا  
باسم العدل حكمونا وهم بالنار سلطانا  
أنا أيها الناس ملاكا لست شيطانا.

وللدكتور محمد عمر الفال جولة حول الموضوعات الاجتماعية نأخذ منها قصيدة بعنوان:  
صرخة - يتحدث فيها عن فساد الأخلاق لدى المجتمع:

أنا لا أظن ولي بذاك شهادة أن نتهدي بمعالم الإشراق<sup>(٣١)</sup>  
ما لم نقد نفوسنا وعقولنا وبيوتنا بشريعة الخلاق  
أنا لا أظن ولي بذاك دلائل أن نرتقي لمكارم الأخلاق  
ما لم نرب بناتنا وشبابنا بعري الفضيلة والعفاف الواقية  
أنا يؤمل من يرانا جهرة رغد الحياة وعيشة الخلاق  
أنا ينام على السرير مهتأ خالي الهموم محارب الفساق  
كيف الرجاء مع الذنوب وأنتم لا تسمعون لمرشد مصداق  
تتهافتون على الرذائل والخنا كتهافت التجار في الأسواق  
تدافعون على المواخر ويحكم كتدافع الجبان والمراق  
ولكم خلال لا مثيل لمثلها كخلال قوم ما لهم من واق

من ذاك ظلم شامل وتخاصم  
وتحاسد في الكسب والأرزاق  
والجنس فهو مراد كل مدبر  
ومخطط ومنظر محذوق  
كيف الخلاص وذي الصفات محيطة  
فيكم لتذهب نعمة الرزاق  
كيف الخلاص من الهوان وأنتم  
لا تشتهون سوى الهوان الباقي  
وبناتكم لا يأترون بأمركم  
للفاسقين يجلن في الآفاق  
وشبابكم كالغانيات تخشاً  
ونساؤكم لم يرضهن توبر  
وتمرداً بالذل والإرهاق  
فالله بر بالعباد وكلنا  
يخرجن حيث أردن كالسراق  
يرجو الخلاص من الفساد الراق

وهكذا تتوالي صرخات الشعراء تنكراً للرديلة.

ذكرت هنا الموضوعات الوطنية والسياسية والاجتماعية لأنها هي التي شغلت الساحة في الوقت الحاضر أما الأغراض التقليدية كالمدح والغزل والفخر وما إلى ذلك، فلا معنى لها عند الشباب الطموح الذي يسعى لخدمة وطنه ومجتمعه لذلك لم أعرج بها.

أما إقليم غرب إفريقيا، فإن السنغال تحتل الصدارة والشيخ إبراهيم إنياس الكولخي، يكفي لوحده أن يكون نموذجاً للشعر العربي في إفريقيا.

فقد طبقت شهرة الشيخ الآفاق وانبرى الشباب لتلقي قصائده بالحفظ والدراسة والتلحين فهو علم على نار وإن كانت قصائده كلها تنصب حول مدح الرسول عليه الصلاة والسلام، لكن لغة الشيخ وأسلوبه يعربان عن شاعرية فذة نبغت في إفريقيا ما كان يظن العرب أن مثل هذه النبتة تظهر في إفريقيا.

لقد أثر الشيخ إبراهيم إنياس تأثيراً واضحاً على شباب إفريقيا حيث قام بجولات في أقطارها فاقتدى به الكبار والصغار، كما ضمن الشيخ رحلاته في قصيدة طويلة تسمى الرحلة الكوناكرية، يقول فيها<sup>(٣١)</sup>:

حمداً لمن في ذكره قل سيروا  
ثم الصلاة والسلام سرمداً  
قد جاء إذن في السياحة فها  
رافقتي من كوخ الأمين  
ومن دكار حين طرت جاء  
أجيب دعوتي كناكر  
في الأرض من سرى له البشير  
على النبي المصطفى محمداً  
أنا أسير اقتفى ذوي النهى  
فهو أمين الله لا أمين  
خير السوري وباطني أضاء  
كما حماني الله من مناكري  
يذكر الشيخ كل المدن التي زارها ثم رجع إلى مدينة - كوخ.

ورحت بعد لمدينة سالمًا  
وللشيخ دواوين ستة من الشعر كلها في مدح خير البرية.

إلى جانب الشيخ هناك شعراء يمثلون إقليم السنغال، منهم الشيخ محمد البشير بن أحمد  
بما أمبكي ١٣١٣هـ - ١٨٩٥-١٩٦٦م، عالم وشاعر مقل، له مقطوعات شعرية في  
التوسل والدعاء والوعظ ومدح الرسول علي الصلاة والسلام.  
يقول في إحدى مقطوعاته:

زار الحبيب فمرحبا أهلا به  
فاحلل مهاد القلب غير مزاحم  
أكرم به من ذي مقام نابه  
برياضه كلا ولا برحابه  
فاترك لدي اسم الوداع لأنه  
ذكرى تحرك للمعذب ما به

ويقول في أخرى:

باسم المهيمن مجريها بقدرته  
سبل السلام بإذن الله ساكنة  
سبحانه وهو مرسيتها على مهل  
تبارك الله في حل ومرتحل  
من المعاطب في سهل وفي جبل  
فالله يكلؤها فيها ويعصمها

هذه الأبيات مقتبسة من الآية ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَحْرِنَهَا وَفُرْسَتَهَا ﴾ (٤١) هود: ٤١ ويتضح بجلاء أن الشعر العربي في غرب إفريقيا ذو طابع ديني صوفي نشأ على أحضان الفقهاء والصوفيين، وذو أسلوب سهل تقريرى لا غرابة في ألفاظه ولا تعقيد في معانيه مما يدل على أن قائله ذوو ثقافة قرآنية وفقهية بدليل هذه الاقتباسات.

أما إقليم نيجيريا فغني عن التعريف، بدليل هذه الأشعار التي امتلأت بها المؤلفات الأدبية النيجيرية، فقد نظم الوزير جنيد وابن أخيه عبد القادر بن الوزير محمد البخاري أشعاراً تحدثنا فيها عن أحوال البلاد وما أحدثه المستعمر فيها من فساد، يقول الشاعر الوزير جنيد<sup>(٣٢)</sup>:

صارت مراتع للوحوش بُعيد أن	كانت مقاصد حاضراً أو باد
أقوت فلست ترى بها أحداً سوى	الحرباء لائذة على الأعواد
قامت تخاطبني فعزَّ كلامها	فلكم سكوتٌ معلنٌ بمراد
وتلونت ففهمت منه تلون الأ	حوال في الدنيا فعزَّ رقادى
لم لا أنادي في الطلول وهذه	الأطيار فوق غصونهن شوادى
ألوانها ما بين أبيض ناصع	أو أحمر أو مشرب بسواد
تشدو وترقص في حلى أرياشها	رقص القيان بجلة الأعياد
أسفي على طلل يمازحني متى	ناديت خالقي على المعتاد

إلى آخر القصيدة التي يبين فيها حال الوطن على يد المستعمر البغيض.

وغيره من أمثال شعراء الغزل، الأديب القاضي عمر إبراهيم، وشعراء المناسبات العالم عبد القادر مثطو، وشعراء الشعر التعليمي، عبد القادر بن الوزير محمد البخاري.

يقول القاضي عمر إبراهيم<sup>(٣٣)</sup>:

يا حبيبي يا حبيب أصغ سمعاً للحبيب

\*\*\*\*\*

\*\*\*\*\*،،،

هل أتاك اليوم أني صرت عظما في الشعر  
 ذهب اللحم بخاراً صاعداً من حر نار  
 ماثلا فوقي سحابا لا أرى ضوء النهار  
 وهو لا ينزل مطراً أو يبرك بجواري

وهناك العلماء الدعاة والمتصوفة لهم شعر في التوسل والاستغاثة والدعوة والوعظ، وجميع هذه الطوائف أسهمت إسهاماً بيناً وبارزاً في حركة حاضر الشعر في نيجيريا.

### المبحث الثالث: مستقبل الشعر العربي في إفريقيا:

يختلف إقليم تشاد عن باقي أقاليم إفريقيا بسبب وجود العناصر العربية بكثرة في هذه الأراضي والعرب أينما حلوا حلت معهم لغتهم ويصحب اللغة الشعر كما ذكرت في المقدمة، وبذلك تكون حركة الشعر في هذا الإقليم أكثر وضوحاً من غيره.

زد على ذلك نشاط الجمعيات المدنية المطالبة برسمية اللغة العربية وتطبيقها فعلياً في الإدارة، وقد أقرت الدولة رسمية اللغة العربية في الدستور لكن تطبيقها ما زال يعاني من مشكلات جمة وما زالت الجمعيات المطالبة بذلك تضغط على إدارة الدولة لتفعيل الموضوع. ونتيجة لهذا الضغط، فقد فتحت الدولة الأقسام العربية في أغلب مؤسسات التعليم العليا - الجامعات والمعاهد العليا إرضاء لهذه المتطلبات. مما يؤذن بمستقبل باهر إن شاء الله لتقدم اللغة العربية في إفريقيا والشعر يصاحب ذلك.

لأننا نشهد من حين لآخر ولادة نشاط جديد للشعر من الشباب المثقفين باللغة العربية، كمنظمة مبدعون وعصبة رواد الابداع والصالون الأدبي وغيرها، وأغلب المنظمين لهذه المنظمات هم هواة الأدب وقارضي الشعر، بل بدأت هذه المنظمات في إنشاء ما يسمى بمدارس النقد التي يفتقد إليها الأدب بعام في هذا الإقليم.

وفي الكمرون أنشأت الدولة معهداً للمعلمين في -مروا- باللغة العربية نتيجة لكثرة الطلاب الذين يدرسون العربية ثم يعودون إلى الدولة فلا يجدون ملجأ أو مأوى يرتكزون عليه، وهذا أيضا يبشر بمستقبل للغة العربية وآدابها في إفريقيا، فقد سجل أحد الطلاب في هذا المعهد رسالة ماجستير، حول مقارنة بين أحد الشعراء الكمرونيين ومحمد عمر الفال شاعر من تشاد، وهذا يعني أن الشعر وجد مكانته في إفريقيا وينتظر المزيد في المستقبل القريب إن شاء الله.

أما في إقليم نيجيريا، فإن الجامعات في كل مدنها تقريبا بها قسم للغة العربية تخرج فيه طلبة ناقشوا الماجستير والدكتوراه في اللغة العربية نحواً وصرفاً وأدباً، كما وفد إلى هذه الجامعات دكاترة فطاحل ليدرسوا اللغة شعراً ونثراً، في الجامعات النيجيرية، وهذا يعني أن المستقبل يكون باهراً طالما عجلة التعليم باللغة العربية تسير بخطوات ثابتة بهذا الشكل. وينطبق هذا الوضع في كل من بوركينا فاسو والسنغال ومالي وغينيا والنيجر لأن الطلاب من هذه الدول يدرسون باللغة العربية في الدول العربية وبعضهم في الجامعة العربية في تشاد، وبعضهم في الجامعات النيجيرية في الأقسام العربية فيها، وعندما يرجع هؤلاء الطلاب إلى بلدانهم يقومون بحركة ثقافية عربية إسلامية، بعضهم أسس مدارس عربية هناك وبعضهم صار شاعراً وبعضهم ناقش رسائل علمية على مستوى الماجستير والدكتوراه؛ وهكذا النشاط متواصل مما يبشر بمستقبل باهر للشعر العربي في إفريقيا، ولا ننسى الجامعة الإسلامية التي تدرس باللغة العربية في النيجر وغيرها من الجامعات العربية الخاصة التي بدأت تتكاثر في الآونة الأخيرة.

### الخلاصة:

إذا رجعنا إلى رواد الشعر العربي في إفريقيا نجد أنهم ينقسمون إلى قسمين شعراء الطبع وشعراء الصنعة.

أما شعراء الطبع فقليلون، ويختلف عددهم من إقليم لآخر، ففي ماضي الشعر العربي في إفريقيا ربما نجد شاعراً مطبوعاً في إقليم تشاد، كإبراهيم الكانمي مثلاً، وربما لا نجد في باقي أقاليم إفريقيا، وكذلك الأمر في حاضر الشعر العربي في إفريقيا. أما شعراء الصنعة، فهم رواد الشعر العربي في إفريقيا ماضيه وحاضره لأننا لا نجد شاعراً في تلك الفترات إلا وهو فقيه عالم يتعلم اللغة العربية وقواعدها نحواً و صرفاً وعروضاً، ثم يحاول النظم على منوال هذه القواعد مثل هذا الشعر يسمى الشعر المتكلف أو شعر الصنعة، وهذه الصنعة تنطبق حتى على حاضر الشعر العربي في إفريقيا. غير أن حاضر الشعر العربي في إفريقيا يكون من هذه الناحية أحسن حالاً من حالته في الفترة السابقة وإن لم يكن الفرق كبيراً.

#### قائمة المصادر والمراجع:

- الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي، مجموع رحلات الشيخ إبراهيم إنياس بقلم خليفة الشيخ وخادمه الشيخ علي سيسي بن الحسن.
- الشيخ إبراهيم صالح الحسيني، الأبعاد التاريخية للإسلام في إفريقيا والدعوة الإسلامية الطرح الجديد، بحث حر مطبوع بالآلة غير منشور.
- الشيخ إبراهيم صالح الحسيني، تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم برنو، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة ١٩٧٦م.
- الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق الدكتور محمد قرقران، دار المعرفة بيروت لبنان، ط ١، ١٩٨٨م، ج ١.
- سليمان عثمان سليمان، الشيخ محمد الوالي وكتابه سلم الطلاب بحث أعد لنيل درجة الماجستير في قسم الدراسات العربية والإسلامية، جامعة ميدغري نيجيريا، عام ١٩٩٤م.



شيخو أحمد سعيد غلادنتي، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، المكتبة الإفريقية،  
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، ط ٢.

ملخص من كتاب: الفلانة في إفريقيا ومساهماتهم الإسلامية والتنمية في السودان للمؤلف: الطيب  
عبدالرحيم محمد الفلاني، دار الكتاب الحديث، الكويت، ط ١، ١٩٩٤ م، ١٤١٥ هـ.

عبد القادر محمد أبه: ديوان: إعصار في فؤاد، مكتوب بالآلة غير منشور.  
من محاضرات الدكتور عبد الله حمدنا الله في الأدب العربي التشادي للفرقة الثالثة، جامعة  
إنجمينا، العام ٢٠٠٠-٢٠٠١ م.

د/ عبد النعيم ضيفي عثمان عبد النعيم، تاريخ الإسلام في شمال نيجيريا، وجهاد عثمان دن  
فودي، المكتبة الأزهرية للتراث، ط ١، - ٢٠١١-١٤٣٢ هـ.

عيسى عبد الله، ديوان: حذو ما قالت حدام، مجلس الثقافة العام ٢٠٠٦ م، طرابلس، ليبيا.  
فضل كلود الدكو، الثقافة الإسلامية في تشاد، في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم- برنو،  
منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ١٩٩٨ م، ط ١.

قريب الله محمد الناصر المختار: الرسالة الجليلة لمكانة نيجيريا العلمية منشورات المكتبة  
القادرية بكانو، نيجيريا، تنفيذ، دار الآن للطباعة والنشر.

محمد أحمد أبو سحر، عبد الله بن فودي وإسهامه العلمي والشعري في دولة سوكتو،  
نيجيريا، ط ١ - ٢٠١٥ (ب-م).

محمد بن شريفة، من أعلام التواصل بين بلاد العرب وبلاد السودان، منشورات معهد  
الدراسات الإفريقية، الرباط، المغرب، ١٩٩٢ م.

محمد بيلو بن عثمان دان فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق بمحة  
الشاذلي، منشورات معهد الدراسات الإفريقية الرباط المغرب، ١٩٩٦ م.

محمد عمر الفال: ديوان أصداء النفس، بورصة الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر،  
ط ١، ٢٠١٤ م.

## الهوامش:

- (١) الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق الدكتور محمد قرقران، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٨م، ج١، ص: ٩١.
- (٢) د/ عبد النعيم ضيفي عثمان عبد النعيم، تاريخ الإسلام في شمال نيجيريا، وجهاد عثمان دن فودي، المكتبة الأزهرية للتراث، ط١، ٢٠١١-١٤٣٢هـ، ص: ٥.
- (٣) الشيخ إبراهيم صالح الحسيني، تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم برنو، القاهرة، ١٩٧٦م، ص: ٧٤.
- (٤) من محاضرات الدكتور عبد الله حمدنا الله في الأدب العربي التشادي للفرقة الثالثة، جامعة انجمينا، العام ٢٠٠٠-٢٠٠١م.
- (٥) من محاضرات الدكتور عبد الله حمدنا الله، مصدر سابق، ص:
- (٦) محمد بن شريفة، من أعلام التواصل بين بلاد العرب وبلاد السودان، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، المغرب، ١٩٩٢م، ص:
- (٧) محمد بن شريفة، من أعلام التواصل بين بلاد العرب وبلاد السودان، ص: ٢٥.
- (٨) المصدر نفسه، ص: ٣٤.
- (٩) المصدر نفسه، ص: ١٨.
- (١٠) محمد بن شريفة، من أعلام التواصل بين بلاد العرب وبلاد السودان، ص: ١٧.
- (١١) المصدر نفسه، ص: ٣٨.
- (١٢) سليمان عثمان سليمان، الشيخ محمد الوالي وكتابه سلم الطلاب، بحث أعد لنيل درجة الماجستير في قسم الدراسات العربية والإسلامية، جامعة ميدغري نيجيريا، عام ١٩٩٤م، ص: ٣٠.
- (١٣) محمد بلو بن عثمان، بن فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق بهيجة الشاذلي، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، المغرب، ١٩٩٦م، ص: ٥١.
- (١٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها..
- (١٥) إنفاق الميسور، المصدر السابق، ص: ٥١.
- (١٦) المصدر نفسه، ص: ٥١.
- (١٧) قصيدة الوصية مخطوط بيد الباحث.
- (١٨) سليمان عثمان سليمان: الشيخ محمد الوالي وكتابه سلم الطلاب، المرجع السابق، ص: ٢٩.

- (١٩) الشيخ إبراهيم صالح الحسيني، الأبعاد التاريخية للإسلام في إفريقيا والدعوة الإسلامية الطرح الجديد، بحث مطبوع بالآلة غير منشور، ص: ٣٧
- (٢٠) الشيخ إبراهيم صالح الحسيني، تاريخ الإسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم برنو، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة ١٩٧٦م، ص: ١١٩ بتصرف.
- (٢١) إنفاق الميسور، ص: ٢٧٤.
- (٢٢) انفاق الميسور، ص: ٢٧٨
- (٢٣) قريب الله محمد الناصر المختار: الرسالة الجليلة لمكانة نيجيريا العلمية، منشورات المكتبة القادرية بكنو، نيجيريا، تنفيذ، دارالآن للطباعة والنشر، ص: ٥٠.
- (٢٤) المرجع نفسه، ص: ٥١.
- (٢٥) إنفاق الميسور، المرجع السابق ص: ٨٩.
- (٢٦) محمد أحمد أبو سحر، عبد الله بن فودي وإسهامه العلمي والشعري في دولة سوكونو، نيجيريا، ط١-٢٠١٥-(ب-م) ص: ٢١٦.
- (٢٧) الرسالة الجليلة، المرجع السابق، ص: ٥٢.
- (٢٨) ملخص كتاب: الفلانة في إفريقيا ومساهماتهم الإسلامية والتنمية في السودان للمؤلف: الطيب عبد الرحيم محمد الفلاني، دارالكتاب الحديث، الكويت، ط١، ١٩٩٤م، ١٤١٥هـ
- (٢٩) الرسالة الجليلة، المرجع السابق، ص: ٥٣ هامش.
- (٣٠) عيسى عبد الله، ديوان: حذوما قالت حذاح، مجلس الثقافة العام ٢٠٠٦م، طرابلس، ليبيا، ص: ٥٩.
- (٣١) محمد عمر الفال: ديوان أصداء النفس، بورصة الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١٤م، ص: ١٤.
- (٣٢) الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي، مجموع رحلات الشيخ إبراهيم إنياس بقلم خليفة الشيخ وخادمه الشيخ على سيبي بن الحسن، ص: ٨٣.
- (٣٣) شيخو أحمد سعيد غلا دنثي، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، المكتبة الإفريقية، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ط٢، ص: ١٥١.
- (٣٤) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص: ١٦٥.

## عرض كتاب "سيد قطب والنقد الأدبي" للبروفيسور محمد الأول أبي بكر

إعداد:

### سماني حسن حسين

قسم اللغة العربية، جامعة كاشيري الفيدرالية، ولاية غومبي- نيجيريا

[hassansammani84@gmail.com](mailto:hassansammani84@gmail.com); +2347037733449

و

### الدكتور عمر عبدالله

قسم اللغة العربية، جامعة كاشيري الفيدرالية، ولاية غومبي- نيجيريا

[drumarabdullahig@gmail.com](mailto:drumarabdullahig@gmail.com); +2348033656179

مستخلص:

يعد محمد الأول أبوبكر أحد العلماء الأكفاء في نيجيريا الذين ينبغي أن تتسابق الأقلام إلى ضبط تاريخ حياتهم العلمية، وإسهاماتهم في دفع حركة التعليم العربي الإسلامي، وللأستاذ الدكتور محمد الأول مؤلفات في اللغة وفنونها، ومن مؤلفاته كتاب "سيد قطب والنقد الأدبي" وهو كتاب عن حياة الناقد الفحل سيد قطب المصري وأفكاره في النقد الأدبي، فهذه الورقة تهدف إلى عرض ودراسة هذا الكتاب بغية الكشف عن قيمته العلمية ومنهج المؤلف فيه، والمصادر التي استعان بها في تأليفه. وتستعين المقالة بالمنهج الوصفي. والمقالة مقسمة إلى محورين أساسيين؛ يتناول المحور الأول شخصية الأستاذ الدكتور محمد الأول أبوبكر، بينما يتناول المحور الثاني كتابه " سيد قطب والنقد الأدبي".

**المحور الأول: نبذة عن حياة البروفيسور محمد أول أبوبكر.**

**نسبه ومولده:**

هو محمد الأول أبوبكر من مواليد ١٩٤٨م بحارة (مكواراري-Makwarari) بمدينة كنو بنيجريا<sup>(١)</sup>.

**نشأته:**

نشأ محمد الأول في أسرة علمية، فتعلّم القراءة والخط من خلال القرآن الكريم الذي أضاء أقطار قلبه، فقذف فيه حب القرآن ولغته<sup>(٢)</sup>.

وفيما بين عام ١٩٥٧-١٩٦١م تلقى تعلمه الابتدائي في مدرسة العلوم الدينية -فوق التي أسسها المحسن الكبير الحاج محمد السنوسي (طُنُّ تَاتَا) رحمه الله بعد أن شاهد نموذجا لها خلال زيارته إلى السودان. وكان التعليم في المعهد بالمجان بما في ذلك الكتب المقررة والزبي المدرسي ومنح مالية للتلاميذ بعد كل شهر<sup>(٣)</sup>.

والتحق محمد أول بمدرسة العلوم العربية الثانوية بمدينة كنو سنة ١٩٦٦م وتخرج فيها عام ١٩٦٩م بدرجة الامتياز<sup>١</sup>. إلا أنه رسب في امتحان القبول ثلاث مرات قبل أن يجد القبول فيها، ولربما سبب ذلك يرجع إلى قلة الفرص المتاحة لقبول الطلاب، ويذكر الأستاذ محمد أول: إنّ مكونات العلمية والأدبية والثقافية شهدت رسوخا في هذه المرحلة...<sup>(٤)</sup>.

وفي سنة ١٩٧٠م التحق بقسم اللغة العربية جامعة أحمد بللو زاريا، وتخرّج أيضا بالامتياز وذلك في سنة ١٩٧٤م.

ومن الجدير بالذكر أن طلاب الامتياز في ذلك الحين يمضون ستة أشهر خلال السنة ما قبل الأخيرة لدراستهم في جمهورية السودان ليسبقوا اللغة من يناييعها، وكان هو ممن استفاد بهذا النظام وذلك في سنة ١٩٧٣م<sup>(٥)</sup>.

ثم انتقل إلى إنجلترا والتحق بجامعة (أدنبره) حيث حصل على الماجستير والدكتوراه في النقد الأدبي الحديث خلال عامي ١٩٧٨ و ١٩٨٤م على التوالي<sup>(٦)</sup>.

#### إنتاجاته:

- كان له عديد من الإنتاجات والبحوث العلمية، فمن الكتب:
- سيد قطب والنقد الأدبي
- محمد النويهي والنقد الأدبي.
- من رسالة الإسلام (بلغه هوسا).
- مذكرات إمام وخطيب في مناخ جامعي.
- العربية الميسرة الجديدة للمرحلة الإعدادية في ثلاثة أجزاء مع آخرين.
- العربية الميسرة الجديدة للمرحلة الثانوية في ثلاثة أجزاء مع آخرين.
- ملامح عن حياتي في اللغة العربية تعلمًا وتعليمًا.
- وله عدة بحوث منشورة في المجالات باللغتين العربية والإنجليزية منها:
- التقويم الأدبي عند محمد النويهي. نشر في مجلة كلية الآداب والدراسات الإسلامية جامعة بايرو، سنة ١٩٩٩م.
- ملامح من ديوان الشيخ يحيى بن محمد النفاخ. نشر في مجلة (الوجال) سنة ١٩٩٩م.
- شعر الحاج الكماسي. نشر في مجلة (دراسات عربية) قسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو، سنة ١٩٧٦م.
- كما شهد ندوات عديدة منها محلية ودولية، وقدم خلالها مقالات قيمة منها:
- بعض مظاهر النقد الاجتماعي في شعر محمد الواثق، قدمت بقسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو، سنة ١٩٨٦م.

- الفرص الذهبية المتاحة لخريجي الجامعات الإسلامية في نيجيريا، قدمت في الندوة العالمية برعاية رابطة الجامعات الإسلامية بالجزائر.
- عرض كتاب الوزير جنيد بعنوان (الجامعة وصلتها بالمجتمع) التي أجريت بالجامعة الإسلامية بساي جمهورية النيجر، عام ١٩٩٨م.

#### أساتذته:

- درس محمد أول على يد كثير من العلماء الأكفاء بدءاً من الدهاليز والابتدائية والثانوية والجامعة، منهم على سبيل المثال:
- الشيخ يوسف بن عبدالله الوئعري رحمه الله.
  - الشيخ عدو دماسو.
  - الأستاذ الدكتور عبدالرحمن أيوب.
  - الدكتور محمد شرف الدين.
  - الدكتور أحمد عبدالحميد غراب.
  - الأستاذ المرحوم أبوبكر بلاري رحمه الله.
  - الأستاذ الدكتور علي نائي سويد رحمه الله.
  - الأستاذ محمد مجنيو رحمه الله.
  - الأستاذ محمد أول (طَنُ يَلَوُ) رحمه الله.
  - الشيخ عبد الرؤوف المصري.

#### تلامذته:

- فقد يصعب بالضبط ذكر تلامذة العالم الذي أفنى حياته في التعليم، إذ درّس في جامعة بايرو ما يزيد على ثلاثين سنة إضافة إلى تدريسه للمستوى قبل الجامعة، فمن تلامذته ما يلي:
- البروفيسور الطاهر محمد داود، قسم اللغة العربية، جامعة بايرو كنو.

- البروفيسور مصطفى حسين إسماعيل، قسم اللغة العربية، جامعة بايرو كنو.
- البروفيسور إبراهيم أحمد مقري، قسم اللغة العربية، جامعة بايرو كنو سابقا.
- الدكتور محمد العاشر أول أرزي، قسم اللغة العربية، جامعة بايرو كنو.
- الدكتور محمد (مَي) أبوبكر، قسم الدراسات العربية والإسلامية، جامعة ميدغري، ولاية برنو.
- الدكتور محمد أول شاويش، جامعة سلي لاميطوا، ولاية جغاوا- نيجيريا.
- الدكتور محمد أرمياء، قسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو- نيجيريا.
- الدكتور أبوبكر نوح فندا، قسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو- نيجيريا.
- الدكتور محمد أول إدريس، قسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو- نيجيريا.
- الدكتور منصور جبريل، قسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو- نيجيريا.
- الدكتور جميل عبد الله، قسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو- نيجيريا.
- الدكتورة بلقيس طاهر عمر، قسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو- نيجيريا.
- الدكتور محمد ذاکر، قسم الدراسات العربية والإسلامية، جامعة ميدغري، ولاية برنو.

المحور الثاني: عرض ودراسة كتاب "سيد قطب والنقد الأدبي" للبروفيسور محمد

الأول أبوبكر:

التعريف بالكتاب:

يعد هذا الكتاب من أهم الكتب التي أُلِّف في النقد الأدبي الحديث في دولة نيجيريا، حيث تناول فيه المؤلف قضايا نقدية قيمة، فقد قسم المؤلف كتابه إلى أربعة فصول، الفصل الأول نبذة تاريخية عن حياة سيد قطب، والفصل الثاني عالج فيه الأفكار النقدية عند سيد قطب، وجاء الفصل الثالث موضحا موقف سيد قطب في استخدام المعرفة غير الأدبية في محاولة فهم الأدب العربي وتقويمه، في حين جاء الفصل الرابع ليعطي نماذج من



النقد التطبيقي عند سيد قطب في الشعر - ديوان أعاصير مغرب للعقاد، وفي النثر - خان الخليلي لنجيب محفوظ. وفي الخاتمة ذكر المؤلف الجهود التي قام بها سيد قطب في النقد الأدبي الحديث.

### تاريخ الكتاب:

طبع هذا الكتاب مرتين، الأولى طبع في دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع بالرياض، المملكة العربية السعودية، سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م. والثانية في دار الحكمة للكتاب الإسلامي، سنة ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

### الموضوع الرئيسي للكتاب:

لقد كان النقد الأدبي عند سيد قطب هو الموضوع الأساس للكتاب، حيث أدرك المؤلف أن الدارسين لم يألفوا تأليفاً مستقلاً عن هذا الأديب الفحل وعن أفكاره النقدية؛ لذا قام المؤلف الأستاذ الدكتور محمد أول أبوبكر بتأليف هذا الكتاب.

### تقسيم الكتاب:

أما تقسيم الكتاب فهو على النحو التالي:

#### أولاً: المقدمة

مهّد الأستاذ الدكتور كتابه بالحديث عن الدراسات السابقة، وعدم اهتمام الباحثين بشخصية سيد قطب وإنتاجاته الأدبية إلا أربع محاولات عشر عليها، فصاحب المحاولة الأولى هو محمد النويهي في كتابه ثقافة الناقد الأدبي (بيروت - سنة ١٩٤٩م) حيث خصص خمس صفحات أشاد فيها بصفاء جوهر الذوق الأدبي عند سيد قطب وذلك عند تحليله للنصوص الأدبية وخاصة دراسته لنصوص القرآن الكريم.

ثم تلي هذه المحاولة مقالة بعنوان "الفنون الأدبية" لمحمد يوسف نجم في كتاب الأدب العربي في آثار الدارسين (بيروت - سنة ١٩٦١م) حيث خصص المؤلف صفحتين خطط فيهما تخطيطا سريعا عن حياة سيد قطب الأدبية.

ويلي ذلك ما قام به كمال زكي في كتابه النقد الأدبي الحديث: أصوله واتجاهاته (القاهرة - سنة ١٩٧٦م) فخصص لسيد قطب بضعة أسطر اعتبره فيها من المتحذلقين في ساحة النقد.

أما المحاولة الأخيرة فتأتي في رسالة جامعية منشورة لعبد العزيز الدسوقي بعنوان "تطور النقد الأدبي الحديث في مصر" (القاهرة - سنة ١٩٧٧م) حيث خصص الباحث صفحة واحدة أشار فيها إلى نقد سيد قطب النفسي.

فقد لاحظ الأستاذ الدكتور محمد الأول أبوبكر أنه بحاجة ماسة إلى دراسة أعمال الناقد الفحل سيد قطب الأدبية والنقدية؛ لذلك خصص كتابا كاملا عن سيد قطب وإسهامه في النقد الأدبي.

### ثانيا: الفصل الأول

يبدأ الفصل الأول بذكر التفاصيل عن حياة سيد قطب<sup>(٧)</sup> وطبقته الاجتماعية<sup>(٨)</sup>، وانطلق إلى ذكر العوامل التي كوّنته أدبيا فحلا بعد ملازمة أستاذه طه حسين وعباس محمود العقاد، ومعاركه الأدبية مع جماعة أبولو، وتلاميذ مصطفى صادق الرافعي، ومحمد مندور وغيرهم في الدفاع عن أستاذه عباس محمود العقاد<sup>(٩)</sup>.

وفي الصفحة السابعة والعشرين من الكتاب ذكر كيف انضم سيد قطب إلى جماعة (الإخوان المسلمون) وكيف غيرت ميله الأدبي إلى خدمة الإسلام والفكر الإسلامي مباشرة مما أثرى المكتبة الإسلامية بكتب قيمة ومفيدة.

### ثالثاً: الفصل الثاني

خصص المؤلف الفصل الثاني للأفكار النقدية عند سيد قطب، إلا أنه عرض بعض أعماله النقدية قبل الخوض في عرض الأفكار، فذكر من أعماله النقدية: كتاب "مهمة الشاعر في الحياة، وشعر الجيل الحاضر" سنة ١٩٣٢م، وديوانه المسمى "الشاطئ المجهول" سنة ١٩٣٥م، و"التصوير الفني في القرآن" و"كتب وشخصيات" سنة ١٩٤٦م، و"النقد الأدبي أصوله ومناهجه" سنة ١٩٤٧م، وفي عام ١٩٤٨م صدر منه كتاب "مشاهد القيامة في القرآن".

أما عن أفكاره النقدية، فقد ذكر المؤلف أنها مرت بثلاث مراحل رئيسية، ولكل مرحلة اهتماماتها الخاصة، وتمتد المرحلة الأولى من سنة ١٩٣٢ - ١٩٤٣م، وهي التي ظهرت فيها أفكاره النقدية الأساسية (مرحلة التأسيس)، وفيها اهتم سيد قطب بتعريف الشعر والشاعر ولغته، وعن علاقة الشعر بالخيال. وأما المرحلة الثانية (مرحلة الدعم والتصنيف) فأفكاره تظل إلى حد كبير على ما هي عليه في المرحلة السابقة إلا ما دخل عليها من بعض التعديلات والتوضيح والتنقل إلى نقطة التركيز، ففي المرحلة السابقة كان يركز على صدق الشعور وعمقه وتمييزه، في حين يركز اهتمامه في هذه المرحلة على إمكانات اللغة العربية كوسيلة للتعبير عن التجربة الشعورية. كما نجد اهتمامه في هذه المرحلة إلى ما عدا الشعر من الأنواع الأدبية، كالرواية، والقصة القصيرة، والمسرحية...<sup>(١٠)</sup> وواصل السير في هذا الفصل يبيّن أفكار سيد قطب تجاه عملية الإبداع الأدبي، ودور اللغة والموسيقى في التعبير عن التجربة الشعرية، وإبراز شخصية الشاعر<sup>(١١)</sup>.

وأشار المؤلف في المرحلة الثالثة (المرحلة الإسلامية) إلى الرؤية الإسلامية للأدب عند سيد قطب بعد انضمامه إلى جماعة الإخوان المسلمين ومثّل تأثره بالرؤية الإسلامية ما أورده في كتابيه "طفل من القرية و أشواك". كما نجد ذلك في نقده وتقويمه على كتاب "وسوسة الشيطان" لعبد الحميد جودة السحار.

### رابعاً: الفصل الثالث

وفي هذا الفصل ناقش المؤلف قضية استخدام المعرفة غير الأدبية في النقد الأدبي عند سيد قطب، حيث تناول هذا الموضوع مطولاً في كتابه النقد الأدبي: أصوله ومناهجه، وبيّن أن الناقد لا يستغني عن استخدام المعرفة غير الأدبية في نقده كالفلسفة إذ أن لها دوراً إيجابياً في إثراء النقد الأدبي من حيث أنها توسع أفق الناقد ونظرته إلى الأدب<sup>(٨)</sup>، كما قد يستعين الناقد بعلم النفس بل يعد هذا العلم أقرب إلى الأدب من العلوم الأخرى، لأنه يتصل اتصالاً وثيقاً بعقل الإنسان وعاطفته.

وفي الفصل نفسه تطرق المؤلف إلى مناهج النقد الأدبي عند سيد قطب، وهي في رأيه تنحصر في أربعة مناهج: المنهج الفني، والمنهج النفسي، والمنهج التاريخي، وأنها متداخلة ومتكاملة فيما بينها، والناقد لا يستغني عن واحد منها في تقويمه للعمل الأدبي، ومن أجل هذه الحقيقة أثبت منهجاً رابعاً وهو المنهج المتكامل الذي يستغل إمكانيات المناهج للوصول إلى الحكم الصحيح والأقرب إلى الكمال بالنسبة للعمل الأدبي.

واختتم المؤلف حديثه في الفصل الرابع بإيراد نماذج النقد الأدبي عند سيد قطب في الشعر والنثر، حيث مثّل في الشعر بنقده لديوان أعاصير مغرب لأستاذه عباس محمود العقاد، وفي النثر بنقده لكتاب "خان الخليلي" لنجيب محفوظ.

### خامساً: الملاحظات النقدية من خلال كتاب " سيد قطب والنقد الأدبي "

لقد أسهم سيد قطب في دراسة الأعمال النقدية كما أورد المؤلف في هذا الكتاب، والأهم منها تتمثل في قضية التجربة الشعرية، ونظرية الأنواع الأدبية، واستخدام العلوم غير الأدبية في عملية النقد.

- التجربة الشعرية

مفهوم التجربة الشعرية

للتجربة الشعرية عند الأدباء تعريفات عدة منها: ما يقول عبده عبد العزيز قليقة: (التجربة الشعرية هي التعبير بالشعر عن التجربة الشعورية، والتجربة الشعورية هي رد فعل نفسي لحدث مؤثر، وبعبارة أدق هي: استجابة وجدانية لمثير ما، ماديا أو معنويا)<sup>(١٢)</sup>. وفي هذه المرحلة يرى سيد قطب ضرورة بروز شخصية الشاعر والأديب بصفة عامة في عمله الأدبي. والعمل الأدبي لا بد أن يكون فيه الشعور، في حين يرى المستشرق (ستالن هيمن) في كتابه "المدارس الحديثة للنقد الأدبي أن النصوص قد تكون أدبية وإن لم يكن فيها الشعور.

- استخدام العلوم غير الأدبية في النقد الأدبي.

وفيما يمس هذه القضية، فقد أثبت سيد قطب ضرورة استخدام العلوم غير الأدبية في النقد الأدبي كالفلسفة، وعلم الجمال وعلم النفس، وبين أن لها تأثيرا في تقويم العمل الأدبي لأنه يتصل اتصالا وثيقا بعقل الإنسان وعاطفته. وإن كان هناك من سبقه إلى التفتن إلى هذه القضية كأستاذة عباس محمود العقاد في كتابه (ابن الرومي: حياته من شعره) و محمد النويهي في كتابه (شخصية بشّار) إلا أنه أسهب الكلام فيها، ووضع لها أسسا وقوانين.

- الأنواع الأدبية.

يعد الأدب أحد الألوان التعبيرية حول أفكار الإنسان وعواطفه ومخاوفه، والتي يعبر عنها باستخدام الأساليب الكتابية المتنوعة كالشعر والنثر. وفي هذه الصدد يرى سيد قطب أنه لا يوجد فارق بين الشعر والقصة والمسرحية والرواية والخطابة والأمثال والحكم؛ لأنها ترمي إلى مغزى واحد وهو الإمتاع.

**سادسا: منهج الكتاب:**

- لقد انتهج المؤلف في تأليف كتابه هذا منهجا علميا رصينا، استطاع من خلاله أن يقدم مادة علمية جديدة بالاعتبار، ويمكن تلخيص هذا المنهج في النقاط التالية:
- (١) ذكر للقارئ العلة في تأليف هذا الكتاب.
  - (٢) وضع العناوين مستقلة لكل موضوع قبل التطرق إليه.
  - (٣) حاول أن يمهد لكل فصل قبل الخوض فيه.
  - (٤) لم يلتزم بكتابة الهوامش تحت كل صفحة بل كتبها في آخر كل فصل.
  - (٥) وأثناء تحليله ومناقشته لأفكار سيد قطب النقدية حاول تقسيم الأفكار تسهيلا للقارئ.

**سابعا: مصادر الأستاذ الدكتور في تأليف كتاب "سيد قطب والنقد الأدبي"**

- مما لا شك فيه أن المعلومات التي يتضمنها أي كتاب علمي لا تنبت من فراغ، بل من المصادر والمراجع التي اعتمد عليها المؤلف في تأليفه ذلك الكتاب، وبناء على هذا فإن مؤلف كتاب سيد قطب والنقد الأدبي قد استعان واستفاد بجملة من المصادر والمرجع العربية والأجنبية. وقد ذكر أسماءها في ثنايا الكتاب، منها:
- (١) مؤلفات سيد قطب كديوان الشاطئ الجهول، و"النقد الأدبي: أصوله ومناهجه"، و"مهمة الشاعر في الحياة"، و"التصوير الفني في القرآن"، و"شعر الجيل الحاضر"، و"طفل من القرية"، و"خصائص التصور الإسلامي ومقوماته" وغيرها.
  - (٢) "الأدب العربي في آثار الدارسين"، لصالح أحمد عبد العلي وآخرين.
  - (٣) "تطور النقد الأدبي"، لمحمد النويهي.
  - (٤) "لسان العرب" لابن منظور.

(5) Charlton, H. B, The Art of Literary Study, London, 9240.

(6) Daiches, David, A Study of Literature, Oxford, 1948.

(7) Safran, Nadav, Egypt in Search of Political Community, Cambridge, Mass, 1961

## تاسعا: الخاتمة:

- لقد مر في هذه المقالة الحديث عن السيرة الذاتية للأستاذ الدكتور محمد الأول أبي بكر وحياته العلمية والتعليمية مع ذكر مؤلفاته، ثم تطرق إلى الحديث عن كتابه "سيد قطب والنقد الأدبي" والموضوعات الواردة في الكتاب، ومنهجه في تأليف الكتاب، ثم المراجع التي اعتمد عليها، وفي الختام استطاع البحث أن يصل إلى النتائج العلمية التالية:
- يعتبر كتاب سيد قطب والنقد الأدبي من أهم ما ألفه علماء نيجيريا في مجال النقد الأدبي، لما احتوى من مادة علمية دسمة.
  - أسهم سيد قطب في ربط الأنواع الأدبية بعضها مع بعض على ما يثيره مؤلف الكتاب المعروض.
  - يعد محمد الأول من أوائل نقاد الأدب العربي المعاصرين في نيجيريا.

## الهوامش والمراجع:

- (١) بشير لَوْن، تطور التعليم العربي في بعض المدارس القرآنية وإسلامية الابتدائية (الأهلية) بمدينة كنو: تاريخ ودراسة، بحث تكميلي للحصول على شهادة الليسانس، قسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو نيجيريا، سنة ٢٠٠٨م، ص: ٧٢.
- (٢) الأستاذ الدكتور محمد أول أبوبكر، ملامح عن حياتي في اللغة العربية تعلمًا وتعليمًا، Versatile Education Consultancy Services Ltd Kano Nigeria، ط: ١، سنة: ٢٠١٩، ص: ٥.
- (٣) المرجع نفسه، ص: ٦-٧.
- (٤) بشير لَوْن، المرجع السابق، ص: ٧٢.
- (٥) الأستاذ الدكتور محمد أول أبوبكر، المرجع السابق، ص: ٩-١٠.
- (٦) المرجع نفسه، ص: ١٦.
- (٧) بشير لَوْن، المرجع السابق، ص: ٧٣.
- (٨) ولد سنة ١٩٠٧م بقرية موشا، محافظة أسيوط في مصر.
- (٩) الأستاذ الدكتور محمد أول أبوبكر، سيد قطب والنقد الأدبي، دار الحكمة للكتاب الإسلامي، ط/٢، سنة/٢٠١١م-١٤٣٢هـ، ص/٥.

- (١٠) المرجع نفسه، ص/١٥-١٩.
- (١١) المرجع نفسه، ص/٦٢-٧٤.
- (١٢) المرجع نفسه، ص/٣٩-٧٥.
- (١٣) المرجع نفسه، ص/٩٣-٩٤.
- (١٤) عبده عبدالعزيز قلقيلة، التجربة الشعرية عند ابن المغرب، الرياض، النادي الأدبي، ط/١،  
١٩٨٦، ص/٦٧.



## التشخيص في قصيدة "إني أغادر أرضكم" جائحة كورونا في الخطاب الرسمي إلى أنحاء العالم للشاعر عبد العزيز محمد سلمان الياقوتي

إعداد:

**د. المتبولي شيخ كبر**

قسم اللغة العربية، جامعة بايروكنو-نيجيريا  
[mskabara.ara@buk.edu.ng](mailto:mskabara.ara@buk.edu.ng); +2348036574727

**المستخلص:**

يتناول البحث دراسة ظاهرة بيانية فنية هي التشخيص (الذي هو إضفاء الصفات الإنسانية على الجمادات) في قصيدة شاعر نيجيري هو عبد العزيز الياقوتي، التي تحدث فيها على لسان جائحة كورونا، وَعَنْوَنَهَا بـ"إني أغادر أرضكم" حيث جعل من هذا الوباء إنسانا يلقي خطابا على مسامع الناس ويشرهم بمغادرة أرضهم. وقد وقفت الدراسة مع الشاعر في كيفية استخدامه لهذه الظاهرة في جميع أبيات القصيدة، وهي من أهم الظواهر البلاغية في النص الأدبي تمنحه تميزا فنيا.

**مدخل:**

عاشت معظم مناطق العالم الإسلامي - بما في ذلك نيجيريا- أسوأ أيامها خلال شهور السنة الماضية ٢٠٢٠ بعد تفشي وباء كورونا المستجد (كوفيد ١٩). ذلك الفيروس الذي سلب العالم صحبه، وأجبره على تخفيف هرولته، فباتت الشوارع خالية، والمدن مهجورة، وامتألت البيوت بسكانها، الأمر الذي أدى إلى إصابة الجانب الاقتصادي بالشلل، ووقفت حياة معظم الناس على حافة الهاوية؛ حيث صار بعض أفراد العائلات لا يجدون لقمة العيش إلا بعرق الجبين. ولم تتوقف الأزمة عند هذا الحد؛ بل شملت الجانب الديني، حيث

أغلقت المساجد والجوامع. وأمر كهذا مما يثير قرائح الشعراء لإبراز ما أكتنّه ضمائرهم نحو هذه الحالة على طريقتهم الفنية.

وتهدف الورقة إلى دراسة ظاهرة فنية ترتبط بالاستعارة ارتباطاً وثيقاً، هي: التشخيص في قصيدة أحد الشعراء في نيجيريا "عبد العزيز محمد سلمان الياقوتي"، قالها في جائحة كورونا. وقد مهد الكاتب عن هذه القصيدة بذكر شيء عن جائحة كورونا وانتشارها في العالم. ثم تلا ذلك الحديث عن معنى التشخيص، وبعد ذلك حاول الكاتب رصد هذه الظاهرة في قصيدة الشاعر والوقوف على جمالياتها وأثرها في إغناء النص الشعري وتأثيره في الصور البلاغية الجميلة، مستخدماً المنهج الوصفي، حيث أسفر البحث عن كون الشاعر موفقاً فيما نحاه من التأثير في نفس المتلقي.

#### التمهيد:

#### فيروس "كورونا" أو "كوفيد ١٩" وانتشاره في العالم:

الوباء هو: انتشار مرض يهاجم عددًا من الناس في وقت واحد تقريبًا. وقد ينتشر الوباء في مجتمع واحد أو عدة مجتمعات. وعندما ينتشر مرض ما في إقليم معين بشكل دائم يقال إنه مرض متوطن. وأما الجائحة فتكون عند ما ينتشر المرض في العالم كله. وتنتج الأمراض التي تعتبر وبائية من جراثيم تنتقل من شخص إلى آخر. ومن الأمثلة على هذه الأمراض الحصبة والديفتيريا والكوليرا والإنفلونزا<sup>(١)</sup>.

وأما وباء فيروس كورونا، أو جائحة كوفيد ١٩، والمعروفة أيضا باسم جائحة كورونا فهي: جائحة عالمية مستمرة حاليا لمرض فيروس كورونا ٢٠١٩ (كوفيد ١٩)، سببها فيروس كورونا المرتبط بالمتلازمة التنفسية الحادة الشديدة (سارس - كوف ٢-).

تفشى المرض للمرة الأولى في مدينة ووهان الصينية في أوائل شهر ديسمبر عام ٢٠١٩، وأعلنت منظمة الصحة العالمية (WHO) رسمياً في ٣٠ يناير أن

تفشي الفيروس يشكل حالة طوارئ صحية عامة تبعث على القلق الدولي، وأكدت تحول الفاشية إلى جائحة يوم ١١ مارس. أبلغ عن أكثر من ١٩٤ مليون إصابة بكوفيد ١٩ في أكثر من ١٨٨ دولة ومنظمة، وحتى تاريخ ٢٧ يوليو ٢٠٢١، تتضمن أكثر من ٤,١٧٠,٠٠٠ حالة وفاة، بالإصابة إلى تعافي أكثر من مليون مصاب. وتعتبر الولايات المتحدة أكثر الدول تضررا من الجائحة، حيث سجلت أكثر من ربع مجموع عدد الإصابات المؤكدة<sup>(٢)</sup>.

وفي خلال جائحة فيروس كورونا الجديد، اعتمد العلماء مصطلح Covid-19 كتسمية رسمية لوصف الفيروس. وفي ظل حالة الارتباك الناجمة عن الإجراءات الصارمة للحكومات لحسم انتشار المرض تتزايد الأسئلة المحيرة المتعلقة بالفيروس، حيث يحاول الكثيرون معرفة كل المعلومات والتفاصيل حوله، وفقا لروسيا اليوم. ومن بين الأسئلة الأكثر طرحا بشأن فيروس كورونا هي: ما الذي يعنيه اسم Covid-19؟ ولماذا يتم استخدام المصطلح<sup>(٣)</sup>؟

وبعبارة بسيطة يمكن تقسم مصطلح Covid-19 إلى CO اختصارا لكورونا (Corona)، و VI إشارة إلى كلمة فيروس (Virus)، و D اختصارا لكلمة مرض (Disease)، فيما يرمز الرقم ١٩ إلى سنة ٢٠١٩، العام الذي ظهر فيه الفيروس لأول مرة<sup>(٤)</sup>.

وأطلق على المرض الناجم من فيروس كورونا هذا الاسم من قبل منظمة الصحة العالمية، التي قالت: "إن وجود اسم مهم لمنع استخدام أسماء أخرى يمكن أن تكون غير دقيقة". وقال الخبراء إن اسم المرض مفيد أثناء تفشي الوباء<sup>(٥)</sup>.

وقبل أن يتم تسميته رسميا باسم Covid-19، كان العلماء يطلقون على فيروس كورونا الجديد ٢٠١٩-nCoV، وهي تسمية تعني الفيروس الناجم الجديد في عام ٢٠١٩<sup>(٦)</sup>.

وينتقل الفيروس للمرة الأولى عند المخالطة للصيقة بين الأفراد، وغالبا عبر الرذاذ والقطرات الناتجة عن السعال أو العطاس أو التحدث. عادة ما تسقط القطرات على الأرض أو على الأسطح دون أن ينتقل عبر الهواء لمسافات طويلة. في سياق أقل شيوعا، قد

يصاب الأفراد نتيجة لمس العينين أو الفم أو الأنف بعد لمس سطح ملوث بالفيروس. وتبلغ قابلية العدوى ذروتها خلال الأيام الثلاثة الأولى بعد ظهور الأعراض، مع إمكانية انتقال المرض قبل ظهورها عبر المرضى غير العرضيين<sup>(٧)</sup>.

وتتضمن الأعراض الشائعة للمرض الحمى، والسعال، والإعياء، وضيق التنفس، وفقدان حاسيتي الشم والذوق. وقد تشمل قائمة المضاعفات كلا من ذات الرئة ومتلازمة الضائقة التنفسية الحادة. وتتراوح المدة الزمنية الفاصلة بين التعرض للفيروس وبداية الأعراض من يومين حتى ١٤ يوما بمعدل وسطي يبلغ خمسة أيام<sup>(٨)</sup>.

#### التشخيص لغة واصطلاحاً:

مما لا شك فيه أن التشخيص بوصفه مصطلحاً نقدياً دخل إلى النقد العربي الحديث عن طريق الغرب. وبالرغم من أن "التشخيص ظاهرة عامة في الأدب العاطفي في كل العصور والأمم، فقد أكثر الرومانتيكيون منها وكان طابعها في أدبهم أصدق وأكثر تنوعاً وأوسع مدى، ولذا عدّ خاصة من خصائصهم"<sup>(٩)</sup>. إلا أن هذا لا يعني خلوق أدبنا العربي منه، ويمكن ملاحظة ذلك عن طريق تتبع المصطلح لغة واصطلاحاً.

فالتشخيص في اللغة: من الشخص وهو سواد الإنسان إذا رأيت جسمانه من بعيد، فقد رأيت شخصه، ويقال: شخص الجرح إذا ورم، وشخص بصر فلان: إذا فتح عينه، وشخص البصر: ارتفاع الأجفان إلى فوق، ويقال شخصت الكلمة في الفم: إذا ارتفعت نحو الحنك الأعلى<sup>(١٠)</sup>، ومن المجاز شخص الشيء إذا عينه أي معين، وفي المعجم الوسيط "الشخص" كل جسم له ارتفاع وظهور<sup>(١١)</sup>.

أما التشخيص اصطلاحاً: فهو "إبراز الجمادات أو مجرد من الحياة من خلال الصورة بشكل كائن متميز بالشعور والحركة والحياة"<sup>(١٢)</sup> أي أنه إكساب صفة الحركة والحياة للجماد، وهناك من عرفه بأنه "نسبة صفات البشر إلى أفكار مجردة أو إلى أشياء لا تتصف

بالحياة"<sup>(١٣)</sup>. وقصد بالأفكار المجردة المعنويات. وعرفه آخر بأنه: "تحويل الأفكار والمشاعر إلى أشياء مادية وأفعال محسوسة، كمخاطبة الطبيعة كأنها شخص تسمع وتستجيب"، في حين يرى إبراهيم فتحي أن التشخيص: "تعبير بلاغي يسبغ على التجريدات والحيونات والمعاني والأشياء غير الحية شكلا وشخصية وسمات انفعالية إنسانية"<sup>(١٤)</sup>. وهو حسب رأي هربت ريد (Herbert Read): "وقف أشياء جامدة على أفعال حية"<sup>(١٥)</sup>. أو هو إعطاء الموضوعات غير الحيوية صفات الأشخاص<sup>(١٦)</sup>، ويعرفه جورج لايفكو (George Lakoff) ومارك جونسون (Mark Johnson) بأنه "مقولة عامة تغطي عددا كبيرا من الاستعارات حيث تنتقى كل منها مظاهر مختلفة لشخص ما أو طرقا مختلفة للنظر إليه، وما تشترك فيه كل هذه الاستعارات أنها تسمح لنا بأن نعطي معنى للظواهر في هذا العالم عن طريق ما هو بشري، فتفهمها اعتمادا على محفزاتنا وأهدافنا وأنشطتنا وخصائصنا"<sup>(١٧)</sup>.

والصورة التشخيصية نعني بها "إحياء المواد الحسية الجامدة وإكسابها إنسانية الإنسان"<sup>(١٨)</sup>، وهي ما يستخدمه الشعراء في تشخيص مظاهر الطبيعة الصامتة والمتحركة، بحيث تضحي الطبيعة خصوصا عاقلة تتفاعل وتتجاوب وتستشعر وجود الإنسان، وتسمع نبض عواطفه، ويخضع عليها الشاعر من ذاته فتمتزج الذات بالموضوع ليتحد في رحاب الفن، ولعل جمالياته تأثيره النفسي عند القارئ إذ يتلاشى عند الشعور بالغرابة والانعزال، لأن التشخيص يجعل الأشياء كائنات عاقلة أو أشخاصا يشعر المرء بمشاركتها الوجدانية وبهذا يتوحد المرء مع الأشياء"<sup>(١٩)</sup>.

وأما الأستاذ عباس محمود العقاد فيقول عن مفهوم التشخيص ودوره في تحقيق التلاحم والتعاقب بين مظاهر الكون المتعددة: "يقصد بالتشخيص تلك الملكة الخالقة التي تسخر قدرتها من سعة الشعور حيناً، أو من دقة الشعور حيناً آخر، فالشعور الواسع هو الذي يستوعب كل ما في الأرضين والسموات من الأجسام والمعاني، فإذا هي حية كلها لأنها جزء من تلك الحياة المستوعبة الشاملة"<sup>(٢٠)</sup>. فالتشخيص يتشكل عن طريق خلع الصفات

الإنسانية على كل المحسوسات والماديات، ونفهم من هذا أن التشخيص هو بث الحياة في غير الأحياء.

ويتضح مما تقدم أن التشخيص لون من ألوان التخيل، يتمثل في إضفاء الحياة والحركة إلى الجمادات، والمعنويات، والطبيعة، والحيوانات، فتصبح ذات حياة إنسانية، أي ما يطلق البعض عليه (الأنسنة)، وبوساطة التشخيص تكتسب الأشياء كلها عواطف آدمية، تشارك بها الآدميين، وتأخذهم منهم وتعطى... وتجعلهم يحسون الحياة في كل شيء تقع عليه العين، أو يتلبس به الحس.

ويقودنا هذا كله إلى وجود جذور عربية لهذا المصطلح النقدي (التشخيص)، فلو عدنا إلى البلاغة العربية لوجدنا مصطلحات بلاغية تحمل المعنى نفسه، ويمكن ملاحظة ذلك في (الاستعارة المكنية، والاستعارة التصريحية، والجاز العقلي)، فالتشخيص ظاهرة موجودة في بلاغتنا العربية، وإن اختلف المصطلح<sup>(٢١)</sup>. ونجد شيخ البلاغيين الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) عند حديثه عن الاستعارة التصريحية ودورها يقول: "فإنك لترى بها الجماد حيا ناطقا والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية... إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون، وإن شئت لطف الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها إلا الظنون، وهذه إشارات وتلويحات في بدائعها"<sup>(٢٢)</sup>. ولا شك أن هذا انزياح وخروج عن المألوف.

وبجانب المصطلح "التشخيص" هناك مصطلح آخر يرادفه عند بعضهم وهو: "التجسيد"، بينما يخص البعض التشخيص بالإنسان والتجسيد بالحيوان، في الوقت الذي يرى البعض الآخر أن التشخيص يختص بإكساب العنصر المصور أفعال وحركات وسلوكيات الكائن الحي حيث يعني التجسيد إكساب ذلك العنصر أعضاء الجسد الإنساني<sup>(٢٣)</sup>. أما البحث الجاري فيميل إلى رأي من يطلق التشخيص على إكساب العنصر (سواء صورة عقلية أم حسية) أفعال وحركات وسلوكيات الإنسان. وعلى هذا الأساس بنى

دراسته لهذه القصيدة. بينما ينصرف التجسيد، عنده إلى إكساب العناصر المجردة الصفات الحسية.

### نبذة عن الشاعر:

هو عبد العزيز محمد سلمان الياقوتي، من مواليد إلورن سنة: ١٩٧٨م، تلقى الدراسات الأساسية ابتدائياً وثانويًا ودبلوما في مدينة إلورن، ثم التحق بمعهد اللغة العربية والثقافة الإسلامية في جامعة أبومي كالفني جمهورية بينين الوطنية ٢٠٠١-٢٠٠٥م، وتخرج فيه بتقدير ممتاز وحضر الماجستير والدكتوراه في جامعة ولاية نصرأوا بكيفي، ٢٠١٤م ٢٠٢١م على التوالي، ثم نال الياقوتي شهادة الدبلوم العالي من كلية التربية الفدرالية بكنو ٢٠٠٦م.

خدم الوطن في كلية التربية لولاية زمفرا محاضرا في القسم العربي ٢٠٠٦م-٢٠٠٧م. شارك في الأمسيات الشعرية على المستوى الإقليمي، والوطني، والدولي، وقد ارتكز الرتبة الأولى في الأمسية الشعرية التي نظمتها دار العلوم لجهة العلماء والأئمة لمهرجان العيد الأربعينية ٢٠٠٣م، وكان هو من خريجي المدرسة. وهو الآن محاضر في قسم الدراسات العربية في الجامعة الفدرالية بلافيًا منذ ٢٠١٩م.

وقد شارك الياقوتي أيضا في المؤتمرات، والدورات، الأمر الذي جعله يشارك في نشر المقالات في المجلات المحكّمة في المستوى الوطني والدولي، وله الرغبة الشديدة في الكتابة عن جانب الدلالة كعنصر مهم في علم اللغة التطبيقي.

وللياقوتي دواوين مخطوطة، وقد نشر واحدا منها بعنوان: "الأميرات"، سنة: ٢٠٢٠م. ومن المخطوطات: الصدى، ووعي القلم. ومن مؤلفاته أيضًا: عبرات الأمل، قصة ٢٠١٥م. والضأن الأسود قصة، سنة ٢٠١٩م. وأصداء الطاووس في إنجازات البروفيسور سنوسي شعر سنة ٢٠٢١م. وهو متزوج، وله بنون وبنات مباركون إن شاء الله<sup>(٢٤)</sup>.

## نصّ القصيدة:

- (١) قلنا كثيرا عن وباء كورونا \*\*\* فالسفر منه لا يموت قرونا
- (٢) جال وصال بلا هوادة يا ترى \*\*\* شعراؤنا فغدا السكوت ديونا
- (٣) قالوا كرونا من جنود الله ما \*\*\* وافى بذنب بني الوري مطعونا
- (٤) جعلوا كرونا على الحياة مدبرا \*\*\* يسدى ويلحم كي يهد حصونا
- (٥) فالآن دورك يا كرونا فحدثن \*\*\* أصبحت أفصح يا كرونا كرونا
- (٦) سكرت بالفعل الحقول تكبرا \*\*\* وتكدرت حال الأنام مرونا
- (٧) شيدت في قعر القلوب مخافة \*\*\* تردي وتترع في السميادن هونا
- (٨) عطلت أنشطة التسوق مشعلا \*\*\* نار المجاعة في الوري ملعونا
- (٩) شتت من نظم الحياة جميعها \*\*\* وتركتها في "حيص بيص" مهينا
- (١٠) وغدت صروح العلم خالية فهل \*\*\* لك من مقال ما يسيع أمونا
- (١١) قل فالجميع على انتظارك مفصحا \*\*\* فالشكو يجلب للأمر شطونا
- (١٢) هذا جوابي للتساؤل إنني \*\*\* قدر المقدر ما أتى طاعونا
- (١٣) حقا هلكت على مؤامرة فقد \*\*\* أرسلت أنذر من يعيش خؤونا
- (١٤) حقا تعبت من عذابي حقبة \*\*\* فكأنها رغم القصور سنونا
- (١٥) عمرت أرجاء البلاد بفتنة \*\*\* تعيي العقول وقد فتنت فتونا
- (١٦) حتى يرى هذا الغبي بأني \*\*\* رب يخاف لقاءه مفتونا
- (١٧) أفلا أبشركم بأني ذاهب \*\*\* حالا أغادر أرضكم مدونا
- (١٨) كثر الدعاء وكان من أهل الهدى \*\*\* نسك يصير من يخاف أميننا
- (١٩) إني أرى مهج الأنام تطهرت \*\*\* من توبة تردي العناد طحيننا
- (٢٠) وغدت تطل إلى لقاء مبارك \*\*\* شهر الصيام لكي يهل حنوننا
- (٢١) فالطرف مني لا يكدر حبها \*\*\* وهلاله يهمني علي منونا



- (٢٢) رمضان نور يطفئن کرونا يا \*\*\* غيث الصيام غدا کرونا سحينا
- (٢٣) فالرمض يحرق كل أوبئة فقد \*\*\* جعل الكرونا من الجمال حزينا
- (٢٤) فارقتكم يا قوم يا لعطاؤه \*\*\* يقضي على كل الوباء مصونا
- (٢٥) قد كنت شيطاننا مريدا وهو لي \*\*\* ذو حرمة أحشى التلاقي حيناً
- (٢٦) قد كنت نارا أحرقت دنيا الورى \*\*\* وهو المياها أكون فيه رهيبا
- (٢٧) تبت يداي غدت حظوظي حرمت \*\*\* معدومة جاء المبارك لينا
- (٢٨) فتأهبوا ببقائه فعطوره \*\*\* تـرياق داء قائم مرهونا
- (٢٩) واستبشروا واسترشدوا واسترحموا \*\*\* فهدى المبارك لا يكيد متونا
- (٣٠) أنا لا أطيل عليكم فالقبر لي \*\*\* قد شقه هذا المبارك هونا
- (٣١) قد جاء يهطل في الحياة تنورا \*\*\* بعد الكورونا ما أباد الصينا
- (٣٢) رب المبارك اجعلن في ذا الورى \*\*\* أحلى الشفاء ما يرام قرونا
- (٣٣) رب المبارك لا تخوف أرضكم \*\*\* من بعد جائحة الوباء كورونا

### مظاهر التشخيص في القصيدة:

صدمت جائحة كورونا العالم برعبها وفزعها، وأقامت الدنيا وأقعدتها بويلاتها ونكباتها. وكان شعب الشاعر (الشعب النيجيري) من أشد المتضررين بمصائب هذا الوباء نظرا للأزمة الاقتصادية التي تعاني منها البلاد، فزاد الطين بلة بوجود كورونا التي أدت إلى غلق الأسواق والمساجد، ودهم الناس من الكوارث ما لم يسمعوا به لا هم ولا آباءهم من قبل. واشتد الضيق والظنك، وضاق الخناق على الناس من أجل فشو الأمراض والموت في معظم الولايات، زيادة على ما يعانیه الناس من شظف العيش، وصادف كل هذا اقتراب شهر الصيام (شهر رمضان المبارك)، وهذا ما جعل الشاعر يتفائل لأن رمضان شهر الخير والبركات، وشهر تصفد فيه الشياطين. فبدلا من أن يبشر الناس بأن الظلام كاد أن ينجلي

بقدم الشهر المبارك، عدل عن هذا، وسلك طريق الخلق والإبداع، فشخص هذا الوباء المسمى بكورونا؛ وأبرزه في صورة إنسان يلقي خطاباً رسمياً إلى أنحاء العالم يبشر الناس بأنه قد حان رحيله. فظهر هذا الإبداع من الشاعر منذ الوهلة الأولى عند وضع عنوان القصيدة، حيث جعل العنوان: (جائحة كورونا في الخطاب الرسمي إلى أنحاء العالم، عنوان القصيدة: إني أغادر أرضكم).

لعل أول وقفة مع الشاعر هي هذا العنوان. إذ لا أحد يجهل بأن كورونا ليس من البشر ولا من المتكلمين، فلا كلام له ولا صوت، بل إنه ليس من الذين تراهم العين المجردة، فلا يبصر إلا تحت المجهر. ولكن كيف تسنى للشاعر أن يظهره في صورة إنسان؟ وليس مجرد إنسان فقط، بل نظر إلى هيمنة هذا الوباء على العالم بأسره، فلذلك أبرزه في صورة إنسان من الطبقة العالية الذين يرأسون العالم، وتكون لهم كلمة مسموعة لدى الشعوب على اختلاف أوطانهم ومجتمعاتهم. فهو بمثابة من يمثل منصب الأمين العام للأمم المتحدة مثلاً، وإلا فكيف يكون له خطاب رسمي إلى أنحاء العالم؟ إنه الفنّ والخلق والإبداع!

افتتح الشاعر قصيدته ببيان ما يقوله الناس عن وباء كورونا حيث ذهب كثير منهم إلى أن هذا الوباء جند من جنود الله جاء نتيجة لكثرة الذنوب التي مازال بنو البشر يرتكبونها، فقد "ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس". فكان هذا كمقدمة للقصيدة وهي من البيت الأول إلى البيت الرابع.

وفي البيت الخامس توجه الشاعر إلى كورونا كمخاطب له، وطالبا منه أن يحدث الناس عن حقيقة أمره حتى يحسم الخلاف بينهم حيث قال:

فالآن دورك يا كورونا فحدثن \*\*\* أصبحت أفصح يا كورونا كورونا

شخص الشاعر هذا الوباء في صورة رجل دار النقاش بينه وبين الشاعر نفسه، وجعل يعدد له ما رمى البشرية به من توقيف الأنشطة الزراعية في الحقول وتكدير حال الأنعام، ثم تعطيل أنشطة التسوق وإشعال نار المجاعة بين الناس، ولا شك أن من كان هذا عمله

يستحق اللعن. وليس هذا فحسب؛ بل إن من أشد ما قام به هذا المخاطب أنه بنى الخوف والذعر في قلوب الناس. واستمر الشاعر يخاطب كلمه هذا ويعدد له أعماله القبيحة من فاتحة القصيدة إلى البيت العاشر. فبالنظر إلى كل هذا يظهر جليا كيف شخص الشاعر هذا الوباء الذي هو من ضمن الجمادات فخلع عليه صفات الإنسان وجعله مخاطبا له يتناقش معه القضايا ويذكر له عيوبه وذنوبه التي ارتكبها. فانظر مثلا إلى قوله في البيت السابع:

شيدت في قعر القلوب مخافة\*\*\* تردى وتترع في الميادن هونا

لترى كيف جعل القلوب ساحة فضفاضة بشيّد هذا الوباء قصور الخوف في ساحاتها. فالوباء أصبح إنسانا بانيا، والقلوب قد أصبحت قاعا صفصفا للبناء عليها، وأصبح الخوف شيئا محسوسا في صورة قصر مشيد، لا شك إن هذا انزياح دعا الشاعر إليه الفن والإبداع. وبعد أن ذكر لمخاطبه جميع التهم الموجهة إليه طلب الإجابة منه ليتبرأ جانبه من هذه التهم، فقد شخص هذا الوباء في صورة رجل في قفص الاتهام أمام القاضي والجميع ينظرون إليه وينتظرون جوابه فيما وجه إليه من التهم فقال الشاعر في البيت الحادي عشر:

قل فالجميع على انتظارك مفصحا\*\*\* فالشكو يجلب للأمر شطونا

لم يكتف الشاعر بخلع صفات البشر على هذا الكائن المعنوي (كورونا)، بل زاد له صفة أخرى حيث جعله يعترف بلسانه بتحوّله من البشرية إلى شيطان مرید، ثم تشخيص شهر رمضان بأنه إنسان كريم من أهل الصلاح يخشى هذا الشيطان أن يلتقي به. ألم يثبت أنه ما سلك عمر رضي الله عنه فجا إلا وسلك الشيطان فجا غيره؟ فما دام أن رمضان قد أقبل فلا بقاء لكورونا في أرض المسلمين. إلا أن الشاعر لم يورد المعنى بهذه الصيغة، بل حلّق في دنيا الفن فشخص كورونا في صورة إنسان ثم تحول إلى شيطان، كما أبرز رمضان في صورة رجل صالح يطفئ نوره نار الجرمين، ثم أكسب هذا الشهر بعد ذلك صفة غيث يصب على النار فيخمدها. ولا يخفى ما في تلاشي هذه المعاني التي تختص بالإنسان،

وانسحابها على هذه الأشياء المجردة من أثر فني، ودور بارز في الأداء الجمالي للصورة. وأخيرا شخص الشاعر الوباء يلقي كلمته الأخيرة ليودع بها المستمعين:

أنا لا أطيل عليكم فالقبر لي \*\*\* قد شقه هذا المبارك هونا

إن خيال الشاعر المرهف هو الذي يأخذه ويخلق به في سماوات الإبداع، فيقوم بالدمج بين صور الأشياء بعد استبعاد طبيعتها وخلاياها المادية، فيركب الجمال تركيبا جديدا، ويكسبها معاني جديدة لم تكن تطمح إليها لولا هذا التركيب<sup>(٢٥)</sup>. فانظر كيف خلع الشاعر على هذا الكائن المعنوي صفات البشر فجعله إنسان يتكلم، وهذا الكلام قد يطول وقد يقصر، ويموت فيقبر كما يقبر الإنسان، ثم أضاف إلى هذه الصورة، صورة تشخيصية أخرى، وهي تشخيص شهر رمضان في صور الرجل الذي يشق القبر لدفن الوباء والانتهاه من أمره أبد الآبدين ودهر الدهرين. لأن اختيار الشاعر لفظ القبر تفاعل كبير منه بأن قدوم شهر رمضان يعني مغادرة هذا الوباء مغادرة لا رجوع بعدها إلى الدنيا، كما هو شأن المقبور. ولعل في هذا إشارة إلى ما في ضمير الشاعر من التضايق من أمر هذا المرض وتفاؤله في ذهابه عند حلول شهر رمضان المبارك. فعكس مشاعره الداخلية عن طريق التشخيص. ولا يخفى ما في هذا السياق الانزياحي من إضفاء الحيوية على الصورة وملئها بالمفاجآت الحركية عن طريق أنسنتها.

واصل الشاعر في وصف المشهد من البيت الثاني عشر إلى السادس عشر حيث شخّص لنا كورونا في صورة رجل يدافع عن نفسه هذه التهم الموجهة إليه، إذ أفصح كورونا قائلا:

هذا جوابي للتساؤل إنني \*\*\* قدر المقدر ما أتى طاعونا

حقا هلكت على مؤامرة حقبة \*\*\* أرسلت أنذر من يعيش خوؤونا

حقا تعبت من عذابي حقبة \*\*\* فكأنها رغم القصور سنونا

عمرت أرجاء البلاد بفتنة \*\*\* تعبي العقول وقد فتنت فتونا

حتى يرى هذا الغبي بأنني \*\*\* ربّ يخاف لقاءه مفتونا

اكتسب كورونا بعض صفات الإنسان فأصبح يجيب على الأسئلة الموجهة إليه، وبين للجميع أنه قدر مقدر من المولى سبحانه وتعالى أرسله لإنذار الخائنين فصب عليهم سوط عذابه برهة من الزمن لا تتجاوز أسابيع عديدة، لكن لشدة ما فيها بدت أمام الجميع وكأنها سنوات مديدة، عمّرها بفتنة حتى افتتن به من لا عقل له، وصار يخاف منه مثل خوف العبد لربه، فقلما تجد إنسانا إلا وهو يخاف من أن يصاب بهذا المرض. فانظر كيف خلع الشاعر على هذا الكائن الخفي المعنوي (كورونا) صفات الإنسان فأكسبه حسية ديناميكية. إنه إنسان، يسأل ويجيب ويقوم بشرح الحقائق وبسط الدلائل! وبعد أن شرح كورونا حقيقة أمره، انتقل إلى نقطة أخرى، هي: تضرع الناس أمام المولى سبحانه ليرفع عنهم هذه الجائحة:

كثر الدعاء وكان من أهل الهدى \*\*\* نسك يصير من يخاف أمينا

إني أرى مهج الأنام تطهرت \*\*\* من توبة تردى العناد طحينا

ثم انتقل بعد هذا إلى ذكر قدوم شهر رمضان، وأنه شهر مبارك، وأن غيث شهر الصيام هو الذي يطفئ ناره. فلذلك بشر الناس بأنه سيفارقهم مادام أن هذا الشهر المبارك قد قدم:

فارقتمكم يا قوم يا لعطاؤه \*\*\* يقضي على كل الوباء مصونا

قد كنت شيطانا مريدا وهو لي \*\*\* ذو حرمة أخشى التلاقي حيناً

قد كنت نارا أحرقت دنيا الورى \*\*\* وهو السياه أكون فيه رهيباً

### الخاتمة:

بعد هذه الجولة القصيرة مع الشاعر في هذه القصيدة، بدءا بالحديث عن جائحة كورونا ثم الوقوف اليسير على حدّ التشخيص، وصل الباحث إلى أنه رغم كون مصطلح التشخيص من المصطلحات الحديثة في الدراسة النقدية الحديثة إلا أن له جذورا في البلاغة

العربية، وقد عرف البلاغيون هذه الظاهرة فدرسوها تحت باب الاستعارة. وأما عن القصيدة فنرى أن الشاعر قد وقف فيها حيث عكس مشاعره الداخلية تجاه هذا المرض عن طريق التشخيص، فرسم لنا جائحة كورونا في صورة رجل وخلع عليها الصفات البشرية الخاصة بالإنسان في سياق انزياحي مملوء بالإبداع الفني.

### الهوامش والمصادر والمراجع:

- (١) راجع: الموسوعة العربية العالمية، النسخة الإلكترونية.
- (٢) راجع: ويكيبيديا، <https://ar.m.wikipedia.org/wiki> جائحة فيروس كورونا. تاريخ الزيارة: ٢٠٢١-٠٩-٠٦.
- (٣) راجع: مجلة البيان، موقع: <https://WWW.albayan.ae/covid19/2020-03-25-1.3812764>، عنوان المقال: لماذا أطلق اسم كوفيد ١٩ على فيروس كورونا؟ تاريخ الزيارة: ٢٠٢١-٠٩-٠٦.
- (٤) المرجع نفسه.
- (٥) المرجع نفسه.
- (٦) المرجع نفسه.
- (٧) انظر: ويكيبيديا، <https://ar.m.wikipedia.org/wiki> جائحة فيروس كورونا. مرجع سابق.
- (٨) المرجع نفسه.
- (٩) راجع: هلال، محمد غنيمي، النقد الأدبي، الطبعة الثالثة، القاهرة: مطابع الشعب، سنة: ١٩٦٤م، ص: ١٩١.
- (١٠) راجع: ابن منظور، لسان العرب، الجزء السابع، ص: ٤٥-٤٦. وكذلك ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، الجزء الثالث، ص: ٢٥٤.
- (١١) راجع: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق، ص: ٤٩٤.
- (١٢) راجع: جبور عبد النور، المعجم الأدبي، الطبعة الأولى، بيروت: دار العلم للملايين سنة: ١٩٧٩، مادة "شخص".
- (١٣) مجدى وهبة، وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، لبنان، سنة: ١٩٧٩م مادة "شخص".

- (١٤) راجع: ابراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، تونس: المؤسسة العربية للناشرين المتحدنين، بدون التاريخ، مادة "التشخيص".
- (١٥) راجع: زرزقي، عبد القادر علي، صور التجسيد والتشخيص في شعر "محمد بلقاسم خمار" دراسة في التشكيل الدلالي والجمالي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، بمركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية - وحدة ورقلة (الجزائر)، مجلد: ٠٩، عدد: ٠٤، السنة: ٢٠٢٠، تاريخ النشر: ٢٠٢٠-١١-٠٧، ص: ٣٤٦.
- (١٦) المرجع نفسه، والصفحة.
- (١٧) المرجع نفسه، والصفحة.
- (١٨) راجع: الرباعي، عبد القادر، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، سنة: ١٩٩٩م، بيروت، ص: ٢١٠.
- (١٩) انظر: صور التجسيد والتشخيص في شعر "محمد بلقاسم خمار" دراسة في التشكيل الدلالي والجمالي، مرجع سابق، والصفحة.
- (٢٠) راجع: عباس محمود العقاد، ابن الرومي حياته من شعره، بدون الطبعة، المملكة المتحدة: مكتبة مؤسسة هنداي، ٢٠١٧م، ص: ٢٢٤.
- (٢١) راجع: سرحان، أنور مجيد (الدكتور)، التشخيص في شعر أبي بكر بن القوطلة الحفيد من شعراء القرن الخامس الهجري، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد، العدد ١٢٠، مارس ٢٠١٧.
- (٢٢) الجرجاني، عبد القاهر (الإمام)، أسرار البلاغة، تعليق محمود محمد شاكر، الطبعة الأولى، جدة: دارالمدني، سنة: ١٤١٢هـ-١٩٩١م، ص: ٤٢.
- (٢٣) راجع: مقرئ، إبراهيم أحمد (الدكتور)، الصورة الشعرية عند الشيخ ابراهيم إنياس الكولخي، الطبعة الأولى؛ زاريا: معهد التزكية للبحوث والتدريب، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م، ص: ٢٢٩، نقلا عن "الصورة الشعرية" لفاطمة بنت قنيح، ص: ٣٩٨.
- (٢٤) مراسلة عبر الواتساب مع زميل الشاعر الأستاذ عمر محمد أول، بتاريخ ٢٠٢١-٠٩-٠٦، الساعة: ١١:٤٥ A.M.
- (٢٥) انظر: إبراهيم أحمد مقرئ، مرجع سابق، ص: ٢٣٣.

**تطور فن الغزل في الأدب العربي النيجيري  
من القرن الثامن عشر الميلادي إلى أوائل القرن الحادي والعشرين**

**الدكتور محمد علي**

المحاضر بقسم اللغة العربية، جامعة أحمد بلوزاريا

**Dr. Muhammad Aliyu**

E-mail: [muhammadaliyuzariacity@gmail.com](mailto:muhammadaliyuzariacity@gmail.com) ; 08028264778

**ملخص المقالة:**

الشعر تصوير خيالي عاطفي للحياة، ووسيلة يتخذها الشاعر للتعبير عما يختلج في صدره، من حبّ وكراهية، وما يشعر به في أعماق قلبه من رضا وبغض، وما يخطر بباله من روعة وجمال. ويعدّ الشعر من أكبر الإنجازات الثقافية للعرب قبل الإسلام، وكان لشعر الغزل في هذا الميدان تاريخاً عريقاً، كان العرب في الجاهلية يستهلّون قصائدهم بذكر الأطلال والحبيبة ويتغزلون بها قبل أن يبدأوا بالغرض الأساسي لهذه القصيدة. وشعر الغزل من أقدم أنواع الشعر العربي، وترجع بدايته إلى العصر الجاهلي حيث كان الغنى والترّف يُعْمُ بعض القبائل، ويُعدّ هذا الغرض من أصدق فنون الشعر الجاهلي إذ كان الشعراء يُصوِّرون أحداث النفوس وحلجاتها بكل صدق فنيّ وبلاغة، ويدور أغلبه حول المرأة. وعندما جاء الإسلام أثار في حياة العرب في جميع جوانبها بعد اعتناقهم الدين الجديد، فافتصر الشعراء على نوع واحد من الغزل رحّب به الإسلام؛ وهو الغزل العذري العفيف المنسوب إلى بني عذرة بوادي القرى شمال المدينة المنورة. وعندما جاء العصر الأموي؛ بلغ الغزل ذروته عندما بدأت حياة اللهو والترّف والثراء والرفاهية. وفي العصر العباسي كثرت



المقطوعات الغزليّة وصدق الشاعر في عواطفه وجمال تعبيره، وانتشر الغزل الصريح الفاحش، ومن أبرز شعرائه أبو نواس. أما في العصر الأندلسي فقد كثر وصف جمال المحبوبة والتعنيّ بمفاتها، وإظهار الشوق لها والحزن من فراقها. وهكذا استمرّ الأمر بين صعود وهبوط إلى العصر الحديث. فهذه المقالة تحاول أن تزيل النقاب، وتميط الحجاب، وتكشف الستار، عن تطوّر فنّ الغزل في الأدب العربي النيجيري من القرن الثامن عشر الميلادي إلى أوائل القرن الحادي والعشرين، لعل ذلك -وحيّذا!- أن يكون سببا وعاملا في إيقاظ همم الشعراء النيجيري من مرقدتها.

### المقدمة

للحبّ مكانة مرموقة، فهو حقيقة إنسانيّة واقعيّة، فلا يمكن عيش بدونه، لأننا نحتاجه كاحتياجنا للطعام والشراب والنوم، وكل ذلك من لوازم عيشنا، ومقتضيات فطرتنا التي فطرنا الله عليها. فالإنسان يحبّ أشياء كثيرة، ومنها الحبّ الذي يكون بين الرجل والمرأة رجاء أن تكون له زوجة، وحديث الفتیان مع الفتيات الذي يسمى غزلاً.

ومن المسلّم به؛ أن الحبّ ملكة سامية، ونعمة ربانيّة أنعم الله بها على عباده، ليدركوا بها طريق النور، وروح الحياة، وحياة الروح. فالحبّ أسمى العلاقات وأرقاها، ويكفيك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أنت مع من أحببت"<sup>(١)</sup>. وأيّ سعادة تقارب تلك السعادة؟ وأيّ نجاح في النهاية يوازي ذلك الحبّ؟

ويعدّ الحبّ ظاهرة أساسية لم تتغير في جوهرها منذ أقدم العصور، فالإنسان يأكل ما يحب، ويشرب ما يحب، ويلبس ما يحب، ويعاشر من يحب، فهو يحب المسكن الصالح، ويحب المركب الصالح، ويحب السعادة في الحياة، إذا فالحب هو السلام والخير، والطمأنينة والاستقرار، والأمن والأمان، فلا تحلو الحياة بغيره، ولا يستريح المرء بدونه.

إن استخدام فنّ الغزل عند الشعراء؛ وسيلة للتعبير عن عمق الحبّ، ورمزاً وجدوا من خلاله سبيلاً لإبداء شعورهم، والإفصاح عما يختلج في صدورهم، من حنان وشوق ومحبة، لوصف مدى حبّهم وفق هذا اللون الشعري المميز. لذا وجد الغزل اهتماماً بالغاً في القدم والحديث، وتناوله الشعراء منذ القدم. واهتم به علماء اللغة، ودارسوا الأدب العربي. وسلك في طريقهم الشعراء النيجيري. وهذه الورقة تلقي نوراً حول تطوّر فنّ الغزل ونموّه في الشعر العربي النيجيري، وذلك حسب النقاط الآتية:

- (١) كلمة الغزل ومعناها.
- (٢) همسات في الانسان المتغزل.
- (٣) تحوّل الشعراء النيجيريين عن فن الغزل.
- (٤) العوامل التي ساهمت في قلة فنّ الغزل في أدبنا العربي النيجيري.
- (٥) الغزل في القرن الثامن عشر الميلادي في هذه البلاد.
- (٦) تطور فنّ الغزل في الأدب العربي النيجيري.
- (٧) المعاني الغزلية في الشعر العربي النيجيري.
- (٨) الخاتمة والتوصيات.

#### ١/ كلمة الغزل ومعناها:

فكلمة الغزل كلمة تشير إلى رقة ولطافة، ولعلّ هذا من الأسرار التي جعلت العرب تسمي الشمس في وقت ضحاها بالغزالة، لأنّها تكون في هذه الفترة أرقّ وأحلى وأصفى، يُدفاً بها البرد شتاءً، وتكون رائعة وجميلة قبل الظهيرة صيفاً. قال الشاعر:

دعت سُليمي دعوةً هل من فتى \* يسوق بالقوم غزالات الضحى<sup>(٢)</sup>

كما أن كلمة الغزل: تعني: حديث الفتيان مع الفتيات. واللهو معهنّ يقول ابن سيّده: "الغزل اللهو مع النساء. وكذلك المغزل. قال:

تقول لي العَبْرَى المصاب حليلها \* أيا مالك هل في الطعائن مغزل  
ومغازلتهم: محادثتهم ومراودتهم<sup>(٣)</sup>.

ويتم ذلك غالبًا بالكلمات المعسولة، ومدح الأعضاء الظاهرة من المحبوب أو ذكر أيام  
الوصل والهجر، ونحو ذلك.

وقد ذهب ابن رشيق القيرواني إلى أن الغزل والنسيب والتشبيب بمعنى واحد، وأيد هذا  
الرأي: الدكتور عبد العزيز نبوي قائلاً: "وهو الرأي الشائع بين الباحثين"<sup>(٤)</sup>  
أما مصطفى صادق الرافعي، فيرى أن كلمة الغزل والنسيب كلمتان مختلفتان في المعنى.  
ليست هاتان الكلمتان مترادفتين بالمعنى الأخص كما جرى في عرف الناس"<sup>(٥)</sup>

## ٢ / همسات في الإنسان المتغزل:

فكثيراً ما أتساءل: ما الذي يمنع الإنسان المتغزل أن يهدأ أو يستريح؟ أو أن يسكن إلى  
نوم أو يستقر في يقظة؟ وما الذي جعله لا يهنأ في اجتماع ولا خلوة؟ أليس هو لوعة الحب  
وشدة الغرام!

لم أزل ولا أزال متسائلاً: ما الذي يجعل الفارس الشجاع، والقائد العبقرى، أن يبلى تربته  
بدموعه حزناً؟ فمن لي بدموع تذرف من جفون الأمراء والرؤساء والسلطين؟ وأضف إلى  
ذلك الأغنياء وأهل الثراء، وحتى الفقراء على حدّ سواء! وما الذي يجعل العالم شبه جاهل،  
والفيلسوف فاقد حكمته، والعاقل فاقد وعيه، والرشيد فاقد رشده، ويصبح الحليم لأجله  
حيراناً؟! إنها ضربات شديدة من ضربات الغزل والغرام، فقد ضربهم بجميع أنواع ضرباته  
القاسية ففضى عليهم.

ألا تراهم جميعاً؛ عندما يفوز أحدهم بفريسته، يشعر في نفسه ببرد الراحة ويقلب وجهه  
في السماء كأنما يساهر الكواكب والنجوم فرحاً وسروراً، فقد وجد ضالته التي ظل ينشدها  
زمنًا طويلاً، فتشرق عليه الشمس بنور الحب والهوى، وترفرف بجناحيها في عالم التغزل

والتشبيب، وتشرف من أفق هذه الغزاة شمس السعادة، فيشعر بالحب الذي ملأ قلبه، حتى فاض عنه إلى جميع الكائنات، والكون كله باسمًا يبشّر بالهيوم، ويسمع في كل صوت نغمة وأنا شديدًا لعشيقته، ولا يزال يشعر بجمال المقام، فيالها من سعادة وحبور، ولو لمس صدره، لفقد مكان قلبه، وقد طار سرورًا نحو معشوقته!

### ٣/ تحرّج الشعراء النيجيريين عن فنّ الغزل:

فالباحث عن فنّ الغزل في الشعر العربي النيجيري، يجد الشعراء النيجيريين لم يكثروا من القول فيه في بداية الأمر، مع أنه يعبر عن المشاعر الوجدانية، والعاطفة الإنسانية الصادقة. على الرغم من هذا؛ فإنّ الأدباء أبدوا تحرّجهم من قرض قصائدهم في هذا الميدان، واستنكفوا عن الحوض في هذا الفنّ، وقليل من أطلق العنان لمشاعره الوجدانية، وعاطفته الفطرية، ليجود بقريحته وأحاسيسه الفيّاضة تجاه هذا الباب الواسع. ومما ساهم في اشتهار الأدباء النيجيريين، وتحرّجهم عن الحوض في هذا الميدان: كون العلماء هم الأدباء في هذه البلاد، وكان حرصهم شديدًا "على الاحتفاظ بمكانتهم الاجتماعية كرجال الدين، وصوتًا لأعراضهم من أن يسلقها الناس بألسنة حداد. ولم نجد عند هؤلاء ما يمت إلى الغزل بصلة، اللهم إلا ما كان افتتاحًا لمقدمات قصائدهم في أغراض مختلفة"<sup>(٦)</sup>.

وأضف على ذلك أن بعض العلماء قد ذم الشعر والشعراء وعدوا ذلك من غواية الشيطان ووُجد من بينهم من ينكر فنّ الغزل على الإطلاق! "وفي الأيام الأولى من العصر الإسلامي وجد من ينكر الغزل"<sup>(٧)</sup>.

### ٤/ العوامل التي ساهمت في قلة فنّ الغزل في أدبنا العربي النيجيري:

ويمكن أن نختصر هذه العوامل -وخاصةً في الجيل الماضي- في النقاط التالية:

- (١) أن ثقافة الشعراء في الجيل الماضي ثقافة دينية.
- (٢) كون معظم الشعراء والأدباء من رجال الدين.
- (٣) اشتغال هؤلاء العلماء والشعراء بالحروب والفتوحات.
- (٤) إنفاق وقتهم في الوعظ والإرشاد والدعوة إلى الإسلام وفي الشواغل السياسية.
- (٥) يرى البعض أن الغزل لا يتناسب مع وقاره ومركزه الاجتماعي.
- (٦) ابتعد بعضهم عن استهلال قصيدته بالغزل فرارًا عن الإحراج الذي يسببه هذا الفنّ في نفسه.
- (٧) كتمان حبّهم عن الآخرين, خشية من أن يتعرّضوا للقليل والقال.
- (٨) وأضف على ذلك؛ أن أغلب العلماء والشعراء في القرن الماضي ممن طعن في السنّ، يرى أنه يقترب من الموت، وينبغي له أن ينقطع عن غراميات الشباب ويستعدّ للقاء ربه.

## ٦/ الغزل في القرن الثامن عشر الميلادي في هذه البلاد:

وبالعودة إلى النصف الثاني في القرن الثامن عشر الميلادي؛ لم يجد الباحث للغزل وجودًا ملحوظًا، مع أنه عصر كثر فيه الشعراء الذين قرضوا القصائد في أكثر أغراضه المعروفة، بل حتى أنهم استطاعوا أن يتكروا غرضًا جديدًا في الشعر العربي النيجيري وهو: "شعر النقائص"<sup>(٨)</sup>. كما حدث ذلك بين العالم الماهر: (الشيخ مصطفى غونّي البرناوي). و(الشيخ عبد الله بن فودي). عند ما أخذ بعض الشياطين يشيعون: بأن مجلس الشيخ مجلس يجمع الرجال والنساء، فتلقاهم (الشيخ مصطفى) في بلاد (دَوْر) (Daura) بأبيات له يأمر الشيخ فيها أن يمنع النساء زيارة وعظه. ومطلعها:

عليك منا تحيات مباركة \* شمن مسكًا ووسكًا من يلاقينا  
أيا ابن فودي قم تنذر أولى الجهل \* لعلمهم يفقهون الدين والدنا

فامنع زياره نسوان لوعظك إذ \* خلط الرجال بنسوان كفي شينا

فأمر الشيخ أخاه عبد الله أن يجيبه، فشرع يقول:

يأيها هذا الذي قد جاء يرشدنا \* سمعا لما قلت فاسمع أنت ما قلنا

إن الشياطين إن جاءوا مجلسنا \* هموا يثون سوء القول طغيانا

لسنا نخالط بالنسوان كيف وذا \* كنا نحذر لكن قلت سلّمنا<sup>(٩)</sup>

وهكذا أخذ عبد الله، يجيب عن هذه المفتريات بأبيات من نفس البحر والوزن والقافية، فينقض ما جاء فيها وينقدها نقداً بناءً، بموهبته الفطرية ويركز دعائم بناءً جديدٍ بأسلوب رائعٍ وحكيمٍ.

وهذا الغرض من الشعر لم يكن معروفاً في الأدب العربي النيجيري إلا في هذا العصر. ومع كل هذا فما نكاد نشم رائحة الغزل في قصائدهم.

والدارس للأدب العربي النيجيري، يدرك جلياً؛ بأن الحروب والجهاد في سبيل الله، من أهم بواعث الشعر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، امتداداً إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي. "ولم يكن فنّ الغزل في القرن التاسع عشر فناً مطروفاً لدى العلماء والأدباء في نيجيريا، إلا في نطاق محدود جداً"<sup>(١٠)</sup>.

لقد اتخذ الشعراء قصائدهم سلاحاً ماضياً على الأعداء، وإنذاراً وتخويفاً لأهل الباطل والمُرتدين، كما نجد ذلك واضحاً في أشعارهم، كما في القصيدة التي كتبها الشيخ عبد الله بن فودي، وأرسل بها إلى أخويه: "داد" و "زيد" حين لم يهاجرا معهم، وبقياً في ديار الكفار، فأخذ يقول:

ألا من مبلغ عني لداد \* وزيد وكل ثاوي في البلاد

ولاة الكفر خوف فوات مال \* وطمع سلامة من ذي فساد

نسيتم ما قرأتم في الكتاب \* لذا أخطأتموا سبل الرشاد<sup>(١١)</sup>

وتارة تأتي هذه القصائد تحريضاً وتشجيعاً للمجاهدين، فتجدهم عشاقاً للجنة، وغزاهم وهيامهم للحور! وليس للمرأة نصيب فيه؛ استمعوا إلى الشيخ عبد الله بن فودي وهو يقول في غزوة غوبر (Gobir) مع السلطان "يُنْفَ" (Yunfa):

فيا أمة الإسلام جدّوا وجاهدوا \* ولا تهنوا فالصبر للنصر مرجع

فقتلاكُموا في جنة الخلد دائماً \* وراجعكم بالعزّ والمال يرجع<sup>(١٢)</sup>

ويمكن القول؛ بأن أهمّ سمةٍ للشعر في تلك الفترة؛ أنه كان سلاحاً فتاكاً من أسلحة الدعوة الإسلامية التي قامت على أيدي بعض المصلحين، في حركاتهم الإصلاحية التي ملئت فراغهم، ولم تتح للغزل فرصةً في أن يلعب دوره في تلكم الآونة. وفي ذلك يقول الشيخ عبد الله بن فودي:

ومنا رجال لم يزالوا بصفنا \* وهم صدّقوا ما عاهدوا الله في المسا

قضى نحبهم فيه كغانٍ وحمدا \* فنال جنان والحسان وسُنْدَسَا<sup>(١٣)</sup>

وأحياناً تأتي أشعارهم تمجيداً للبطولات والانتصارات الإسلامية، لا للغزل والتشبيب، كما في قصيدة الإمام الشيخ محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي:

ألم تر أن الله أبلى عباده \* بلاءً عزيزاً والحروب تسعّر

فسل عن قريب يوم أحملُ راية \* إلى "جَاب" والأنباءُ تجرى وتذكر

قتلنا جموع الكفر والله عالم \* ويدريه والتقريب فيه مسطر<sup>(١٤)</sup>

ولم يوجد شعر الغزل من بين هؤلاء الشعراء إلا القليل النادر، "والقليل الذي أنشدوه لا يعطي صورة كاملة لما نستطيع أن نسميه بالغزل النيجيري"<sup>(١٥)</sup>. ومن ذلك أبيات للشيخ محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي:

وبيضاء خود زانها عطل الجيد \* إذا ما تخلت غيرها بالعناقيد

يطيب شذاها وهي للطيب فارك \* إذا عطّرت أترابها بالزراويد

فيحلو بألوان الحديث كلامها \* إذا أفصحت في نطقها لسن الفيد<sup>(١٦)</sup>

وحتى هذا القليل النادر، يعتبره البروفيسور شيخو أحمد سعيد غلادثي بأنه:

أ- نُظِم تقليدًا لهذا الفنّ.

ب- أنه غزل صناعي، خال من الإحساس الشعري والشعور النفسي الحقيقي.

وإن كان من "المحتمل أن يكون البعض منهم قد نظم في الغزل، ولكنّه لم يظهره فضاء ودرس" (١٧).

### ٦/ تطوّر فن الغزل في الأدب العربي النيجيري:

إذا كانت الحروب والجهاد والباعث الديني، قد تسببت في إعراض الجيل الماضي عن الغزل، فإن الأمر قد بدأ في التغيّر بمجيئ النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، عندما جاء محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فودي؛ وفتح بابًا جديدًا في شعر الغزل، فكان هذا الأديب جسر بين الأمس واليوم، وبين الماضي والحاضر! إاخذ محمد البخاري- الشعراالنيجيري- الغزل تمهيدًا يستهلّ به اغراض قصائده المختلفة، سيرًا على نهج الشعراء القدامى وتقليدًا لهم. "وهذا ليس بغريب، وإنما هو عادة من عادات شعراء القرن التاسع عشر الميلادي، يقلدون من سبقهم من الشعراء، فيأخذون منهم ويزيدون" (١٨).

ولعل السبب في ذلك يرجع إلى عكوف هؤلاء العلماء على قراءة أشعار الجاهليين؛ كقصائد امرأ القيس والنابعة وزهير وغيرهم من فطاحل الشعراء الجاهلي، وكذا قراءتهم للمقامات، يتعلمونها أولاً اتقانًا للغة العربية لكونها لغة الدين، ولأنها هي الوسيلة الوحيدة إلى الفهم الصحيح للثقافة والحضارة الإسلامية.

وبالعودة إلى هذا الشاعر- محمد البخاري- نجدّه يفتتح قصيدته المدحية لمحمد الجيلاني، ويستهلّها بالغزل والتشبيب، ويصف فيها محبوبته بصفات حسّية، جريًا وتقليدًا للقدامى:

فجعتك أم الفضل بالهجران \* فبقيت بين الناس كالسكران

وكأن في حوفي وقلبي جمرة \* مذ بعدتني من جناها الداني (١٩)



ولم يقف محمد البخاري عند هذا الحدّ، على الرغم من كثرة الحروب والاضطرابات في عصره. بل كانت له قصائد ومقطوعات غزليّة، يصف فيها عمل الغرام والعشق به، وأنّ خيال محبوبته قد هيّج حزنه الدفين وهواه الجامح، فسلبه العقل والوقار، استمع إليه قائلاً:

أخيال آمنة التي \* من دونها جوف القفار  
قد هجت أحزاناً لقل \* بي المستهام المستطار  
وسلبت عن نفسي الغرا \* ر ومطت ما بي من وقار<sup>(٢٠)</sup>

ويبدو أنّ محمد البخاري رجل صادق الشعور في تجاربه الغزلية، ولذا لم يجد في صدره حرجاً من البوح بعاطفته الجياشة، على الرغم من مكانته الاجتماعية، كما استحق أن يكون رائداً وزعيماً لنهضة شعر الغزل، في القرن التاسع عشر الميلادي، للأدب العربي النيجيري.

وأخذ فنّ الغزل ينمو ويتطور إلى طلائع القرن العشرين، حيث أصبح فنّ الغزل في صورته الحقيقيّة في الأدب العربي النيجيري. فوجدنا شعراءً غزليين حقاً، أطلقوا العنان لعواطفهم الجياشة، ومشاعرهم الفيّاضة، وصبابتهم الدافقة. نظّموا قصائدهم الغزلية، بأحاسيسهم الصادقة، وتجاربهم الواقعية، وليس بدافع التقليد والمحاكاة، ولعل عمر إبراهيم<sup>(٢١)</sup> - الشاعر الأديب - من السابقين في هذا الميدان. فقد نظم قصيدة في الغزل سمّاها: (الكون موات لولا الحب). جاءت هذه القصيدة في شكل موشحة ومطلعها:

يا حبيبي يا حبيبي

أصغ سمعاً للحبيب

هل أتاك اليوم أني \* صرت عظماً في الشعار  
ذهب اللحم بخارا \* صاعداً من حرّ نار  
ماثلاً فوقى سحاباً \* لا أرى ضوء النهار  
وهو لا ينزل ماءً \* أو يراك بجواري

يا حبيبي يا حبيبي

هل تبالي بنحبيبي<sup>(٢٢)</sup>

وهكذا استمرّ هذا الفنّ من الأدب العربي النيجيري. وعلى الرغم من هذا التغير والانقلاب، فإن فن الغزل في الأدب العربي النيجيري، لم يتحرر نهائيًا عن ملامح التقليد، بل يغيب تارة ويظهر أخرى، كما نشمّ رائحة ذلك في قصيدة الشيخ أبي بكر غمي:

ظبية بل مها راحة الشارب \* جيدها لحظها ظلّها الشاهد

باسم أخص أحذب خاطب \* ثغرها بطنها الأنف والساعد<sup>(٢٣)</sup>

ولعل الدكتور هارون الرشيد<sup>١</sup> من أبرز شعراء الغزل في الشعر العربي النيجيري، في النصف الثاني من القرن العشرين، استمع إليه وهو يقول في ذكرى زوجته عندما كان في السودان:

ذكرتك في المطار وفي الصحارى \* وحين نسير في وقت المساء

ذكرتك والفؤاد له اضطراب \* وشوق في الفؤاد إلى اللقاء

ذكرتك والدموع تسيل بحرا \* وعند دخول طائرة السماء<sup>(٢٤)</sup>

وامتدادا من أواخر القرن العشرين إلى أوائل هذا القرن - الحادي والعشرين-، وجدنا فنّ الغزل يتطور تطورًا كبيرًا في الشعر العربي النيجيري، حيث بدأ ظهور بعض القصائد التي تتحدث عن الغزل الصريح، الذي يصف مفاتن المرأة. كما نجد ذلك واضحًا في: "همسة" الدكتور هارون الرشيد يوسف:

هلا سمحت بلثمة لشفاهنا \* فتكون باعثة الكلام لديا

إني لأذكر حينما قبلتني \* ولوت يداك الحلوتان يديا

وضممت جسمك بالرشيد محبة \* ووقعت في حبل الوصال عليا

ويقول في قصيدة أخرى:

كلّمتها بالعين فابتسمت \* ومضت تبختر عند مشيتها

قبّلت فاها فامبرت وجرت \* تمشي وتلمس أثر فُبلتها  
 ومثل ذلك ما جاء في "رسالة العاشق إلى معشوقه"<sup>(٢٥)</sup> للدكتور بجاجة الزكّامي: (٢٦)  
 ولو كنت إبريقاً صفية فزت من \* مشاهدة الميدان والروض مخضب  
 ألا ليت شعري كيف آخذ بدنها \* وألّقه بدني ولا هي تعضب  
 ألا ليت شعري كيف آخذ فمها \* أقبله في اللين لا تتهرّب  
 وهكذا أخذ فنّ الغزل في الشعر العربي النيجيري ينمو ويتطوّر شيئاً فشيئاً إلى أن أصبح  
 فناً قائماً بذاته.

#### ٧/ المعاني الغزلية في الشعر العربي النيجيري:

أما المعاني الغزلية في الشعر العربي النيجيري؛ فأغلبها وصف لمحاسن المحبوبة الحسيّة  
 والمعنويّة، مع العقّة والنزاهة، وذكر بلاء العاشق في حبه، والوصل والمجر، والوفاء في الحب.  
 وإن اتفق كثير من الشعراء النيجيري، في تعبيرهم عن تجاربهم تجاه هذه المعاني. إلا أن  
 لكل شاعر مذاقاً يتذوّقه فيما عشقه من محبوبته، قد يتفق فيه مع الآخرين وقد يختلف  
 عنهم. وحينما يصف محمد البخاري حبيبته بالزبرجد والدرر:  
 أحببت يا أخت الزبرجد \* والزجاج والدرر  
 فالشاعر خليل آدم<sup>(٢٧)</sup>؛ يرى معشوقته بدرًا منيرًا:  
 أقول بحمد الله قد تمّ غرضية \* وجدت من البدر المنير إجابتي  
 أما الشاعر محمد البصير<sup>(٢٨)</sup> عبد الله نشوك (Nashuka) فلا يرى لأوصاف حبيبته في  
 الجمال مثيلاً حتى يصفها به، مخلوقةً على الجمال تفوق كل جمال:  
 وخلقتها جمالاً واعتدالاً \* تفوق الوصف عندي طار ريب  
 فالدكتور هارون الرشيد يوسف يتخيل محبوبته كضوء الشمس:  
 كانت كضوء الشمس إذ بزغت \* تبدو البراءة تحت مقلتها

أما الشاعر تجاني هاشم فيرى معشوقته شمسًا، وكل من سواها من النساء كواكب ونجوم،  
إذا طلعت أفلت الكواكب والنجوم:

صفية شمس إن بدت غيرها اختفت \* ولا بيد في الآفاق نجم وكوكب  
فالنغر عند محمد البخاري، يكفي الحبّ عن نور الشمس وضياء البدر:  
فقال كفى ثغري وضوءه \* سيكفيك عن بدر الدجى وثموس  
أما نغر المحبوبة عند الأديب عمر إبراهيم فيشبه الكأس أمام المدمن، فالكلّ يفرح بليلاه:  
يفرح الناس بخمر \* وأنا نغرك كأسِي  
كما ينظر الى الحبّ بأنه عذاب وأن عذابه يفوق كل عذاب في الحياة:  
إنما الحبّ عذاب \* دونه كل العذاب

بيد أن الشاعر خليل بن آدم؛ يتخيّل بلاءه في حبه لحبيته، هو داؤه ودواؤه، لو تكرّمت  
ومنحت له قلبها لكان الدواء الكافي والعلاج الشافي:

فأنت الداء وأنت دواء قلبي \* فداويني بقلبك يا حويلة  
ومثل هذا قول ذي الكفل محمد عبد الله<sup>(٢٩)</sup>:  
فلا ألقى لمرضي من دواء \* دواء المرض عندك يا عيالي  
أما ما يتعلّق بالمحجر والوصل؛ فإن الأديب عمر إبراهيم يعتبر الأول ضلالاً، والآخر رشاداً:  
انفرادي في ضلال \* وتلاقينا رشادي

وبالعودة إلى محمد البخاري؛ نجدّه يزعم منذ نأت حبيته عن دياره، لم يذق لذة النوم،  
ولم تغتمض عيناه، بل ظلّت تذرف الدموع:

وتصارم الأجنان من \* ذ نأت ديارك عن ديار  
ما نلتقي إلا على \* دمع من الخدين جار

وعندما نلتفت بنظرنا مرة أخرى إلى الشاعر خليل بن آدم، نراه دأبا في تسلية نفسه عمّا  
أصابها من لوعة فراق حبيته، ويتمنى لو كانت بجانبه دائماً:

أعلل نفسي كل يوم وليلة \* لعدم تلاقينا حويلة صفوتي  
 وأسأل رب العرش جل جلاله \* يقرب لي محبوبتي كل لحظتي  
 أما الشاعر تجاني هاشم فيعتبر كون محبوبته بجانبه فوزاً بالجنة، وبعدها عنه عذاباً أليماً:  
 تكون بجنبي إنني فزت جنة \* وإن بعدت يا قوم إنني معذب  
 والشاعر أيوب عمر<sup>(٣٠)</sup> يعتبر فراق الحبيبة مصيبة ويدعو على تلك المصيبة بالهلاك،  
 ويتمنى يوم اللقاء:

أعدّ فراقني بالحبيب مصيبة \* بليت بها فاكشف إلهي ما بيا  
 وليت لقائي بالأحبة واقع \* ألا قاتل الله الفراق المؤذي<sup>(٣١)</sup>  
 أما المعلم الحاج ناصر مرتضى، فهو يعتبر الفراق مع حبيبته فراق الأبدان، فالحبيبة دائماً  
 في القلب، يبكي عليها بكاء التكلّي، ويكاد الشوق يقضي عليه:  
 ومهما غبت عن عينيّ يوماً \* فحبّك لا يغيب عن الفؤاد

#### ١٠ / الخاتمة والتوصيات:

لعل أول ما يلفت نظر الدارس لهذه المقالة في فنّ الغزل في الأدب العربي النيجيري،  
 يدرك جلياً أن لهذا الغرض وجهات نظر عند كثير من العلماء والأدباء في هذه البلاد، -  
 مما سبب قلته في بداية نشأته- منهم من ينظر إليه كفعل من خلاق لهم. ومنهم من يشمئزّ  
 منه ويتحرّج من الخوض فيه، صوتاً لمكانته الاجتماعية أو الدينية، والآخر يرى أنه من لهُو  
 الفتيان والفتيات.

ولكن العجيب في الأمر؛ أن هؤلاء الذين ينكرون هذا الفنّ، وتارة يتشدّدون في ذمّه، هم الذين  
 يغضون أبصارهم، ويدرسون طلابهم الأشعار الجاهليّة في مجالسهم، مع أنهم على علم ودراية بما في  
 هذه القصائد من الغزل الصريح الفاحش! "قد يغض الرجل المتدينّ بصره إذا مرّت به حسناء  
 ويخشى فتنها، ولكنّه يسمع بيتاً من الغزل، وهو غاض عينيه ولا يغلق دونه أذنيه"<sup>(٣٢)</sup>.

لماذا كل هذا؟ ولعلّ أبا القاسم الشابي، عنده الجواب الشابي<sup>(٣٣)</sup>:

الحبّ شعلة نور ساحر هبّطت \* من السماء فكانت ساطع الفلق

يطوف في هذه الدنيا فيجعلها \* نجمًا جميلًا ضحوكًا جدّ مؤتلق

ورحم الله قيس لُبّني في قوله:<sup>١</sup>

يقولون حبّ بالنساء موكّل \* وماذاك من فعل الرجال بديع

وهكذا نشأ هذا الفنّ وترعرع في الأدب العربي النيجيري، مارًا بطريق ذات أشواك، حتى

تمّ وتطوّر، كما أشارت إليه هذه المقالة.

### التوصيات:

(١) على الشعراء والأدباء النيجيريين أن يؤدّوا الفنّ الغزل حقّه! ويقولوا فيه الجيّد من الشعر.

(٢) لاتتحرّج عن القول في هذا الميدان، وأن الإسلام أباح الحبّ في حدود الحلال والتقوى،

فالحبّ الطاهر لا يضرّ، ما كان فيه تقوى وعفاف. فالكلّ يحبّ مادام على فطرته!

ولله درّ الطهطاوي إذ يقول:

قالوا أتقوى والهوى يكسو الفتى \* أبدًا ثياب مذلّة وهوان؟

فأجبتهم لو صحّ هذا أنّني \* أختار ذلّيّ فيه طول زمني<sup>(٣٤)</sup>

ورحم الله أبا الطيّب المتنبي في قوله:

أبصرتُ ثم هويتُ ثم كتمتُ ما \* ألقى ولم يعلم بذاك مناج

ووصلتُ ثم قدرتُ ثم عففتُ مع \* شوق تناهى بي إلى الإنضاج<sup>(٣٥)</sup>

(٣) وعلى طلاب اللغة العربية أن يهتمّوا بفنّ الغزل في بحوثهم، فقد قلّت البحوث في هذا

الميدان في المعاهد والجامعات.

وآخر دعوانا عن الحمد لله رب العالمين.

## قائمة المصادر والمراجع:

## القرآن الكريم

ابن منظور (الإمام العلامة)، لسان العرب، تحقيق ياسر سليمان أبو شادي ومجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة - مصر. (بدون ذكر التاريخ ولا عدد الطبع والسنة).

حنّا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، الطبعة البوليسية - بيروت، ص: ٢٨٤ (بلا تاريخ).  
زكي مبارك (محمد زكي عبد السلام مبارك)، العشاق الثلاثة، المكتبة العصرية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م صيد - بيروت.

شيخو، أحمد سعيد غلادثني: (البرفيسور)، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا. المكتبة الإفريقية، الطبعة الثانية (بدون ذكر مكان النشر).

صلاح الإمام، مائة شاعر ومائة قصيدة، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م، مكتبة الإيمان - القاهرة.  
عبد العزيز نبوى (الدكتور)، دراسات في الأدب الجاهلي، الطبعة الثانية، ١٣٢٥هـ - ٢٠٠٤م مؤسسة المختار - القاهرة.

عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي، (أبو منصور). فقه اللغة وأسرار العربية، دراسة وتحقيق: مجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة - مصر. (بدون ذكر التاريخ ولا عدد الطبع).

عبد الصمد عبد الله محمد (الدكتور)، أضواء على الشعر العربي في غربي إفريقيا. الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، مكتبة وهبة - القاهرة.

عبد الله بن محمد بن فودي (الشيخ)، تزيين الورقات، طبعة الحاج محمد طن أغى، ظامير يرو، صكتوا - نيجيريا (بدون ذكر التاريخ ولا عدد الطبع).

عبد الرحمان محمد العمراني، شعر الغزل التقليدي في اليمن في القرن العشرين، مطبعة الأمانة (بدون ذكر الدولة ولا التاريخ).

- غرب طن ظوهو زاريا (البرفيسور)، محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فودي وشخصيته الأدبية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢ مطبعة عَسْكِيا، زاريا- نيجيريا.
- محمد بن إسماعيل (البخاري)، صحيح البخاري. (رقم الحديث: ٣٦٨٨) ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض.
- محمود بن عمر بن أحمد الخوارزمي الزمخشري (أبو القاسم)، أساس البلاغة, دار الفكر، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م بيروت- لبنان.
- محمد بلو بن عثمان بن فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور. طبع على نفقة الحاج محمد طن إغني (Tsamiyar Yaro)، صكتو- نيجيريا. (بدون تاريخ ولا مطبعة).
- مصطفى صادق الرافي، تاريخ آداب العرب، المكتبة العصرية، ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٧ م بيروت- لبنان.
- من شعر أبي القاسم الشابي: راجع: أنس بديوى وحسان الطيبي، روائع الشعر المعاصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، دار المعرفة، بيروت- لبنان ص: ١٧٤.

#### الهوامش:

- (١) محمد بن اسماعيل (البخاري)، صحيح البخاري. (رقم الحديث: ٣٦٨٨) ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض ص: ٧٠٤.
- (٢) محمود بن عمر بن أحمد الخوارزمي الزمخشري (أبو القاسم)، أساس البلاغة, دار الفكر، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م بيروت- لبنان. ص: ٤٤٩.
- (٣) ابن منظور (الإمام العلامة)، لسان العرب، تحقيق ياسر سليمان أبو شادي ومجدى فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة - مصر. بدون ذكر التاريخ ولا عدد الطبع والسنة ص: ٧١/١٠.
- (٤) 'عبد العزيز نبوى (الدكتور)، دراسات في الأدب الجاهلي، الطبعة الثانية، ١٣٢٥ هـ - ٢٠٠٤ مؤسسة المختار-القاهرة. ص: ١٠٩.
- (٥) مصطفى صادق الرافي، تاريخ آداب العرب، المكتبة العصرية، ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٧ م بيروت- لبنان.



- (٦) ٣/ص: ٩٩.
- (٧) راجع: عبد الصمد عبد الله محمد (الدكتور)، أضواء على الشعر العربي في غربي إفريقيا، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، مكتبة وهبة - القاهرة. ص: ٧٥.
- (٨) راجع: زكي مبارك (محمد زكي عبد السلام مبارك)، العشاق الثلاثة. المكتبة العصرية، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م صيد-بيروت. ص: ٤.
- (٩) هذا الغرض من الشعر لم يكن موجودا قبل العصر الأموي، إنما ابتكره جرير بن عطية الحطفي مع الفرزدق أبي فراس همام بن غالب في العصر الأموي. ونشرت نقائضهما في لندن سنة ١٩٠٥-١٩١٦م في مجلدين كبيرين، ومجلد ثالث يتضمن الفهارس. راجع: حنّا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي الطبعة البولسية- بيروت ص: ٢٨٤ (بلا تاريخ).
- (١٠) راجع: عبد الله بن محمد بن فودي (الشيخ)، تزيين الورقات، طبعة الحاج محمد طن أغى، ظاميريو، صكتو- نيجيريا (بدون ذكر التاريخ ولا عدد الطبع).
- (١١) شيخو أحمد سعيد غلادني (البرفيسور)، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا. الكتبية الإفريقية، الطبعة الثانية، (بدون ذكر الدولة). ص: ١٦٥.
- (١٢) راجع: عبد الله بن محمد بن فودي (الشيخ)، تزيين الورقات، المرجع السابق. ص: ٦٣.
- (١٣) راجع: المرجع السابق نفسه. ص: ٦٢.
- (١٤) راجع: عبد الله بن محمد بن فودي (الشيخ)، تزيين الورقات، المرجع السابق نفسه. ص: ٨٢.
- (١٥) راجع: محمد بلو بن عثمان بن فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور. طبع على نفقة الحاج محمد طن إغى (Tsamiyar Yaro)، صكتو-نيجيريا. (بدون تاريخ ولا مطبعة). ص: ١٣٢.
- (١٦) راجع: شيخو أحمد سعيد غلادني، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا. المرجع السابق. ص: ١٢٨.
- (١٧) راجع: المرجع السابق نفسه. ص: ١٢٨.
- (١٨) راجع: شيخو أحمد سعيد غلادني، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا. المرجع السابق. ص: ١٢٨.
- (١٩) راجع: غرب طن ظوهو زاريا (البرفيسور)، محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فودي وشخصيته الأدبية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢ مطبعة غَسْكِيا، زاريا- نيجيريا. ص: ١٧٥.
- (٢٠) المرجع السابق نفسه. ص: ٢٦٦.

- (٢١) راجع: غرب طن ظوهو زاريا (البرفيسور)، محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فودي وشخصيته الأدبية، المرجع السابق نفسه. ص: ٢٦٥.
- (٢٢) هو عمر إبراهيم (القاضي)، ولد بمدينة زاريا بولاية كدونا سنة ١٩٢٢م التحق بمدرسة القانون بكنو حيث تخرج منها قاضيا وفي سنة ١٩٦١م التحق بمعهد الإدارة بجامعة أحمد بلو زاريا، تقاعد عن القضاء سنة ١٩٨٥م وتوفي سنة ١٩٩٧م. راجع: عمر إبراهيم، حديقة الأزهار المرجع السابق ص: ١.
- (٢٣) راجع: شيخو أحمد سعيد غلادني، حركة اللغة العربية وأدائها في نيجيريا. المرجع السابق. ص: ١٦٥.
- (٢٤) راجع: المرجع السابق نفسه. ص: ١٦٧.
- (٢٥) هو الدكتور هارون الرشيد يوسف، ولد بمدينة كنو بزنگون بري بري (Zangon Bare – Bari) سنة ١٩٦٤م وتخرج من مدرسة العلوم العربية كانو، وحصل على شهادة الليسانس في اللغة العربية ولغة الهوسا بجامعة بايرو كانو. ثم اتصل بجامعة (Leeds University U. K) وحصل على شهادة الماجستير في علم اللغة العامة (General Linguistics) سنة ١٩٧٨م. ونال درجة الدكتوراة في اللغة من جامعة لندن (University of London U. K) سنة ١٩٨٤م وكان محاضراً في جامعة ولاية كنو.
- (٢٦) كتب الشاعر القصيدة عندما كان طالبا بمدرسة العلوم العربية كنو. تغزل فيها بفتاة عربية أحبها للزواج، ولكنها لم تبلغ سن الزواج بعد، وفيها يقول:  
أفا طم لو سمحت لقلت أني \* لمنتظر نضوجك بالرجاء  
وقد نشرت هذه القصيدة في مجلة "الشروق" الطلابية بمدرسة العلوم العربية كنو. كما نشرت في مجلة "الفجر الطلابية" في كلية عبد الله بايرو بكنو.
- (٢٧) ثم لما سافر الشاعر إلى السودان قدم هذه القصيدة للإخوان السودانيين، وقُرأت في مناسبات مختلفة منها: "دار الإذاعة السودانية". كما اشترك الشاعر بها في: "ليالي شعرية" أقيمت بجامعة الخرطوم.  
وهذه القصيدة جاءت بعنوان:
- ذكرتك في المطار وفي الصحارى \*  
وحين نسير في وقت المساء
- (٢٨) وهي قصيدة غزلية تحتوي على مائتين وخمسة عشر بيتاً، قالها الشاعر لمعشوقته صفيّة، وعلى الرغم من العشق الذي جرى بينهما لم يقدر الله لهما الزواج، وقد اختارها الله إلى رحمة ربها، فرثاها الشاعر بما لا يقل عن مائتي بيت.

- (٢٩) المرجع: مقابلة شخصية مع الشاعر: الأستاذ/ تجاني هاشم ٢٠١٨/٣/٢٠ م.
- (٣٠) هو تجاني هاشم، زمفري الأصل زكزي النشأة ولد ١٩٧٦/١/١٧ م وأبائه من بلد تُغَيّ (Tugai) بولاية زمفر (Zamfara). سَمَى نفسه بهذا الاسم (الدكتور بجياجة الزكامي) ليُخفي اسمه الحقيقي لأجل ما تضمنته القصيدة من الغزل الصريح الفاضح
- (٣١) هو خليل بن آدم بن أبي بكر بن حضر بن عثمان الملقب بـ دُنْغِي (Dange) ولد يوم الأحد ١٩٥٧/٧/٩ م في تيتي (Titi) وهي قرية صغيرة من القرى التابعة للآبَرُ (Labar) راجع: إبراهيم عبد الوهاب، فن الرثاء عند الأستاذ خليل إبراهيم، بحث تكميلي لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية، بجامعة ولاية كدونا ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩ م
- (٣٢) هو محمد البصير بن عبد الله، ولد في هنوا (Hanwa) بِسَابُونُغَرِيّ (Sabon Gari) زاريا، سنة ١٩٥٧ م وتخرّج من كلية التربية بجامعة أحمد بلو زاريا ٢٠١١ م وهو إمام بالمسجد الجامعي بهنوا. مقابلة شخصية مع الشاعر في ٢٠٠٤/٤/٢٠ م.
- (٣٣) هو ذو الكفل بن محمد بن عبد الله بن نشوك، ولد في هنوا (Hanwa) سابنغري زاريا ولاية كدونا بتاريخ ١٩٨٢/٥/١٠ م مقابلة شخصية مع الشاعر في ٢٠١٩/٣/٤ م.
- (٣٤) هو المعلم أيوب بن عمر ولد بيزار (Bizara) قرية تقع شرق مدينة زاريا (Zaria) بنحو أربعة أميال. تخرج من كلية التربية الفدرالية زاريا ١٩٩٩ م وحصل على شهادة الليسانس في اللغة العربية بجامعة أحمد بلو زاريا سنة ٢٠٠٥ م ويعمل الآن مدرسًا.
- (٣٥) عبد الرحمان محمد العمراني: شعر الغزل التقليدي في اليمن في القرن العشرين، مطبعة الأمانة (بدون ذكر الدولة) ص: ٥٧
- (٣٦) من شعر أبي القاسم الشابي: راجع: أنس بديوي وحسان الطيبي: روائع الشعر المعاصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، دار المعرفة، بيروت- لبنان ص: ١٧٤.
- (٣٧) راجع: ديوان قيس بن ذريح. المرجع السابق. ص: ٨٣-٨٥.
- (٣٨) من شعر رفاعة بك رافع الطهطاوي، راجع: صلاح الإمام، مائة شاعر ومائة قصيدة، الطبعة الأولى ٢٠٠٧ م، مكتبة الإيمان - القاهرة. ص: ٤٨٠.
- (٣٩) من شعر أبي الطيب المتنبي، راجع: محمد عبد الله خير الدين: ١٠٠٠ طرفة وطرفة فيما الصدق والابتسام، المرجع السابق. ص: ٨٨٥.

## قراءة في العلاقات التناسية

**الدكتور/ يعقوب أرمياء**

قسم اللغة العربية-جامعة بايروكونونيجيريا

[yarmayau.ara@buk.edu.ng](mailto:yarmayau.ara@buk.edu.ng); 07030922807

[ibnarmayau00002.yau@gmail.com](mailto:ibnarmayau00002.yau@gmail.com)

ملخص:

إن التناس باعتبارها تفاعل بين النصوص يقوم على دعامتين هما المحاكاة والتحويل، وهاتان الدعامتان تتجليان في النصوص المتناسية من خلال ظواهر لغوية وفكرية وفنية تسمى بالعلاقات، وأحسن ما يقرب لتحديد معنى العلاقات؛ هو إدراكنا لمعنى النص ثم التناس، فالمقال الحالي يسعى إلى إزاحة الستار عن هذا الجانب الخفي من الدرس التناسي والذي لخصه تنحصر معظم جهود الطلبة في بحوثهم التناسية في حدود المصادر والآليات والأنواع دون سير النصين - النموذجي والفرعي - لكشف نواحي المحاكاة والتحويل بطريق موضوعي يسير من خلال هذه العلاقات لاسيما اللغوية منها، والتي لأهميتها في تحديد هوية النص ولكونها الأصل في بناء أي نص لغوي سيعالجها هذا المقال من خلال الأنساق اللغوية الأربعة: الصوت، والمعجم، والتركيب، والدلالة مستعيناً بنماذج من الممارسات التناسية الحديثة.

١- قضايا تعريفية:

أ- النصُّ والتناس:

إن تحديد مفهوم العلاقات التناسية مرهونٌ بمعرفة مفهوم النص والتناس، أما كلمة (النص) فتدور في اللغة في ستة معانٍ؛ منها: ١- الرفع، ومنه نصُّ الحديث ينصُّه نصًّا، إذا

رفعه، ومنها: ٢- الظهور، ومنه اشتُقَّت كلمة (منصّة) وهي ما تُظَهَر عليه العروسُ لِثُرَى، ومنه قولهم نصبت المتاع، إذا جعلت بعضه على بعضٍ. ومنها: ٣- أقصى الشيء ومنه قولهم ونص الرجل نصاً إذا سأله عن شيءٍ حتى يستقصي ما عنده، ونص كل شيءٍ منتهاه<sup>(١)</sup>. ومنها أيضاً: ٤- الحركة، فيقال "حيةٌ نصناص كثيرةُ الحركة"<sup>(٢)</sup> ٥- الإسناد والتوقيف<sup>(٣)</sup>. كما تدلُّ أيضاً على ٦- الازدحام فيقال: "نصاص القوم" إذا ازدحموا<sup>(٤)</sup>.

وهذه المعاني الستة تنمُّ عن علاقة وثيقة بين المدلول اللغوي لكلمة النص وبين المفهوم الحديث لمصطلح التناص الذي هو عبارة عن وجود إشارات (علاقات) من نصوص سابقة في نص لاحق.

أما التناص فقد تركزت معظم تعريفاته على مستويين؛ المستوى الأول هو مستوى الإنتاجية ويهتم بالمبدع وثقافته، والمستوى الثاني هو مستوى التلقي و يهتم بالقارئ ويركز على وظيفته، وعلى هذا الأساس وجدنا بعض التعريفات تهتم بمستوى الإنتاجية على حساب مستوى التلقي، فالتعريفات التالية جميعها قد اهتمت بالمستوى الإنتاجي على النحو التالي:

- يقول الدكتور عبد الملك مرتاض بأن التناص هو: "حدوث علاقات تفاعلية بين نص سابق ونص حاضر لانتاج نص لاحق"<sup>(٥)</sup>.
- وترى جوليا كرستيفا أنه "يجيل المدلول الشعري إلى مدلولات خطابية متغايرة بشكل يمكن معه قراءة خطابات عديدة داخل القول الشعري، إنه مجال لتقاطع عدة شفرات تجد نفسها في علاقة متبادلة"<sup>(٦)</sup>.
- ويعتقد الباحث عبد الجبار الأسدي أن "التناس في حقيقته مجموعة من آليات الإنتاج الكتابي لنص ما، تحصل بصورة واعية أو لا واعية بتفاعله مع نصوص سابقة عليه أو متزامنة معه"<sup>(٧)</sup>.

- أما الباحث نزار عبشي فيرى بأنه: "انتقال المعنى أو اللفظ، أو جزء منهما من نص إلى آخر، ومن عمل أدبي إلى آخر، مع اختلاف في المقاصد والغايات"<sup>(٨)</sup>.  
ومن المهتمين بناحية التلقي الناقد ريفاتير حيث ركز في تعريفه على القارئ ووظيفته، فكان التناسل عنده: "ملاحظة القارئ لعلاقات بين عمل أدبي وأعمال أخرى سابقة أو لاحقة عليه.

من فوائده اهتمامهم بالجانبين أنهم من خلال محاولاتهم لتحديد مفهوم التناسل أدركوا وظيفة التناسل ووظيفة الناقد التناسلي؛ ففي وظيفة التناسل رأوا أنه لا بد أن يقوم بمهمة سياقية يثري من خلالها النص ويمنحه عمقا وطاقة لا حدود لهما. أما وظيفة الناقد التناسلي فلا تقتصر عندهم عند اكتشاف المعنى بل العثور على بؤرة التمعي التي يمثلها التناسل، وبعبارة أخرى، لا يقتصر البحث التناسلي على اكتشاف الصلة بين نص وآخر بل إلى اكتشاف الرؤية الإبداعية الجديدة التي أضيفت إلى النص الجديد من خلال تعاقبه مع النص السابق.

#### ب- العلاقات التناسلية:

إن علاقة النص بغيره من النصوص السابقة ومكانه منها قريبا أو بعيدا كان يُعدُّ المعيار الأول والأقدم في تقييم النص واختبار شعريته، فالآداب القديمة وإن كانت لم تتعرّف على التناسل بمفهومه الحالي إلا أنها تعرّفت حتما على علاقة نصوص الشاعر بالنصوص التي سبقتة وعلى علاقة نص الشاعر بمحيطه.

فقد كانت المحاكاة عند أرسطو وظيفة فنية لها دور أساسي في عملية التصوير الشعري، وهي بمعناها الأوسع حضور لمفردات الواقع المختلفة في أجواء النص الحاضر، وفي الأدب العربي كان السير على منهاج القدماء في النظم والتأليف عاملاً مهماً في الحكم على جودة القصيدة وفعاليتها والعكس من ذلك يُعدُّ موهنا من شأنها وشأن قائلها لذا كانت نظرية

عمود الشعر العربي وما حملته في ثناياها من معايير نقدية أساسا نظريا ينتاص معه الشعراء ويراعون قواعده حتى يوفروا لقصائدهم حظا من التميُّز والذيع.

أما العلاقات التناسية فعبارة عن العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المختلفة التي يهتم الناقد التناسي بوصفها لاكتشاف الرؤية الإبداعية التي اكتسبها النص الجديد من خلال تعالقه مع النص السابق.

توجد إشارات متعددة من خلال تعريفات النقاد التناسيين إلى العلاقات التناسية على الرغم مما يعتري هذه الإشارات من ضباب الرؤية والتجزئة والغموض، ومن الذين أشاروا إلى هذه العلاقات من النقاد الغربيين ريفاتير الذي رأى التناص بأنه (ملاحظة القارئ لعلاقات بين عمل أدبي وأعمال أخرى سابقة أو لاحقة عليه)<sup>(٩)</sup> فالعلاقة التناسية عند ريفاتير تمثل أهم دعائم شعرية النص.

أما العلاقة عند زمتور فتتمثل في ثلاث علاقات؛ علاقات المحاكاة والتغيير والمعارضة والمحاكاة الساخرة، ثم علاقة التداخل التي تقرن النص بمختلف أنماط الخطاب التي ينتمي النص إليها وفي هذا الإطار تدخل الأجناس وتحديداتها... وهي المتعلقة بالموضوع والصيغة والشكل وغيرها.

وكانت إشارات النقاد التناسيين العرب أكثر وضوحا على التعالق النصي فالدكتور نعيم اليافي في تعريفه للتناص قال إنه: "وسيلة من وسائل الخلق والتعبير يستعملها الشاعر في وضع خاص كأن يورد سطرًا أو مقطعا أو معنى لشاعر سابق أو معاصر بين ثنايا كلامه أو يستخدم لغته أو إيقاعه في تضاعيف لغته أو إيقاعه"<sup>(١٠)</sup> ففي هذا التعريف أشار اليافي إلى علاقتين تناسيتين؛ العلاقة الأولى علاقة فنية ترتبط بتقنية التناص، والثانية علاقة لغوية تتعلق بالنص من حيث طريقة توظيف اللغة بمكوناتها - الصوت والمعجم والدلالة والتركيب - ثم الإيقاع.

أما الدكتور علوي الهاشمي فيحدّد العلاقة التناصية في "وجود علاقة ما تربط بين نصّ شعري وسواه من النصوص الشعرية سواء كانت هذه العلاقة جزئية أم كلية إيجابية أم سلبية"<sup>(١١)</sup>.

وقد أدرك الباحث من خلال تتبعه لإشارات النقاد التناصيين إلى العلاقات التناصية بين النصوص أنّها علاقات لا حدود لها على الإطلاق فيصعب حصرها في نقاط معينة، وعلى الرغم من تشعبها فإنّ هناك علاقات تُفرض نفسها بتحليلاتها على النصوص المتناصية ومن أهمها ثلاث علاقات؛ هي العلاقات اللغوية، والعلاقات الفنية، والعلاقات الفكرية، وتحت كل هذه العلاقات الثلاث عناصر جزئية مما يصعب على هذا المقال أن يستوعبها جميعاً، وعلى ذلك فإنّ المقال سيتحدّد بالعلاقات اللغوية فقط، والعلاقات الأخرى يعالجها الباحث فيما بعد إن شاء الله.

## ٢- العلاقات اللغوية:

تتحكّم في النصوص جملة من العلاقات الخارجية والداخلية، ومن أهم العلاقات الخارجية العلاقات اللغوية بمستوياتها المختلفة من الصوت والمعجم والتركيب والدلالة، وهذه المستويات الأربعة ينبغي أن يقوم عليها كل تحليل للخطاب اللغوي عامة والشعري على الخصوص، وكان الدكتور محمد مفتاح من أوائل المدركين لهذه العلاقات اللغوية فراح يستغلها في مؤلّفه<sup>(١٢)</sup> لوضع استراتيجية شاملة ينبغي أن يقوم عليها كل تحليل شعري بما في ذلك التحليل التناصي وغيره، وقد تكون العلاقات كما ذكر الهاشمي جزئية أو كلية<sup>(١٣)</sup>، وهذا يعني أنه قد توجد العلاقة في مستوى دون آخر حسبما تدعو الحاجة الإنتاجية، كأن نجد العلاقة في المستوى المعجمي دون التركيبي أو التركيبي دون الدلالي وهكذا، وقد تكون العلاقة كلية تشمل كل المستويات اللغوية ويحدث هذا غالباً في بعض أنماط الكتابة الشعرية



كالتخميسات التي يكون النص الأصلي نموذجاً ينسج على منواله الشاعر الثاني بهدف التفوق على النموذج أو مجاراته.

وأيّ ما كان نوع العلاقات اللغوية التي تربط بين النصّين فهناك معايير يهتدي بها التحليل التناصي لرصد هذه العلاقات بين النصوص، وبالتالي يمكن إجمال أهم العلاقات اللغوية بين النصوص فيما يلي:

#### أ- العلاقات الصوتية:

هذا المستوى من التحليل التناصي تعتره كثير من المناقشات بين مُثبِت لوجود القيمة الصوتية ونافٍ لها، وهذه المناقشة قديمة قدم الحضارة الإنسانية ومن ثمّ كان مصطلحاً القصديّة والاعتباطية من أهم ما توصّل إليه نقاشُ الفريقين، ففي التراث العربي كان ابن جني من كبار الدعاة إلى القيمة التعبيرية للأصوات حيث دعا إليها في أماكن متعددة من كتاب الخصائص، فقد جعل (الصاد) أقوى من السين لأسباب يُرجعها إلى طبيعة تلفُّظ بعض الأصوات، وإلى الحافظ السمعي المنتج للترابط، (فالشين) مثلاً، بما فيها من التفشي تشبه الأصوات أول انجذاب الحبل قبل استحكام العقد<sup>(١٤)</sup>.

وعلى العموم فإن هذا الفريق يرى قيمة الأصوات ترجع إلى خصائص الأصوات الفيزيائية (الطبيعية) والأكوستيكية (السمعية)، وإلى التدايمات بالمشابهة مثل تشبيه شيء بشيء كمحاكاة بعض الأصوات الشفوية الاحتكاكية (ب. م) لصوت الريح... وتشكل صورة دائرة أو زاوية أثناء التلفظ كالإشمام وكالتشابه في الخط مثل: (يفترع - يقترع)<sup>(١٥)</sup>.

أما فريق من ينفي وجود أي قيمة تعبيرية للأصوات فمنهم ابن السيد البطليوسي الذي أنكر على ابن جني في بعض الأصوات مثل شدة القاف، ورخاوة الخاء، ورأى أن ذلك قياس مطرد ثم قال: "فإذا كان الأمر على هذا السبيل كان التشاغل بها كتشاغل ابن جني به عناء لا فائدة فيه"<sup>(١٦)</sup>

ففي المستوى الصوتي يتم الكشف عن الخصائص الصوتية التي يمتلكها النص الأصلي من حيث السهولة والرقّة ومنشؤ ذلك، ومن حيث الرقة والسهولة، ومما يساعد في رصد هذه الجوانب مراعاة القيمة التراكمية للظاهرة في النص النموذج ثم مقارنة ذلك بما في النص الحاضر للكشف عن نواحي التحويل والمحاكاة.

فالتحليل الصوتي إذاً جزء لا يتجزأ من العلاقات الداخلية التي تتعالق فيها النصوص، فهو من التحليل التناسي الذي يشمل كما يرى الدكتور صبري كلّ الممارسات المتراكمة وغير المعروفة، والأنظمة الإشارية، والشفرات الأدبية، والمواضع التي فقدت أصولها، وغير ذلك من العناصر التي تساهم في إرهاف حدة العملية الإشارية التي لا تجعل قراءة النص ممكنة فحسب، ولكنها تؤدي إلى بلورة أفقه الدلالي والرمزي أيضاً<sup>(١٧)</sup>.

أما بالنسبة للممارسات النقدية التناسية التي قام بها النقاد المحدثون فإن الدكتور محمد مفتاح كان خير من طبّق التحليل الصوتي تحت استراتيجيات التناس التي وضعها، واعتمد على مبدئي التشاكل والتباين في تحديد تشاكل الصوت والمعنى في تحليله لمطلع قصيدة أبي العلاء المعري التي يقول فيها:

الدهر يفجع بعد العين بالأثر فما البكاء على الأشباح والصور  
وتوصّل مفتاح من تحليله لهذا البيت إلى التشاكل الصوتي الذي حدث من تردّد أصوات (أ-ه-ع-ح) بصورة مكثّفة و التي ترجع إلى حيّز واحد وهو الحلق، ثم توصّل إلى أن اجتماع هذه الأصوات في هذا البيت الشعري يدلُّ على الحزن والزجر، وقد اعتمد في هذا الحكم على المعاجم اللغوية<sup>(١٨)</sup>.

ولم يقف عند الصوامت وحدها في تحليله للبيت فقد قام بعملية إحصائية لصوائت البيت ثم اكتشف أن حركة الكسرة قد قلّت وروده في البيت، والسبب في ذلك يرجع إلى طبيعة الصائت المكسور؛ فإنه حسب الدراسات النفسانية اللغوية يدل على اللطف والصغر، وليس هذا البيت بدال عليهما<sup>(١٩)</sup>.

وعند الحديث عن الإيقاع الداخلي للبيت أشار مفتاح إلى أن وحدة الوزن لا تحول دون وجود خلاف إيقاعي، فالشطر الأول في هذا البيت ذو حركة سريعة معبّرة عن الحسم والعزم والسرعة في إنجاز البطش. والشطر الثاني ذو حركة بطيئة تحاكي استمرار أفعال الدهر وديمومة نتائجه، أي أن هذا الإيقاع يوحي بتقابل بين تكرار الفعل وديمومة نتائجه<sup>(٢٠)</sup>.

وتطرق مفتاح لمثل هذا التحليل الصوتي لنص شعري آخر، إلا أنه ركّز فيه على دلالات الأصوات المهموسة في النص، فقد أدرك أن البيت التالي لأبي يقظان:

وأجزرت سيف أشقاها أبا حسن وأمكنك من حسين راحتي شمر  
فقد تضافرت فيه الحروف المهموسة بكثرة، وبخاصة السين والشين، وهي تفيد -  
بالسياق - الحسرة والأسى<sup>(٢١)</sup>.

إن التحليل السابق للبنية الصوتية في التحليل التناسي يُبرّر موقف البحث التالي من التعرّض لمثل هذا التحليل في هذا الفصل فليس بدعاً في ذلك فقد سبق إليه النقّاد، ويؤكد أهمية هذا التحليل والحاجة إليه.

ويلاحظ أيضاً أن التناس في مستوى الصوت المفرد (الصوائت والصوامت) يكسب حضوره كعنصر تناسي من خلال عنصر التشاكل الذي هو "كلُّ تكرار لوحدة لغوية مهما كانت"<sup>(٢٢)</sup> فوجد تشاكل صوتي، وتشاكل نبري، وتشاكل منطقي، وأن هذا التشاكل يتولّد منه عنصر آخر هو عنصر التراكم التعبيري، فتراكم صوت معيّن أو أصوات معيّنّة في نصّ يُعطيه ذلك التراكم قيمة تعبيرية قد لا نجدها في نصّ آخر، وعلى هذا فإن كل حوارٍ ينبغي أن يحترم هذه القيمة ويحاول استدعاءها في حوارهِ.

وقد أشار الدكتور محمد مفتاح إلى اختلاف النقّاد الغربيين حول عنصر التشاكل والتباين الصوتيين، حيث رأى بعضهم أنّهما لا يستحقان العناء الذي ينفق في دراستهما، إذ يدركان بحاستي السمع والبصر، بينما أصرّ فريق آخر على وجاهته وأهميته وذلك من خلال بعض

الدراسات الجادة للصوتيات كعنصر من عناصر البنية الشعرية، وقد تبَيَّنَ هذا الفريق منهجين مختلفين لدراستهما لخصهما محمد مفتاح فيما يلي:

(أ) طريقة إحصائية شاملة، كما تجدها عند "راستي" في بحثه "ضبط التشاكلات" فقد قابل بين طرفين متناقضين وهما: الحياة / الموت، ووضع تحت كل طرف الألفاظ الدالة، ثم جعل ثلاث خانات إحداهما للأصوات، وثانيتها للحياة، وثالثتها للموت، ثم أحصى أصوات اللين، وصنَّفها إلى أصوات شفوية، وضمِّية، ثم عد الصوامت ليرى عدد الأصوات في كل طرف، ثم قسم الصوامت بحسب صفاتها لتبيان الفرق بين المتناقضين.

(ب) إحصائية غير مضبوطة تراعي عنصر التشاكل والتراكم ومكان الصوت في سياقه المعجمي والتركيبي، ولربما كانت هذه الطريقة أليق بدراسة دور الأصوات في العملية الشعرية لقبول الحدس إياها، وإن لم تُؤسس بعد على شروطٍ ضرورية وكافية<sup>(٢٣)</sup>.

وبعد مناقشة الدكتور محمد مفتاح وإثارته لكل القضايا المتعلقة بالصوت كقيمة تعبيرية في تحليل الخطاب، توصل إلى أن الباحثين لم يضعوا بعد شروطاً ضرورية وكافية لحصرها وضبطها، وإنما تبقى دراستها ذوقية لا نملك البرهنة عليها لإثبات وجاهتها<sup>(٢٤)</sup>.

بناء على ما توصل إليه مفتاح فإن معظم ما سيقدمه الباحث في دراسة التناص الصوتي إنما يُعبر عن ذوق الباحث المستفاد من الدراسات النظرية والتطبيقية له. وسيتم ذلك عن طريق اختيار عينات من النصِّين الحاضر والغائب ودراستها عن طريق إحصاء ترددات الصوائت والصوامت فيها.

#### ب- العلاقات المعجمية:

أما العلاقات المعجمية فتسير من خلال المستوى المعجمي الذي هو عند مفتاح "عبارة عن قائمة من الكلمات التي تتردد بنسب مختلفة أثناء نصِّ معيَّن، وكلِّما ترددت بعض الكلمات بنفسها أو بمرادفها أو بتركيب يؤدي معناها كوَّنت حقلاً أو حقولاً دلالية<sup>(٢٥)</sup>".

فالمعجم الشعري يمثّل المرشد المثالي لتحديد هوية النص إذ أن لكل خطاب معجمه الخاص به، فللشعر الصوفي معجمه وكذلك المدحي والخمري، ولذلك صار المعجم وسيلة للتمييز بين أنواع الخطاب وبين لغات الشعراء والعصور.

ومن أهمية دراسة التناس المعجمي أنه يساعد في رصد اهتمامات الشعراء كما يساعد في تجسيد وحدة التصور بين المبدعين إذ أن تشابه اللغة وتمائلها يدلان على تشابه الخيال وتمائله<sup>(٢٦)</sup>.

وعند تحليل العلاقة في المستوى المعجمي ينبغي رصد الحقول التي تنتمي إليها المفردات والطريق في هذا هو إما طريقة العموم والخصوص: فلفظ "النفس" لفظ عام جامع تدخل ضمنه ألفاظ متعددة مثل: القلب، وما في حكمها مثل: الحب والهوى والبكاء والدمع والأرق واللذة والألم وغيرها فتجمع في حقل واحد، وإما طريق الترابط المقيّد أو الحرّ: فمعجم ألفاظ الطبيعة مثلاً: تجد البحر مرتبطاً باللؤلؤ والجواهر والموج، كما أن المطر مرتبط بالبرق والسحاب والغمامة والرياح والماء والدم والعارض والسييل، وكذا النهار مرتبط بالنهار، والليل مرتبط بالظلمة والقمر والكواكب والشهب وغيرها.

وبعد تحديد الحقول يأتي الحديث عن أثر الفضاء المكاني والزماني في ألفاظ النصّين، وأنه ينبغي تفسير أي انحراف أو عدول بين النصّين بالاعتماد على القرائن المحيطة بحياة المؤلف (صاحب النص الأصلي) والقارئ (صاحب النص الحاضر).

وأكبر ما يُريك فاعلية هذه العلاقة التناصية في المستوى المعجمي أنّها من أهم العلاقات التناصية التي تربط بين شعرنا العربي النيجيري وقصائد المعلقات لا سيما خلال القرن التاسع عشر الميلادي<sup>(٢٧)</sup>، فقد لاحظ الدكتور علي أبوبكر هذه العلاقة بين قصيدة الشيخ عبدالله بن فودي في شكوى أهل زمانه والتي يقول فيها:

ولما مضى صبحي وضاعت مآربي      وخُلِّفت في الأحلاف أهل الأكاذب  
يقولون ما لا يفعلون وتابعوا      هواهم وطاعوا الشح في كل واجب

وأعجب كلا رأيه في المذاهب  
وآثر عن قرياه جمع الأشائب  
مدارس علم بله أمر الكتائب  
لتحصيل لذات ونيل المراتب  
وتولية الجهال أعلى المناصب

وليس لهم علم ولا يسألونه  
وقطّع أرحاماً وأرزى معارفنا  
وما همّهم أمر المساجد بل ولا  
وهمّهم ملك البلاد وأهلها  
بعادات كفارٍ وأسماء ملكهم

وبين بائئة النابعة الذبياني التي يقول فيها:

و ليلٍ أقاسيه، بطيء الكواكبِ  
و ليس الذي يرعى النجومَ بأثبِ  
تضاعفَ فيه الحزنُ من كلِّ جانبِ  
لوالده، ليست بذاتِ عقاربِ  
و لا علم، إلا حسنُ ظني بصاحبِ  
وقبرٍ بصيحاء، الذي عندَ حاربِ  
ليلتَمِسُنَّ بالجيشِ دارَ المحاربِ  
كما سجّل الدكتور علي أبو بكر تناص قصيدة لمحمد بلو مع نونية عمرو بن كلثوم،

كليني لهم، يا أميمة، ناصبِ  
تطاول حتى قلتُ ليس بمنقضِ  
و صدرٍ أراح الليلُ عازبِ همهِ  
عليّ لعمرو نعمةً، بعد نعمة  
خلفتُ يميناً غيرَ ذي مثنوية  
لئن كانَ للقبرين: قبرٍ بجَلقِ،  
وللحارثِ الجفنيّ، سيّدِ قومه،

يقول الشيخ محمد بلو في مطلع القصيدة:

رِسَالَةَ ناصِحٍ يُدِي اليقينَا  
بِهِ بُرَاءُ فَأَوْفِ العُدْرَ فِينَا

أَلَا مَنْ مُبْلَغَ عَنِّي الأَمِينَا  
أَتَعْلَمُ أَنَّنَا مِمَّا رُمِينَا

هذان البيتان يُعيدان فينا ذكرى نونية عمرو بن كلثوم التي يقول فيها:

وَأَنْظَرْنَا مُجَبَّرُك اليقينَا  
أَبِينَا أَنْ نُقَرَّ الدُّلَّ فِينَا<sup>(٢٨)</sup>

أَبَا هِنْدٍ فَلَا تَعَجَّلْ عَلَيْنَا  
إِذَا مَا المَلِكِ سَامَ النَّاسِ حَسَفًا

تجمع بين النَّصَّيْنِ علاقات مختلفة من أهمها في المستوى اللغوي تردد ألفاظ في النَّصَّيْنِ ككلمة (اليقينا) التي تمثّل القافية في النَّصَّيْنِ، وإيراد أسماء الأعلام كاسم أمين الله الكانمي عند محمد بلو، واسم عمرو بن هند بن المنذر عند عمرو بن كلثوم، وكتردد ضمير (نا) الدالة على المعظّم نفسه حيث تكررت خمس مرات [٥] عند عمرو بن كلثوم، وثلاث مرات [٣] عند محمد بلو. ولا شك أن هذه الجوانب تبيّن عن تفاعل بين النَّصَّيْنِ من حيث المعجم الشعري.

أما الدكتور عبد الملك مرتاض فقد رصد تناص أصحاب المعلقات في توظيف بعض الألفاظ بصور متكررة، فقد أدرك أن لفظ [الحيّ] تكرر زهاء إحدى عشرة مرة عند خمسة من شعراء المعلقات، وهم: امرؤ القيس، وطرفة، وزهير، ولبيد، وعمرو بن كلثوم، و أدرك أن اللفظ لم يرد في معلقتي عنتره والحارث بن حلزة. ومن الكلمات التي رصد ترددها عند شعراء المعلقات لأثرها الكبير في صحرانهم كلمة [المطر] ومرادفاتّها مثل استعمال امرئ القيس لكلمة الوبل، والسييل، والغرق، والصّوب، والسحّ، والماء، والنفيان، أما لبيد فيستعمل ألفاظا شبيهة بألفاظ امرئ القيس مثل الودق، والجود، والرّهام، والغاد، والمدافع، والقطر وغيرها. أما عنتره فيتناصى مع امرئ القيس في ألفاظ المطر مثل: السحّ، ويتناصى مع امرئ القيس ولبيد في كلمتي (الماء والغيث). وبهذه الطريقة استطاع المرتاض رصد العلاقات التناسبية بين قصائد المعلقات من خلال المعجم الشعري وتوصّل إلى أن الشعراء جميعا إما أن يتماثلوا، أو يتقاربوا، وإما أن يتشابهوا في توظيف ألفاظ معجم شعري معيّن<sup>(٢٩)</sup>. وهكذا ينبغي تحديد العلاقات المعجمية بين النصوص من حيث تماثلها أو تقاربها أو تشابهها وغير ذلك.

## ج- العلاقات التركيبية:

أما العلاقات التركيبية فمن العلاقات اللغوية الفعّالة في إثراء النصوص، وهذه العلاقات يمكن النظر إليها من زاويتين: الزاوية الإعرابية المهتمة بالموقع وتوجد تحتها قضايا التقديم والتأخير، والحذف، والعطف وغيرها من الظواهر النحوية، ولهذا كان يطلق على هذه الزاوية بـ"التركيب النحوي". أما الزاوية الثانية فتهتم بالسياق الذي يكسب الكلمات دلالتها الأخيرة من أمر، أو نهي، أو استفهام، أو نداء، أو تمنٍ.

وقد أطلق الدكتور مرتاض على هذا النوع من العلاقة التناصية بالتناسل النحوي<sup>(٣٠)</sup> وأثبت ذلك بالطريقة العملية بين أربعة من شعراء المعلقات: امرؤ القيس، وطرفة، وزهير، وعنتر على النحو التالي:

يقول امرؤ القيس:

وقوفاً بها صحي عليّ مطيهم يقولون: لا تهلك أسيّ وتجمل

يتناسى معه طرفة على الوجه التالي:

وقوفاً بها صحي عليّ مطيهم يقولون: لا تهلك أسيّ وتجلد

وتكرر التناسل بين الشاعرين أيضاً في أبيات أخرى، فعندما يقول امرؤ القيس:

فظلّ العذارى يرمين بلحمها وشحم كهذاب الدمقس المقتل

يتناسل معه طرفة فيقول:

فظلّ الإمام يمتلن حوارها ويُسعى علينا بالسديف المرهد

والصورة التناصية نفسها حدثت بين زهير وعنتر، فحين يقول زهير:

فلما عرفت الدار قلت لربعها ألا انعم صباحاً أيها الربع واسلم

يتناسل معه عنتر فيقول:

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحاً دار عبلة، واسلمي



تجمع بين النصوص السابقة علاقات تناصية متشابكة من أهمها في المستوى اللغوي؛ علاقة المعجم والتركيب، أما التركيب فيمكن النظر إلى العلاقات فيه من حيث تقديم الحال المنصوب (وَقُوْفًا) على صاحب الحال (صَحِيحِي) في البيتين الأولين، أو كالذكر والحذف في قول امرئ القيس (لا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجْمَلُ) ومثله عند طرفة (لا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجْمَلُ)، أضف إلى ذلك توظيف أسلوب النهي عند الشاعرين (لا تَهْلِكْ)، أو أسلوب الأمر (تَجْمَلُ) عند امرئ القيس، و (تَجْمَلُ) عند طرفة وهكذا.

وتلك العلاقات التركيبية عينها يمكن رصدها أيضا في الآيات المتبقية خصوصا في عجز بيت زهير وعجز بيت العنترة.

#### د- العلاقة الدلالية:

وآخر علاقة تناصية لغوية يسجلها المقال هي العلاقة الدلالية وترتبط هذه العلاقة برسم الصورة الفنية في الخطاب من خلال توظيف اللفظ في غير ما وضع له أو ما اصطلاح عليه البلاغيون بالاستعمال المجازي، ومن خلال الصور التشبيهية أو الأمثال العربية النادرة لإثراء شعرية النص الجديد.

إن العلاقة الدلالية التي تربط بين النصوص من أهم ما استرعى انتباه النقاد القدامى فجعلوها مدار الحكم في الحديث عن السرقات الشعرية لاعتقادهم بأن الشعر الحقيقي عبارة عن مثلٍ سائرٍ وتشبيه نادرٍ واستعارةٍ بلفظٍ فاخر<sup>(٣١)</sup>. ووجد العديد من تعليقاتهم تربط بين التشبيه وامتلاك ناصية الشعر مثال ذلك ما يروى عن ذي الرمة الذي كان يقول: (إذا قلت كأن ولم أحسن قطع الله لساني)<sup>(٣٢)</sup>. أما الاستعارة فيراها أرسطو أعظم ما في لغة الشعر لأنها تتضمن القدرة على ملاحظة التشبيه<sup>(٣٣)</sup>.

ولا يتضح الحديث عن العلاقة الدلالية بين النصوص إلا من خلال تتبع آراء البلاغيين والنقاد القدامى حول مدلول السرقة، فالقاضي الجرجاني كان يرى السرقة في المعنى المرتبط

بصاحبه حتى ولو كان ذلك عاما واختص بكثرة الإلحاح عليه وتكراره، أو كان ارتباطه لسبقه في الوقوع عليه، ومثال ذلك عنده قول الأعشى:

وَأَرَى الْعَوَانِي لَا يُوَصِّلُنَّ امْرَأً فَقَدَ الشَّبَابَ وَقَدْ يَصِلُنَّ الْأَمْرَدَا  
فإذا جاء شاعر كأبي تمام وقال:

أَخْلَى الرَّجَالَ مِنَ النَّسَاءِ مَوَاقِعَا مَنْ كَانَ أَشْبَهُهُمْ بِهِنَّ خُدُودَا  
كان هذا البيت مأخوذاً من قول الأعشى.

وإذا قال كثير عزة يمدح عبد الملك بن مروان:

إِذَا هَمَّ بِالْأَعْدَاءِ لَمْ يَثْنِ هَمَّهُ حَصَانٌ عَلَيْهَا عَقْدُ دُرٍّ يَرِينُهَا  
وقال أبو تمام يمدح المعتصم:

عَدَاكَ قَرَّ الثُّغُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ بَرْدِ الثُّغُورِ عَنْ سِلْسَالِهَا الْحَصْبِ

كان هذا البيت مأخوذاً من سابقه وإن وشحه أبو تمام بالبديع.

أما حازم القرطاجي فكان أكثر فهما للعلاقة بين الحرية والإبداع متجاوزا الزكام النقدي والبلاغي الكثيف لتقدمه لبديل نقدي يمكن أن نسّميه بلغة معاصرة، إدراك الفرق بين "اللاشعور الجمعي" وما يُطلق عليه "اللاشعور الخاص" أما اللاشعور الجمعي فيشارك فيه الأسلاف والأحفاد، وأما اللاشعور الخاص فينفرد به الأسلاف، وقال عن اللاشعور الجمعي: "إن من المعاني ما يوجد مرتسما في كل فكر، ومتصورا في كل خاطر"<sup>(٣٤)</sup>، ويوضح قدامة هذه العبارة في قوله: "فمتى نظرت فرأيت أن تشبيه الحسن بالشمس والبدن، والجواد بالغيث والبحر، والبليد بالحجر والحمار، والشجاع الماضي بالسيف والنار، والصّب المستهام بالمخبول في جدته، والسليم في سهره، والسقيم في أنينه وتأمله، أمور متقررة في النفوس متصورة للعقول، يشترك فيها الناطق بالأبكم، والفصيح والأعجم، والشاعر والمفحم حكمت بأن السرقة عنها منفية، والأخذ ممتنع مستحيل"<sup>(٣٥)</sup>

أما اللاشعور الخاص فيقول عنه القرطاجي: " ومنها (أي المعاني) ما يكون ارتسامه في بعض الخواطر دون بعض، ومنها ما لا ارتسام له في خاطر وإنما يتهدى إليه بعض الأفكار في وقت ما فيكون من استنباطه"<sup>(٣٦)</sup> وهذا النوع من المعنى اللاشعور الخاص ينبثق عنه نوع ثانٍ تتضح فيه الملكية الفردية لأنه مما يحوزه البعض دون الآخر وهو "إلى حيز القليل أقرب منه إلى حيز نظيره"<sup>(٣٧)</sup>. لأنه قائم على الاستنباط واستخراج مكامن الشعر، وهو - عند القرطاجي - يحتل المرتبة العليا "ومن بلغها فقد بلغ الغاية القصوى من ذلك"<sup>(٣٨)</sup>.

ويختتم الباحث الحديث عن تعليقات النقاد القدامى على العلاقات الدلالية بين النصوص بما قاله ابن طباطبا:

"وإذا تناول الشاعر المعاني التي قد سبق إليها فأبرزها في أحسن من الكسوة التي عليها لم يعجب بل وجب له فضل لطفه وإحسانه فيه... ويحتاج من سلك هذه السبيل إلى إطفاء الحيلة وتدقيق النظر في تناول المعاني واستعارتها، وتلبسها حتى تخفى على نقادها والبصراء بها، وينفرد بشهرتها كأنه غير مسبوق إليها، فيستعمل المعاني المأخوذة في غير الجنس الذي تناولها منه، فإذا وجد معنىً لطيفاً في تشبيب أو غزل استعمله في المديح، وإن وجد في المديح استعمله في الهجاء؛ وإن وجد في وصف ناقة أو فرس استعمله في وصف الإنسان، وإن وجد في وصف إنسان استعمله في وصف بهيمة، فإن عكس المعاني على اختلاف وجوهها غير متعذر على من أحسن عكسها واستعمالها في الأبواب التي يحتاج إليها فيها، وإن وجد المعنى اللطيف في المنشور من الكلام، أو في الخطب والرسائل فتناوله وجعله شعراً كان أخفى وأحسن"<sup>(٣٩)</sup>.

إن ما سبق من إيراد تعليقات النقاد القدامى عن مدلول السرقة والسرقية الشعرية وما ليس سرقة لا يعني الحديث عن السرقة نفسها بقدر ما يعني بالكشف عن إشارات النقاد أنفسهم من - خلال حديثهم عن السرقة - إلى العلاقات الدلالية بين النصوص والتي

تتمركز في الغالب حول طريقة الشاعر في تقديم المعنى الشعري سواء عن طريق رسم اللوحة الفنية كما عند الأعشى في البيت السابق، أو العدول باللوحة نفسها إلى الصورة التشبيهية كما حدث في بيت أبي تمام السابق. وكذلك الشأن في اللوحة التي رسمها كثيّر عزة في البيت السابق، فقد تمّ العدول بها في بيت أبي تمام إلى صورة مجازية.

أما قدامة والجرجاني فقد جعلوا مدار التفاعل الطبيعي بين المبدعين في نوعين؛ النوع الأول هو "اللاشعور الجمعي" والثاني هو "اللاشعور الخاص" وكلا اللاشعورين يؤشّران بعلاقة تفاعلية بين النصوص، وقد جعل قدامة مدار اللاشعور الجمعي على التشبيه العام. أما النص المقتبس لابن طباطبا فيشتمل على إشارات خفية إلى أثر التصوير الشعري في لانهائية المعاني كما يفهم ذلك من قوله: [فأبرزها في أحسن من الكسوة]، وقوله: [إلى إلفاط الحيلة وتدقيق النظر في تناول المعاني واستعارتها، وتلبسها حتى تخفى على نقادها والبصراء بها]، وغيرهما من العبارات التي تنم عن العلاقة الدلالية بين النصوص.

### ٣ / الخاتمة:

حاولت الورقة خلال سطورها أن تعيد قراءة العلاقات التناصية بين النصوص لهدف وضع تصوّر ينبغي أن يقوم عليه التحليل التناصي، بدأت الورقة بالحديث عن التناص بالتركيز على ثنائية الإنتاجية والتلقي، ثم الحديث عن مفهوم العلاقات في نظر النقاد القدامى والمحدثين، وبما أن العلاقات التناصية تتصف باللامحدودية فقد ركّز المقال على العلاقات اللغوية فقط - لأنها الأصل في الفن الكلامي - وحصّرها في أربع علاقات هي: الصوت، والمعجم، والتركيب، والدلالة، وأتبع المقال كل هذه العناصر الأربعة بنماذج من صميم الممارسات النقدية التناصية.

## الهوامش

- (١) لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٩، مادة نصص: ١٦٢/١٤ ؛ ينظر: أساس البلاغة، الزمخشري، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩، مادة نصص: ٦٣٥-٦٣٦.
- (٢) القاموس المحيط، الفيروز أبادي إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار التراث العربي، بيروت، ط٣، ٢٠٠٣: مادة نصص: ٥٨٢.
- (٣) ينظر تاج العروس، الزبيدي، تح: عبد الكريم الغرباوي، مطبعة حكومة الكويت، ٩٧٩: مادة نصص: ١٨، ٨٢.
- (٤) ينظر تاج العروس، الزبيدي، تح: عبد الكريم الغرباوي، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٩: مادة نصص: ١٨، ٨٢.
- (٥) النص الغائب تجليات التناس في الشعر العربي، دراسة. محمد عزام، دار اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م ص ١١-١٢
- (٦) التناس بين التراث والمعاصرة، نور الهدى لوشن (الأستاذ الدكتور)، مجلة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج١٥، ع ٢٦، ١٤٢٤هـ ص ١٠٢٠
- (٧) النص الغائب تجليات التناس في الشعر العربي، دراسة، محمد عزام، دار اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م ص ١١-١٢
- (٨) التناس في شعر سليمان العيسى، نزار عبشي: رسالة لنيل شهادة الماجستير، قدمت إلى قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة البيت، ص ٤٨
- (٩) طروس الأدب على الأدب، جيرار جينيت، تر: د. محمد خير البقاعي. ضمن آفاق التناسية: ١٣٤
- (١٠) التناس معياراً نقدياً، شعر أحمد مطر أنموذجاً، أحمد عباس كامل الأزرق: رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة ذي قار، ٢٠١٠م ١٤٣١هـ- ص ١٤
- (١١) المرجع نفسه والصفحة.
- (١٢) تحليل الخطاب الشعري واستراتيجية التناس، محمد مفتاح: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة بيروت ١٩٩٢م ص ١٣-٤٠.
- (١٣) التناس في الخطاب النقدي والبلاغي، دراسة نظرية وتطبيقية، عبد القادر بقشي (الدكتور): أفريقيا الشرق، ط١، ٢٠٠٧، ص ١٨-٣٠.
- (١٤) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناس)، محمد مفتاح (الدكتور)، مرجع سابق ص ٣٤

- (١٥) المرجع نفسه ص ٣٥
- (١٦) الاقتضاب، ابن السيد البطليوسي ص ١٥٨
- (١٧) أفق الخطاب النقدي، دراسات نظرية وقراءات تطبيقية، صبري حافظ (الدكتور)، دار شرقيات للنشر، ط ١، القاهرة ١٩٩٦ م ص ٥٨-٥٩
- (١٨) تحليل الخطاب الشعري واستراتيجية التناص، محمد مفتاح (الدكتور): مرجع سابق ص ١٧٥
- (١٩) المرجع نفسه ص ١٧٦
- (٢٠) المرجع نفسه ص ١٧٦
- (٢١) المرجع نفسه ص ٢٦١
- (٢٢) المرجع نفسه ص ٢١
- (٢٣) المرجع نفسه، ص ٣٢
- (٢٤) المرجع نفسه ص ٣٦
- (٢٥) محمد مفتاح (الدكتور)، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، مرجع سابق ص ٥٨
- (٢٦) السبع المعلقات مقارنة سيمائية أنثروبولوجية لنصوصها، عبد الملك مرتاض (الدكتور)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨ م ص ١٧٤
- (٢٧) الثقافة العربية في نيجيريا، علي أبوبكر (الدكتور): دار الأمة لوكالة المطبوعات، الطبعة الثانية ٢٠١٤ م ص ٣٨٤-٣٨٥
- (٢٨) المرجع نفسه ص ٣٨٥-٣٨٤
- (٢٩) السبع المعلقات مقارنة سيمائية أنثروبولوجية لنصوصها، عبد الملك مرتاض (الدكتور): مرجع سابق ص ١٧٨
- (٣٠) المرجع نفسه، ص ١٨٧
- (٣١) نصره الإغريض في نصره القريض، المظفر بن الفضل: (ص: ٢، بترقيم الشاملة آليا)، <http://www.alwarraq.com>
- (٣٢) شعر عمر بن الفارض دراسة أسلوبية، رمضان صادق: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨ م ص ١٥٣
- (٣٣) ينظر: اللغة بين البلاغة والأسلوبية، مصطفى ناصف (الدكتور): طبع النادي الأدبي، بجدة ١٩٧٨ ص ٤٨٥

- (٣٤) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجي: تحقيق الدكتور الحبيب بن الخوجة، ط٥، ج١، تونس ٢٠٠٨م ص١٩٢
- (٣٥) الوساطة بين المتنبي وخصومه، علي بن عبد العزيز الجرجاني: تح: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط٣، ودار القلم ببيروت لبنان بدون تاريخ، ص ١٨٣
- (٣٦) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجي: مرجع سابق ص١٩٢
- (٣٧) المرجع نفسه ص١٩٢
- (٣٨) المرجع نفسه ص١٩٥
- (٣٩) عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي: موقع الوراق، <http://www.alwarraq.com> \_النسخة الإلكترونية غير الموافقة للمطبوع.

## ألوان السرد في الروايات النسائية العالمية: دراسة وصفية لنماذج مختارة

إعداد:

**الدكتور أحمد محمد ثالث**

قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو، نيجيريا

[amsalisu.ara@buk.edu.ng](mailto:amsalisu.ara@buk.edu.ng) ; +2348022994333

9

**الأستاذة بنت تکر**

قسم اللغة العربية، كلية أمين كنو لدراسات الشريعة والقانون

[bintatukur95@gmail.com](mailto:bintatukur95@gmail.com) ; +2348033638931

### الملخص

ركز هذا المقال على دراسة نماذج ألوان السرد في الروايات النسائية العالمية. واختار الباحثان المنهج الاستقرائي؛ لمعالجة الموضوع، واستهدفا في ذلك كشف نماذج من ألوان السرد الكامنة في بعض الروايات النسائية العالمية؛ وإبراز خصوصية وعي المرأة وملاحظتها الثقافية، والأدبية من خلال نصوص الرواية، وجعلا تحويل النص من الصورة الخبرية إلى الصورة الفنية الحسية مشكلة لبحثهما، والروايات النسائية العالمية حدودا له؛ لانعكاس أن السرد هو تلك التقنية ذات ألوان متشعبة، والتي بها ينتقل النص من الصورة الخبرية إلى الصورة الفنية المجسمة، وأن الروايات النسائية العالمية انطوت على جمع غفير من ألوان السرد.

والمقال اشتمل على المحاور التالية:

- (١) مفهوم السرد.
- (٢) جوانب السرد.
- (٣) ألوان السرد في الروايات النسائية العالمية.



(٤) الخاتمة.

(٥) قائمة المصادر والمراجع.

### المقدمة

السرد من فنون الأدب، وهو تلك التقنيات الفنية التي تبنى بها الحكمة اللفظية، وقد حظي - في زماننا هذا - بالعناية بين دارسي الأدب والنقاد، وذلك لكثرة أساليبه، وطرائقه المتنوعة، حتى سميت أكثر الفنون النثرية التي تعالج في ظل التقنيات السردية بالسرد، منها الرواية، والحكاية، والقصص، والأخبار، وكل واحد من هذه المسميات يطلق عليه: "السرد"<sup>(١)</sup>. هذا من جانب، ومن جانب آخر هناك كثير من النسوة في أنحاء العالم شاركن بأقلامهن في عمليات السرد حتى تشعب من مجهوداتهن ما يسمى بالأدب النسوي، الأمر الذي ألفت نظر الباحثين إلى تتبع أساليب السرد وطرائقه المتنوعة في رواياتهن عالمياً، بهدف استكشاف، وإبراز خصوصية وعي المرأة وملاحظته الثقافي، والأدبي من خلال النصوص الروائية المسرودة؛ عل الجمهور يتفاعل بشعورهن، ويشاركهن الانطباع. فتكمن الإشكالية في استخراج الصورة السردية من كتابات النسوة في مجتمعات متباينة عالمياً، بحيث تعكس الوعي النسوي المشترك في المجال. واختار الباحثان المنهج الاستقرائي منهجاً للدراسة؛ لاستقراء ووصف موضوع الدراسة، على أساس المحاور التالية:

- المحور الأول: مفهوم السرد.
- المحور الثاني: جوانب السرد.
- المحور الثالث: ألوان السرد في الروايات النسائية العالمية.
- الخاتمة.
- قائمة المصادر والمراجع.

### المحور الأول: مفهوم السرد

تناول السرد كثير من علماء اللغة والنقاد المحدثين بتعريفات متجانسة، من ذلك: ما ناقشه إبراهيم صحراوي في كتابه "السرد العربي القديم، الأنواع، والوظائف، والبيانات، حيث قال: "السرد بوسائله وأنواعه المتعددة هو إحدى طرائق نقل الأفكار والقيم، ووسيلة من وسائل دورانها فيما بين أفراد المجتمع"<sup>(١)</sup>. وفي مفهوم آخر هو: "الكيفية التي تروى بها القصة عن طريق هذه القناة نفسها، وما تخضع له من مؤثرات، بعضها متعلق بالراوي والمروي له، والبعض الآخر متعلق بالقصة ذاتها"<sup>(٢)</sup>.

السرد نشاط زمني، إذ يبين كيفية إدراك السارد للوقائع والأحداث على محور الزمن، وإذا كان الزمن الطبيعي متصل الحلقات، يسير متسلسلا في اتجاه واحد، فإن الزمن السردى لا يسير على نفس النظام، بل يسمح بالتداخل والتراكب والتقطع. ولهذا يعتبر الزمن عنصرا أساسيا في التمييز بين أشكال السرد.

وبخصوص التعريفات يرى أن التعريف الثاني أكثر شمولية؛ لاحتوائه ما امتاز به السرد من المواصفات، والتي هي واضحة في التعريف.

### المحور الثاني: جوانب السرد

يراد بجوانب السرد: كل الأشكال الأدبية المنظورة في زوايا السرد ومقاييسه، المتمثلة في مرويات القدامى، والمبتدعة في الروايات المعاصرة، وهي على النحو التالي:

أ. جوانب السرد من المرويات القدامى:

كما أوردها إبراهيم صحراوي في الآتي<sup>(٣)</sup>:

"الأسطورة: موضوعها خلق الكون ونظامه من كائنة إلهية الجوهر، لكنها قد

تأخذ مع ذلك صورا بشرية أو حيوانية وتكون قدراتها خارقة للعادة.

الاسطورة في القرآن الكريم: منها ما في حديث الأولين وأباطيلهم التي كتبوها وزخرفوها، وترهاثم وما سطره مما لا أصل له.

الخرافة: سرد خيالي، شعبي، وعضوي ذو معنى رمزي.

الإخبار: وهي عبارة عن أحداث الماضيين وأفعالهم وأحوالهم، وما طرأ على أوضاعهم وحياتهم، مما يناقله الرواة ويتحدث به السابقين عن اللاحقين، أو شاهدوا الخبر وسامعوه.

أيام العرب: وهي الحوادث التاريخية الحاسمة في الحياة العربية، ولاسيما التي سبقت الإسلام، وتلك التي حدثت في صدره.

قصص الأمثال: جملة موجزة بليغة، تلخص حادثة أو واقعة، فتكون دليلاً لها، ومخبراً عنها، وموحية بها، ذلك إذا ذكر المثل، ويعني بضرورة استعادة الواقعة وإن لم ترد.

الأشعار: ومنها ما قيل في رواية مغامرات العرب أو الإشارة إليها، مثل معلقة امرئ القيس التي تساق فيها عامة معينة تتجاوز الفرد الواحد (الشاعر) إلى الجماعة، كما هو شائع في ثنايا أخبار العرب في الجاهلية.

القرآن الكريم: كلام الله منزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، المتعبد بتلاوته، وهو أحد أهم مرويات العربية، فالأمر محتاج إلى بيان المادة القصصية المعتبرة التي وردت فيه، وهي مادة تناولت قصص الأنبياء وأقوالهم وأخبارهم السابقة<sup>(٤)</sup>.

السنة النبوية الشريفة: مثلها مثل القرآن الكريم، حفلت السنة النبوية الشريفة - على صاحبها أفضل الصلاة وأفضل التسليم - بكم هائل من المرويات والسرود، إذ نجد فيها أخباراً كثيرة كان الرسول صلى الله عليه وسلم يرويها

كلما استدعت الحاجة إلى ذلك في معرض تبليغه الدين الإسلامي، وتعليم أصوله، وقواعده، وآدابه<sup>(٥)</sup>.

ومن مرويات القدامى المغامرات، وأدب الرحلات، والمقامات. كل هذه المواد من مصادر السرد يستطيع الدارس أو الباحث أن ينظر فيها؛ استكشافاً عن التقنيات السردية الكامنة فيها، سيما أن هذا الجانب السردى عنى بعدم اهتمام النقاد، بسبب هيمنة نظرية الشرع على الدراسات الأولى<sup>(٦)</sup>.

#### ب. جوانب السرد في الروايات المعاصرة:

السرد هو ذلك الفن الذي تطور مع تطور العصر الحديث، ولم تعرفه العرب إلا بعد اتصالها بالثقافة الغربية وفكرها، فتطور الفن القصصي، ثم احتله فيما بعد فن الرواية، والذي يقول عنه الدكتور عادل فريجات: "فمن المعروف أن هذا الفن حديث نسبياً، لم يمحض على استوائه على سوقه - ناضجاً - أكثر من ثلاثة قرون في العالم الغربي، ولا أكثر من قرن ونصف في عالمنا العربي. بيد أن هذا الجنس الأدبي تخلق حين تخلق جنساً مرناً، منداح الأبعاد، قادراً على الهضم، والتمثيل، والإفادة من الفنون الأخرى"<sup>(٧)</sup>.

فقد وجدت السرديات من الرواية الجديدة وغيرها مجالاً لترصيد الأعمال الأدبية، وتكييفها تكييفاً فنياً. فالسرد فن يتمتع بغزارة الأساليب، والكثرة في تقنياته المتناولة.

والسرد عملية إجراء نص ما، بكل أبعاده، به يعقل الأشياء كما يقول الدكتور فريجات:

"ولقد أوليت السرديات في زماننا هذا عناية فائقة؛ ذلك لأن السرد هو سبيلنا الذي نعقل به الأشياء"<sup>(٨)</sup>. وكما يقول جوناثان كولر في كتابه: النظرية الأدبية: "إنه صبغة ضرورية لفهم نماذج السلوك، وأحداث الحياة. ومن المسلم به أن لكل منا على الصعيد الفردي سردياته الخاصة، التي تمكنه من بناء ما

هو عليه وما يتجه إليه. وعلى طريقة سرد الناس للأحداث تفهم القضايا،  
والأفكار، والتوجيهات...<sup>(٩)</sup>

### المحور الثالث: دراسة لنماذج من ألوان السرد في الروايات النسائية العالمية

للسرد في الروايات الجديدة ألوان متعددة، من ذلك ما يتعلق بالخلفية الروائية كالاتجاهية، ومنطق السرد، والنهاية، وما يتعلق بتقنيات السرد، كأنواع الحوار، وكذلك ما يتعلق بالأيديولوجية الفنية<sup>(١٠)</sup>، إلا أن الباحثين سيكتفون بعرض نماذج من ألوان السرد في الروايات النسائية العالمية، من خلال الاتجاهية، وزوايا الرؤية السردية، والنهاية، وإليك بيان ذلك بالتفصيل:

• **الاتجاهية:** كما عرفت سيزا قاسم في كتابها بناء الرواية؛ "كلمة افتتاحية مستهلة من افتتاحية الأوبرا، حيث إنها تمثل وحدة فنية مستقلة بالرغم من ارتباطها بالعمل ككل، حيث إنها تقدم بعض التيمات التي ستتطور فيما بعد"<sup>(١١)</sup>. ووظيفتها إدخال القارئ في عالم مجهول، أي عالم الرواية التخيلي بكل أبعاده، وإعطائه الخلفية العامة لهذا العالم، والخلفية الخاصة لكل شخصية؛ ليستطيع الربط بين الخيوط والأحداث التي تنتج فيما بعد<sup>(١٢)</sup>.

وسرد الاتجاهية في الرواية لا يخلو من أنماط ثلاثة:

#### ١/ الوصف التعبيري:

يتناول واقع الشيء والإحساس الذي يثيره في نفس المتلقي<sup>(١٣)</sup>. ومثال ذلك ما ورد في افتتاحية رواية دمشق يا بسمة الحزن: "كانت الدار في ذلك المساء الربيعي، وكأنها في لحظات التحلي الخارقة. لقد زوقها نيسان... فنان أهوج بعثر الألوان، فإذا هي سيمفونية متناغمة".

أزهار البنفشة تنحدر على الجدران شلالات ثلج أبيض، النمنومة الحمراء تتسلق فوق الليوان. الياسمينه الصفراء سطت على الدالية، نسجت فوق العريشة مظلة موشاة بالأصفر والأخضر. البحر يحتضن القمر، النافورة تردد أغنيته الرتيبة الموزونة.

زهر الليمون والنارنج ينشر في الجو عبقا يغري باسترخاء لذيذ، تبدو الدار وكأنها قد أعدت لحفلة عرس. الكراسي مصفوفة في الباحة الفسيحة. الأنوار تشع من الدهليز إلى الليوان. ربما صورتها دار بيت حميك صممت لحفلات الأفراح والأعراس، إن شاء الله تقيمين فيها فرح عرس بنتك بالهناء والسعادة.

وأخيل عروسين فتيين يدحلان من الدهليز، الشاب مشيق القوام يرتدي بذلة سوداء، وقد رشق في عروة سترته وردة بيضاء، يتأبط ذراع صبية حلوة ذات حصر نحيل، ترفل بثياب بيضاء شفافة كأنها محاطة بغية خريفية. وبحركة لا إرداية أجدني أتحمس خصري بيدي لأطمئن على نحافته. إن الأمور لا تأتي في أحيان كثيرة كما نحب ونشتهي. كنت أعرف أن الدار لم تعد في ذلك المساء لحفلة عرس كما تخيلتها، إنما أعدت لحفلة مآتم! (١٤).

من خلال هذا التعبير الذي قدمته الكاتبة بواسطة هذا السرد، يفهم مغزاها السردية، وهو الوصف المكاني الذي وجدت الساردة نفسها فيه، وذكرت كل ما يحيط بالمكان الذي جعله على شكل مكان أفراح موسمية، فإذا بالحقيقة أنه مكان سيقام فيه المآتم. إذا الوصف أتى من التعبير، فكان وصفا تعبيريا.

## ٢ / الوصف السردية:

"هو ما يطلق عليه صورة سردية؛ وهو الذي تدخل فيه الحركة على الوصف، أي تصف فيه الفعل في زمن المقاطع الوصفية" (١٥). كما في افتتاحية رواية "چچ مآتم" (١٦) حيث تقول: "في استهلال تصور هبوط طائرة في مطار ميدغري، تطلع فيها امرأة برناوية ذات

ثقافة غريبة في مظهرها الخارجي، تقابلها امرأة أخرى ذات نفس الثقافة، جاءت لتحملها معها<sup>(١٧)</sup>.

### ٣/ الوصف التصنيفي:

وهو ما يحاول تجسيد الشيء بكل حذافيره بعيدا عن المتلقي، أو إحساسه بهذا الشيء<sup>(١٨)</sup>، وتمثل هذا الجانب رواية "طوق الحمام" التي أخذت ما جاوز خمس صفحات في وصف دقيق للحارة التي وقعت فيها معظم أحداث الرواية، وترعرعت فيها الشخصيات الرئيسية للرواية<sup>(١٩)</sup>.

• **زوايا الرؤية السردية:** يتعلق هذا النوع باستخدام التقنيات المتباينة، لحكاية القصة المتخيلة مع الغاية، ويهدف إليها الكاتب عبر الراوي. أو هي "الطريقة التي اعتبر بها راوي الأحداث عند تقديمها"<sup>(٢٠)</sup>، ومنها: **الراوي:** وهو الصوت غير المسموع، الذي يقوم بتفصيل مادة الرواية إلى المتلقي. أو بعبارة أخرى هو عملية القص التي تتولد عنها القصة الثانية في حد ذاتها حادثة تحكيها القصة الأولى<sup>(٢١)</sup>. في رواية طوق الحمام؛ ترى تدخل الراوي في بادئ الأمر، حيث يقول:

"الشيء الوحيد الأكيد في هذا الكتاب هو موقع الجثة؛ الزقاق الضيق المسمى أبو الرؤوس، بالرؤوس المتعددة. من يجرؤ على كتابة زقاق كأبي الرؤوس غيري أنا، أنا أبو الرؤوس نفسه برؤوسه المتعددة. أنا أبو الرؤوس ملك التنفس، اللقب الذي استحقته من مهارتي في مواجهة المستحيل. فحيث إنه لم يعتن بتنويري قط، فلقد تعلمت أن أجلس في العتم وأسحب نفسا عميقا من الأنف (مُعَنَّاً بِخُمَائِرِ فِضَالَتِ وَنَزِّ بِالْوَعَاتِ وَنَشَازِ أَصْوَاتِ، كَشْأَنِ رَوَائِحِ الْحَوَارِيِّ الْمَنْسِيَةِ)، وأحبسه لدقائق قبل إطلاقه بتأن من الفم في هيئة إشاعات، وخرافات، ومحظورات أحنق بها سكانني، الذين يبدءون في النبش

عن مسكنات في تاريخهم، لعجزهم عن احتمال واقعهم الكالح أو تفهم العصر الذري الذي سيدوسهم" (٢٢).

### الراوي مصاحبا للشخصيات أو مشاركا في الرواية:

وفي هذا النوع يكون الراوي مدركا ما بخلد الأبطال، وتتجلى سلطته عليها، كما يقدم تفسيرات وتعليقات قبل أن تتوسل إليها شخصيات الرواية (٢٣). مثال ذلك ما في رواية دمشق يا بسمة الحزن: "لا، لا، لم أكن وحدي، كنت مع المشنوقة... أعاشها من خلال الكراس الأزرق خلفته لي، أتابع حياتها منذ تفتح صباها حتى اليوم الذي فارقت فيه الدنيا غير آسفة عليها" (٢٤).

**السردي السخري:** وهو اختفاء الأفكار المحورية في حبات الرواية في نسيج محكم، بأن تجري في السرد جريا معتملا تسري في النفس حتى تصل إلى المشاعر، كفكرة إيجابية لكنها سخرية قاذحة (٢٥). ونموذج هذا اللون من السرد، ما في القطعة الآتية من رواية دمشق يا بسمة الحزن: "نظقت بكلمة نائية على غير عادتها جعلتني أضحك وأكتم صوت ضحكتي. كنت أشعر بفرحة تغمري، ما أحلى لذة التشفي! أنسي راغب يا ترى حين أقام البيت وأفعدده ليمنع زواجي من عادل الإنسان الشريف الرائع؟ أما أن يتزوج هو من فتاة عاهرة فأمر لا أهمية له، لأنه رجل، والرجل مباح له كل شيء. أسطورة الرجل هذه متى ستزول من مجتمعنا؟ أم ترانا سنظل نتوارثها جيلا بعد جيل حتى تقوم القيامة" (٢٦).

**الوصف:** بعض الروايات تتعمق في وصف التاريخ وصفا دقيقا، وبعض أولت المكان اهتماما، حيث تجسد الأماكن الحقيقية في فضاء السرد يشعر المتلقي كأنه مع حياة طبيعية يحياها دون مخيلة (٢٧).

يتمثل ذلك في رواية طوق الحمام، من الوصف الدقيق لبعض الأماكن التاريخية في مكة: "حفظ جسد يوسف صغيرا جغرافية المصطحبات التي تسقط بيوت الجبال حول سرة الحرم



بالأسفل، لتبدو مكة مثل جرف منحط من الجهات الأربع لبيت الله (الكعبة)، حفظ الخطوط المرسومة لجباه الرجال المحفورة بالمعرفة الفطرية، والتي صارت آلة للسقوط هي الأخرى. تدفعهم حليلة ويصعدون إلى فضاء موصول بالله، ويضخ الدم بقوة أعنف في صدغي يوسف فيفقد الرؤية في العين اليسرى، لا يرى إلا باليمنى المتجهة للسماء، بينما مكة وحرمة عن يسار في الأسفل، بمقاماته الأربعة وفيه بئر زمزم. في صعودهم لتلك المرتفعات تلحظ عين عزة الطفلة كعين حشرة وتصير ترى في كل الاتجاهات، وتشحب حين يفرغ دمها للبشر بالأسفل، حتى بلغوا غار الكنز. تستقبلهم فسحته (كإيوان بقلب الصخر) تحييها آثار الماعز وبقايا الزوار. بصدر الفسحة يظهر الغار كشق في الجبل<sup>(٢٨)</sup> مسدود العوثة بالحجارة المتراكبة بتنضيد كأحجية وبلا حشوة أو ملاط يثبتها، في مجلدات مراجع تاريخ يوسف كان قد بناها نوح عليه السلام لستر مرقد آدم وحواء وولدهما شيث (الذي أنزلت عليه خمسون صحيفة من الغيب وأقدار البشرية وأخفاها هناك بانتظار من يعثر عليها)، تستثير مخيلاتهم الشقوق في الستار الحجري والقائمة لتسريب الضوء لرقدة الثلاثة، إلا أن أحدا لا يجرؤ على استراق النظر إلى قلب الغار، في تاريخ يوسف كان الصخر طريا بعد الطوفان فأنحرفت آثار نوح بطول الأجراف الشرقية، كل قدم بطول متر، وحوها يتحلق الصاعدون صباح كل سبت، يتبعون بقايا آثار أقدام النبي نوح والذي جاء يرد تابوت آدم الذي حمله معه على السفينة بعد انحسار الطوفان "والبعض الآخر يغرق في وصف العادات، من ذلك وصف إحدى عادات الهوسا في رواية "مُثِي مُتْم ( mace mutum): " اجتمعت العجائز يناقشن الموضوع، ويرون أنه لا بد أن تدعى الحاجة؛ "الداية"؛ لتقوم على الماخض بإجراء عملية " ثرغشري" (cirar gishiri) - كما يقولها الهوسا - فالقرع منعها من الولادة وتعسر الوجع عليها، وإن بقيت على هذا الحال مدة لا تقدر على الإنجاب.

- هتفت أخرى من بين الجالسات قائلة: "طبعاً، وأيضاً ينبغي أن تقام مثل هذه العملية لـ "أمريا" (Amarya: عريس)، فإنها كانت ترفض و تفر من ما لم؛ الإسراع في طلب ما لم أمر ضروري؛ يدعو إلى استرضائه حتى لا يتأخر الوقت.

- أنا أستمع إلى حديثهن وإن كنت لا أفهم المراد، لكنني موقنة أن أختي لا يروقها مثل هذا التداوي القديم، فهرعت سرا حتى أدركتها وحيدة في غرفتها تتوجع من الألم، لم أهتم بما تشعره من الآلام، بدرجة تطلعي إلى أن أحكي لها ما سمعت.

- أختي، حقاً! اليوم يقام عليك "عملية ثرغشري".

- لما قلته، رفعت رأسها - كأنها غير مصابة بشيء - تسألني: "من قال هذا؟"

- سمعت إنا مي كوكو تقوله "لإنا أمريا"، وهما يريدان أخذ رأي "مام" لإجراء العملية عليك وعلى أمريا".

- راودني خوف لما رأيتها وهي تهمز رأسها وتهميط هيط يا ويلتي..، سيقتلونني، لا أتحمّل هذا.. سأفر منهم" (٢٩)

• **النهاية:** كما وصفت في مجلة الرياض، هي: "تعبير إبداعي مكثف تحتزل فيه كافة أحداث الرواية وتفاعلاتها، وبالتأكيد فهي تعتمد على بعد القراءة الزمني" (٣٠). وسرد تشكيل النهاية في الرواية النسائية يكون بأساليب متنوعة، من ذلك:

نهاية رواية "دمشق..." تتألف بالنهاية الساردة للقراءة عن حكاية عمته في الكراس الأزرق، أهدته إلى الساردة، دون إعطاء المتلقي أي ضوء عن حياة الساردة بعد سرد حكاية عمته، فهي النهاية المفتوحة. تقول صبرية لابنة أخيها: "لقد هممت أن أحرق هذه المذكرات قبل أن أرحل، لكنني في اللحظة الأخيرة آثرت أن أهديتها إليك، فاقترئها بإمعان لكي لا تقعي فيما وقعت فيه عمته فيذهب عمرك سدى" (٣١).

ورواية "مئي متم" توقفت بعد أن انقضت الساردة من سرد حكايتها لابنة الشحاذة، مع التلميح إلى ما ستؤول إليه حياة الابنة مع أمها المريضة، فهي نهاية مقللة (٣٢).

## الخاتمة:

عالج المقال ألوان السرد الرصيدة في الروايات النسائية العالمية بالدراسة الوصفية اعتماداً على المنهج الاستقرائي ومجزئة إلى مقدمة وثلاثة محاور وخاتمة؛ وقد استنتجت الدراسة على النتائج التالية:

- أن السرد بمدلوله العصري فن حديث وهو عبارة عن الكيفية التي تروى بها الأعمال الأدبية النثرية وخصوصاً فن القصة والرواية لما يتمتع به هذا الفن من غزارة الأساليب والكثرة في تقنياته المتناولة.
- وأن السرد جوانب متعددة يدخل في جميع الأشكال الأدبية ما بين المرويّات القدامى والروايات الحديثة كما تخلق ألواناً متعددة في الروايات النسائية العالمية سواء في الافتتاحية أو زوايا الرؤية السرد أو في النهاية.
- أن جميع أنماط السرد الافتتاحي موجود في الروايات النسائية العالمية من ذلك الوصف التعبيري والوصف السردى ثم الوصف التصنيفي كما بدأ في النماذج المختارة.
- إن الروايات النسائية العالمية قد لعبت دوراً عظيماً في استخدام التقنيات المتبانية استخداماً فنية في نقل الحكاية وتجسيدها عبر الراوي بكل أبعاده؛ وفي نسخ أنماط السرد كاستخدام السرد السخري؛ ووصف الأفكار كالوصف التاريخي ووصف المكان ووصف العادات وصفاً دقيقاً.
- إن سرد النهاية في الروايات النسائية العالمية قد شكلت بأساليب متنوعة إما بالنهاية المفتوحة كما في رواية دمشق، وإما بالنهاية المغفلة كما في رواية "مثير مثير".
- إن دراسة ألوان السرد في الروايات النسائية العالمية دراسة مكثفة ورائعة، تتيح للدارس أو طالب العلم الولوع بها واستخراج الأنماط الأخرى من خلالها.

## الهوامش:

- (١) راجع: جوناثان كولر: النظرية الأدبية، منشورات وزارة الثقافة، جمهورية العربية السورية، دمشق، ٢٠٠٤م، ص: ١١٧.
- (٢) صحراوي، إبراهيم (الدكتور). (٢٠٠٨). السرد العربي القديم الأنواع والوظائف والبيانات (الإصدار ١). الجزائر: منشورات الاختلاف ١٤ شارع جلول مشدل الجزائر الناصحة الجزائر.
- (٣) السيد، ابراهيم (الدكتور). (١٩٨٨). نظرية الرواية دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، شارع كامل صدقي الفجالة.
- (٤) صحراوي، إبراهيم: المرجع السابق، ص:
- (٥) راجع صحراوي إبراهيم (الدكتور). (٢٠٠٨). السرد العربي القديم الأنواع والوظائف والبيانات (الإصدار ١). الجزائر: منشورات الاختلاف ١٤ شارع جلول مشدل الجزائر الناصحة الجزائر.
- (٦) صحراوي إبراهيم (الدكتور). المرجع.
- (٧) راجع صحراوي إبراهيم (الدكتور). مرجع السابق.
- (٨) راجع فريجات، عادل (الدكتور). (٢٠٠٠م). مرايا الراوية.. من منشورات اتحاد الكتاب العرب. تم الاسترداد من [www.awu.dam.com](http://www.awu.dam.com)
- (٩) المرجع السابق، ص.....
- (١٠) راجع جوناثان كولر،..... النظرية الأدبية.
- (١١) مارتى والاس: نظريات السرد الحديث، ترجمة: محمد حياة جاسم، المجلس الأعلى للثقافة ١٩٨٨. ص ٣٠١ وما قبلها وراجع: بناء الرواية، ص: ١٨٩-١٩٧.
- (١٢) قاسم، سيزا: بناء الرواية: دراسة مقارنة في "ثلاثية" نجيب محفوظ، مهرجان العربية للجميع ٢٠٠٤، مكتبة الأسرة برعاية السيدة سوزان مبارك، ص: ٤٣، (على هامش الصفحة).
- (١٣) الإدلي، إلفة. (١٩٨٠). دمشق يا بسمه الحزن. دمشق، دمشق، الشام: وزارة الثقافة والإرشاد القومي. نقلا عن: أبو عبده البغل: <http://abuabdoalbagal.bogstop.com>
- (١٤) قاسم، سيزا، المرجع السابق، ص ٤٤-٤٥.
- (١٥) المرجع نفسه، ص ١١٣.
- (١٦) الإدلي، إلفة، المرجع السابق.
- (١٧) قاسم، سيزا: بناء الرواية، المرجع السابق، ص: ١٥٨ - ١٦١.

- (18) I.D. Zuwaira .(١٩٩٩). *Ya'ya Mata*.Kano :Msquare Telecomm & Computer Services City Central Bookshop
- (19) Zuwaira, I.D. 1999, 'Ya'ya Mata, pp. 1-18
- (٢٠) قاسم، سيزا: بذاء الرواية، المرجع السابق، ص: ١٣
- (٢١) عالم، رجا: طوق الحمام، ط الثالثة ٢٠١١، المركز الثقافي العربي Twitter:@ketab\_n
- (٢٢) راجع: المتخيل السرد ص ١١٧ و لحمدان، حميد: بنية النص السردى، ص: ٤٧. أطلق على هذه الرؤية سيزا قاسم "الرؤية من الورا"، راجع: بناء الرواية ص: ١٨٥
- (٢٣) راجع: المتخيل السردى ص ١١٧ والسيد ابراهيم (الدكتور): نظرية الرواية دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، شارع كامل صدقي الفجالة - القاهرة، ١٩٨٨ ص ١٥٦.
- (٢٤) راجع عالم، رجا: الرواية، ص: ١١.
- (٢٥) راجع: بنية النص الصرد ص ٤٧: المتخيل السرد ص ١١٧؛ بناء الرواية ص ١٨٥.
- (٢٦) راجع الإدلي، إلفة: ص: ٦٣.
- (٢٧) راجع: علي، عواد، السرد الساخر، صحيفة العرب. <http://alarab.co.uk>. وعزام، محمد، المنهج الموضوعي في النقد الأدبي - دراسة- من منشورات اتحاد الكتاب العرب. ١٩٩٩ م. ص ١٥٩. موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت. [www.au-dam.com](http://www.au-dam.com)
- (٢٨) الإدلي إلفة: الرواية ص: ٢٣٣.
- (٢٩) راجع قاسم، سيزا: بذاء الرواية ص: ١١٨-١٥٨
- (٣٠) راجع عالم، الرواية، ص: ٧٨ - ٧٩.
- (٣١) Kaduna: Freedom Publishers. (First Edition) *Mace Mutum*. (٢٠٠٦). A.M Rahma
- (٣٢) الرياض، جريدة يومية تصدر عن مؤسسة يمامة الصحفية، السبت ٢١ شوال ١٤٤١ - ١٢ يوني ٢٠٢٠، ص ٢٠. <https://www.riyadhtoday.com>
- (٣٣) الإدلي إلفة: الرواية ص: ٢٧٠.
- (٣٤) Kaduna: Freedom Publishers. (First Edition) *Mace Mutum*. (٢٠٠٦). A.M Rahma

### قائمة المصادر والمراجع:

A.M Rahma (2006) *Mace Mutum* First Edition (Kaduna: Freedom Publishers)

I.D. Zuwaira (199) *Ya 'ya Mata*. Kano :Msquare Telecomm & Computer Services  
City Central Bookshop

إبراهيم، عبدالله: (١٩٩٠). المتخيل السردى (مقاربات نقدية في التناسخ والرؤى و الدلالة)  
(الإصدار، ط الأولى). المركز الثقافي العربي .

الإدلي، إلفة. (١٩٨٠). دمشق يا بسمة الحزن، دمشق، الشام: وزارة الثقافة والإرشاد  
القومي. تم الاسترداد من أبو عبدو البغل: <http://abuabdoalbagal.bogstop.com>

جوناثان كولر، ص ١١٧ النظرية الأدبية، منشورات وزارة الثقافة في جمهورية العربية السورية،  
دمشق ٢٠٠٤ م.

الرياض. (الخميس ١١ يناير، محرم ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م -). الخميس ١١ محرم ١٤٣٠ هـ  
- ٨ يناير ٢٠٠٩ م - العدد ١٤٨٠٨. تم الاسترداد من الرئيسية ثقافة السبت:  
<http://ads.alriyadh.com/www/delivery/ck.php>?

السيد، ابراهيم (الدكتور):. (١٩٨٨). نظرية الرواية دراسة لمنهج النقد الأدبي في معالجة  
فن القصة. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، شارع كامل صدقي الفجالة.  
صحراوي إبراهيم (الدكتور). (٢٠٠٨). السرد العربي القديم الأنواع والوظائف والبنانات  
(الإصدار ط ١). الجزائر: منشورات الإختلاف ١٤ شارع جلول مشدل الجزائر  
الناصحة الجزائر.

عالم، رجا: (٢٠١١). طوق الحمام (الإصدار ط، الثالثة). المغرب: المركز الثقافي العربي  
.Twitter:@ketab\_n

علي، عواد، السرد الساخر، صحيفة العرب. <http://alarab.co.uk>. وعزام، محمد، المنهج  
الموضوعي في النقد الأدبي - دراسة- من منشورات اتحاد الكتاب العرب.  
١٩٩٩ م. ص ١٥٩. موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت. [www.au-dam.com](http://www.au-dam.com)

فريجات، عادل (الدكتور). (٢٠٠٠م). مرايا الراوية، من منشورات اتحاد الكتاب العرب.

تم الاسترداد من [www.awu.dam.com](http://www.awu.dam.com)

قاسم سيزا. (٢٠٠٤). بناء الرواية، دراسة "مقارنة في ثلاثية" نجيب محفوظ. مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك.

مارتي والاس: نظريات السرد الحديث، ترجمة: محمد، حياة جاسم، المجلس الأعلى للثقافة

١٩٨٨. ص: ٣٠١ وما قبلها وراجع: بناء الرواية، ص: ١٨٩-١٩٧.

ويكيبيديا الموسوعة الحرة. (١٥ ٠٤ ، ٢٠٢٠). نص سردى. تم الاسترداد من ويكيبيديا

الموسوعة الحرة: <https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%86%D8%B5/>

## التناص القرآني في قصيدة "علمتي الحياة"؛ للشاعر مصطفى حمام

إعداد:

**الدكتور محمد الماحي بلو**

قسم اللغة العربية، جامعة بايروكنو-نيجيريا.

[mahibello@yahoo.com](mailto:mahibello@yahoo.com) ; 08066369509

### مستخلص البحث:

تعالج المقالة ظاهرة أدبية في شعر شاعر من شعراء القرن العشرين الميلادي. تهدف إلى تسليط الضوء على ظاهرة التناص القرآني في قصيدة من قصائد محمد مصطفى حمام، لرؤية كيف تم التفاعل مع نصوص قرآنية في هذه القصيدة، إما لتعزيز الدلالة الشعرية أو للإيجاز في الخطاب الشعري، أو للإشارة إلى ثقافة الشاعر بالمتناص، وتستوظف المقالة المنهج الوصفي في تناول الموضوع، وتدور الدراسة تحت المحتويات الآتية: التعريف بالتناص ونشأته، ونبذة عن الشاعر، ودراسة تحليلية للتناص القرآني في شعره، وخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع.

### المقدمة:

اهتم النقاد بالقضايا الدلالية اهتماما بالغا، وخاصة النظرة إلى كيف يستقي الشاعر معانيه الشعرية، فهي معاني مستقلة أم جلبها من نصوص آخر، وهذا ما يبحث عنه الناقد في العمل الأدبي. وهذه الورقة تبحث عن تناص الشاعر مع النصوص القرآنية المطهرة التي تدل دلالة واضحة على ثقافة الشاعر الدينية، وقدرته الكامنة على مناقشة هذه النصوص وحفظ كيانها من التشويه، وتقديسه لهذه النصوص التي لا يأتيها الباطل من يديها ولا من



حلفها. وتحتوي المقالة على النقاط التالية: التعريف بالتناص ونشأته، ونبذة عن الشاعر، ودراسة تحليلية للتناص القرآني في شعر مصطفى حمام، وخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع.

### التعريف بالتناص ونشأته وآلياتها:

وردت كلمة التناص من أصل خماسي، وبمعاني مختلفة منها: الازدحام، يقال: تناص الناس: أي ازدحامهم.<sup>(١)</sup> وكذلك الرفع، يقال: "نص الحديث" إذا رفعه إلى قائله<sup>(٢)</sup> ثم تغير المعنى إلى مفهوم جديد، يطلق على الدراسات الحديثة للبلاغة العربية، وهو الاتصال: يقال: "هذه الفلاة تناص أرض وتواصيها" أي تتصل بها<sup>(٣)</sup>. وقد أشار القدامى ببعض التفصيل إلى هذا المصطلح بأنه: موروث رشيق الحركة من نص لآخر له القدرة على الحركة أيضا بين المدلولات بحيث إنه يقبل تعبير الهوية حسب ما هو فيه من سياق، والسياق مجهود إبداعي يصدر عن المبدع نفسه<sup>(٤)</sup>. ويرى الدكتور محمد عبد المطلب أن مصطلح التناص من المصطلحات المستخدمة التي تم التواضع عليها في مجال الدرس الأدبي والنقد، وخاصة بعد استفاضة الحديث عن البنائية والأسلوبية وما قداما من جديد سواء على مستوى الإبداع أو على مستوى النص القديم والحديث على سواء<sup>(٥)</sup>.

وبهذه الآراء يتضح للقارئ أن التناص هو تداخل النصوص فيما بينها، حيث يستنتج الباحث آليات التناص في شعر ما أو نص ما، ليفيد القارئ مدى التأثير والتأثر بين النص المدروس وبين بعض النصوص السابقة، سواء أكانت هذه النصوص السابقة للمبدع نفسه أو لآخرين.

### نشأة التناص وتطوره:

أما نظرية التناص - وهي نظرية من نظريات ما بعد الحداثة - فإنها ولدت في أحضان السيمولوجية (السيمائية) والبنوية ابتداء بالشكلانية وانتهاء بالتشريحية، وإن كانت مدينة بكثير من ملاحظاتها لغيرهما<sup>(٦)</sup>.

وقد رصد حركتها التاريخية كل من الناقد مارك أنجينو في بحثه (التناسية)، وليون سمفل في بحثه الذي يحمل العنوان نفسه، وانطلقت شرارتها الأولى من الشكلانيين كما في كتابات (شلوفسكي)، ومن ثم (باختين) الذي اتجه بها نحو النص. ثم تسلمتها جوليا كريستفا واستخدمت للمرة الأولى مصطلح (التناس) كما في كتاباتها وكانت تهتم بالإنتاج وتعمل المتلقي والقارئ<sup>(١)</sup>. ويمكن القول بأن للتناس جذورا في لسانيات القرن العشرين، ولا سيما في العمل المبدع الذي قام به اللغوي السويسري<sup>(٧)</sup> وبهذا؛ كان معنى "التناس" مقصوراً في أول الأمر على تعدد الأصوات Polyphony في الشعر بأبسط معنى اشتقاقي له، وهو الازدواج في النظم بين الإيقاع المجرد rhythm (سواء كان يتمثل في النبر accent أو في توالي الحركات والسكنات) وبين أصوات الحروف نفسها، ومن ثم تطور معناه ليبدل على تشابك المعاني الداخلية للكلمات مع معانيها أو نظائرها أو (أقربائها) في نصوص أخرى خارج القصيدة، ثم اتسع معناه أخيراً في دراسة السيميوطيقا ليبدل على التشابك بين النصوص على أي مستوى - صوتياً كان أو دلاليًا أو تركيبياً<sup>(٨)</sup>.

### التناس عند النقاد العرب:

إذا ما تتبعنا مفهوم التناس ونشأته في النقد العربي، نجد مصطلحاً جديداً لظاهرة أدبية ونقدية قديمة، فالتأمل في طبيعة التأليف النقدي العربي القديم يعطينا صورة واضحة لوجود أصول لقضية التناس فيه ولكن تحت مسميات أخرى وبأشكال تقترب من المصطلح الحديث، حيث أوضح الدكتور محمد بنيس ذلك وبين أن الشعرية العربية القديمة فطنت لعلاقة النص بغيره من النصوص منذ الجاهلية، وضرب مثلاً بالمقدمة الطللية والتي تعكس شكلاً لسلطة وقراءة أولية لعلاقة النصوص ببعضها والتداخل النصي بينها<sup>(٩)</sup>. وهذا ينسجم مع قول الأستاذ الدكتور محمد عبد المطلب: ويبدو أن الإحساس بهذه الظاهرة الفنية بعض مقولات تشي بعملية التداخل الدلالي على نحو من الأنحاء<sup>(١٠)</sup>. ويروي صاحب العمدة -

في هذا السياق - مقولة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): لولا أن الكلام يعاد لنفد، تأكيداً لحقيقة فنية ردها عنتره في معلقته:

هل غادر الشعراء من متردم \* أم هل عرفت الدار بعد توهم<sup>(١١)</sup>

وهذا كعب بن زهير وهو من الرعيل الأول أتى بمثال آخر في شعره قائلاً:

ما أرانا نقول إلا معارا \* أو معادا من قولنا مكرورا<sup>(١٢)</sup>

وهذه الأمثلة تدل واضحاً على وجود الممارسة النصية التي تؤكد حضور نص بين نص آخر، وتتناول أبرز سماتها من الأمتصاص والامتداد والفضاء المتداخل. والتلميحات الجارية من النصوص السابقة من المعاودة، والتكرار، والتراجع، والترداد، كلها أوصاف تلازم سمة التداخل والتلازم بين النصوص الحديثة والقديمة. وقد فطن إلى ذلك أبو تمام فعقب على ذلك بقوله: 'كم ترك الأول للآخر'. وهذا كله يبرهن على ضرورة اتصال الشاعر بمن سبقوه، وجهود القدامى في المجال غير أن أغلبها وقعت تحت ما يسمى بالسرقات الشعرية.

### التنصص عند النقاد الغرب:

ويؤكد غير ناقد أن فكرة التنصص قد وضحت لدى "باختين" قبل غيره. فهذا (جريماس) يقول: "كان الباحث السيمولوجي باختين أول من استعمل مفهوم التنصص، فأثار اهتمام الباحثين في الغرب بجموية الإجراءات التي تقوم عليها الدراسات المقارنة التي تتضمنها، والتي يمكن أن تمثل تحولاً منهجياً في نظرية التأثيرات، لكن عدم الدقة في تحديد المصطلح - في ذلك الوقت - أدى إلى تعدد المسالك في فهمه وتطبيقه، حيث تعددت التعريفات والمفاهيم حول هذا المصطلح في مصادره الأولى..."<sup>(١٣)</sup>.

ويرى جيرار جينت أن باختين لم يستعمل مصطلح التنصص، ولكن أسس له نظرياً في كتاباته وخاصة في كتابه "شعرية دوستوفسكي" وتكلم كثيراً عن مصطلح آخر وهو الحوارية وهو ما التقطته كريستيفا وطورته لتعطيه اسماً آخر هو التنصص<sup>(١٤)</sup> ورغم الآراء المذكورة

نلاحظ أن نظرية التناص قد تطرق إليها سوسير وباختين من قبل كريستيفا، وأطلق باختين على هذه النظرية مصطلح "الحوارية" أو "الصوت المتعدد"، بينما جُوليا كْرِيسْتِيْفَا هي أول من أطلقت على هذه النظرية مصطلح "التناص" وأجرت عليه استعمالات إجرائية عند قولها: "إن كل نص هو عبارة عن فسيفساء من الاقتباسات، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى". فلم تكن المحاولات التي قامت بها كريستيفا على التناص أمراً نهائياً بل تضافرت جهود الدارسين في تناول هذه النظرية بالتعديل والإضافة ووسعوا آفاقها وأحالوها إلى حالة مثيلة.

أما رولان بارت فقد طور هذا المصطلح وعمقه وكثف البحث فيه، ولكنه قد يكون زاده غموضاً لانفتاحه على آفاق وحقول ومصادر لا نهائية، ولا محدودة ترفد النص الأدبي، يقول رولان في مقالته المشهورة: "إن كل نص هو نسيج من الاقتباسات والمرجعيات والأصداء وهذه لغات ثقافية قديمة وحديثة، وكل نص (الذي هو تناص مع آخر) ينتمي إلى التناص، وهذا يجب ألا يختلط مع أصول النص، فالبحث عن مصادر النص أو مصادر تأثيره هي محاولة لتحقيق أسطورة بنوة النص مجهولة المصدر، ولكنها مقرورة فهي اقتباسات دون علامات تنصيص"<sup>(١٥)</sup>.

### أنواع التناص:

ينقسم التناص حسب وظيفة المبدع للمقروء الثقافي المخزن سواء أكانت أساطير أو أحداثاً تاريخية، أو مناسبات، أو أحداثاً دينية، أو مسائل أيولوجية، أو تراثية شعبية، فتكون أنواعه بحسب المضامين المقتبسة. فينقسم التناص إلى:

(١) **التناص الديني:** وهو تداخل نصوص دينية تكون مختارة عن طريق الاقتباس والتضمين من القرآن، والحديث الشريف، أو الكتب السماوية، كالإنجيل والتوراة أو الأحكام الإسلامية، والشخصيات الإسلامية، وتشابه هذه النصوص في السياق، ويعتبر

القرآن الكريم أول النصوص التي حظيت بعناية الشاعر المعاصرة باعتباره النص الذي يحمل أبعاد اللامحدود للحياة والإنسان<sup>(١٦)</sup>.

(٢) **التناص التاريخي**: وهو تداخل نصوص تاريخية مختارة ومنتقاة مع النص الأصلي للقصيدة تبدو مناسبة ومنسجمة لدى المؤلف<sup>(١٧)</sup>.

(٣) **التناص الأدبي**: وهو تداخل نصوص أدبية مختارة قديمة أو حديثة شعراً أو نثرًا، مع نص القصيدة الأصلي، بحيث تكون القصيدة منسجمة وموظفة ودالة قدر الإمكان على الفكرة التي يطرحها الشاعر<sup>(١٨)</sup>.

(٤) **التناص الأيديولوجي**: هو تداخل النص مع تيارات أيديولوجية معاصرة له، فيوظفها المبدع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة<sup>(١٩)</sup>.

(٥) **التناص الأسطوري**: وهو استحضار الشاعر بعض الأساطير القديمة وتوظيفها في سياق قصيدته، دلالة على تعميق رؤية معاصرة يراها الشاعر في القصيدة التي يطرحها<sup>(٢٠)</sup>.

#### نبذة عن الشاعر:

هو محمد مصطفى حمام، ولد في مدينة فارسكور (محافظة دمياط - مصر)، وتوفي في الكويت. عاش في مصر، والمملكة العربية السعودية والكويت. تعلم في الكتاب مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم. بدأ حياته بداية حزينه حيث استهل الحياة وقد فقد والده وهو في سن الرابعة من عمره، وتولى تربيته جده لوالدته؛ لتنتبع شخصيته وسمته على التأمل وحب الفضائل والتعقل في الأمور، وقد نظم الشعر وهو في مرحلة مبكرة من حياته فكتب أولى قصائده وهو في الصف الثالث الابتدائي.. تدرّج في مراحل التعليم المختلفة حتى نال شهادة "البكالوريا"، ولما قامت الحركة الوطنية في مصر انضم إلى الثوار خطيباً وشاعراً وكاتباً.. وقد عُرف الشاعر إضافة إلى جزالة شعره وملحه وطرائفه مع أهل الأدب، بحبه للناس والتسامح معهم فقد كان . رحمه الله . سمحاً سهلاً، يحب السهل السمح في كل

شيء، وكانت له قدرات فائقة في حفظ الأشعار وروايتها، وله أشعار وأعمال كثيرة منشورة في معظم الصحف والمجلات، وله ديوان طبعته الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٤م باسم "ديوان حمام" قدّم له صديقه الشاعر "العوضي الوكيل".

بدأت حياته العملية مبكراً بعد أن توقف المدد السلطاني والإنفاق عليه، فعمل في صحف مختلفة لينفق على نفسه، كما عمل موظفاً بإدارة التعاون في وزارة الزراعة، وفي وظائف أخرى بوزاري الصناعة، والشؤون الاجتماعية، وهذا أكسبه خبرة واسعة صبغت شعره بالعمق واستبطان مشاعر الآخرين ودراية بما يعاينه الناس. ثم استقال من العمل الحكومي (١٩٥٢م) وتفرغ للعمل في الصحافة في مصر، ثم في السعودية منذ (١٩٦٠م)، ثم انتقل إلى الكويت مراقباً لغويًا بالتلفزيون. كان عضو رابطة الأدب الحديث.

اشترك في ثورة سعد زغلول (١٩١٩م) خطيباً وشاعراً، وكان الثوار يحملونه على الأكتاف ليهدف بهم، وكان على صلة وثيقة بالنحاس باشا زعيم الوفد بعد وفاة سعد زغلول، وكان يكتب لبعض الزعماء والسياسيين خطبهم. اشتهر بالسخرية وإتقان تقليد الأصوات، وله في ذلك نوادير وطرائف، وبرع في تقليد الفحول من الشعراء المتقدمين والمتأخرين، ونشر كثيراً من القصائد باسم صديقه الأديب عبد العزيز الإسلامبولي. كما كان راوية مسامراً من طراز فريد، يرتجل الدعابة العابثة كما يرتجل الشعر الرصين.

### دراسة نماذج من التناسق القرآني الوارد في القصيدة المدروسة:

هي قصيدة من قصائد الشاعر جادت بها قريحته نتيجة احتكاك ثقافي، واجتماعي، ومزاولة أعمال إدارية. فاصطبغت القصيدة بالتلميحات عن القضايا الاجتماعية والدينية؛ لذلك أراد الباحث أن يدرس القصيدة دراسة تناسقية، ليحقق مدى استفادة الشاعر بالمعاني القرآنية، وستقع الدراسة حول نوعين من التناسق المباشر وغير المباشر، فنقول وبالله التوفيق:

يقول الشاعر:

الأديب الضعيف جاهها ومالا      ليس إلا مثرثرا مخبولا  
القوي جاهها ومالا      أهدي هدى "وأقوم قياتا"

استعمل الشاعر ظاهرة التنصص في عجز البيت الثاني (وأقوم قياتا)، حيث عمد إلى امتصاص المعاني الواردة في الآية القرآنية: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ المزمحل ٦ وتوظيفها في مضمون بيته، يعبر الشاعر عن تحول الأمور رأسا على عقب حيث يصبح الأديب الضعيف الفطن عديم القيمة معنوه اللسان لقللة الأسباب المادية، وأما الجاني الغليظ القليل الأدب يستقل بدرجة مرموقة إذا كان قويا ذا مال وجاه، بل هو أقوى لسان، وصاحب كلمة من ذلك الأديب الضعيف. وجاء التنصص أساسا ليعزز الشاعر دلالاته الشعرية بهذا المعنى القوي، ومن ذلك اعتبار الشاعر المعنى المتنصص محورا أساسيا لمعنى البيت الثاني الذي يدل على اهتمام الشاعر بالنص المقتبس.

ويقول الشاعر:

غادة تجلت إليهم      خشعوا أو تبتلوا تبتياتا

يظهر التنصص غير المباشر في عجز هذا البيت حيث يقول: (تبتلوا تبتياتا)، مع قوله تعالى: ﴿وَأذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ المزمحل ٨. وعلى أساس مناصرة الضعيف على القوي بدون جدوى، والباطل على الحق، والفساد على البر والفانية على الباقية، يكون إذا ظهرت فتاة جميلة ناعمة انقطع الناس إليها انقطاعا كليا، كتفرغهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى المشار إليه في النص الأصلي. ويشير الشاعر من طرف خفي إلى الفساد الأخلاقي في أمتنا، لذلك ساند هذا المعنى بالنص الطاهر وأحسن الشاعر في بنية الفعل وجعله مضارعا بدلا من الماضي ليضمن التجدد والاستمرار، ويلاحظ الإيجاز المحكم في قول الشاعر: "تبتلوا تبتياتا" وهذا أعطى البيت حيوية فنية.

ويقول الشاعر:

الذي يكذب بالدين يهرب الحساب ثقيلا

نجد أن الشاعر تناص في هذا البيت آيتين، ففي صدر البيت تناص مع قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالَّذِينَ﴾ الماعون ١، وهذا تناص مباشر مع هذه الآية الكريمة، محتفظا بقانون الاجترار من التناص الذي هو<sup>(٢١)</sup>: "إعادة النص السابق بشكل حرفي أو نسخي في النص اللاحق"، يتعجب الشاعر بما تعجب به المولى عزوجل في الذي يكذب بحكم الله وبحسابه ولا يطيعه في أمره ونهيته، فاكتفى الشاعر بإعادة النص السابق كما هو لقداسته واهتمامه البالغ به. فيمكن ملاحظة امتصاص الشاعر قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ الإنسان ٢٧. في عجز البيت. واستنبط من النص فكرة ترك الأمر المهم والاشتغال بشيء أقل منه قيمة، وذلك إما للتهاون بالمهم أو عدم الإيمان به. وتحرى الشاعر الإيجاز والدقة في النص الثاني حيث جعل هذه الدلالة في كلمة واحدة.

ويقول الشاعر:

نعمة من الله لم يس بها في العباد إلا القليلا

قد امتص فكرة "إلا قليلا" عند قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء ٥٢. في عجز البيت، واستوظف هذه الفكرة في الرضا بكل ما حكمه الله سبحانه وتعالى، واعتبر ذلك نعمة لا يسعد بها إلا قليل من العباد، ونقطة الارتكار هي هذه الكلمة: "قليلا"، وعلى الأقل يدل هذا الاستعمال على ثقافة الشاعر بالنصوص القرآنية حيث استلهم الكلمة بدون شعور منه، ثم في موضع قد لا يصلح غيرها.

ويقول الشاعر:

أيها الناس كلنا شارب الكأ سين علقما وإن سلسيلا



يذكر الشاعر في هذا البيت أن الحياة طعمان، أحدهما مر والآخر عذب، وكل إنسان لا بد أن يشرب منهما حيناً بعد آخر. وقد تناص الشاعر عن طريق الامتصاص مع قوله تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾ الإنسان ١٨. وكما امتص من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ البلد ٤. فالإنسان منذ نشأته يكابد في عيشه حتى يوم يقوم الأشهاد، وعلى هذا فينبغي له أن يسعى في عمل يريحه من هذه الشدائد ويوجب له الفرح والسرور الدائم، وإن لم يفعل، فإنه لا يزال يكابد العذاب الشديد أبد الآباد. والسر الجمالي لهذا التناص هو: كفاءة الشاعر اللغوية في الجمع بين الضدين في بيت واحد، وفي كلمتين أيضاً: "علم" و "سلسبيل" الواردتين في آيتين مختلفتي السور. ويقول الشاعر:

نحن كالروض نضرة وذبولاً نحن كالنجم مطلعاً وأفولاً

لا يزال الشاعر يصور أحوال الدنيا وتقلباتها، وعدم ثباتها وقرارها على حالة واحدة، فهي مرة حيناً وحلوة حيناً آخر، تناص الشاعر وامتص في هذا البيت مع آية كريمة حكاية عن إبراهيم عليه السلام عندما رأى نجماً وهو في حال شك وتردد، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ الأنعام ٧٦. وكما أفل الكوكب في خاطر إبراهيم عليه السلام، كذلك يكون حال الإنسان في تصوير الشاعر كالروض أو كالنجم بين حالتيهما: النضرة والذبول، أو الطلوع والأفول. ونجح الشاعر في هذا الاختيار في سرد التناص وإحكامه بين زوايا صور تشبيهية بارعة. ويقول الشاعر:

نحن كالظن صادقاً وكذوباً نحن كالحظ منصفاً وخذولاً

لا يزال الشاعر يصف الحياة وفلسفتها على مثال ما سبق فامتص قول المولى عز وجل: ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ الفرقان ٢٩. ومحل التناص في النص الثاني كلمة: "خذولا"

والإنسان دئما بين أن يكون عادلا ومنصفا أو منصرفا عن الحق، ولتحقيق تعددية النص استوظف الشاعر في دلالة الشعرية هذه الكلمة المبالغة في تصوير حال الإنسان وما تفعل به الحياة من الخذلان.

ويقول الشاعر:

' يريدون أجلا من ثواب الله إن الإنسان كان عجولا

تناص الشاعر في عجز البيت مع قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ الإسراء ١١. ويشرح الشاعر فطرة الإنسان من العجلة حيث لا يريد ثواب الله سبحانه وتعالى في الآخرة بل العاجلة الفانية، وعلى جاء بأسلوب رصين مع توكيدات موحية في الشطر الثاني من البيت، على خلاف النص الأصلي الذي يدل واضحا على حسن التركيب ورشاقته.

ويقول الشاعر:

وإذا ما انبريت للوعظ قالوا لست ربا ولا بعثت رسولا

نرى أن الشاعر امتص في عجز البيت، مع قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَتَخَدُّونَكَ إِلَّا هُزُوعًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ الفرقان ٤١. يصور الشاعر استهزاء الناس بالوعاظ، فاستعان على طريقة تناصية بهذه الآية الكريمة التي يستهزؤ المكذّبون برسول الله صلى الله عليه وسلم فيها قائلين: أهذا الذي يزعم أن الله بعثه رسولا إلينا؟ إنه قارب أن يصرفنا عن

عبادة أصنامنا بقوة حجته وبياته، لولا أن ثبتنا على عبادتها. والسر الجمالي لهذا التناص هو: تعزيز الدلالة الشعرية، لعل الشاعر بهذا يحظي بانتباه القارئ والسامع. ويقول الشاعر:

الرجس بحملا فنشرناه مفصلا تفصيلا

ها هو الشاعر يمتص في عجز هذا البيت عند قوله: (مفصلا تفصيلا) مع قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّبَتِّعُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَا تَفْصِيلاً﴾ الإسراء ١٢. يشير الشاعر في البيت إلى صنيع الأوروبيين البغيض الذين نشروا الرجس والأعمال القبيحة في الأراضي المحتلة، وساعدهم على ذلك الشعب بالاعتقاد بمبادئهم ومحاكاتهم في معالم الحياة. أخيرا نشر الشعب هذه العقائد مفصلا. حاول الشاعر أن يحدث تغييرا لفيها في النص المتناص ليتوافق مع إحساسه الشعري، فوافق في ذلك حيث لا يشعر المتلقي بأنه أمام نص آخر، ويدل هذا على ثقافة الشاعر مع النص الأول، والقدرة على توظيفه على أحسن وجه.

ويقول الشاعر:

الأرحام تدفع قاييلا بغيه هاييلا

إذا تأمل المتلقي هذا البيت يتجلى له امتصاص واضح مع قوله تعالى في قصة قاييل مع أخيه هاييل: ﴿وَإِذْ أَخْبَرْنَا نَبَأَ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَمَنْ يُقْبَلْ مِنْ الْآخِرِ قَالَ لَاقْتُنُنكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ {٢٧} لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدَيَّ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ {٢٨} إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِغْمِي وَإِغْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ {٢٩} فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ {٣٠}﴾. يصف الشاعر ويلات الناس بعضهم على بعض،

حيث قتل قابيل هابيل وهو من دمه. فنجح الشاعر صياغة هذه الدلالة في بيت واحد بل في كلمتين فقط.  
ويقول الشاعر:

الأيام تعرض لو نيهها الناس بكرة وأصيلا

استعمل الشاعر ظاهرة التناص في هذا البيت، حيث عمد إلى امتصاص المعاني الواردة في الآيات القرآنية ووظيفها في مضمون بيت شعري، وذلك مع الاستعانة ببعض الألفاظ القرآنية. وفي قول الشاعر: (وتظل الأيام تعرض لونهها على الناس...) إشارة خاطفة إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ آل عمران: ١٤. أن الحزن مع الفرح والتصرع مع الهزيمة والحياة مع الموت هكذا الصراع بين النقيضين دائما، ويوم لك ويوم عليك. والسر الجمالي في استخدام هذه الظاهرة هو مدى حرصه واهتمامه في نقل الصورة بصورة موجزة وموحية، وبالإضافة إلى ذلك تناص الشاعر في عجز البيت مع قوله تعالى: ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا﴾ الفرقان: ٥. والملاحظ أن هذا الاجترار جاء لإتمام المعنى المساق في البيت.

ويقول الشاعر: الحياة أي مهما فلا أزال جهولا

تلبس الشاعر في هذا البيت بأسلوب القرآن الكريم في حث المتلقي على طلب العلم، والتواضع فيه وعدم التكبر في طلب المعرفة فما جهله الإنسان أكثر بكثير مما عرف؛ لذلك حث المولى نبيه صلى الله عليه وسلم على الحرص في طلب المعرفة، فنجد أن الشاعر هنا امتص قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء: ٨٥. مهما تعلم فهو لا يزال جهولا، وكما امتص قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

طه ١١٤. لأن طلب الازدياد من العلم دليل على عدم الاكتفاء. والسر الجمالي لهذا التنصص هو شدة التلطف في امتصاص المعاني، وإعادة صياغتها بصورة موجزة ومرضية.

ويقول الشاعر: آية البراءة والإي بالله ناصرا ووكيلا

تنصص الشاعر في البيت مع آية قرآنية تحت المؤمن على الإيمان بالله والتوكل عليه في كل وقت وحين وذلك حيث يقول المولى عز وجل: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ آل عمران ١٧٣. وهذا التنصص الداخلي جاء لطيفا، بحيث استطاع الشاعر أن يضمن النص الدلالة القرآنية في بنية النص الشعري.

#### الخاتمة:

أسفر البحث على نبذة عن الشاعر، والقضايا التنصصية، ثم دراسة عن تفاعل الشاعر محمد مصطفى حمام (المصري) مع النصوص القرآنية التي تعتبر أول مصدر من المصادر الشرعية، وكيف استطاع الشاعر هضم دلالات قرآنية في نصوصه الشعرية بلطف وإيجاز شديدين. وهذا لا يعني أن الشاعر لم يتفاعل مع نصوص أخرى في القصيدة المدروسة، بل هي أبرز ظاهرة وأولى بالاهتمام لكونها محورا رئيسا لهذه المقالة. وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- ظهر أن الشاعر أكثر من التنصص الداخلي أو الامتصاصي على الاجتراري المباشر.
- جاء تنصص الشاعر مع النصوص القرآنية لتعزيز دلالات شعرية.
- أكدت الدراسة ثقافة الشاعر الواسعة بمعاني القرآن الكريم؛ الأمر الذي ساعده على توظيف هذه المعاني في شعره بصورة لطيفة، وموجزة.
- كشفت الدراسة أسلوب الشاعر، الذي قارب فيه الأسلوب القرآني، مع تقديسه لهذه النصوص المطهرة.

## الهوامش والمراجع:

## القرآن الكريم

- الجرجاني، علي بن محمد السيد: **معجم التعريفات**، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والإصدار، د.ط، د.ت.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد: **المعجم الأوسط**، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، د.ط، ١٤١٥هـ.
- ناهم أحمد، (الدكتور): **التناص في شعر الرواد**، دار الآفاق العربية - القاهرة، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٧م.
- حافظ مصطفى ثاني، بحث بعنوان: **التناص الديني في ديوان سير القلب للمصطفى الحب إلى حضرة الرب للشيخ إبراهيم إنياس الكولخي**، وهو بحث للحصول على شهادة الماجستير في اللغة العربية بجامعة السلطان زين العابدين، ماليزيا، ٢٠١٥م.
- رضوان، ياسر عبد الحسيب: **التناص عند شعراء صناعة البديع العباسيين**، مكتبة الآداب للنشر، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.
- العشماوي، محمد زكي (الدكتور): **قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث**، دار الشروق - القاهرة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- علي، عماد عبد الباقي: **التناص في ثلاثية نجيب محفوظ؛ دراسة في علم لغة النص**، جامعة القاهرة كلية الآداب قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠١٢م.
- سنوسي طلحة خليفة، بحث بعنوان: **التناص في ديوان مناسك أهل الوداد في مدح خير العباد للشيخ إبراهيم إنياس الكولخي**، للحصول على شهادة الماجستير في اللغة العربية بجامعة بايروكنو، ٢٠١٦م.

- أبو شريفة، عبد القادر وغيره: **مدخل إلى تحليل النص الأدبي**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٣، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.
- ابن منظور، العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري: **لسان العرب**، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، د.ط، د.ت
- محمد مفتاح: **دينامية النص؛ تنظير وإنجاز**، المركز الثقافي العربي - المغرب، ط ٣، د.ت.
- رجاء عبد: **منظورات معاصرة**، منشأ المعارف - الإسكندرية، د.ط، ١٩٩٥ م.
- أبو علي الفارسي: **تاج العروس**، دار الفكر، د.ت.
- عناني، محمد: **المصطلحات الأدبية الحديثة**، الشركة المصرية العالمية للنشر - لوجمان، ط ٣، ٢٠٠٣ م.
- حسين جمعة، (أستاذ الدكتور): **المسار في النقد الأدبي**، دار سلاتة دمشق، ٢٠٠١ م.
- السنيي، إيمان: **التناص النشأة والمفهوم**، جدراية محمود درويش (نموذجاً)، مجلة آفاق الإلكترونية، يوم الإثنين، ١٥-١٠-٢٠١٣ م.
- <http://www.ofouq.com/taday/modules.php>
- العوضي، مبارك عبد الله: **ظاهرة التناص في شعر أمل دنقل ومحمد الفيتوري**، (رسالة الدكتوراة)، جامعة الدول العربية - قسم الأدب واللغة.
- كيوان، عبد العاطي، (الأستاذ الدكتور): **منهج التناص؛ مدخل في التنظيم دروس في التطبيق**، مكتبة الآداب - القاهرة، ٢٠٠٩ م.

## اللغة العربية وجدلية الهوية في بناء الوطن الإفريقي: نيجيريا أنموذجا

**الدكتور/ أمين يهوذا**

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة ولاية كدونا نيجيريا  
[bunyahuz@gmail.com](mailto:bunyahuz@gmail.com); +2348035171134

9

**الأستاذة: حفصة صالح**

قسم اللغة العربية، مدرسة الألسن، كلية التربية الفدرالية، زاريا

**مستخلص:**

خَلَّف الاحتلال الأروبي تناقضات معقدة في إفريقيا من حيث اللغة والثقافة، مما أثار سلبا على قيم الانتماء والمواطنة والتطور، ومن الدول الأكثر تضررا من كل هذا نيجيريا الفدرالية الواقعة في غرب إفريقيا، إذ عجزت عن الاحتلال من ثلاث مناطق رئيسية متنافرة من حيث التراث والديانة والقومية، وهي الجنوب الشرقي الذي تسكنه غالبية إيبو وغيرهم من القبائل الصغيرة، والجنوب الغربي الذي تسكنه غالبية يوروب، والشمال بأقاليمه التي تسكنها غالبية المسلمين من قبائل متعددة، انطلاقا من هذه الإشكالية فإن هذه الدراسة تهدف إلى البحث عن حضور اللغة العربية في بناء حضارة وثقافة البلاد قديما وحديثا وأثرها في تشكيل الهوية الوطنية بجانب هويات أخرى، إذ لا يمكن تجاهل الهوية اللغوية العربية في هذا الصدد، وكما تقف الدراسة على كيفية استثمار ذلك في استرجاع الشعور بالانتماء وتنمية ثقافة المواطنة والسعي لتطور البلاد في مواجهة التطرف والإجرام وتعاطي الرشاوي والتدهور الاقتصادي، كما تتوقع الورقة الوصول إلى نتائج علمية يمكن الاعتماد عليها في تشكيل الهوية



الوطنية المشتركة في بناء وطن يصمد أمام تيارات الحداثة العمياء والعملة الثقافية التي لا تولي للمحلية الانتمائية أي قيمة ولا للخصوصية الثقافية أي اهتمام.

وستتمحور الورقة حول النقاط التالية:

- مسحة عامة عن حضور اللغة العربية في مناطق نيجيريا:
- مفاهيم عن اللغة والهوية والثقافة:
- جدلية الهوية واللغة العربية في نيجيريا:
- الخاتمة

#### مسحة عامة عن حضور اللغة العربية في نيجيريا:

على الرغم من اختلاف المؤرخين حول حضور اللغة العربية في مناطق نيجيريا القديمة قبل الاحتلال، لكن الحقيقة الثابتة هي أن العربية عرفت طريقها مع دخول الإسلام إليها، وتختلف درجات حضور اللغة العربية حسب المناطق، وتعد منطقة أقصى الشمال الشرقي التي تحتضن مملكة كانم برنو القديمة من أقدم المناطق التي حظيت باللغة العربية بفضل مجاورتها بلاد النيل: مصر والسودان وبعض دول شمال إفريقيا، وقد سكنتها سلالة نازحة من الجزيرة العربية وهي سلالة عرب شوا، وتليها منطقة أقصى الشمال الغربي بداية بكبي وكشنا القديمة ذلك بفضل نزوح كثير من المسلمين القاطنين بشمال إفريقيا، ثم بلاد كنو وكشنا ورزّو بفضل رحلات العلم والحج ولكونها ممرات للحجيج، ولقد استطاع جهاد الشيخ عثمان بن فودي أن يوحد كثيرا من مناطق الشمال النيجيري ما عدا مملكة كانم برنو، وهي في تلك الفترة زاخرة بحركاتها العلمية تحت قيادة محمد الأمين الكانمي الذي لا تقل عظمتة

عن عظمة الشيخ عثمان بن فودي، فقد أسهم جهاد الشيخ عثمان في توغل اللغة العربية في بلاد الهوسا واليوريا انطلاقاً من كورا الحالية.

قام الاحتلال البريطاني بربط جنوب نيجيريا اليوم بشمالها لصالحه هو، مما فتح المجال أمام الدعوة إلى الإسلام ليتوغلوا في الجنوب بشقيه الغربي والشرقي، حيث وجدت اللغة العربية طريقها إلى الحدود التي وصل إليها الإسلام، حتى أصبحت مدينة لاغوس ملتقى بعض المهاجرين العرب؛ ويقول الإلورن في هذا الصدد "وأول من جمع الأولاد للتعليم العربي بالأسلوب الجديد هو الشيخ محمد مصطفى أفندي نزيل لاغوس عام ١٩٠٤م والشيخ عبد الكريم الطرابلسي المرادي بمدينة كانو، والشيخ محمد اللبيب الملقب بتاج الأدب الألوري"<sup>(١)</sup> وعلى هذا السياق فقد استوطن اللبنانيون العرب - منهم المسيحيون والمسلمون - في مدن لاغوس وكنو وأسسوا شركات تجارية وسينمات، ويعد اللبنانيون المسيحيون العصا السحرية التي استخدمها الاحتلال لنشر المسيحية وخاصة في الشمال، ويعود ذلك إلى كونهم عرباً خلصوا يتحدثون باللغة العربية بطلاقة، ومع ذلك سعى الاحتلال للتقليل من مكانة اللغة العربية وتعطيل أنظمتها ودراستها وتدريسها وحلت محلها اللغة الإنجليزية.

لكن المسلمين قاوموا الاحتلال من خلال رفضهم لمدارسه لعدم اهتمامه باللغة العربية والدراسات الإسلامية مما أجبره أن يعيد لهما بعض الاعتبار غصبا عنه بإدراج التعليم العربي في سياق التعليم المدني من أجل الضغوطات التي واجهه من المسلمين الشماليين، ومع هذا لم يضع منهجا لتدريس العربية والدين ولم يسع لإعداد أساتذة أكفاء لهذه المهام كأنه بذلك أفضح العربية وأساتذتها، وزيادة تصاعد الضغوطات لتحسين أوضاع العربية والدين، أقيم مؤتمر في يناير عام ١٩٣٨م لوضع مناهج العربية والدراسات الإسلامية للمدارس الحكومية، وأخيرا أخرج المؤتمر بعد أسبوعين في آخر جلساته مناهج اللغة العربية والدين في المدارس الأولية للبنين والبنات والمدارس الوسطى، وكان عدد الحصص المقررة في المدارس الأولية للبنين ستا في الأسبوع في كل من السنوات الأربع، ولا يختلف عنها في ذلك المدارس الأولية

للبنات كثيرا، إلا أن مدة الدراسة فيها كانت ثلاث سنوات فقط، وفي المدارس الوسطى قررت ست حصص أسبوعيا للغة العربية والدين<sup>(٢)</sup>، وعلى الرغم من التكاليف الباهظة لإعداد هذا المؤتمر فالمسؤولون ليسوا جادين في تطبيق هذه المناهج، إذ تم إرسال نتائج المؤتمر إلى الجهات المعنية في الشمال النيجيري مع خطاب مرفق ينص على أن تطبيق هذه المناهج اختياري. وعلى هذا الأساس "واجه التعليم العربي أيام الاستعمار بعض المشكلات من أبرزها الإهمال والتقصير الواضح في دعمه، فأهملت اللغة العربية ومدرسيها دون أية عناية، ولكن فطن إلى ذلك كثير من الأهالي وخاصة السياسيون، وامتنع كثير من الآباء من تسجيل أبنائهم في تلك المدارس، إلا بعد إدخال اللغة العربية والتربية الإسلامية في المنهج المدرسي"<sup>(٣)</sup>.

وخلاصة القول، وعلى الرغم من تراجع اللغة العربية أيام الاحتلال بتراجع الهوية الوطنية وتشكيلها تشكيلا يتناقض مع المقومات الحضارية والثقافية في الشمال وفرض الحضارة الغربية التي لا تمت إلى كثير من بلاد المنطقة بصلة، فإنها انتعشت بعض الشيء من خلال دخولها المدارس النظامية الأهلية والحكومية والابتدائية والثانوية والمؤسسات التعليمية العالية منها الجامعات وكليات التربية، ومن أكبر إنجازات اللغة العربية، المصادقة على المجلس الوطني للغة العربية والدراسات الإسلامية ليُشرف على الامتحانات والمناهج والمقررات لهما. وبمساعدة النظام الغربي الذي لا يعرف الاستقرار مع الثوابت ولا الركون إلى الأصالة وبصرف النظر عن التلائم وغيره فقد أُدرج كثير من الدول في هاوية الحداثة والعمولة من خلال النظام العالمي الجديد الذي يحاول طمس كل ملامح الهويات، والبناء على أنقاضها حضارة تابعة للإنسان الغربي دون مراعاة الخصوصية رغم اختلاف الدين والتراث والانتماء.

### مفاهيم عن اللغة والهوية والثقافة:

ترتبط اللغة بالهوية ارتباطا وثيقا، وكلاهما يشكل الثقافة بأوسع أبعادها، حيث تتخطى اللغة معناها اللغوي والتقني المجرد إلى كونها رمزا للمجتمع الذي تعبر عنه وأداة لتفاعله وطريقة أهله في

التفكير والتعبير إضافة إلى كونها قضية اجتماعية ذات صلة وثيقة بهوية الدولة وشخصية مواطنيها، وعاملاً حاكماً يسهم في تقوية الانتماء والترابط والولاء لديهم. وتعود اللغة، في جذورها اللغوية إلى كلمة لغو أو لغى، التي تدور معانيها حول الرمي والطرح واللفظ، وهي أداة للتفكير وتؤثر في الإنسان وتتأثر به، كما أنها لسان الجماعة ومرآة فكرها ومنجم عطائها والملح الرئيسي لخصوصيتها<sup>(٤)</sup>.

أما الهوية، فتشتق من كلمة (أهؤ) حرف الرباط الذي يدل في اللغة العربية على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره، ويعرفه علماء الاجتماع على أنه الشيء الذي يُشعر الشخص بالاندماج في المجتمع الذي يعيش فيه والانتماء إليه وذلك الشعور بالهوية والانتماء، تتصافر من أجل تشكيله مجموعة من العوامل، تقف على رأسها اللغة<sup>(٥)</sup>. يقوم منظور الهوية على كلمة (هو) الضمير المنفصل الذي يعود إلى شخص ما، ولهذا فمن الخطأ أن ننطق كلمة الهوية بفتح الهاء بل بضمها فنقول الهوية وليس الهوية، فالهوية إذاً هي المرجعية أو الخلفية التي تتشكل منها الشخصية الإنسانية، ويقول عبد الكريم بكار عن الهوية بأنها "مجموعة العقائد والمبادئ والخصائص والتميزات التي تجعل أمة ما تشعر بمغايرتها للأمم الأخرى، والإسلام بعقائده وأركانها وأحكامه يشكل أساس الهوية الإسلامية، وللروافد التاريخية والوطنية والجغرافية واللغوية والثقافية المختلفة دور مهم في بناء الهوية"<sup>(٦)</sup> وللهوية الوطنية معالمها وأصالتها وخصائصها، بهذا تنطوي الهوية على نسق من عمليات التكافل المعرفي والثقافي والاجتماعي والنفسي والمادي وتتميز بوحدها التي تتجسد في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهوية والشعور بها، وهي تتركز على ركائز ثلاثة: الفرد ومجتمعه وإنسانيته.

والهوية أعم من اللغة، لأن للهوية تجليات أخرى غير اللغة؛ فبينما تعد اللغة هوية فإن الهوية ليست لغة فقط، ورغم ذلك فإنهما وجهان لشيء واحد. فقد أثبتت العديد من الدراسات موثوقية العلاقة بين اللغة والهوية الذاتية والجماعية، وتلك العلاقة قائمة على الإمام باللغة الأم والتحصيل الشخصي والعلمي، ففي أي مجتمع، لا تمثل اللغة مجرد كلمات وألفاظ، بل تتجلى في

كونها وعاءٌ يحوي مكوناتٍ وجدانيةٍ ومعتقداتٍ وخصوصياتٍ لذلك المجتمع؛ الأمر الذي يفسر سبب اعتزاز كل شعب بلغته.

وتعود كلمة الثقافة إلى عدة معانٍ ومن أهمها: الحذق والذكاء والفطنة، وهي مجموعة من العلوم كالدين والأدب التي تحمل فلسفة خاصة بها وتتميز هذه العلوم بالسمة الخاصة بالأمة، وكما تدل على العادات والتقاليد الموروثة لأمة ما وانتقالها من جيل لآخر، وقد يكون للتوجه الديني الأثر الكبير في تشكيل الثقافة<sup>(٧)</sup>. بهذا يفهم ارتباط هذه المفاهيم ببعضها البعض بحيث يدرك أن اللغة تحمل وشائج بناء الثقافة التي تسعى لتشكيل الهوية.

#### جدلية الهوية واللغة العربية في نيجيريا:

تتجاذب اللغة العربية مع الهوية الفردية والجماعية في كثير من المناطق التي ترسخ فيها الإسلام في شمال نيجيريا بداية بأقصى الشمال المتمثل في قبيلة عرب شوا وامتدادا إلى وسطه وانتهاء بمدينة كورا التي تبث الهوية العربية في الجنوب الغربي وبعض الجنوب الشرقي، على هذا لا تدعي الدراسة بأن أهالي هذه المناطق تتحدث بالعربية، وعلى الرغم من أن اللغة العربية لم تدخل في مصاف اللغات الوطنية لكنها تفرض نفسها بنفسها من خلال تشكيل الهوية الوطنية التي يعترف بها كثير من الباحثين المنصفين الذين يتابعون الأمور دون أن تغطي أعينهم غشاوة الاحتلال، ولا يمكن بناء الوطن بدون الرجوع إلى مقوماته الحضارية الثقافية التي تتعاطى مع المرجعية الدينية واللغوية حيث تُبنى عليها الهوية الوطنية التي تنصف كل مواطن وتعطيه حقه، والمسلمون في نيجيريا تأثروا بالإسلام وبلغته ولم يكن هذا وليد اليوم وإنما هو تاريخ مديد، وإن محاولة مسايرة علمنة الوطن بدعوى الحل الوسط بين شعوبه محاولة للتغاضي عن الحقيقة والهروب عن الواقع، ما من شك أن محاولة الاستفادة بهذه الهوية مما يقلل كثيرا من التطرف والاضطرابات والخرابة والتعصب وغيرها لضبط مسيرة الوطن الناجح، وعلى هذا الأساس يمكن متابعة هذه الجدلية من خلال الأمور الآتية:

### الذاكرة التاريخية والتراث الديني:

لم تكن مناطق نيجيريا القديمة - قبل الإسلام - معروفة بحضارة تذكر رغم وجود الحضارات الرومانية بمصر والسودان وبلاد شمال إفريقيا غربية منها وكذلك حضارات مملكة غانا القديمة، فقد حاول المؤرخون إيجاد دلائل عن أصول قبائلها وممالكها وعلاقتها مع دول الجوار، ولم يكن ذلك إلا تخميناً ورجماً بالغيب، على هذا الأساس يمكن القول بأن هذه المناطق قبل الإسلام تعيش حياة بدائية، ولم تتأسس على أراضيها حضارة إنسانية، إلا بمعرفتها الإسلام ودخول أهاليها إلى ممارسة شعائره وبالتالي قامت ذاكرة هذه البلاد على استيعاب الهوية الدينية المزيجية باللغة العربية، ومن خلال استحضر ماضي مناطق نيجيريا وعلاقته باللغة العربية يدرك تماماً بأنها صاحبة الفضل الأعظم بفضل الإسلام وكتابه العزيز ككثير من الدول الإفريقية إذ "لم يتوقف الأمر عند إمام مسلمي أفريقيا باللغة العربية للقيام بالشعائر الدينية أو إتقان بعضهم لقواعد العربية وعلومها، بل انتشرت العربية في كثير من الأقطار الإفريقية حتى إنها استخدمت كلغة للتعليم والثقافة والأدب وظهرت الكتب والمصنفات التي وضعها كثير من العلماء الأفارقة المسلمين باللغة العربية في شتى مجالات العلم وخاصة العلوم اللغوية والشرعية وكذلك دونت عشرات من اللغات الإفريقية بالحرف العربي، كما استخدمت كلغة للإدارة والحكم والمراسلات والمكاتبات الحكومية"<sup>(٨)</sup>

تعمل الذاكرة التاريخية الأعمال السحرية بالنسبة للمواطنين المسلمين وشد عقولهم إليها وتذكيرهم بها كلما طرأ النظام الجديد ومستجداته الخبيثة، وتتمركز حول هذه الذاكرة دعوى الانتساب إلى السلالة العربية، والاعتزاز بانتساب أسرهم إلى الإسلام مبكراً ودعوى الانتماء إلى الأسر العلمية في بعض البلاد منها زارياً وكنو وسكتوا بالحق أو الباطل، ذلك لتغلغل هذه الذاكرة في مقوماتهم الحضارية، بل هي الصدر الرحب الذي يحتضنهم به كلما اختنقت أنفسهم بتراث الاحتلال والواقع المرير. بهذا تشكل هذه الذاكرة المرجعية الثقافية والحضارية التي لا غنى عنها. وتمتد مظاهر هذه الذاكرة في التمسك بالدين والغلو فيه أحياناً ومحاوله

إحياء بعض ملامحه في تطبيق الشريعة الإسلامية في بعض الولايات الشمالية النيجيرية والإقبال على تعلم وتعليم اللغة العربية في المدارس والجامعات والمراكز، حيث يحصى عدد المتحدثين بالعربية ٣٩ من النسبة المئوية للمسلمين، وفي مدينة مِيدُغُري يتكلم بالعربية تسعة من عشرة، وفي مدينة إْلُورُنْ سبعة من عشرة، وفي كُنُو و زَارِيَا بين أربعة وخمسة من عشرة تقريبا، وعلى الرغم من عدم دقة هذه الإحصائيات لكن المدارس العربية الثانوية التي تزداد يوما بعد يوم تؤكد هذه الحقيقة، ويمكن أن تستأنس الدراسة بمدارس تنتمي إلى المجلس الوطني للغة العربية والدراسات الإسلامية وبالطلبة المسجلين به، حيث سجلت ألف وتسع مئة واثنان عشرة (١٩١٢) مدرسة، أكثرها مدراس عربية إسلامية وقليل منها مدراس إنجليزية، ويتفاوت عدد المدارس التي تكتب امتحانات المجلس سنويا بين العدد المذكور، والجدير بالذكر أن المجلس يزداد قبولا بين المدارس، فقد بلغ عدد الطلبة الذين جلسوا لامتحان المجلس عام ٢٠٢٠م ثلاثة آلاف ومئتين وثمانية وسبعين (٣٦,٢٧٨) طالبا<sup>(٩)</sup> هذا بصرف النظر عن الطلبة الذين يمتحنون مواد العربية مع مجلس غرب إفريقيا للامتحانات (WAEC) والمجلس الوطني للامتحانات (NECO) دون ذكر من يتعلمون العربية بطرق أخرى غير هذه المدارس. والمواطنون المسلمون بهذا الاعتبار في مرحلة الصحوة وهي "أولى مراحل انقشاع سحب التبلد الذهني للبعث الحضاري ومن أعراضها الإيجابية الإحساس بالذات والهوية ويشعر الإنسان فيه بوجوب الحركة ولكنه غير مدرك للمحيط الذي يتحرك فيه، وقد تبدو فيها الفوضى وعدم الانضباط"<sup>(١٠)</sup> والفضل يعود إلى الذاكرة التاريخية التي تحركهم ومن خلالها يصلون إلى مرحلة اليقظة بالتعاون مع النظام الوطني الذي يجعل الاعتبار لمواطنيه.

### المصادر التاريخية والعلمية:

يتفق الباحثون بأن غرب إفريقيا عامة ونيجيريا خاصة تحملان تراثا علميا ضخما ومنه ما وصل إلى الباحثين ومنه ما لم يصل بعد، ويعود تاريخ هذا التراث العلمي إلى فترة سحيقة،

وهو مكتوب باللغة العربية، ويشتمل هذا التراث على فنون متعددة منها الدين واللغة والحساب والرياضيات والفلك والعلوم والتاريخ والمكاتب والرسائل وغيرها، لقد استطاع الاحتلال نهبه فور دخوله المنطقة والسيطرة عليها، وقد ثبت أن المكتبات القومية في إنجلترا والولايات الأمريكية المتحدة مكتظة بهذا التراث، وما زال بعضه قابعا في بيوت العلماء والمخازن الوطنية دون أن تجد العناية الكافية. وتأتي أهمية الكلام عن هذه المصادر من عدم استغناء بعض التخصصات الجامعية عنها مثلا؛ فالأستاذ الجامعي المتمكن في العربية في التاريخ والعلوم والحساب فقد يفك كثيرا من ألغاز هذه المصادر من خلال نقلها إلى لغة العلم الحديثة، لأجل هذا يتميزون عن غيرهم إن وجدوا في هذه التخصصات. نقل مصدر من المصادر الموثوق بها بأن مستشار شؤون العلاقات الخارجية النيجيرية في الفترة الأولى من حكم الرئيس بخاري كان حاملا للثقافة العربية ومجيدا للغة العربية وهو الذي يكتب خطابات الرئيس أو يجرها بعد الكتابة بأن اعتماده على كتب الثقافة العربية أكثر من غيرها، ما جعل لخطاب الرئيس طعما وقبولا لدى الشعب.

ومن هذه المصادر في غرب إفريقيا عموما نيل الابتهاج بتطريز الديقاج لأحمد بابا بن أحمد بن عمر، وكتاب تاريخ الفتاش لمحمود بن كعت الكرمي وهو كتاب يؤرخ لدولة سنغاي ومنها التاريخ السعدي لعبد الرحمن السعدي وعبد الكريم المغيلي الذي جال في شمال نيجيريا وألف كتبا عديدة في الفقه والسياسة، وأحمد فورثو البر من كانم برنو وقد ألف في تاريخ هذه الدولة، ومحمد الكشناوي صاحب كتاب الدر المنظوم وخلاصة السر المكتوم والنجوم، وله كتاب آخر وهو بهجة الرفاق وإيضاح اللبس والإغلاق في علم الحروف والأوفاق وغيرهما، وتأتي الدولة الفودية لتضيف إلى هذا المجهود مجهدا آخر في مختلف الفنون والعلوم<sup>(١)</sup>.



## اللغة العربية وبناء الهوية الفردية والجماعية:

تسهم اللغة بعمق في تشكيل الهوية الفردية، وهي ما تعكسه عبارات سائرة من قبيل: "تكلم لأعرفك" و"الإنسان محبوب تحت لسانه"، ويرتبط الإنجاز الفردي للغة (الكلام) بالهوية الفردية التي تجعل الناس يتمييزون بطريقتهم في الكلام، ويصل المبدعون إلى طرق أكثر خصوصية في استعمالاتهم اللغوية، وهو ما يؤكد النزعة التحررية التي تدفع الإنسان في محاولة دائمة إلى إثبات الذات مع احترام مبدأ التعاون، حسب بول كرايس، بل يذهب علماء النفس إلى أنّ مفهوم الأنا، باعتباره نواة الهوية الفردية، لا يتحقق إلاّ باكتساب المتعلم أنساقاً لغوية من قبيل ضمير المتكلم "أنا" وضمير المخاطب "أنت/أنتِ" وضمير الغائب "هو/هي"، بالإضافة إلى ما سبق، فإنّ دور اللغة الحاسم يكمن في رسم معالم الهوية الفردية من خلال تحديد الأدوار الاجتماعية لكل فرد من أفراد الأسرة، فتمثّل الطفل لكلمة "ولد" يجعله يحس باختلافه عن الشخص الذي يحمل كلمة "بنت"، كما يختلف عن الشخص الذي يحمل كلمة "أب" ... بل إنّ اللغة نفسها توزّع عبارات وأساليب مختلفة على كلّ فرد من أفراد الأسرة، مثلاً عبارة "الله يرضى عليك" تظل حكراً على الأب والأم، لهذا نضحك عندما يستعملها الصغار لما فيه من خرق للمواضعات الاجتماعية، ومن بين المكونات اللغوية التي تسهم في خلق الهوية الفردية والإحساس بالتميز، أسماء الأعلام، وبما أنّه لا يحصل أن يشترك إخوان في الاسم نفسه، فإنّ بداية إحساس الطفل بذاته، وتمييزه عن غيره، تنشأ بعد تلبس اسم العلم بشخصه دون سواه<sup>(١٢)</sup>.

للغة العربية حضور وتحليلات في الهوية الفردية والجماعية في نيجيريا غير مجال الدين فقط، ينطلق هذا من الأسماء الأعلام والألقاب والكنى، ومن الأسماء الأعلام، يوجد أن جل المسلمين يسمون بأسماء عربية بعضها ترجع إلى الأنبياء وبعضها إلى الصحابة والسلف الصالح، ومما يلفت النظر هنا كثرة أسامي محمد ونجد في الأسرة الواحدة اسم محمد من الأول إلى العاشر، هذا عند الهوسا، وأما عن اليوريا فتوجد عبادة مثل: عبد الرزاق وعبد الودود وعبد الفتاح وغيرها، وكذلك في أعلام النساء فاطمة وعائشة وغيرها. وأما عن

الألقاب فقد اتخذت أسلوباً جديداً في كثير من البيوت بحيث أن تعاطي الألقاب بعد الأسماء الأعلام أصبح شيئاً منتشراً والعجيب أن هذه الألقاب عربية صرفة لا تمت بصلة إلى الألقاب المعروفة سابقاً، ومن هذه الألقاب عفاف ومفيدة وياسمين وريحان للنساء، وأحناف ووالدي وصغيري من الرجال، وأما عن الكنى فلم تتغير كثيراً من العربية القديمة منها أبو رفيدة وأم جميل وغيرهما، وهذه الأعلام والألقاب تشير إلى دور التراث العربي في هذه المجتمعات قديمه وحديثه، والعلم تشعر صاحبه بامتيازات اسمه حيث ينتمي إلى رجل مبارك أو مجرد الشعور بالانتماء إلى الثقافة العربية.

وأما الهوية الجماعية فيقصد بها مجموع الروابط التي تجمع أعضاء مجموعات مهنية أو طبقات اجتماعية أو مجموعات دينية أو إثنية أو عمرية أو وطنية، وتُبنى هذه الهوية على حركة مزدوجة من التضمين والاستثناء لأعضائها، وتشكل اللغة جزءاً مهماً من الهوية، وتتميز عن باقي الأنساق الثقافية الأخرى بأمرين هما: السبق والتأويل، فالظاهر أنّ أول التأويل فنقصد به أنّ كثيراً من المظاهر الثقافية الأخرى تؤول في النهاية إلى عبارات لغوية من قبيل الآداب والحكم والأمثال والأغاني والأهازيج.

واللغة أكبر رابطة تاريخية تربط بين الأجيال المختلفة من الشعب الواحد، ذلك لأنّ اللغة وعاء للتجارب الشعبية والعادات والتقاليد والعقائد التي تتوارثها الأجيال، فماذا بقي لنا من أجدادنا غير الذي دونوه في أسفارهم وحفظوه في أمثالهم وأشعارهم؟ وإذا نظرنا إلى اللسان في آنيته وتزامنه ظهرت لنا غير خصيصة "الوصل التاريخي"، خصيصة أخرى هي "الوصل التزامني"، ويترتب على هذا الوصل الأخير تشكل ملامح الهوية في جانبها الجمعي التضامني المضمّر. فالطفل، كما يقول المرحوم عبد الحميد بن باديس، إذ دخل ميدان الحياة وعرف الذين يماثلونه في ماضيه وحاضره ومستقبله، ووجد فيهم صورته بلسانه ووجدانه وأخلاقه ونواذعه ومنازعته، شعر نحوهم من الحبّ بمثل ما كان يشعر به تجاه أهل بيته في طفولته، وهؤلاء هم أهل الوطن الكبير، ومحبتهم لهم في العرف العام هي الوطنية، وقد ذهبت الدلائل والتداوليات الحديثة أبعد من ذلك، إذ أكدت أنّ بناء

معنى الملفوظ وتأويله هو عملية يتفاوض بشأنها كل أطراف الحوار، يقول طه عبد الرحمن: "فما تكلم أحد إلا وأشرك معه المخاطب في إنشاء كلامه، كما لو كان يسمع بإذن غيره، وكان الغير ينطق بلسانه". وهذه العملية التفاعلية المعقدة تنسج روابط معنوية ترسخ هذه الهوية الجماعية.<sup>(١٣)</sup>

كما قامت اللغة العربية ببناء الهوية الفردية داخل المجتمعات النيجيرية المسلمة كذلك قامت ببناء الهوية الجماعية التي تعبر عن الضمير الجماعي ومن ذلك أسماء المدارس الأهلية والشركات والمؤسسات والمبيعات وغيرها، يوجد في هذه المؤسسات وخاصة المدارس التي تعبر عن هذه الهوية ما يشير إلى الدور الفعلي الذي يقوم به حاملو الثقافة العربية في هذا الوطن ومن المدارس مثلا: مركز الهدى للتربية والعلوم، زاريا، وأكاديمية الأمانة، ومن الجامعات جامعة القلم وجامعة الحكمة، ومن الشركات رياض المدينة للمواد الزراعية وغيرها، ويلاحظ حضور النكهة العربية في كثير من الولاءات السياسية مثلا: كُونْكُوسِيَّة، عَنْدُوجِيَّة. والجدير بالذكر هنا أن غير المسلمين كانوا يسمون أبناءهم بأسماء المسلمين، وقد عايش بعض الباحثين لهذه الدراسة هذه الحقيقة عندما كان مدرسا بالمدارس الحكومية بولاية كدونا. ومن الأمثلة الحية أيضا حضور نسبة كبيرة من الألفاظ العربية في اللغات المحلية وخاصة لغة الهوسا والفلاتا واليوربا؛ ويقال إن نسبة الألفاظ العربية في الهوسا تبلغ ٤٥ في المئة وخاصة في المجالات الدينية والسياسية والثقافية وغيرها<sup>(١٤)</sup>.

### العلاقات الدولية والإعلام وبناء الهوية:

تقتات الدول العالمية على بعضها البعض بحيث لا يمكن لدولة أن تستقل بمفردها على حدة دون أن تحتاج إلى أخرى، ومن هذا المنطلق ازدهرت العلاقات الدولية وأثمرت، وتسعى كل دولة من الدول للاستفادة بهذه العلاقات من خلال إيجاد خارطة تعلم اللغات والترجمة لأنها هي أداة التواصل والتفاهم في كل هذه العلاقات، على هذا السياق يمكن القول من خلال بعض المواقف والأحداث بأن نيجيريا لم تهتم بهذا الجانب الاهتمام اللائق به، وكم

تعود مواقفها فشلا نتيجة عدم إيجاد خريطة سياسية قائمة على تعلم اللغات والترجمة وتوظيف أصحابها في أماكنها، وبما أن الدراسة خاصة باللغة العربية يمكن القول بأن لنيجيريا مكانة عظيمة في الدول العربية، كما أنها تعيش بجوار بعضها، ومع وفور دراسي اللغة العربية إلا أن توظيفهم في الوزارات الخارجية والمكاتب العربية قليل جدا فتجد سفارات نيجيرية في دول عربية لكن لا تجد من بين النيجيريين الموظفين بها من يتكلم بالعربية فضلا عن كتابتها، فيضطرون لتوظيف أجنبي يطلع على أسرار الدولة بسهولة، بالإضافة إلى العلاقات التجارية التي لا نسيدها منها كما ينبغي.

وأما عن الإعلام فحدث ولا حرج، فقد كان هناك جهود محلية لتقديم برامج باللغة العربية بداية بصوت نيجيريا العربي ومرورا ببعض وسائل الإعلام المحلية التي تبث بعض برامجها بالعربية في إلورن وكنو وسكتو وغيرها وانتهاء بوسائل الإعلام العالمية التي تبث برامجها باللغة العربية مثل (MBC) بفروعها، وقد هيمنت على عقول كثير من النيجيريين المسلمين وغيرهم من خلال الأفلام وعروض الكرة والألعاب وبرامج الأطفال مما جعل كثيرا منهم يعشقون اللغة العربية ويحفظون بعض ألفاظها وعباراتها، تقول مسيحية إنها تحب العربية من أجل مشاهدة برامج هذه القناة.

إدًا؛ للعلاقات الدولية والإعلام دور فعلي في توثيق الروابط التاريخية بواقع العالم الحديث رغم محاولة العولمة الغربية، وتحضر اللغة بأشكالها حضورا قويا في هذه الأبعاد العلائقية، واللغة هي المنطلق وقد ينطبق عليها ثمرات نجاح هذه العلاقات على المستويات المتعددة، ومن المؤكد بأن اللغة العربية من اللغات العالمية الحية التي تكسح دولا كثيرة بداية بشمال إفريقيا وشرقها وبعض دول الشرق الأوسط، وينجم في هذه الدول الموارد الاقتصادية التي جعلتها تحتل مكانة عالمية بارزة؛ بل هي بؤرة الأحداث الجارية، ودخول نيجيريا في هذا المعترك من خلال العربية مما يعزز وجودها ويسهم في بناء العلاقات الاقتصادية والتجارية والثقافية وغيرها.

## خاتمة الورقة:

تجولت هذه الورقة حول اللغة العربية وجدلية الهوية في بناء الوطن، مع دراسة حالة نيجيريا، انطلقت من العرض التاريخي الذي يؤكد أصالة حضور اللغة العربية في هذه المنطقة التي عرفت طريقها مع الإسلام مبكرا حيث تعد الثقافة العربية من أهم الثقافات التي أسهمت في تغيير المنطقة وجعلت لها اعتبارا في أعين الاحتلال لما هيمن عليها لمواجهةها بثقافته الغربية، ثم عرجت الورقة على مفاهيم اللغة والهوية والثقافة لتتضح العلاقة الموجودة بينها من خلال ارتباط وظيفي يحولها عملة واحدة ذات وجهين، كما تعرضت للحديث عن جدلية الهوية واللغة العربية في نيجيريا من خلال الذاكرة التاريخية والتراث الديني والمصادر التاريخية والعلمية وحضور الهوية الفردية والجماعية والعلاقات الدولية والإعلامية. وقد توصلت الورقة إلى نتائج ومنها:

- اللغة العربية من أهم مقومات الحضارة والثقافة في نيجيريا، ولها دور فعلي في بناء الهوية الوطنية لمجموعة من الشعوب قديما وحديثا.
- ودور اللغة العربية في بناء الهوية الوطنية لم يقف في حيز الدين فقط، بل له أبعاد يمكن استثماره في وضع سياسة التربية والتعليم لإيجاد مواطنة صالحة.
- إن بناء الدولة العلمانية البعيدة عن الدين ومقوماته من الأخطاء الفادحة التي تجعل الدولة متخلفة ومليئة بالتطرف الديني والصراع القبلي والتدهور الاقتصادي كما هو الحال الآن في نيجيريا.
- تقوم جدلية الهوية للغة العربية بين معطيات الماضي وحضور الحاضر وبناء المستقبل، من خلال مواصلة تاريخ بعض شعوب نيجيريا بحاضرها من خلال العلاقات الدولية والإعلامية.
- عدم الاعتراف باللغة العربية كضابطة للهوية الوطنية للمجتمعات المسلمة مما يجعل المواطن النيجيري المسلم متوترا مع منظوماته الأخلاقية فينعكس ذلك سلبا على المواطنة والانتماء.

### الهوامش والمراجع:

- (١) آدم عبد الله الإلوري: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني، ط:٢، ١٩٧١م، ص: ١٥٢ بتصرف.
- (٢) د. شيخو أحمد سعيد غلادني: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، المطبعة الإفريقية، ط:٢، ص: ٨ نقلا من.
- (٣) الجمعية الأكاديمية للغة العربية آدابها في نيجيريا (أسلن): كتاب المؤتمر بعنوان التعليم العربي في نيجيريا بين الواقع والمأمون، ٢٠٢١م: مقال الأستاذ الدكتور خالد حسن عبد الله: التعليم العربي في نيجيريا بين الواقع والمأمول: ص: ٥-٦.
- (٤) انظر: سهير الشريبي: مركزية اللغة في الهوية والثقافة، مجلة البيان العدد ٣٩٠، الموقع: WWW.ALBAYAN.COM.UK
- (٥) ضياء الدين زاهر: اللغة ومستقبل الهوية: التعليم نموذجاً، الإسكندرية، مصر: مكتبة الإسكندرية، وحدة الدراسات المستقبلية، 2017، ص: 30.
- (٦) عبد الكريم بكار(أ.د): القواعد العشر لتربية الأطفال، ص: ٢٧.
- (٧) مجموعة من المؤلفين: مجلة جامعة أم القرى ص: ٢٣٦.
- (٨) د، عمر السيد عبد الفتاح: واقع اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء، ص: ٤٤٣.
- (٩) انظر موقع المجلس: [www.nbais.com.ng](http://www.nbais.com.ng)
- (١٠) انظر: جاسم سلطان (الدكتور): الذاكرة التاريخية للأمة، ص: ١١ وما بعدها.
- (١١) انظر: علي أبوبكر (الدكتور): الثقافة العربية في نيجيريا، دار الأمة، ط:٢، ٢٠١٤م ص: ٤١-٣٣٨.
- (١٢) انظر: محمد نافع العشري: دور اللغة العربية في ترسيخ الهويات الوطنية، مجلة العربي، العدد ٦٨٣، لعام ٢٠١٥ م نقلا من موقع: WWW.BALAGH.COM
- (١٣) المرجع نفسه.
- (١٤) انظر: الثقافة العربية ص: ٤٢٩-٥١٩.

**اللغة العربية وانتشارها في تشاد**

إعداد

**الدكتور/ خالد آدم موسى**

الأمين العام لجامعة الملك فيصل بتشاد

**المستخلص:**

هذا البحث بعنوان: اللغة العربية وانتشارها في تشاد. هو موضوع ذو أهمية بالغة حيث يتحدث عن أصالة اللغة العربية في القارة السمراء بما تحمله من معاني دينية وثقافية واجتماعية ترقى بالمواطن الإفريقي، وهي وسيلته الطيبة لتلبية مطالبه الأخروية والدينية. ويهدف البحث إلى كشف إرهاصات الحركات التاريخية التي أدت إلى انتشار اللغة العربية، كما يهدف إلى إبراز ما قامت به هذه اللغة من توطيد دعائم الحضارة الإسلامية، ومعرفة دعائمها، ووسائل تطويرها في الماضي ولما لها من الأدوار المعرفية والفكرية والعلمية. وتكمن أهمية البحث في أنه يتناول الحديث عن أولية اللغة العربية في تشاد وتأصيلها، ورجوع فضل انتشارها لأهلها، ومعرفة دعائمها، ومعرفة امتداد جذورها التاريخية، ومعرفة غاية التعليم وأهدافه، ووسائل تطويره، ليكون القارئ على بينة من تاريخها العميق. وقد توخى الباحث فيه المنهجين التاريخي والوصفي، ويتحدّد البحث بالمحركات العربية إلى تشاد، ودور القبائل العربية في نشر اللغة العربية في تشاد، وعوامل انتشار هذه اللغة، وتأثير اللغة العربية في اللهجات التشادية المحلية، ووضع اللغة العربية في الماضي، ثم حالة اللغة العربية وسياسة تطويرها في تشاد بعد أن صارت لغة المعاملات، والخطابات في عهد الممالك التشادية.

## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسولنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

أما بعد: فيتركز هذا البحث في مباحث أربعة على الشكل التالي:

- المبحث الأول: تاريخ اللغة العربية والإسلام في تشاد
- المبحث الثاني: عوامل انتشار اللغة العربية في تشاد
- المبحث الثالث: تأثير اللغة العربية في اللهجات التشادية المحلية الأخرى
- المبحث الرابع: وضع التعليم العربي في الماضي

## المبحث الأول: تاريخ دخول اللغة العربية في تشاد:

إنه من المعلوم الذي لا يختلف فيه اثنان، أن جذور اللغة العربية في تشاد طويلة الامتداد، حيث تغلغلت في جنبات الحقب التاريخية لها، فكانت وما زالت لغة التخاطب في الشارع والسوق والمسجد والخلوة القرآنية، فالعربية هي لغة التفاهم بين جميع مكونات المجتمع في أصعدة هذا الوطن، فهي أصالته وهويته وحضارته وثقافته، رغم تعدد قبائله وأعرافه وأجناسه ومعتقداته.

وأما عن تاريخ دخول اللغة العربية في تشاد فيقود بطبيعة الحال إلى تاريخ دخول الإسلام في إفريقيا، وذلك لما لهما من ارتباط لا يقبل الانفكاك، فضلاً عن أن العربية وعاء الإسلام، كما قال تعالى ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (١١٥) الشعراء: ١٩٥ وذلك أيضاً؛ لأن العربية صاحبت دخول الإسلام في الممالك الإسلامية الإفريقية<sup>(١)</sup>.

وكان لدخول اللغة العربية وانتشارها في منطقة السودان الأوسط عامة وتشاد خاصة، عوامل كثيرة وجلييلة تضافرت من أجلها؛ وفيما يلي عرض لأهم تلك العوامل:



## (أ): الهجرات العربية:

من خلال البحث والتقصي الدقيق لتاريخ دخول الإسلام والعرب وفق ما أشارت إليه الكثير من المصادر التاريخية، أن حركة الشعوب العربية قديماً، وعمليات نزوح وتسرب عفوية وقصدية، قام بها سكان شبه الجزيرة العربية في جميع الاتجاهات منذ بدء التاريخ، يذهب بعض المؤرخين إلى أن الجذور التاريخية للصلات الثقافية العربية الإفريقية في القدم يعود زمنها إلى فترة ما قبل الإسلام. يتحدث الشيخ إبراهيم صالح عن رحلة العرب المهاجرين فيقول: أخذ العرب في هجرتهم إلى إفريقيا طرقاتاً من الجزيرة العربية كلها انتهت بالمهاجرين إلى مصر، ومن مصر تفرقت تلك الطرق من جديد، فمنها المتجهة نحو شرقيها، ومنها المتجهة نحو أواسط إفريقيا إلى بحيرة تشاد. فكان مجيئهم عبر طرق متباينة"<sup>(٢)</sup>.

من ذلك ما ذكره حميد دولاب "إن اللغة العربية قد دخلت إلى الأقطار الإفريقية قبل ظهور الإسلام"<sup>(٣)</sup>، وقال عبد الرحمن الماحي مشيراً إلى هذه الحقيقة: "لقد سكن العرب واللغة العربية منطقة الساحل الإفريقي قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم بقرون طويلة، حيث تعاقبت الرحلات نحو بحيرة كُوَاَز (تشاد) على وجه الخصوص لموقعها الاستراتيجي في قلب القارة الإفريقية، ثم تعزز وجود العرب واللغة العربية، وتطورت في منطقة الساحل الإفريقي بدخول الإسلام سنة ٤٦ هـ - ٦٦٦ م"<sup>(٤)</sup>.

وكان من أسباب هجرة القبائل العربية إلى حوض بحيرة تشاد عبر البحر الأحمر غرباً أسباب اقتصادية بحتة، فحين طرد الأحباش من اليمن في حملتهم الأولى والثانية ما بين القرن الخامس والسادس الميلاديين على يد الفرس، انتقل عدد كبير من القبائل العربية من حمير وقيس عيلان، فأقاموا هنالك في الحبشة مدة من الدهر كانوا خلالها يزاولون التجارة غرباً حتى وصلوا حوض بحيرة تشاد"<sup>(٥)</sup>.

ويذكر أن آخر الموجات البشرية العربية الجماعية التي هاجرت من الجزيرة العربية إلى بحيرة تشاد تلك التي حدثت بعد تصدع سد مأرب العظيم في القرن الثالث الميلادي، حسب رواية الأصفهاني<sup>(٦)</sup>.

كما ذكرت بعض المصادر؛ أن هناك معرفة سابقة لعرب الجزيرة العربية بهذه المناطق قبل الإسلام سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الدينية، ناهيك عن المعرفة المناخية بأحوال المنطقة وأجوائها. وعليه فقد سلكت القبائل العربية الكثيرة البطون والمتعددة الأسباب والأصول، والمهاجرة من أوطانها الأصلية بالجزيرة العربية إلى منطقة بحيرة تشاد عدة طرق رئيسية، كما سنذكر منها، فيما بعد.

إذن فمن أهم العوامل التي ساعدت على دخول اللغة العربية وانتشارها في تشاد؛ هجرة القبائل العربية إلى المناطق المختلفة في منطقة السودان - تشاد حالياً - واستقرارها فيها. وتذكر بعض المصادر " إن الجزيرة كانت في السابق جزءاً لا يتجزأ من القارة الإفريقية، حين كانت في مجملها تمثل جزءاً من حدودها الشرقية القديمة ثم انفصلت عنها قبل ملايين سنة، بسبب حدوث انكسار أزاها من الخريطة الإفريقية الأم"<sup>(٧)</sup>.

وبسبب هذه الأواصر القديمة، انطلقت جماعات ليست بالقليلة من الجزيرة العربية بشتى مناطقها وقبائلها، وقد بدأ ذلك التوجه قبل الفتح الإسلامي في الأزمنة الغابرة، ظل مستمراً إلى ما بعد الفتح، ثم تضاعف بعد ذلك، وتدفقت القبائل العربية من الجزيرة العربية متجهة صوب إفريقيا منذ النصف الأول من القرن الأول الهجري بعد فتح مصر، ثم هاجرت منها أكثر القبائل العربية بمجموعات كثيرة حتى القرن الخامس الهجري، وكانت هذه الظاهرة إلى مصر، ومنها إلى جنوب الصحراء، ولم تتم في سنة أو سنوات، وإنما استمرت وقتاً طويلاً<sup>(٨)</sup>، وهكذا كانت انطلاقة هجرة العرب إلى القارة الإفريقية.

وكان دخول الإسلام وانتشاره بدأ في منطقة كاتم - برنو منذ القرن السابع الميلادي<sup>(٩)</sup>، الأول الهجري، وهو الوقت الذي بدأ فيه انتشار الإسلام في السودان.

وكان أول اتصال معلوم بين المجتمع التشادي والإسلام تم في القرن السابع الميلادي، وبالتحديد عام (٦٦٦ - ٦٦٧م) عندما وصل عقبة بن نافع إلى جبال كُوَازَا التابعة لمنطقة كانم. ومن هناك انسابت الثقافة العربية مع الانتشار الطبيعي للإسلام نحو بحيرة تشاد<sup>(١٠)</sup>. فدخل الإسلام في السودان (تشاد) الأوسط كان في زمن مبكر، حيث يذكر الدكتور عمر الماحي بأنه قد "وصل الإسلام إلى منطقة السودان الأوسط، خاصة حوض بحيرة تشاد في زمن مبكر، مقبلاً من إقليم فِرَّانَ الذي فتحه المسلمون في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد نافع بن عبد القيس الفهري، وأنه وصل من فزان إلى بلُما، وهي عاصمة كُوَازَا، ومنها إلى نجيبي عاصمة مملكة كانم<sup>(١١)</sup>".

وهذا يوافق التاريخ الهجري عام ٤٦ م، يقول الدكتور أمين الطيبي: وكما هو معروف فإن العرب المسلمين وعلى رأسهم عقبة بن نافع فتحوا فِرَّانَ ونواحي واحة كُوَازَا سنة ٤٦ هـ - ٦٦٦ م، هو الطريق القلبي الذي كان يصل كانم بسواحل طرابلس، ويبدو أن أولى التأثيرات الإسلامية في كانم عبر هذا الطريق لا من الغرب أو من الشرق<sup>(١٢)</sup>.

فهذه الآراء تبين أن أول منطقة دخلها الإسلام في السودان الأوسط (بلاد كانم - برنو)، ومنها أخذ الإسلام في الانتشار حتى عمَّ بقية السودان الأوسط عن طريق الجاليات الإسلامية، مال إليه أكثر المؤرخين، كما يؤكد ذلك أحمد محمد كاني بقوله: تكاد المصادر الداخلية والخارجية تتفق على حقيقة واحدة، هي أن أول بلد من بلاد السودان الأوسط يدخله الإسلام هو بلاد كانم - برنو التي كانت عاصمتها تقع في البداية من الجهة الشرقية الشمالية من بحيرة تشاد، قبل أن تنتقل إلى البحيرة، ويتفق وجود التأثير الإسلامي على مناطق بحيرة تشاد مع عام ٤٦ هـ - ٦٦٦ م، وهي الفترة التي وصلت فيها طلائع المسلمين بقيادة عقبة بن نافع إلى إقليم كُوَازَا<sup>(١٣)</sup>.

فالهجرات العربية من وادي النيل إلى منطقة تشاد ووسط إفريقيا قد بدأت في القرن السابع وما تزال متواصلة إلى الآن، وهناك من ذهب إلى أن اللغة العربية قد عرفتها تشاد

قبل دخول الإسلام المنطقة، وذلك عبر الرحلات التي كان يقوم بها العرب إلى تشاد في شكل أفراد أو جماعات، بيد أن انتشارها بين المواطنين لم يتم بصورة واسعة إلا بعد ظهور الإسلام في البلاد<sup>(١٤)</sup>.

فوفق هذه المصادر، يمكن القول؛ بأنه قد تدفقت القبائل من الجزيرة العربية متجهة صوب إفريقيا منذ النصف الأول من القرن الأول الهجري بعد فتح مصر، ثم هاجرت منها أكثر القبائل العربية بمجموعات كثيرة حتى القرن الخامس الهجري، وكانت هذه الظاهرة إلى مصر، ومنها إلى إفريقيا جنوب الصحراء، ولم تتم في سنة أو سنوات، وإنما استمرت وقتاً طويلاً<sup>(١٥)</sup>، لاسيما بلاد كانم التي أصبحت تتمتع بميزة أولية الإسلام واللغة العربية، بسبب موقع البلاد الاستراتيجي من الناحية الجغرافية، وتنوع قبائلها قامت دولة كانم التي عرفت في التاريخ باسم امبراطورية كانم الكبرى، والتي تكونت من أربعة أقاليم كانم وبنو وباغرمي وودّاي، أقامت لها علاقات مع العديد من الممالك في شمال إفريقيا وغربها<sup>(١٦)</sup>.

فتشير العديد من المصادر إلى أن بحيرة تشاد كانت ملتقى للقوافل التجارية القادمة من الشمال إلى الجنوب، وتلك التي ترد من الغرب كلها تلتقي عند حوض البحيرة، حيث يتم تبادل السلع القادمة من شمال إفريقيا بتلك التي تباع في الإقليم.

وهذا الإقليم الذي عرف بإقليم (كانم - بنو) كان ممتداً في كل الجهات، ما هياً له أسباب النمو والتطور، قال الدكتور فضل كلود: " نمت دولة كانم وتطورت حتى صارت إمبراطورية عظيمة مترامية الأطراف، ضمت أغلب مناطق الإقليم السوداني القديم الذي يشمل جنوب الصحراء الكبرى، وقد ساهم في بلاد كانم الكثير من القبائل، على رأسها القبائل العربية، وقبائل البنو، والزغاوة، والكانبو، والفلايني، والباغرمي وغيرها من القبائل<sup>(١٧)</sup>.

وكان لسلطين كانم دور بارز في نشر اللغة العربية، فيحلول القرن الحادي عشر الميلادي وفي عهد السلطان أومي جلمي الذي حكم من الفترة (١٠٨٥ - ١٠٩٧) صارت اللغة

العربية لغة الدواوين والإدارات السلطانية والقضاء، ولغة التفاهم في الأسواق والمصالح العامة<sup>(١٨)</sup>.

أما دخول العرب إلى وُدّاي، فقد جاء متأخراً، إذا ما قورن بكانم - برنو، حسب ما ورد في الكثير من المصادر، من ذلك ما ذكره جان جولي: "إن إقليم وداي ظل حتى بداية القرن السابع عشر تحت سيطرة التونجر الوثنيين"<sup>(١٩)</sup>. أما إبراهيم صالح فيرى أن دخولهم إلى وُدّاي، كان قبل ذلك، وذلك حين قال: "نحن نعتقد أن دخول العرب وُدّاي حدث في أواخر القرن الرابع عشر، وبدأ التسلسل العربي يشق طريقه إلى غربي دار فور، ويتخذ منطقة (وارة) الواقعة إلى الشمال من (أبشة) مسكناً له، وفي أوائل القرن السادس عشر ازدادت هجرة البقارة والأبالة إلى تلك المناطق"<sup>(٢٠)</sup>. فمهما يكن من اختلاف في تحديد تاريخ دخول العرب إلى هذه المنطقة، فإن وصولهم إليها كان متأخراً.

ويذكر أن أول سلطان مسلم أطاح بحكم التونجر الوثنيين سنة ١٦١١م هو عبد الكريم الذي ينحدر من قبيلة عربية تسمى (الجالبين)، وتنسب إلى العباسيين، وظل سلاطين وُدّاي يحملون اللقب العباسي حتى نهاية حكمهم سنة ١٩١١م<sup>(٢١)</sup>.

ويبدو أن الأمر الذي مكّن العرب من عبور البحار والصحاري الكبرى بالنمط المذكور حتى تمكنوا من الوصول إلى هذه المناطق النائية؛ هو أن طبيعتهم الصحراوي جعلهم يمتلكون شجاعة وصلابة خاصة عن غيرهم من الأمم في قطع المسافات الوعرة، فكان توغلهم وانسيابهم نحو الجنوب يتم في حركات مستمرة متدفقة، وقد أشار بعض المؤرخين إلى هذه الحقيقة قائلاً: "إذ فاق العرب غيرهم من الشعوب في مقدرتهم على الانسياب الداخلي، فالرومان لم يستطيعوا التوغل أبداً من السهل الساحلي، وأقاموا خطأً من الثغور يحمي حدود مناطق نفوذهم من عربان القبائل الداخلية، على حين كان العرب أكثر قدرة على التغلغل في صميم الداخل، وجنوا من ذلك أرباحاً كثيرة، بل قامت ممالك في هذه الطرق، اعتمادها أساساً على التجارة"<sup>(٢٢)</sup>. فسعوا بعد ذلك في جميع الأقطار الإفريقية المترامية، تبعاً

لمقتضيات الحياة الاقتصادية والسياسية والتعليمية، حتى امتزجوا مع غيرهم، ذكر ضرار صالح: أن العرب تدفقوا بأنعامهم، فوجدوا الحضرة التي لم تكن لهم مثلها في وطنهم، وانتشروا في الفضاء الفسيح من شرقي السودان والمتاخم لحدود الحبشة إلى غربه حيث يجاور تشاد، فازداد نسلهم واختلطوا بأهل البلاد حتى تغيرت ألسنتهم، ولكنهم احتفظوا بلسانهم العربي، وخلقهم الأدبي، ودينهم السمح حتى اخضرت بشرتهم<sup>(٢٣)</sup>.

كما يذكر الدكتور إبراهيم طرخان عن رحلة العرب إلى تشاد فيقول: " إن العرب وصلوا إلى منطقة تشاد من جهة الشرق والشمال وعبر الصحراء، وانتشرت مجموعاتهم بصفة خاصة في إقليم كانم الأول الواقع شمال بحيرة تشاد، وفي إقليم البرنو الواقع غرب البحيرة، كما انتشروا في الإقليم الشرقي والأوسط حتى إقليم دار فور التابع للسودان الشرقي<sup>(٢٤)</sup>.  
مما جعل تشاد مركزاً هاماً من مراكز الحضارة الإسلامية، وأصبحت اللغة العربية لغة الفكر والثقافة في إفريقيا"<sup>(٢٥)</sup>.

### معايير دخول العرب إلى تشاد:

لقد تبين بشكل واضح وجلي أن الهجرات العربية من شبه الجزيرة إلى غرب البحر الأحمر وحوض بحيرة تشاد، كانت قد بدأت منذ الألف السادس قبل الميلاد على أقل التقدير.

وكما سبق أن المسالك التي سلكها العرب في دخولهم إلى منطقة حوض بحيرة تشاد، كانت متشعبة، حسب ما ذكرتها الدراسات التاريخية، فأهمها يتمثل في الآتي:

(١) ممر باب المنذب: وهو طريق البحر الأحمر بجنوب الجزيرة العربية عبر باب المنذب إلى المنطقة التي كانت تضم الصومال والحبشة وإرتريا، ثم منها إلى السودان وادي النيل، ومنها إلى منطقة حوض بحيرة تشاد.

(٢) وهو طريق بحري، كان قد اتصف بالحيوية منذ قدس العصور، وذلك لوجود الجزر الكثيرة الواقعة في مدخل البحر الأحمر، فكانت مواطن استقرار مؤقت لمواصلة سير المهاجرين العرب. وهذا الطريق يعدّ من أهم طرق التبادل التجاري والثقافي قبل الإسلام، وعبره دخلت قبائل الجنوب العربية إلى شرق القارة الإفريقية، والبعض الآخر منها إلى غرب القارة الإفريقية.

(٣) ممر ميناء سواكن: وهو أيضاً من الطرق البحرية؛ أي بالبحر الأحمر عبر ميناء سواكن بالساحل الغربي، حيث نزحت به بعض القبائل العربية المهاجرة من البلاد العربية، فاستقرت على الساحل الغربي مدة من الدهر، مما جعلهم يكونون حلقة وصل مهمة بين إخوانهم في الجزيرة العربية وبين أولئك الذين وصلوا سيرهم غرباً حتى منطقة بحيرة تشاد.

(٤) ممر جزيرة سيناء: وهذا هو ما يعرف بطريق السويس، وهو طريق الهجرات العربية إلى إفريقيا، وهو الطريق البري الوحيد الذي يربط الوطن العربي والعالم الإسلامي في إفريقيا وآسيا، حيث سلكته القبائل العربية إلى مصر والسودان إلى بحيرة تشاد<sup>(٢٦)</sup>. وأيضاً هناك بعض القبائل العربية التي هاجرت إلى تشاد عن طريق بلاد النوبة جنوب مصر، وهي خليط من القبائل العدنانية والقحطانية وبطونها<sup>(٢٧)</sup>.

فهذه هي أهم الطرق التي سلكها المهاجرون العرب إلى إفريقيا، وهناك المئات من الدروب والمفازات الفرعية التي اتخذها العرب في سيرهم الحثيث إلى أن وصلوا القارة الإفريقية، ومن ثم إلى بحيرة تشاد، فانتشروا على امتداد الأراضي التشادية شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، فاستوطنوا وتعايشوا مع الزنوج واختلطوا بهم وتزاوجوا، إلى أن تغيرت بشرة الكثير منهم إلى السمرة، لكنهم ظلوا متمسكين بأصولهم العريقة، محافظين على أعرافهم وتراثهم، ولغتهم العربية الفصيحة إلى الآن، كما سبق أن رأينا كثيراً من أحاديث المؤرخين.

### المبحث الثاني: دور القبائل العربية في نشر اللغة العربية:

سلكت القبائل العربية في هجرتها الطرق المذكورة وغيرها إلى أن وصلت إلى إفريقيا، لاسيما إقليم بحيرة تشاد وما حوله من الأمكنة التي قصدتها العرب، بسبب الموقع الاستراتيجي له، إلى أن أصبح هذا الإقليم نقطة ملتقى الثقافات والمعتقدات، ومن ثم تفرعت العشائر العربية في أنحاء إفريقيا لسد حاجاتها. ومع مرور الزمن قويت الصلة بين الأفرقة السكان والمجموعات العربية الوافدة، والعلاقات التجارية بينهما. وقد أدى اتصال الجزيرة العربية بالقارة الإفريقية إلى اهتمام سكان القارة بالدين الإسلامي واللغة العربية، وهو عامل أساسي ساهم في نشر الإسلام واللغة العربية في القارة الإفريقية (تشاد)، قال الدكتور علي محمد قمر: حيث انصهرت هذه القبائل في بوتقة اجتماعية سعيدة لبناء مجتمع إنساني فاضل. وضروري يتحتم على هذه القبائل التوافق على لغة وسيتمكن كافة أفراد المجتمع من التواصل بين الأفراد، ومن ثم وقع الاختيار على اللغة العربية<sup>(٢٨)</sup>.

فالقبائل العربية هي صاحبة الفضل في إدخال اللغة العربية إلى البلاد (تشاد) بنشرها بين السكان في القرى والبوادي والحضر، كما حملت معها العادات والتقاليد العربية التي كانت سائدة في الجزيرة العربية كإكرام الضيف وإغاثة الملهوف والدفاع عن الشرف والقبيلة... وكان قد نتج عن ترحالهم المتكرر انتشار اللغة العربية بين السكان أسرع من انتشار الإسلام نفسه<sup>(٢٩)</sup>.

قال الشيخ إبراهيم صالح مشيداً بدورهم، وذلك بعد مغادرة بعض العرب منطقة باغرمي: "...ولكن العرب على الرغم من مغادرة أكثرهم لبلاد باغرمي، فقد بقيت بطون منهم هناك، وإلى تلك البقية يرجع الفضل في نشر الإسلام في البوادي والقرى، ونشر اللسان العربي"<sup>(٣٠)</sup>.

فكان لهذه القبائل العربية البدوية التي كانت تمارس مهنة الرعي دور بارز في نشر اللغة العربية والإسلام، في أوساط الشعوب الإفريقية؛ لا ينكرها أحد، لكونها دأبت على الترحال



والتنقل من مكان إلى مكان آخر، فكان طبيعياً أن تنتشر لغتهم وثقافتهم، يقول الشيخ إبراهيم صالح: " العرب الموجودون في إفريقيا يؤمنون بعروبيتهم، وليس إيمانهم بما بأقل من إيمانهم بوجودهم وحياتهم، وليست عربيتهم الدارجة بأقل نفعاً من أية عربية دارجة تستعمل في أية دولة عربية الآن"<sup>(٣١)</sup>، فكان أثر العرب في إدخال اللغة العربية واضحاً جلياً في تلك البلدان؛ ولأن العرب يفتنون إليها في هيئة تجار وفقهاء ومعلمين.

وعلى كلِّ فإن للقبائل العربية دوراً كبيراً في دخول الإسلام واللغة العربية وانتشارها في القارة الإفريقية عامة، وتشاد بطريقة خاصة، والراجح أن أول بلد من بلاد السودان الأوسط دخلها الإسلام هي: كانم- برنو، من الجهة الشرقية الشمالية من بحيرة تشاد، وكان ذلك سنة ٤٦ هـ - ٦٦٦ م، وهذا على ما ذهب إليه أكثر المؤرخين. حيث أبحر العرب بجوار الساحل الإفريقي شمالاً وغرباً، ومن ثم توغلوا في القارة الإفريقية غرباً حتى وصلوا منطقة بحيرة تشاد، حاملين معهم الإسلام والعلم والثقافة العربية.

فكان وصول القبائل العربية إلى إفريقيا، عبر وسائل مختلفة تتلخص في: طريق باب المندب، وميناء سواكن، وطريق السويس. وهذه هي أشهر الطرق وأهمها التي سلكها العرب حين ولوا وجوههم نحو إفريقيا في فترات زمنية متلاحقة.

### المبحث الثالث: الطرق التجارية والعوامل الدينية:

رأينا أنه من الأسباب التي ساعدت في دخول اللغة العربية إلى إفريقيا عامة؛ الهجرات العربية إليها بدوافع عديدة، وذلك حين بدأ النزوح العربي الفردي والجماعي نحو إفريقيا في وقت مبكر، كذلك من أهم ما ساعد على انتشار اللغة العربية؛ التبادل التجاري والعوامل الدينية التي تتمثل في أداء فريضة الحج، والعناية بإنشاء الخلاوي، والزوايا؛ هي الأخرى أيضاً لها دور جليل في نشر اللغة العربية في المنطقة، كما سيرى القارئ تفصيل ذلك في المبحث التالي.

**عامل التجارة:** كان من العوامل التي مهدت لنشر اللغة العربية داخل القارة الإفريقية، وفي تشاد خاصة؛ التبادل التجاري، حيث كانت مفاتيح التجارة عند العرب منذ أن وصلوا المناطق الحيوية ومراكز الجذب الحضري كبحيرة تشاد ووسط إفريقيا، يتحدث جان بيير بمثل ذلك فيقول: فيما بين القرنين السابع والخامس عشر كان العرب يسيطرون سيطرة مطلقة على التبادل التجاري مع إفريقيا السوداء، وتصل تأثيراتهم اللغوية حيثما وصلت تجارتهم<sup>(٣٢)</sup>. وأضاف الدكتور علي قمر في السياق نفسه: "...وقد أعان على ذلك أن التجارة في ذلك الوقت كانت في أيدي العرب الذين كانوا ينتشرون في المناطق، ويرتحلون إلى كل الوديان، وقد أثرت اللغة العربية في اللغات المحلية، ومن ثمة وجدنا كثيراً من الألفاظ العربية في هذه اللغات"<sup>(٣٣)</sup>.

فازدهرت التجارة بين تشاد وشمال إفريقيا عبر الصحراء الكبرى، وظهر طرق تجارية من برقة إلى بحيرة تشاد، وكذلك الطريق الشمالية الشرقية التي عرفت بدرب الأربعين، والتي تبدأ من جنوب مصر، وتمر عبر السودان وادي النيل حتى ترد إلى داخل تشاد. ويلاحظ أنه كان كثير من هؤلاء العرب الوافدين قد تمسكوا بالتجارة، واختلطوا بالمواطنين وأثروا في لغاتهم. وكانت بحيرة تشاد ملتقى للقوافل التجارية القادمة من الشمال إلى الجنوب، وتلك التي ترد من الغرب كلها تلتقي عند حوض البحيرة، يتم تبادل السلع القادمة من شمال إفريقيا بتلك التي تباع في الإقليم<sup>(٣٤)</sup>.

إذن كان للتبادل التجاري دور في ربط أواصر الشعوب العربية بتشاد، ومن ثم ظهر تأثير اللسان العربي على التجار التشاديين، وهم بدورهم ينقلون هذه الثقافة العربية إلى أرضهم. ومن الروافد الكبرى لانتشار اللغة العربية دافع الإسلام، فكان بسببه أن ذاع صيت اللغة العربية في أوساط هذه القارة؛ وهي وعاء هذا الدين الحنيف - كما سبق ذكره - فلذلك كان من أهم عوامل نشر اللغة العربية، كما يقول الشيخ إبراهيم صالح: "فإننا نجد في هذه

القبائل حب نشر الإسلام وتعاليمه والوعظ والإرشاد، وبث العلوم الفقهية، ونشر المعارف، وإجادة القرآن وتعليمه<sup>(٣٥)</sup>.

وكان للحج أيضاً أثر بالغ في نفوس المسلمين الإفريقيين، وشأن كبير، فقد أولع به الكثير من المواطنين بعد أن أدركوا كنهه، فتعززت روح التنافس في أوساطهم لَمَّا علموا أنه ركن من أركان الإسلام، فبدأت الرحلات بشتى السبل وأنواع الوسائل المتاحة آن ذاك في الذهاب إلى بيت الله لأداء هذه الشعيرة، يقول محمد بلُو في كتابه: إنفاق الميسور، في سياق الحديث عن البرنيين مؤكداً هذه المعلومة: إن كثيراً من سلاطينهم قد أدوا فريضة الحج وهم ملتزمون بالشرع الحنيف، ويقومون بأعمال الخير... وقد انتشر الإسلام انتشاراً واسعاً بين وزرائهم وأمرائهم ورعاياهم كافة حتى أننا لا نجد في بلدنا من يضاهيهم في إتقان القرآن وتجويده وحفظه ورسمه<sup>(٣٦)</sup>.

كما أن هذا الحج يكسب صاحبه لقباً ملتصقاً بالحج إلى الآن، فهي مزية أخرى، فبدلوا الغالي والنفيس في ذلك، مما جعلهم يكتسبون ثقافات جمّة من تلك البلاد العربية، لاسيما اللغة، حين غرس العرب أصولهم العربية وفشا لسانهم الفصحى في الأمة التشادية إلى أن قامت الممالك الإسلامية الثلاث: كانم، ووداي، وباغرمي.

كانت عناية الإفريقيين بالقرآن حفظاً وتجويداً من أهم الأمور التي يوليها التشاديون أعظم الاهتمام، فعلى امتداد الوطن: مدنه وقراه توجد الخلاوي - الكتاتيب - يذهب إليها الأطفال يتعلمون القراءة، ويحفظون القرآن ويجودونه، وقلما نجد تشادياً مسلماً لم يحفظ جزءاً من القرآن في صباه... فهذه العناية شيء توارثه الأبناء عن الأجداد<sup>(٣٧)</sup>.

#### المبحث الرابع: وضع التعليم العربي في تشاد (الماضي):

أريد بذلك حالة التعليم في تلك الفترة التي أعقبت انتشار اللغة العربية في تشاد بعد دخولها في القارة الإفريقية، وتم الانسجام مع العرب الوافدين، وما نتج عن ذلك من تداخل

وتعامل، بعد أن تشرب الأفارقة الدين الإسلامي ووقع في نفوسهم، فاللغة العربية أداة طيعة تعطي وتأخذ، فلم يتركها أصحابها وراءهم؛ لأنها لغة القرآن، فلذلك كانوا قد عضوا عليها بالنواجذ حتى أوصلوها إلى هذه الأمة، لأن الأمة التي تتعامل بغير لغتها هي أمة ذليلة فقدت شخصيتها، وهدمت هويتها.

وبعد انتشار اللغة العربية في منطقة تشاد، ومع مرور الأيام أصبحت اللغة العربية هي اللغة الرسمية ولغة التعليم والثقافة، ولغة الدواوين والرسائل في مملكة كانم، ثم في الممالك الأخرى<sup>(٣٨)</sup>. رغم أن الاستعمار الفرنسي بعد مجيئه سنة ١٩٠٠م حاول أن يرسخ اللغة الفرنسية في تشاد، ولكنه في المقابل لم يستطع طمس اللغة العربية، بل أجبره الواقع على أن يعترف بالتعليم العربي الإسلامي، وفتح المجال له بعد أن رأى أنه في نمو وتطور مستمرين<sup>(٣٩)</sup>.

وعليه فقد انتشر التعليم العربي في مملكة كانم والممالك الإسلامية التشادية، وأصبحت اللغة العربية جزءاً لا يتجزأ من كيان شعوب هذه الممالك، وأحد مقوماته الفكرية، والدينية، والثقافية، الأمر الذي ساعد في تلاقح اللغة العربية الفصحى باللغات المحلية، ونتج عنه لغة عربية محلية عامية، اشترك المجتمع في التحدث بها، في الشارع والسوق<sup>(٤٠)</sup>.

وكان في ناصية هذه الممالك التي راجت في حينها الحركات التعليمية مملكة كانم، " فكانت أول مملكة إسلامية في إقليم البحيرة، ومن أهم الممالك في إفريقيا، وأن الممالك التشادية الأخرى هي امتداد لها، انفصلت منها، وأصبحت ممالك مستقلة، وكانت كافة الأنشطة التربوية والتعليمية، والاجتماعية، والسياسية، والحركة العلمية التي شهدتها هذه الممالك إضافة حقيقية للمجهودات الجبارة التي قامت بها مملكة كانم الإسلامية<sup>(٤١)</sup>"

وكل ذلك بسبب الموقع الجغرافي لتشاد في وسط القارة الإفريقية، ووجود بعض العناصر العربية فيها منذ أمد ليس بالقريب، مما جعل انتشار اللغة في يسر وسهولة، وتقبلها أهل الممالك السائدة آن ذاك ككانم وباقرمي ووداي بقبول حسن.

وقد ذكرت بعض المصادر أن التعليم العربي بدأ في تشاد بدخول الإسلام، ويحدد المؤرخون هذه الفترة على وجه التحديد بعام ٦٦٦ م، ٤٦ هـ، عندما وصل عقبة بن نافع إلى جبال كُوَّارَ، فهي منطقة تابعة لمملكة كانم في تلك الفترة، ومن هذا التاريخ بدأت الثقافة العربية تنساب مع الانتشار الطبيعي للإسلام نحو بحيرة تشاد<sup>(٤٢)</sup>.

وكانت بداية المحطة الأولى للتعليم العربي في إقليم بحيرة تشاد الذي يضم مملكة كانم التي تعد أول مملكة إسلامية في البلاد، عملت في تنمية المجتمع، ومن ورثت المجتمع تراثاً ثقافياً وأدبياً، يعبر عن ما شاهدهته المنطقة من جهود تعليمية تصب في تفعيل وتنشيط المجال العلمي المعرفي، ليس في المنطقة فحسب، وإنما في المناطق المجاورة والقريبة إليها، ولذا أوفدت مملكة كانم البعثات الطلابية إلى المؤسسات التعليمية المشهودة في العالم العربي كالأزهر، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، وجامعة الزيتونة والقيروان<sup>(٤٣)</sup>.

فبعد أن امتزج العرب بالزنج في القرن الأول الهجري بدأ التعليم العربي بإقليم بحيرة تشاد، ثم تدرج في جميع الممالك الإسلامية، ويذكر المؤرخون أن مملكة كانم كانت قد شهدت نظاماً تعليمياً على غرار التعليم الذي كان سائداً في بلاد المشرق والمغرب، فأنشئت دور التعليم في المملكة، وتنوعت تلك الدور، ولقد سارت الممالك الإسلامية الأخرى على نفس المنهج، وظلت تلك المؤسسات تؤدي دورها التعليمي والتربوي بكل قوة<sup>(٤٤)</sup>.

والحقيقة التي تظهر للقارئ أن التعليم العربي في بداية أمره لم يكن تعليماً منظماً، بل كان فطرياً أو عفويّاً، من أجل تعليم أفراد المجتمع القراءة والكتابة في أنحاء الإقليم، ثم رويداً رويداً انتشرت الفكرة إلى أن قامت مملكة برنو وباقرمي ووداي إثر مملكة كانم. ومن ثم قبلها الكثير من الناس.

وكانت قد بلغت الحركة العلمية ذروتها في مملكة وداي قبل مجيء الاستعمار إلى الإقليم، ونشط التعليم العربي فيها، وذلك لعوامل مختلفة.

أهم أهداف التعليم العربي: حين شع نور الإسلام في هذه البلاد، انبثقت الأهداف التربوية من فلسفة المجتمع المشبع بثقافة الإسلام، وتأثر سلوك المجتمع وتوجهاته بمبادئ الإسلام السمحة، وأقبل عليه لمعالجة مشكلاته<sup>(٤٥)</sup>، وبذلك قد انصبت جل أهداف التعليم العربي في تلك الممالك الإسلامية في: بث ونشر الدين الإسلامي وتعاليمه بين أوساط المجتمع، الاهتمام بتعليم القرآن الكريم وتحفيظه لأفراد المجتمع، الاهتمام بتعليم اللغة العربية وثقافتها، والآداب الإنسانية، وإعداد جيل صالح عارف بربه، وإعلاء قيم العلم والمعرفة في المجتمع، وغير ذلك من الأهداف السامية التي أشار إليها كثير من المؤرخين. وعليه فقد كانت أهم العوامل التي دفعت الناس إلى الاهتمام بالتعليم العربي؛ - في فترة الممالك الإسلامية - هو إحساسهم بضرورة تعليم اللغة العربية؛ لأنها لغة القرآن الكريم، ولغة السنة النبوية المعطرة، ولغة العلوم الشرعية، إضافة إلى عدم جواز ترجمة النص القرآني إلى اللهجات المحلية<sup>(٤٦)</sup>.

وتشير المصادر أن بداية التعليم العربي كانت بالطريقة الأهلية، أي بالتعليم الأهلي التقليدي: وكان هذا النوع من التعليم في تشاد منذ أيام الممالك الإسلامية، وتغلب عليه الصيغة الدينية، كما أنه يعتمد على الطريقة الكلاسيكية في التدريس، ولا يرتبط بسن معينة، ولا تشرف عليه الدولة<sup>(٤٧)</sup>.

وهو الذي تقوم به مؤسسات غير حكومية أو أفراد، رغبة في أداء نوع من التعليم أو التثقيف، وكان يشمل الخلاوي والمسيح، والمساجد....

الخلاوي القرآنية: وهي مدارس ينشؤها الأهالي بجهودهم الذاتية، تؤسس في المدن والقرى لتحفيظ قرآن وعلومه، وتعليم الأطفال الكتابة والقراءة، وأكثر النصوص الدينية؛ فكان التشاديون ولا يزالون يهتمون بتحفيظ أبنائهم القرآن الكريم.

وكانت وسيلة تعليم المبتدئين في الكتابة والقراءة؛ هي عبارة عن ألواح خشبية يكتب عليها بالمداد، تعد خاصة لهذا الغرض، وما زال هذا النظام موجودًا في تشاد.

وكان بجانب هذه الخلاوي الكبيرة؛ وهي تسمى في أقصى شرق البلاد ووسطها (المسيح)، وفي غربها تسمى (سنقاية)، وفي الغالب يدرس فيها من يعرفون بالمهاجرين أي من الهجرة، وهي تخصص لتعليم القرآن وحفظه.

### الحلقات العلمية:

تقام في المساجد والزوايا الكبيرة وبيوتات العلماء، ويدرس فيها النحو والصرف والفقه والحديث والتفسير والتاريخ الإسلامي والسيرة النبوية، وغير ذلك من العلوم. وما زالت هذه السلسلة من نوعية التعليم العربي الأهلي في تشاد موجودة بكل أشكالها، ومؤدية رسالتها الدينية على أكمل وجه.

إلا أن الملاحظ في أكثر الخلاوي القرآنية أنها بدأت تأخذ منعطفاً جديداً، وهو التوجه نحو التطوير والدخول في التعليم العربي الأهلي النظامي، بسبب الانفتاح على العالم الإسلامي الخارجي - كما تكرر سابقاً - وذلك بعد ذهاب بعض الجماعات والأفراد إلى الدول الإسلامية المجاورة وغيرها، فحصلت نقلة علمية وثقافية وفكرية ذات طابع جديد، وهذا الاتصال يعد امتداداً طبيعياً لعلاقات الممالك التشادية الإسلامية القديمة، " فلم يكن التعليم العربي الأهلي في تشاد منكمشاً على ذاته، بل ظل على الدوام شديد الاحتكاك بعمقه الاستراتيجي في شبه المنطقة بل وغيرها، فقد كان الطلاب يتابعون دراساتهم العالية في مصر والسودان وليبيا وشمال تيجيريا، بشكل شبه منتظم"<sup>(٤٨)</sup>

▪ تقبل الشعب التشادي لغة الدين الإسلامي وتعايشوا مع أهلها الوافدين إلى أن صارت إحدى اللغات الوطنية المحلية؛ فاللغة العربية في تشاد أخذت مكانتها الطبيعية في الأمة التشادية، ورسخت وتوطدت جذورها بكل شيوخ، وانبثقت منها لغة عربية محلية، وهي العربية البدوية التشادية، وعربية عامية يفهمها كل مواطن تشادي..

- بعد أن رحب سلاطين الممالك الإسلامية كانم وبرنو وباقرمي ووداي بالإسلام، وانتشاره فيها، قام الأهالي بإنشاء المدارس بجهدهم الذاتي، بدافع حبهم للدين الإسلامي.
- كان الناس يتلقون التعليم العربي على الطريقة غير المنظمة في الخلاوي القرآنية والمسيح والمساجد، وجميع دور العبادة.
- كان التعليم العربي في بدايته يهدف إلى نشر الدين الإسلامي، وتحفيظ القرآن الكريم، ومعرفة علوم الفقه والحديث والسيره النبوية.

#### الخاتمة:

- (١) إن تاريخ اللغة العربية في تشاد طويل الامتداد، فكان أول اتصال معلوم بين المجتمع التشادي والإسلام تم في القرن السابع الميلادي، وبالتحديد عام (٦٦٦م) عندما وصل عقبة بن نافع إلى جبال كُوَارَ التابعة لمنطقة كانم. ومن هناك انسابت الثقافة العربية مع الانتشار الطبيعي للإسلام نحو بحيرة تشاد.
- (٢) تعود الجذور التاريخية للصلات الثقافية العربية الإفريقية في تشاد إلى فترة ما قبل الإسلام، فقد سكن العرب منطقة الساحل الإفريقي قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم بقرون طويلة، حيث تعاقبت الرحلات نحو بحيرة كُوَارَ (تشاد) على وجه الخصوص لموقعها الاستراتيجي في قلب القارة الإفريقية، ثم تعزز وجود العرب، وتطور في منطقة الساحل الإفريقي بدخول الاسلام سنة ٤٦ هـ - ٦٦٦م.. ونزوح القبائل العربية إلى المناطق المختلفة في منطقة السودان - تشاد حالياً - واستقرارها فيها. وذكرت بعض المصادر أن الجزيرة كانت في السابق جزءاً لا يتجزأ من القارة الإفريقية، حين كانت في مجملها تمثل جزءاً من حدودها الشرقية القديمة ثم انفصلت عنها قبل ملايين سنة، بسبب حدوث انكسار أزاحها من الخريطة الإفريقية الأم.



- (٣) إن من أهم العوامل التي ساعدت على دخول اللغة العربية وانتشارها في تشاد؛ هي هجرة القبائل العربية إلى المناطق المختلفة في منطقة السودان - تشاد حالياً - واستقرارها فيها. وذكرت بعض المصادر أن الجزيرة كانت في السابق جزءاً لا يتجزأ من القارة الإفريقية، حين كانت في مجملها تمثل جزءاً من حدودها الشرقية القديمة ثم انفصلت عنها قبل ملايين سنة، بسبب حدوث انكسار أزاحها من الخريطة الإفريقية الأم. وقد انطلقت بسبب الأواصر القديمة جماعات ليست بالقليلة من الجزيرة العربية بشتى مناطقها وقبائلها، وقد بدأ ذلك التوجه قبل الفتح الإسلامي في الأزمنة الغابرة، ظل مستمراً إلى ما بعد الفتح، ثم تضاعف بعد ذلك، وتدفقت القبائل العربية من الجزيرة العربية متجهة صوب إفريقيا منذ النصف الأول من القرن الأول الهجري بعد فتح مصر، ثم هاجرت منها أكثر القبائل العربية بمجموعات كثيرة حتى القرن الخامس الهجري، وكانت هذه الظاهرة إلى مصر، ومنها إلى جنوب الصحراء، ولم تحدث في سنة أو سنوات، وإنما استمرت وقتاً طويلاً، وهكذا كانت انطلاقة هجرة العرب إلى القارة الإفريقية.
- (٤) تكاد تتفق المصادر الداخلية والخارجية على حقيقة واحدة، هي أن أول بلد من بلاد السودان الأوسط يدخله الإسلام هي (بلاد كانم- برنو) التي كانت عاصمتها تقع في البداية من الجهة الشرقية الشمالية من بحيرة تشاد، قبل أن تنتقل إلى البحيرة. وأن بحيرة تشاد كانت ملتقى للقوافل التجارية القادمة من الشمال إلى الجنوب، وتلك التي ترد من الغرب كلها تلتقي عند حوض البحيرة، حيث يتم تبادل السلع القادمة من شمال إفريقيا بتلك التي تباع في الإقليم.
- (٥) كان لسلطين كانم الدور البارز في نشر اللغة العربية، فبحلول القرن الحادي عشر الميلادي وفي عهد السلطان أومي جلمي صارت اللغة العربية لغة الدواوين والإدارات السلطانية والقضاء، ولغة التفاهم في الأسواق والمصالح العامة.

(٦) إن هناك معرفة سابقة لعرب الجزيرة العربية بهذه المناطق قبل الإسلام سواءً من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الدينية، ناهيك عن المعرفة المناخية بأحوال المنطقة وأحوالها، بل أشارت بعض المصادر إلى أن الجزيرة العربية كانت في السابق جزءاً لا يتجزأ من القارة الإفريقية، حين كانت في مجملها تمثل جزءاً من حدودها الشرقية القديمة ثم انفصلت عنها قبل ملايين سنة، بسبب حدوث انكسار أزاحها من الخريطة الإفريقية الأم.

(٧) كان العرب في دخولهم إلى القارة الإفريقية ومنطقة حوض بحيرة تشاد سلكوا طرقاً كثيرة ومتشعبة، حسب ما ذكرتها الدراسات التاريخية، فكان أشهرها ثلاثة ممرات: ١- ممر باب المنذب، وهو طريق البحر الأحمر بجنوب الجزيرة العربية عبر باب المنذب إلى المنطقة التي كانت تضم الصومال والحبشة وإرتريا، ثم منها إلى السودان وادي النيل، ومنها إلى منطقة حوض بحيرة تشاد. ٢- ممر ميناء سواكن: وهو أيضاً من الطرق البحرية؛ أي بالبحر الأحمر عبر ميناء سواكن بالساحل الغربي. ٣- ممر جزيرة سيناء: وهو طريق السويس، وهو الطريق البري الوحيد الذي يربط الوطن العربي والعالم الإسلامي في إفريقيا وآسيا.

هذه هي أهم الطرق التي سلكها المهاجرون العرب إلى إفريقيا، وهناك المئات من الدروب والمفازات الفرعية التي اتخذها العرب في سيرهم الحثيث إلى أن وصلوا القارة الإفريقية، ومن ثم إلى بحيرة تشاد.

(٨) تعد القبائل العربية هي صاحبة الفضل في إدخال اللغة العربية إلى البلاد (تشاد) بنشرها بين السكان في القرى والوادي والحضر، كما حملت معها العادات والتقاليد العربية التي كانت سائدة في الجزيرة العربية كإكرام الضيف وإغاثة الملهوف والدفاع عن الشرف والقبيلة... وكان قد نتج عن ترحالهم المتكرر انتشار اللغة العربية بين السكان أسرع من انتشار الإسلام نفسه.

- (٩) وأيضاً هناك عوامل كثيرة تضافرت في انتشار اللغة العربية كالتبادل التجاري الذي لعب دوراً عظيماً في ربط اواصر الشعوب إلى أن ظهر تأثير اللسان العربي على التجار التشاديين، وهم بدورهم نقلوا هذه الثقافة العربية إلى أرضهم.
- (١٠) إن من أكبر الدوافع في انتشار اللغة العربية في تشاد دافع التمسك بالدين الإسلامي، فكان بسببه ذاع صيت اللغة العربية في أوساط هذه القارة؛ وهي وعاء هذا الدين الحنيف - كما سبق، فلذلك كان الدين من أهم عوامل نشر اللغة العربية، كما أن في هذه القبائل حب نشر الإسلام وتعاليمه والوعظ والإرشاد، وبث العلوم الفقهية، ونشر المعارف، وإجادة القرآن وتعليمه. فاللغة العربية لغة القرآن، وهي لسان الشعب التشادي، فأينما توجهت شمالاً أو جنوباً ستجد اللسان العربي، ويمكنك التفاهم بالعربية دون أي حاجز لغوي، فهي كانت وما زالت لغة الشعب.
- (١١) كان للحج أيضاً أثر بالغ في نفوس المسلمين الإفريقيين، وشأن كبير، فقد أُلوع به الكثير من المواطنين بعد أن أدركوا حقيقته، مما جعلهم يكتسبون ثقافات جمّة من تلك البلاد العربية، لاسيما اللغة، حين غرس العرب أصولهم العربية وفشا لسانهم الفصيح في الأمة التشادية إلى أن قامت الممالك الإسلامية الثلاث: كانم، ووداي، وبقرمي.
- (١٢) بدأ التعليم العربي ببداية القرن الأول الهجري بإقليم بحيرة تشاد، ثم تدرج في جميع الممالك الإسلامية، ويذكر المؤرخون أن مملكة كانم كانت قد شهدت نظاماً تعليمياً على غرار التعليم الذي كان سائداً في بلاد المشرق والمغرب، فأنشئت دور التعليم في المملكة، وتنوعت تلك الدور، ولقد سارت الممالك الإسلامية الأخرى على نفس المنهج، وظلت تلك المؤسسات تؤدي دورها التعليمي، من أجل تعليم أفراد المجتمع القراءة والكتابة في أنحاء الإقليم، في الخلاوي والزوايا والمساجد، وغير ذلك.

الهوامش:

- (١) حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العبية، القاهرة، دار النهضة، ص ١٠.
- (٢) تاريخ الإسلام وحياة العرب في امبروطورية كانم - برنو، لإبراهيم صالح الحسيني، ط٢: ١٤٢٩ - ٢٠٠٨م، ص ٦١.
- (٣) المسلمون في إفريقيا، لكبوك، - باريس ١٩٧٥م، ص ٢٩.
- (٤) د. ضيدان، حميد دولاب، الجذور التاريخية للصلات العربية الإفريقية، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، ص ١١٦
- (٥) د. الماحي، عبد الرحمن عمر، مساهمة القوافل التجارية في نشر اللغة الغربية والحضارة الإسلامية في منطقة الساحل، بحث مقدم في ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار العربية - طرابلس ١٩٩٨م، ص ٦٣.
- (٦) ندوة اللغة العربية في تشاد، الواقع والمستقبل، ط١: ٢٠٠٣م، دار الكتب الوطنية بنغازي- ليبيا، ص ١٣١.
- (٧) المصدر السابق، ص ١٣٢..
- (٨) مجلة دراسات إفريقية، العدد (٢٢)، ديسمبر عام ١٩٩٩م، السودان، ص ١١.
- (٩) بحث مقدم في أعمال ندوة اللغة العربية في تشاد (الواقع والمستقبل)، ص ١٥٢.
- (١٠) الشاطر بصيلي، تاريخ حضارات السودان الشرق الأوسط، ص: ٤١٣، ومحمد صالح أيوب: مجتمعات وسط إفريقيا بين الثقافة العربية والفرنكفونية- منشورات مركز البحوث والدراسات الإفريقية - سها- ١٩٩٢م، ص ٢١.
- (١١) الشاطر المرجع السابق نفسه، ص ٤١٣، وحمد صالح أيوب: مكانة اللغة العربية في المجتمع التشادي المعاصر، دراسات إفريقية، العدد ١٤ يناير ١٩٩٦م.
- (١٢) الطيبي أمين الطيبي، وصول الإسلام وانتشاره في كانم برنو بالسودان الأوسط - مجلد كلية الدعوة الإسلامية - العدد الرابع ١٩٨٧م، ص ١٨٣.
- (١٣) محمد زين نور محمد، الاستعمار الفرنسي وأثره على الشخصية الإسلامية في تشاد، ٣٢
- (١٤) مساهمة القوافل التجارية في نشر اللغة العربية والحضارة الإسلامية في منطقة الساحل الإفريقي، لعبد الرحمن الماحي، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، كلية الدعوة الإسلامية، الجماهيرية العظمى.
- (١٥) ندوة اللغة العربية في تشاد الواقع والمستقبل، ص ١٦٦.

- (١٦) التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء- من أعمال الندوة، ص ١٥٢.
- (١٧) من أعمال ندوة اللغى العربية، بحث: أثر اللغى العربية على الأمة التشادية، للدكتور/ فضل كلود الدقو، ٨٨.
- (١٨) المرجع السابق، ٨٨.
- (١٩) الإمام من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، للمقري تقي الدين، ص ٢١.
- (٢٠) تاريخ القارة الإفريقية، لجان جولي، باريس ١٩٨٩م، ص ١٣٢.
- (٢١) تاريخ الإسلام وحياة العرب في امبروطوري كانم - برنو، لإبراهيم صالح الحسيني، ط ٢: ١٤٢٩ - ٢٠٠٨م، ص ٦١.
- (٢٢) المسلمون في إفريقيا، لكبوك، - باريس ١٩٧٥م، ص ٢٣٣.
- (٢٣) ندوة اللغة العربية في تشاد(الواقع والمستقبل)، بحث مقدم بعنوان: الموقع الجغرافي لتشاد وأثره في تكوينها العام مع الاهتمام باللغة والدين، ل: أ.د. محمد عبد الغني سعودي، ص ٢٨٧.
- (٢٤) زيلتير، تعريف الأستاذ سيدي محمد بن محمد عبد الله، ٦٢..
- (٢٥) امبراطورية البرنو الإسلامية، للدكتور/ إبراهيم طرخان، ص ٢٩.
- (٢٦) حميد دولاب ضيدان، سبق، ١١٦.
- (٢٧) الفتح مقلد الغنبي، حركة المد الإسلامية بغرب إفريقيا، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ص ١٨، وينظر أيضاً: حسين الشيخ الفاتح قريب الله، السودان دار الهجرتين، المؤسسة العامة للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام، الخرطوم، ص ٩٣.
- (٢٨) امبراطورية البرنو، سبق ذكره، ص ٩٢.
- (٢٩) أساليب تدريس اللغة العربية بالمرحلة الإعدادية في تشاد للدكتور علي محمد قمر (دكتوراه) جامعة أم درمان الإسلامية ١٩٩٩، ص ١.
- (٣٠) المرجع السابق، ص ٩٠-٩١.
- (٣١) تاريخ الإسلام وحياة العرب، ٥٨.
- (٣٢) تاريخ الإسلام، سبق ذكره، ١٧.
- (٣٣) التواصل اللغوي والثقافي في تشاد، لجان بيير كابريل، ص ١٦.
- (٣٤) التعدد اللغوي والتباين الثقافي والعرقى في تشاد، للدكتور محمد قمر، ص ٣.
- (٣٥) تاريخ التعليم في ليبيا، غنبي الشيخ رأفت، ص ٦٢.

- (٣٦) تاريخ الإسلام وحياة العرب، سبق ذكره، ص ٧٢.
- (37) AMB Babacar, Reflection sur le role de langue arabe en afrique
- (٣٨) انظر: soudanon sahelienne, UCADE et I, universite D,ottawa, 1989
- (٣٩) تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، للدكتور عبدالرحمن عمر الماحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م، ص ١٠٢.
- (٤٠) التغيرات الاجتماعية والثقافية وأثرها على النظام التعليمي بدولة تشاد، لمحمد شكري وزير، مجلة كلية التربية جامعة الأزهر، ص ١٥٦.
- (٤١) الجهود النحوية واللغوية لعلماء تشاد (دكتوراه) لمحمد سعيد عبدالله، ١١٥.
- (٤٢) الجهود النحوية واللغوية لعلماء، سبق ذكره، ١٧.
- (٤٣) التغيرات الاجتماعية، سبق، ص ١٥٩.
- (٤٤) تشاد من الاستعمار إلى الاستقلال، لعمر عبد الرحمن الماحي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة، ١٩٨٢، ص ١٠٠.
- (٤٥) تشاد من الاستعمار إلى الاستقلال، ص ١٠٠.
- (٤٦) طرق التدريس العامة ومهارات تنفيذ وتخطيط عملية التدريس، لعبد الرحمن عبد السلام جاهل، ص ٨١.
- (٤٧) المرسوم الرئاسي رقم ٢٢٥ الصادر بتاريخ ١٩٧١م، من مكتبة الدكتور محمد صالح أيوب الخاصة.
- (٤٨) ينظر: (Cuoq joseph M(1975- 302

## المصادر والمراجع:

- الإسلام والثقافة العبية، لحسن أحمد محمود القاهرة، دار النهضة.  
 تاريخ الإسلام وحياة العرب في امبروطورية كانم - برنو، لإبراهيم صالح الحسيني، ط ٢:  
 ١٤٢٩ - ٢٠٠٨ م.  
 المسلمون في إفريقيا، لكبوك، - باريس ١٩٧٥ م.  
 الجذور التاريخية للصلات العربية الإفريقية، د. حميد دولا ب ضيدان، مركز البحوث  
 والدراسات الإفريقية.  
 مساهمة القوافل التجارية في نشر اللغة العربية والحضارة الإسلامية في منطقة الساحل، د.  
 الماحي، عبد الرحمن عمر، بحث مقدم في ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين  
 الأقطار العربية - طرابلس ١٩٩٨ م.  
 ندوة اللغة العربية في تشاد، الواقع والمستقبل، ط ١: ٢٠٠٣ م، دار الكتب الوطنية بنغازي-  
 ليبيا.  
 مجلة دراسات إفريقية، العدد (٢٢)، ديسمبر عام ١٩٩٩ م، السودان.  
 بحث مقدم في أعمال ندوة اللغة العربية في تشاد (الواقع والمستقبل).  
 تاريخ حضارات السودان الشرق الأوسط، الشاطر بصيلي.  
 وسط إفريقيا بين الثقافة، محمد صالح أيوب: مجتمعات العربية والفرنكفونية- منشورات مركز  
 البحوث والدراسات الإفريقية - سبها- ١٩٩٢ م.  
 وصول الإسلام وانتشاره في كانم برنو بالسودان الأوسط، للطبي أمين الطيبي، - مجلد كلية  
 الدعوة الإسلامية - العدد الرابع ١٩٨٧ م.  
 محمد زين نور محمد، الاستعمار الفرنسي وأثره على الشخصية الإسلامية في تشاد.  
 مساهمة القوافل التجارية في نشر اللغة العربية والحضارة الإسلامية في منطقة الساحل  
 الإفريقي، لعبد الرحمن الماحي، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين

الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، كلية الدعوة الإسلامية، الجماهيرية العظمى.

التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء- من أعمال الندوة. من أعمال ندوة اللغة العربية، بحث: أثر اللغة العربية على الأمة التشادية، للدكتور/ فضل كلود الدقو.

الإمام من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، للمقري تقي الدين.

تاريخ القارة الإفريقية، لجان جولي، باريس ١٩٨٩ م.

تاريخ الإسلام وحياة العرب في امبروطورية كانم - برنو، لإبراهيم صالح الحسيني، ط ٢: ١٤٢٩ - ٢٠٠٨ م.

ندوة اللغة العربية في تشاد (الواقع والمستقبل)، بحث مقدم بعنوان: الموقع الجغرافي لتشاد وأثره في تكوينها العام مع الاهتمام باللغة والدين، ل: أ. د. محمد عبد الغني سعودي.

زيلنتر، تعريف الأستاذ سيدي محمد بن محمد عبد الله.

الفتاح مقلد الغنيمي، حركة المد الإسلامية بغرب إفريقيا، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق.

حسين الشيخ الفاتح قريب الله، السودان دار المحررتين، المؤسسة العامة للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام، الخرطوم.

أساليب تدريس اللغة العربية بالمرحلة الإعدادية في تشاد للدكتور علي محمد قمر (دكتوراه) جامعة أم درمان الإسلامية ١٩٩٩.

التواصل اللغوي والثقافي في تشاد، لجان بيير كابرييل.

التعدد اللغوي والتباين الثقافي والعرق في تشاد، للدكتور محمد قمر.

AMB Babacar, Reflection sur le role de langue arabe en afrique

انظر: soudanon sahelienne, UCADE et l, universite D,ottawa, 1989



تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، للدكتور عبد الرحمن عمر الماحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م.

التغيرات الاجتماعية والثقافية وأثرها على النظام التعليمي بدولة تشاد، لمحمد شكري وزير، مجلة كلية التربية جامعة الأزهر.

الجهود النحوية واللغوية لعلماء تشاد (دكتوراه) لمحمد سعيد عبد الله.

طرق التدريس العامة ومهارات تنفيذ وتخطيط عملية التدريس، لعبد الرحمن عبد السلام جاهل.

المرسوم الرئاسي رقم ٢٢٥ الصادر بتاريخ ١٩٧١م، من مكتبة الدكتور محمد صالح أيوب الخاصة.

ينظر: (Cuoq joseph M(1975- 302

## تأثير الاستشراق في اللغة "العربية" إبان الاحتلال الأوروبي للشمال الإفريقي

**د. سليمان جبار**

دكتوراه في تخصص التراث الإسلامي والاستشراق.  
جامعة: مصطفى إسطمبولي / معسكر — الجزائر —  
رقم الهاتف: +٢١٣ ٥٥١٤٢٤٥٨٩  
البريد الإلكتروني: [slimananas@hotmail.fr](mailto:slimananas@hotmail.fr)

### مقدمة:

يعتبر الاستشراق ممهدا للحروب الصليبية من بدايات وقوع التماس بين المسيحية والإسلام في الأندلس، وما خطاب "إيربانوس الثاني" الشهير، سوى الشرارة التي أورت فتيل الزحف المقدس! على الشرق الإسلامي، ومنذ ذلك الحين والتاريخ يعيد نفسه، فقد كان المستشرقون ظلالة للاحتلال الأوروبي الحديث في مستعمراته المغاربية، يرافقونه حيثما ارتحل واحتلّ، يعملون كمستكشفين ومستشارين له في أدواره القبلية والإثنية، ويدرسون كل كبيرة وصغيرة تتعلق بالمجتمعات المختلة.

ولم تكن الحياة اللغوية في الشمال الإفريقي بمعزل عن دراسات المستشرقين، خاصة إذا كانت اللغة الضاربة في أرضه هي "العربية"، وهي المرتبطة تاريخيا بالفتح الإسلامي، فقد جاءت بمجيئه وانتشرت بوجوده، وتجدرت بتعلم الناس لها، وتواصلهم بها.

هدفنا من هذه الدراسة: هو إعادة بعض مشكلات "اللسان العربي" إلى أصلها الاستشراقي، مشكلات تثير جدلية "اللغة والهوية" كل حين، وتُورى نراها كل مرة في زاوية من زوايا المغرب "العربي"، حتى نخلص - على الأقل - إلى سبيل لفهم مركزية اللغة العربية كحافضة للهوية الإسلامية المغاربية، وجامعة لفكرها.

ولتحقيق هدفنا بحثنا الإشكالية التالية: ما هي رؤية الاستشراق "التاريخية" للغة العربية في الشمال الإفريقي؟ وما هي الخدمات القبلية والإثنية التي قدمها المستشرقون للاحتلال في هذا الخصوص؟ وما نوع التأثير الذي وقع على "العربية" جراء هذه الخدمات؟ وهل زالت آثار ذلك بخروج المحتل الأوروبي من المنطقة المغاربية؟؟ وحتى نقف على مفاصل الإشكالية ونجيب على أسئلتها، قسمنا هذه الدراسة - إضافة إلى المقدمة والخاتمة - إلى مبحثين:

- المبحث الأول: تناولنا فيه مفهوم الاستشراق. وفيه مطلبان يرتبطان بالمعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي.
- المبحث الثاني: عالجنا فيه تأثير المستشرقين في اللغة "العربية" أثناء الاحتلال الأوروبي للمغرب العربي، وفيه أيضا مطلبان يرتبطان بالتأثير المباشر وغير المباشر.

### المبحث الأول: مفهوم الاستشراق.

#### المطلب الأول - المعنى اللغوي:

حين نبحث في أمهات المعاجم العربية نجد أن علماء اللغة يشتقون هذه اللفظة من مادة "شَرَقَ"، ففي لسان العرب مثلا نجد تحت هذه المادة: "شَرَقَتِ الشمسُ شَرْقًا وشَرْقًا: طَلَعَتْ، واسم الموضع: المَشْرِقُ... وشَرَّفُوا ذهبوا إلى الشرق، وكل ما طلع من المشرق فقد شرق" <sup>(١)</sup>. " والتَّشْرِيقُ: الأخذ في ناحية المشرق، يقال: شتان بين مُشْرِقٍ ومُعَرَّبٍ" <sup>(٢)</sup>.

وكلمة استشراق تعني: عناية واهتمام بشؤون الشرق، وثقافته ولغاته... أسلوب غربي للسيطرة على الشرق وإعادة بنائه وبسط النفوذ عليه. استشراق الأوروبي: اهتم بالشرق والدراسات الشرقية <sup>(٣)</sup>. شَرَّقَ: أخذ في ناحية المشرق <sup>(٤)</sup>. اسْتَشْرَقَ: "طلب علوم أهل الشرق ولغاتهم (مولدة عصرية)، يقال لمن يعنى بذلك من الفرنجة" <sup>(٥)</sup>.

وسميت حركة طلب الشرق بـ: "الحركة الاستشراقية" وهي: "حركة تجلت في اهتمام الغربيين بتراث الشرق وحضارته ولغاته. ومعناها طلب الشرق، وليس طلب الشرق سوى طلب علوم الشرق وآدابه ولغاته وأديانه"<sup>(٦)</sup>.

"غير أن البعض يشير إلى أن هذا المصطلح الجغرافي والفلكي قاصر عن إعطاء معنى حقيقي لمفهوم الاستشراق، إذ أن لكلمة: "الشرق" مدلولاً معنوياً فالبحث اللغوي الأصلي لكلمة: "orient" في اللغات الأوروبية الثلاث، المستمد من الأصل اللاتيني، يوضح أن معناها يتمركز حول طلب العلم والمعرفة والإرشاد والتوجيه... وأن وصفها بالشرق يعني بالمقام الأول أنها المنطقة التي أشرقت فيها شمس المعرفة وليست الشمس بمعناها الحسي المعروف"<sup>(٧)</sup>.

وبعد هذا العرض المقتضب لمعنى الاستشراق الجهوي والمعنوي نصل إلى رأي نتشاطره مع الأستاذ "عبد الله النعيم" وهو أن "مصطلح الاستشراق ليس مستمداً من المدلول اللغوي، بل من المدلول المعنوي لشرق الشمس التي هي مصدر العلم."<sup>(٨)</sup>، وهو ما يختاره "السيد محمد الشاهد" أيضاً وقد استدل على ذلك بمؤلف للمستشرقة "زيجريد هونكة" حين قال: "ويفسر لنا هذا المفهوم اختيار المستشرقة" عنواناً لأهم مؤلفاتها وهو "شمس الله تشرق على الغرب"، وكونها "تشرق" تعني أنها مصدر المعرفة للغرب"<sup>(٩)</sup>.

ونخلص إلى أنه ثمة ثلاثة معانٍ لغوية: تحت مدلولين ماديين ومدلول معنوي. فالاستشراق من التوجه نحو الشرق، أي جهة المشرق، وهو معنى مادي، وهو من قبيل قول الله تعالى في القرآن: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(١٠)</sup> وطلب الشرق مكاناً وهو بلاد الشرق أقصاها وأدناها وأوسطها، وهو مادي أيضاً، من قبيل قول الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(١١)</sup>، وطلب الشرق: طلب العلم والمعرفة المعبر عنها بالنور، الساطعة من الشرق.

## المطلب الثاني - المفهوم الاصطلاحي:

لم يجمع المختصون على وضع تعريف جامع مانع للاستشراق، لذلك بقي مفهوما مرنا خاضعا لرؤية كل واحد منهم، وكثيرا ما يعودون في تحديد مفهوم "الاستشراق" (orientalism) الاصطلاحي إلى المعنى اللغوي لكلمة: "شرق" كما قلنا، وكلمة شرق هي جهة الشرق بالنسبة للبحر الأبيض المتوسط، على غرار المستشرق الألماني "رودي بارت"<sup>(١٢)</sup> الذي يرجع المصطلح إلى العصر الوسيط والعصور القديمة، إلى الوقت الذي كان فيه البحر المتوسط يقع كما قيل في وسط العالم، وكانت الجهات الأصلية تتحدد بالنسبة إليه، فلما انتقل مركز ثقل الأحداث السياسية بعد ذلك من البحر المتوسط إلى الشمال بقي مصطلح الشرق رغم ذلك دالا على الدول الواقعة شرق البحر المتوسط، يقول: " هذا التحديد الجغرافي يسهل لنا فهم التعريف الذي نقله الكثيرون ممن عرفوا الاستشراق في كتبهم والذي مفاده أن: "الاستشراق: هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي"<sup>(١٣)</sup> ولكن هذا التعريف يميلنا إلى السؤال عن الشرق ذاته، أي شرق؟ وأي عالم شرقي؟ فجعل المفهوم حبيس الجهوية غير موصل للمعنى المطلوب.

إن تعريف "رودي بارت" يوصف بالواسع والمطلق، لأنه يدخل كل الشرق - قديما وحديثا - ويجعله في جهة واحدة، ويلغي الغرب "الأندلس" وقد تعلم الغرب "أوروبا" منها. هذا ما جعل - ربما - الأستاذ "حمدي زقزوق" يذهب إلى تخصيص الاستشراق بقوله: " هو الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام"<sup>(١٤)</sup>، ورغم هذا التخصيص إلا أن المسألة تبقى قائمة، هل وجد الإسلام فقط في الشرق؟

إن الإسلام شكل حضارة مترامية الأطراف من الصين شرقا إلى الأندلس غربا، وهو موجود اليوم في كل العالم فهل يبقى هذا التعريف الجهوي صالحا لمفهوم الاستشراق؟ وهل ترتبط الدراسات الاستشراقية بالشرق فقط؟ وهل اسم "المستشرق"<sup>(١٥)</sup> خاص بدارس -

مثلا - الإسلام والمسلمين حتى إن وجد الإسلام في الغرب؟ نزن أن المصطلح محتاج إلى تحين !!.

آثارنا ونحن نبحث في موضوع يتعلق ويختص بمنطقة "المغرب العربي الإسلامي" مفهوما حضاريا للشرق يقول فيه صاحبه: " نحن نرى أن المفهوم لا يخضع لعامل جغرافي أو إقليمي، ونرى أن الحضارة هي أساس المضمون والمدلول، فللشرق حضارته ذات الطابع المتميز الخاص، مما يختلف عن ألوان الحضارات الأخرى...أصبحت الحضارة العربية الإسلامية تسود معظم أرجاء العالم القديم طوال قرون كثيرة، فقد امتدت وسط آسيا، وشمال الهند، وغرب وجنوب آسيا، وشمال إفريقية، وغرب وجنوب غرب أوروبا، وجميع جزر البحر المتوسط...مما أدى إلى وحدة حضارية عالمية، منحت هذه الأراضي الشاسعة لونا حضاريا متجانسا ثم تقلص نفوذ العرب السياسي عن معظم أرجاء أوروبا، ولكن ذلك لم يكن يعني نهاية الحضارة العربية في أوروبا...وأصبحت حضارة العرب أساسا أقام عليه الأوروبيون حضارتهم الحديثة"<sup>(١٦)</sup>

فإذا كان من العسير وضع مفهوم محدد للاستشراق يتناسب مع الإطلاق والتقييد جهة ومكانا، قَدما وجدّة، فإننا نقتبس من المفهوم الحضاري - الآنف الذكر- للشرق ونحاول تقديم مفهوم للاستشراق فنقول: "هو كل دراسة للعالم الإسلامي في بيئته وعصره، لغة وتاريخا، عقائد وعوائد، ثقافة وأدبا". ويدخل في هذا المفهوم "الاستشراق الجديد". والمستشرق: هو كل عالم غربي يهتم بدراسة ذلك كله أو جانب من جوانبه.

**المبحث الثاني: تأثير الاستشراق في اللغة "العربية" أثناء الاحتلال الأوروبي للمغرب العربي**

**المطلب الأول: التأثير غير المباشر**

لم يكن همّ المستشرقين من تعلمهم اللغة العربية وكلامهم بما حبه لها أو انجذابهم نحوها إلا نادرا، ولكن ديدنهم جرى على فهم التراث الإسلامي الزاخر في كل جوانبه من خلالها،

ونقله إلى أوروبا بلسان أهلها<sup>(١٧)</sup> لذلك ترجموا وحققوا وألفوا وطبعوا ونشروا...<sup>(١٨)</sup> واجتمعت جهودهم من كل بلاد العالم على مشروع واحد ومخطط واحد وهدف واحد<sup>(١٩)</sup>، وتُرجم ذلك عمليا على أرض الواقع العربي، وحسب تتبّع تاريخ حركة الاستشراق الفرنسي الذي قام به " يوهان فوك"<sup>(٢٠)</sup>: فإنه في مطلع القرن السابع عشر كان يندر إيجاد من يعرف اللغة العربية بين الفرنسيين، ومن بين الذين كانوا يعرفونها على سبيل المثال السفير الفرنسي في مصر " أندريه دوريه" وهو أول من ترجم القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية، من هنا يبدأ تاريخ العلاقة الاستشراقية باللغة العربية في شمال إفريقيا<sup>(٢١)</sup>، ومنذ ذلك الحين وهذه العلاقة في تنامي، وازدادت بمحيء أكبر حملة بعد الغزو الصليبي للشرق الإسلامي، ثم في حالة الغزو الفرنسي لمصر كان هناك جيش عرمرم قوامه ٢٨ ألف جندي، فضلا عن جيش مواز من المستشرقين العلماء في كل ميادين المعرفة الطبيعية منها والإنسانية، فضلا عن مطبعة وآلات علمية من كل نوع تمثل آخر ما تفتقت عنه الثقافة والصناعة الغربية في ذلك الوقت، وهو ما لم يكن له وجود في فتح مصر<sup>(٢٢)</sup>.

إلى أن بتنا نقرأ: أن عناوين كتب المستشرقين الفرنسيين وحدهم التي اهتمت بالشرق الأدنى وشمالي إفريقيا، الخاصة بالكتب والمقالات والمحاضرات، من سنة ١٩١٨ إلى ١٩٣٢م كونت كتابا يقع في ٣٣٨ صفحة<sup>(٢٣)</sup>.

ولا يمكن لأحد أن يجحد أن هذا التفتت الناتج في العالم الأوروبي والتخلف الضارب في العالم الإسلامي، هو حاصل عملية كثر وفر استشراقي تعتبر اللغة العربية أساسا له؛ ذلك أن أوروبا استيقظت من سباتها بسبب مؤلفات مكتوبة - في معظمها - بالعربية، فقد استعملوها مطية لتطوير عالمهم الفكري والثقافي، مع الحفاظ على هويتهم وهوية لغتهم عند متابعتهم وقرائهم من شعوب أوروبا، ثم استعملوا اللغة العربية لضرب أهلها بها، وقد نحا المستشرقون في ذلك ثلاثة مناحي هي:

### المنحى الأول: نشر مفاهيم التعالي اللغوي:

مثلا نجد بعض شعوب العالم تتعالى بجنسها وأفضليته على الأجناس الباقية، نجد هذا التعالي حاضرا في المقام اللساني، بعض المستشرقين مثلا والذين نصبوا أقلامهم للكتابة عن تاريخ اللغة العربية عند شعوب المنطقة المغاربية لم يستطيعوا أن يخفوا هذا التعالي، فتجدهم يكتبون عن لغة الساكنة الأصلية للشمال الإفريقي بنوع من التحقير، فيصفون "لغة البربر" بأنها ذات أصل مجهول<sup>(٢٤)</sup>. ولما حمل الفاتحون المسلمون (الدخلاء في نظرهم) اللغة العربية معهم، وحلّت محلّ لغة البربر في أغلب بلدان الشمال، وجدناهم ينظرون إليها بانتقاص ويكتبون عنها بتشويه.

ولنتخير لإثبات قولنا كتابا موجها إلى القارئ الأوروبي عامة والفرنسي خاصة وهو كتاب "إفريقيا الشمالية تسير" للمستشرق الفرنسي "شارل أندريه"<sup>(٢٥)</sup> الذي نعت - تحت عنوان: "الإسلام المغربي"<sup>(٢٦)</sup> والوحدة العربية - "الفتح الإسلامي ب: "الفتح العربي" إيهاما لقارئ التاريخ أن القادة الفاتحين في تلك الأثناء لم يكن همهم الدعوة والدين أو الجهاد وتوطين الإسلام، بقدر ما كان نشر اللغة العربية وتحذيرها، ولو كان نعتة صحيحا لم يُنقل لنا في تاريخه حدثا واحدا يبين أن الجنود العرب حملوا الناس قسرا على ترك لغاتهم، أو استأصلوا بالقوة لغة القبط في مصر، أو البرابرة في باقي بلدان المغرب؟؟ ولكن فكرته تقوم من جهة على ضرب الإسلام من خلال لغة الفاتحين، بتقزيم حجم عالميته وزمنيته (أي جعله مقتصرًا على شبه الجزيرة العربية في فترة زمنية معينة) وضرب اللغة العربية من جهة ثانية من حيث تعلقها به، واتهامها بالانفصام عن باقي مناحي الحياة، وهذا ما نلمسه في قول ذات المؤلف: "إن اللغة العربية لغة دين، فلا يمكن لها أن تفي بحاجات التعبير عن التفكير العصري لأنها صالحة للتعبير عن التعاليم والأوامر الدينية أكثر منها لمجارات دقائق المنطق وارتباط معانيه"<sup>(٢٧)</sup>.



وسبب هذا التعالي شعوري بالدرجة الأولى ينطلق من الاهتمام بأمر الإسلام كدين استطاع أن يرسم لغته على الألسن في ظرف قياسي، يقول "فوك": "هو الاهتمام المتأجج الذي أظهره الباحثون في فرنسا مع مطلع القرن تجاه أقطار شمال إفريقيا، والانشغال بالإسلام ودوره التاريخي دفعة قوية"<sup>(٢٨)</sup>.

كما أن سببه فكري بدرجة أقل، ف: " فليب حتي"<sup>(٢٩)</sup> يرى أن التحضر الفكري والتمدن الثقافي هما معياري التأثير الديني واللغوي، وذلك يعكس تأثير الإسلام على شعوب إفريقيا الشمالية، كما لم تؤثر فيها الديانات واللغات السابقة، ويثبت ذلك بقوله: " لم تؤثر الحضارة الرومانية ولا البيزنطية في الشعوب الأصلية تأثيرا محسوسا لأنها كانت أجنبية وغريبة عن عقلية أهالي إفريقيا الشمالية من البدو وشبه البدو، والظاهر أن الإسلام كان له تأثير خاص في الشعوب التي في مستوى البربر الثقافي، فما أسرع ما استطاع العرب الساميون توثيق عرى الاتصال بأبناء عمهم الحاميين (يقصد البربر) وكما أن الإسلام في أواسط آسيا عرب الأقوام لغة ودينا كذلك فعل الآن في الأقوام البربرية، وهكذا اغتنى دم المسلمين الفاتحين بامتزاجه بدماء جديدة، وتسنى للغة العربية مجال واسع للانتشار، وتوطدت قدم الإسلام وأخذت تتدرج في معارج الرقي نحو السلطة العالمية الشاملة"<sup>(٣٠)</sup>.

ونقل أيضا المؤرخ أبو القاسم سعد الله رحمه الله عن المستشرق "برنيه" قوله في مقدمة كتابه "المجموعة العربية": "أن العربية غنية فقط بأشكال الكلمات وتنوعها والمترادفات، وأنها بعيدة أن تقدم في حالتها الحاضرة وربما في المستقبل الطاقة والسهولة التي تقدمها اللغات الأوروبية ولاسيما الفرنسية"<sup>(٣١)</sup>، ولا ندري على أي أساس يصف مثل هؤلاء المستشرقين اللغة عموما بالغنى والفقر، هل على أساس الانتشار الجغرافي، أو الإنتاج الثقافي والعلمي، أو الكثافة السكانية المتكلمة بتلك اللغة...؟؟ إن مثل هذه الاستنتاجات تبني على أسس واهية لا مجال لها من الصحة، يقول العالم اللغوي الأمريكي "ماريو باي": " إنه ليس حكما ذا قيمة أن تصف لغة ما بأنها تحتل مكانا عمليا عظيما أكثر من غيرها إذا أخذت في

الاعتبار العوامل الموضوعية المحققة مثل عدد السكان، وليس حكما ذا قيمة أن تدعي أن لغة تفوق غيرها ثقافيا إذا كانت ثمرات الثقافة تتحقق بصورة واضحة في شكل نتاج عقلي أو أدبي وعلمي، وليس حكما ذا قيمة أن تدعي أن شكلا معيناً من أشكال اللغة تستخدمه الجماعة كلها، ويجري على ألسنة الطبقة المثقفة، أن تدعي أنه أفضل من شكل آخر يتصف بالـ"محلية"<sup>(٣٢)</sup> إن هذه الأسس تخضع لتغيرات مختلفة، ولعوامل تاريخية تنعكس على اللغة فتجعلها في الصدارة أو في القهقري، كالاحتلال الذي يفرض لغته على الشعوب، ثم يدعي أنها ذات قيمة بالنظر إلى اتساع الرقعة الجغرافية، أو زيادة عدد المتكلمين في مستعمراته.

#### المنحى الثاني: إصاق معنى "التخلف" بلغة الفتح الإسلامي:

لا نستغرب حين نقرأ لبعض المستشرقين هتافهم لحركة القوميات النائرة ضد الخلافة العثمانية، خاصة " القومية العربية" وتشجيعهم لها، ذلك لأنهم يريدون التأسيس لفكرة: "اللغة العربية الجديدة" في العالم الإسلامي، بما في ذلك الشمال الإفريقي، لسلبه من اللغة العربية الأصيلة التي حملها إليه الفاتحون المسلمون، من شبه الجزيرة العربية. ولا بد أن نعلم أن بعض المستشرقين قام بإدخال هذه اللغة إلى مختبره لإنتاج لغة عربية محاكية، على غرار ما فعله " دي ساسي"<sup>(٣٣)</sup> الذي أراد أن يضع لها تصورا بعد ما عاجلها بأسلوب أوروبي بحسب القواعد المتبعة للنحاة العرب<sup>(٣٤)</sup>، ولا ندري هنا ما هو الأسلوب الأوروبي، ولكن نجزم أنه غير الأسلوب الأوروبي على أرض الواقع الإفريقي كما سيأتي. إن "فليب حّي" يرى أن تعرض دول المغرب العربي إلى الاحتلال (الذي يسميه عوامل أوروبية) ساعدها في تحولها النوعي نحو المدنية عن طريق القومية: " والواقع إن تعرض العرب للعوامل الأوروبية الغربية وما نتج عن ذلك من الوعي القومي هو أكبر حدث في تاريخ الشرق العربي في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وإذا صح الاستنتاج بالقياس على

الأحداث التي تلت القرن التاسع فسيتلو هذا الدور الذي يجتازه الشرق العربي اليوم دور إبداع وابتكار يقوم فيه أبناء العربية بقسطهم من خدمة المدنية والإنسانية<sup>(٣٥)</sup> وكذلك يرى أندريه " أن دعاة القومية الذين حملوا على عاتقهم تطوير اللغة العربية في الجامعات العلمية خاصة مجمع القاهرة، تمكنوا من بعث لغة جديدة فيها نوع من المرونة جعلها صالحة للإفصاح عن المشاكل الثقافية والاجتماعية والسياسية للعصر الحاضر، وذلك باشتقاق كلمات جديدة من أصل عربي بحت، فانتشرت هاته اللغة عن طريق الصحافة، وأكسبت العالم الإسلامي لغة راقية مألها إقصاء اللغات المحلية، فأصبحت لهذا السبب أداة سياسية ولغة إمبراطورية يؤدي انتصارها إلى تشكيل مرحلة نحو الغاية التوحيدية... فإنها فيما نظن أمتن صورة للوحدة العربية<sup>(٣٦)</sup>.

ونرد على ذلك بشذر من مقارنة أجراها الدكتور "إبراهيم عوض" - على هامش ما كتبه "فليب حتي" عن فتح عمرو بن العاص لمصر<sup>(٣٧)</sup>، وغزو "نابليون" لها أي بين الفتح الإسلامي والغزو الفرنسي، حين وقف على مسألة اللغة العربية فقال: " أما عمرو فنجح في فتحه لمصر، التي اعتنقت الإسلام، وتبنت اللغة العربية وثقافة العرب والمسلمين، وتخلت تماما عن لغتها وثقافتها بمحبة واقتناع، تحولا مع الزمن إلى عشق ووله، حتى بزّت مصر في ذلك بلاد العرب نفسها... في المقابل نجد ثلاثة من أكابر قواد فرنسا؛ بل أوروبا كلها يفشلون فشلا ذريعا في مجرد البقاء في مصر، فضلا عن طبعها بالطابع الفرنسي لغة وثقافة وديننا إلى الأبد كما حصل في حالة الفتح الإسلامي<sup>(٣٨)</sup>.

### المنحى الثالث: العربية ونفي الوحدة:

إن اللغة العربية والدين الإسلامي ليسا هما السببان في وحدة شعوب الشمال الإفريقي، هذا ما نستخلصه من سياق كلام "أندريه" - وهو يتحدثنا عن لغة البرابرة وكيف حافظوا عليها تاريخيا: "...وحافظت على كيانها أمام الفينيقية واللاتينية وحتى العربية، وبقيت لحد

الآن في كامل المغرب<sup>(٣٩)</sup>، بنسب متفاوتة.. ووحدة البرابرة لم تكن بسبب اللغة؛ ولا بسبب الدين، الذي لم تتأثر به ديانتهم الصلبة، التي حافظت على نفسها أمام تأثير العبادات المختلفة بما في ذلك الإسلام، بل كانت وحدتهم بسبب نفوذ الرئيس وقوته<sup>(٤٠)</sup>، هذه الديانة الصلبة واللغة المجهولة - عند أندريه - وحدت البرابرة ضد الإسلام ولغته، لذلك نجد كثيرا من المستشرقين يكتبون باستفاضة عن مقاومة سكان الشمال الإفريقي للفتح الإسلامي، ليبينوا أن هذا الدين وهذا اللسان فرضا في آخر المطاف رغما.

يقول أحد المستشرقين الإسبان: " كان وجود الإسلام في البحر المتوسط خلال القرون الوسطى كلها تقريبا يعود إلى العنصر العربي، وهو العنصر المكون الأقدم والأكثر ديناميكية، أما البربر الذين سيكون لهم وزن كبير في التاريخ الإسلامي للمغرب وإسبانيا نفسها، فقد تمثلتهم العروبة وبعد مقاومة عنيفة في بادئ الأمر تقبلوا الحضارة العربية الإسلامية ونشروها"<sup>(٤١)</sup>.

وفكرة اللغة الأصلية واللغة الدخيلة لا تندرج عند "أندريه" ومن على شاكلته من المستشرقين - الذين دثروا بحوثهم التاريخية بديثار الحقد - ضمن الإثباتات التاريخية المنتمية إلى معرفة تاريخية للغة في المنطقة، ولكن تدخل في مجال الحقد على الإسلام، هذا الدين الذين جاء ليلغي الفوارق الاجتماعية الطبقية والعرقية واللونية واللسانية، تحت شعار: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ ولغة الفاتحين هي لغة القرآن الذي جاء ليذيب هذه الفوارق في قوله: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ فحيثما حل الإسلام رأينا الناس قاصيهم ودانيهم يتوحدون تحت رايته، وحتى وإن كانوا ذميين باقين على دينهم.

إن مثل هذه الكتابات التاريخية المليئة بفصول "الأصيل والدخيل" تنصرف عن جادة الحقائق العلمية الموضوعية إلى الدعاية للنعرات وإثارة مكانم الفرقة بين الشعوب. يقول الأستاذ "البهي": " وإذا ترك أصحاب الدراسات الإسلامية من المستشرقين دائرة شرح المبادئ الإسلامية بما يحرفها ويشوه هدفها، فإنهم يتركونها إلى جانب آخر رئيسي في الحياة الإسلامية وفي

صلات المسلمين بعضهم ببعض، إنهم يتكون هذه الدائرة لينتقلوا إلى مجال العلاقات بين الشعوب الإسلامية، ليدكوا الفرقة القائمة وليثيروا أسبابا أخرى للقطيعة وعدم الاتصال<sup>(٤٢)</sup> إنهم يعلمون علم اليقين أن ألسن الشمال الإفريقي كانت شتاتا، فلما جاء الإسلام وحد شملهم بلغة القرآن، والقضاء على اللغة العربية هو القضاء على القرآن.

#### المطلب الثاني: التأثير المباشر:

ونقصد هنا التأثير على اللغة العربية من خلال العمليات الميدانية التي أنيطت بالمستشرقين، بالمؤازرة مع التواجد الاستدماري في المنطقة المغاربية، ومن هذه العمليات:

#### أولا: الاستطلاع والاستكشاف:

لقد كان اهتمام أوروبا بالشمال الإفريقي سابقا لاحتلاله بعقود، ذلك لأنهم كانوا يرون فيه المكان الأقرب الذي يدّر عليهم خيراته الظاهرة والباطنة. "فالإدارة الاستعمارية الفرنسية اهتمت اهتماما بالغا بدراسة تاريخ المغرب القديم، كان ولاية الجزائر والمقيمون العامون في تونس والمغرب الأقصى يعتنون شخصيا بالحفريات"<sup>(٤٣)</sup> ودأب المستشرقون منذ نزولهم المنطقة المغاربية قبل المختل أو معه على القيام بدورهم الاستطلاعي، وكان على رأس هؤلاء المستشرقين "الفرنسيون".

يصف " يوهان فوك" المستشرق الفرنسي " رينيه باسيه" (١٨٥٥، ١٩٢٤م) بتنوع ثقافته، وبخبرته، من خلال صولانه وجولانه في ربوع المغرب العربي مستكشفا للغة العربية، وقد خبر البلاد والعباد جراء القيام برحلات واسعة النطاق في شمال إفريقيا، ونظرية في مجال اللغة البربرية، سرعان ما انتزع زمام القيادة للعمليات الاستكشافية في المستعمرات الفرنسية انطلاقا من الجزائر، إن هذا العمل الاستكشافي الذي سجل معظمه في عدد من الدوريات، وجاء نشره بقرار من مؤتمر المستشرقين السادس عشر في مدينة الجزائر في البعثة العلمية إلى

تونس عام ١٩٠٥م، ضاعف في المقام الأول في معرفة الطلائعيين، لكن علم اللغة والأدب لم يخرجها منها خالبي الوفاض أيضا<sup>(٤٤)</sup>.

ولم يكتف الفرنسيون باستكشاف اللغة البربرية والعربية فقط بل تعدوها إلى اللهجات العامية، وفي هذا المجال أسهم "وليام ماركيز" بعرضه الخاص باللهجة التلمسانية بشكل لم يسبق له نظير<sup>(٤٥)</sup>.

ومن هؤلاء المستكشفين<sup>(٤٦)</sup> أيضا: "فريدريك كيرهاردت رولفس" الذي رحل إلى الجزائر حيث تعلم اللغة العربية، وعاد إلى المغرب سنة ١٨٦١م، وسنة ١٨٦٢م التحق بطرابلس عن طريق غدامس وعين صالح<sup>(٤٧)</sup>.

وقد كان هؤلاء الرحالة والمستكشفون يقدمون تقاريرهم عن رحلاتهم لإدارة المحتل، أو ينشروها في كتب، مثل قيام "أوسكار لينس" بنشر مغامراته في الشمال الإفريقي في كتاب بعنوان: "رحلة من مراكش إلى السودان" المطبوع سنة ١٨٨١م، مطالبا باحتلال البلاد، وترجم الكتاب إلى عدة لغات منها الفرنسية<sup>(٤٨)</sup>.

### ثانيا: التكوين والصناعة اللغوية الجديدة:

قبل الولوج إلى حيثيات هذا العنصر، وجب أن نقوم بإطلالة ولو مقتضبة عن حال اللغة العربية في البيئة المغاربية، يصف المؤرخ وعالم الاجتماع "ابن خلدون" (١٣٣٢، ١٤٠٦م) حالة تعليم الولدان (الصبية) فيقول: وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبي عليه ما يحصل بعد من الملكات، فأما أهل المغرب ومن تبعهم من قرى البربر فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارس بالرسم ومسائله<sup>(٤٩)</sup>، ومعنى ذلك أن الصبية كانوا يدرجون في سنوات عمرهم الأولى على لغة القرآن، ويتعلمون كتابتها، دون سواها من المعارف والعلوم، وهذا يكسبهم ملكة لسانية قويمية.

وقبل التواجد العثماني بالمنطقة كانت هناك حركة علمية ثقافية مست الجوانب المختلفة من تفسير وقراءات وحديث وفقه ولغة وتصوف وغيرها، كما تصف كتب التاريخ المغربي حالة من الاحتكاك الثقافي بين طلبة العلم والعلماء من المغرب والمشرق، وبين الدول المغربية بعضها ببعض، ولا ننس في هذا المقام التلاقح العلمي بين القرويين وجامع الزيتونة حتى نهاية القرن التاسع عشر<sup>(٥٠)</sup>. ولا بد أن اللغة العربية لعبت دور المحور لهذه الحركة الثقافية والتواصل العلمي، وكانت علوم اللغة العربية بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر الميلادي من نحو وصرف وبلاغة وبيان وعروض، ومن فنون الشعر والنثر والخطابة، تعرف في هذه الفترة إقبالا من طرف الأهالي والعلماء، يتذوقونها ويتشربون من معينها الذي لا ينضب، وقد ألفت في هذه الفنون مؤلفات كثيرة لعلماء من بلاد المغرب الإسلامي، لا يسعنا المقام لذكرها<sup>(٥١)</sup>.

وهذه "العربية" التي ذكرناها هي لغة الخواص (العلماء وطلبة العالم) ولغة الدوائر الرسمية، أما لغة التواصل بين المجتمعات المغربية فكانت "العامية" أو "الدارجة" وهي تختلف اختلافا طفيفا عن بعضها البعض من منطقة إلى أخرى، ويذكر: "أن العامية الجزائرية كانت من أقرب اللهجات إلى العربية الفصحى، ونقول ذلك من دون تحكيم للعاطفة ومن دون غرض وانحياز، ولو جعلنا لها علامات الإعراب لصارت عربية فصيحة... والحاصل أن الفصحى هي وحدها العمدة في الآداب والفنون والأدب الشعبي".<sup>(٥٢)</sup>؛ كما يُذكر أن المدن الساحلية كانت تعتمد على لهجة تكاد تكون دولية<sup>(٥٣)</sup>.

وهناك مستشرقون كثر اهتموا بهذه اللهجات في فترة الاحتلال، وألفوا فيها المؤلفات، يبرز من بينهم: "ديمومبين"<sup>(٥٤)</sup> الذي ألف: "متن اللهجة العربية المراكشية، بالاشتراك مع لويه مارسويه"، والمستشرق "دومباي"<sup>(٥٥)</sup> الذي ألف كتاب: "نحو اللغة المغربية العربية مع استعمالات اللغة العامية (١٨٠٠م)، و" فيشر"<sup>(٥٦)</sup> الذي كان أكثرهم تأليفا فكان من

منتجاته: "مخارج الأصوات في اللهجات العربية" و"زمام الغناء المطرب من النظم السائر في أقاصي المغرب" (١٩١٨)، و"معجم اللغة العربية القديمة، ولهجات المغرب" (١٩٠٩ م). وقد عمل المستشرقون أيام الاحتلال على إيجاد لغة "ضرة" للغة المغاربية، أو بالأحرى صناعة لغة تبنى على أنقاض اللغة التقليدية (لغة الفتح الإسلامي) وهذه الصناعة تتمحور حول ثلاثة أشياء:

#### أ/ صناعة الترجمة:

ذكر أبو القاسم سعد الله<sup>٥٧</sup> رحمه الله: أن فرنسا بدأت بتجنيد فرقة من المترجمين لمرافقة الحملة على الجزائر، أطلق عليها فرقة "المترجمين العسكريين" وهؤلاء من بقايا المترجمين من حملة نابليون الفاشلة على مصر، ومنهم رجال "مشاركة" من مصر وسورية، ورجال "أوروبيون" من فرنسا وغيرها، وبعضهم كان تلميذا لـ: "دي ساسي" عميد مدرسة اللغات الشرقية، الذي صاغ البيان الفرنسي للجزائريين، ومنهم "شارل زكار" الذي وزع البيان على الجزائريين، و"جورج غروي" و"إبراهيم دنينوس" الذي أصدر معجما في اللغة العربية، وزعه على الضباط الفرنسيين<sup>(٥٧)</sup>.

ومن هؤلاء الأوائل من أعد طاقما من المترجمين العسكريين الذين لعبوا دورا فاعلا لدى احتلال الجزائر فيما بعد، وكوّن منهم معربين بارزين في صف الجيش الفرنسي، مثل: "لاموريس" و"بيليسي دي رينو" و"دوماس"<sup>(٥٨)</sup>.

#### ب/ صناعة الأقلام اللغوية:

وأصحاب هذه الأقلام إما دُفعوا للكتابة بغير العربية، وإما دفع لهم ليكتبوا بلغة المختل، فمن الواضح والمعروف أن المفكرين العرب انقسموا أمام المدّ الاستشراقي أحزابا وشيعا، منهم الراض له والمنتفض ضده، ومنهم المصنّف الذي قبل المنصف ورفض المححف منه، ومنهم



الداعي إليه الداعم له، ومن هذا الفصيل الأخير "الحداثيون" الذين تأثروا بحضارة الغرب تأثراً بالغاً، وهؤلاء كما قبلوا الاستشراق، قبلوا أيضاً قوالبه وأفرغوا فيها نزوحهم ونزوعهم نحو حضارة المحتل: فكراً وفلسفة وفناً وشعراً ونثراً وإعلاماً...

إن أرمدة المستشرقين الذين حملهم "بونابارت" في حملته لم تكن مهمتهم فقط الاستكشاف والترجمة والتأليف والنقل إلى أوروبا، ولكن أسندت إليهم أيضاً مهمة أخرى وهي مهمة "الاختيار والتكوين" داخل مصر وخارجها؛ أي اختيار النخبة من أبناء مصر وإصباغهم بالصبغة الأوروبية، فأخرجوا فيما بعد طبقة من اللغويين والأدباء توصف " بإجادة اللغة العربية ولكنها تكتسب ثقافتها ومعرفتها عن العالم بالإنجليزية أو الفرنسية"<sup>(٥٩)</sup> فحولوا عن طريق اللغة ثقافة الآخر إلى بني جلدتهم لا ليأخذوا منها ما صفا ويتركوا ما كدر، ولكن ليوطنوها فيهم تحت إطار الحدائثة<sup>(٦٠)</sup> والتحديد والعصرنة.

ويمكن لنا أن نحدد فترة انطلاق حملة الحدائثة وزحفها على الشمال الإفريقي من مصر في فترة "محمد علي باشا" (١٨٠٥، ١٨٤٨م) الثائر على السلطة العثمانية والمؤسس لمصر الحديثة!! ونسجل شهادة المستشرق الألماني "بروكلمان"<sup>(٦١)</sup> إذ يقول: " وليس من شك أن إقبال " محمد علي" على الحضارة الأوروبية قد أدى إلى ازدهار حركة النقل والترجمة، فما لبثت أن ظهرت الروايات الفرنسية التي ترجمت في الأعم الأغلب من غير تحجير، فسيطرت على ذوق الجمهور، وترجمت الإلياذة من طرف سليمان البستاني، وفي النشر القصصي سادت روايات الأديب جرجي زيدان... وفي ميدان الصحافة نشأ أسلوب نثري جديد اصطنعه السياسيون الذين ظهروا في ظل الحكم البريطاني وسيلة للدعاية لهم، ومن هؤلاء السياسيين قاسم أمين"<sup>(٦٢)</sup>.

وفي المغرب ظهر في هذه الفترة عدد من الكتاب الذين نشروا روايات ومسرحيات وقصائد بالفرنسية، في الجزائر، واستخدم مؤلفوا جيل ١٩٥٢ - مثل كاتب ياسين ومولود

معمري ومولود فرعون – امتلاكهم للغة الفرنسية ليكشفوا عن مشاكل التحرر الشخصي والهوية الوطنية<sup>(٦٣)</sup>.

### ج/ الصناعة اللغوية المسرحية والسينمائية:

أدرك المستشرقون أن المسرح والسينما كما أنهما وسيلة تلهية للشعوب عن قضايا أوطانها المركزية، هي أيضا وسيلة مهمة لتغيير اللسان العربي والتأثير فيه، وزرع ألفاظ دخيلة عليه، فأوعزوا لتلامذتهم القيام بهذا الدور، ينقل لنا "بروكلمان" هذه الحال فيقول: "...ومثلت على خشبة المسرح في مصر التمثيليات الفرنسية ذات الأسلوب الخفيف، وإن لم يعدم المسرح محاولات لتقديم المآسي الفرنسية الكلاسيكية إلى جمهور النظارة، وقد قام "عثمان جلال" بمثل هذه المحاولة ولكنه ما لبث أن ولى وجهه شطر ملاهي موليير ليعدل موضوعاتها تعديلا بارعا ابتغاء جعل الملاهي سائغة في نفوس مواطنيه، والواقع أنه ابتدع في عمله بدعة جديدة فاصطنع اللهجة العامية، بدلا من الفصحى التي كانت لا تزال سائدة المسرح المصري سيادة مطلقة"<sup>(٦٤)</sup>.

وساعد في رواج اللغة الجديدة دور السينما وبروز الراديو في الساحة المغاربية، "...وكانت الأفلام الأمريكية تلقى نجاحا كبيرا، وكذلك كانت الأفلام الفرنسية في المغرب، كما كان العصر عصر المذياع، وقد تم استيراد أجهزة الراديو على نطاق واسع في سنوات الأربعينيات والخمسينيات، وفي عام ١٩٥٩م كان في مصر ٨٥٠.٠٠٠ جهاز، ونصف مليون في المغرب، وكل جهاز ربما يسمعه عشرات الأشخاص في المقاهي"<sup>(٦٥)</sup>.

وبعض البرامج المتكررة، والتعود على سماعها، كلها تؤسس لمصطلحات إعلامية جديدة دخيلة على اللغة العربية.

## ثالثا: الاتصال، الإحلال، والاستئصال:

كانت مهمة المستشرقين اللغوية أثناء الاحتلال ثلاثية الأبعاد، وهي ممنهجة على الترتيب الآتي:

## أ/ الاتصال:

وظيفة اللغة الأساسية هي التواصل، وقد أدرك المحتل أن الإحاطة بلغة البلاد المحتلة يسهل معرفة الناس والاتصال بهم، خَلَفَ "بريسون" "دي بوسي" في الإدارة المدنية بالجزائر سنة ١٨٣٦، وقد سارع بكتابة رسالة إلى المفتش العام للتعليم جاء فيها: "...أن مهمة فرنسا في الجزائر تتوقف على دراسة العربية والتوسع فيها، وذلك لمعرفة الأهالي والاتصال بهم... إن الإدارة تخطط ألا تقبل في المستقبل في هذه الوظائف إلا الأوروبيين الذين يعرفون العربية والفرنسية معا"<sup>(٦٦)</sup>.

ولم يكن هذا نظريا فقط؛ بل عمل بعض المستشرقين على ذلك ميدانيا مثل "لين أدوارد وليم" (١٨٠١، ١٨٧٦م) وهو مستشرق إنجليزي، سافر إلى مصر، وعني بتعلم اللغة العربية الفصحى واللهجة المصرية، فأتقنها إتقانا تاما واختلط بعامة الأهالي مما جعله أقدر على دراسة أحوالهم وطباعهم وعاداتهم، ولهذا نفذ إلى طباع المصريين وأخلاقهم وعاداتهم على نحو لم يبلغه أحد من المستشرقين قبله ولا بعده، فتمحض ذلك عن وصف لمصر وشعبها وآثارها"<sup>(٦٧)</sup>.

وقام المحتل بتعليم الضباط ومن سيتولون زمام الإدارة المدنية اللغة العربية، واستعمل المستشرقين كمعلمين وأساتذة لهم، واتفقوا من البداية على هدف تعليمها، يقول أحد المستشرقين الفرنسيين: "لقد كان على السادة الجدد أن يستعملوا اللغة العربية في الإدارة وفهم السكان، ولا يمكن مطالبة المنهزمين (يقصد الأهالي) بتعلم لغة الغزاة فورا، ونجعلهم يتذوقون تحسيناتنا ويتعودون على اعتبارنا كحماة لمصالحهم وممدّنين لبلادهم، وليس كغزاة"

ولا يعني ذلك سوى أن تعلم اللغة العربية كان من أجل التعايش السلمي الذي يطمح له الغزاة الأوروبيون.

يلق المؤرخ "أبو القاسم سعد الله" رحمه الله، فيقول: "بالإضافة إلى أن نشر اللغة العربية كان يعتبر وسيلة قوية للتقارب بين الأعراق، بإقامة علاقات مع الأهالي والتعرف أكثر على الشعب، والتعرف على حاجاته ورغباته وآلامهم، ويدخلونهم بالتدرج إلى عالم أفكارهم وحضارتهم"<sup>(٦٨)</sup>.

#### ب / الإحلال:

لقد خرج الاحتلال في فترات تواجهه ببعض المستعمرات بتجربة لا يستهان بها جراء تعامله مع لغات هذه الشعوب، سواء العربية أو غير العربية، مثلاً: "الحملة الفرنسية على الجزائر وقعت بعد ثلاثين سنة من الحملة على مصر، وهي الحملة التي تركت بصماتها على الشرق وجعلت الاستشراق الفرنسي ينشط في تحقيق ما عجز عنه الجيش، والفرنسيون استفادوا في الجزائر من تجربتهم في مصر من عدة نواح وخصوصاً فيما يتعلق باللغة العربية"<sup>(٦٧)</sup>.

وقد أسندت مهمة التدريس في البلاد المغلوبة إلى المستشرقين البارزين في اللغة العربية والمتقنين لها، وكانت تعيّنهم الإدارة العسكرية إما من خلال فرض كفاءتهم في الواقع كما حدث مع "جوني فرعون" الذي يعتبر أول من عهد إليه تدريس اللغة العربية في الجزائر كأول أستاذ لها<sup>(٦٨)</sup>، أو من خلال "هيئات باريس" مثلما حدث مع "لويس جاك برينير" وهو من أهم تلامذة "دي ساسي" الذي أوفد باقتراح منه، إلى الجزائر سنة ١٨٣٥م، بحيث طبق فيها طريقته لتعليم اللغة العربية"<sup>(٦٩)</sup>.

وقد وضع للمتعلمين الأوروبيين استعمالاً زمنياً أسبوعياً، فتلامذة "برنيه" يتابعون حصصهم حسب التقسيم الآتي: ثلاثة حصص للتربية على العربية الدارجة، وحصّة للنحو

والإملاء والأسلوب، وحصّة لشرح نصوص عربية أدبية وعلمية، وحصّة لترجمة الرسائل والنصوص الرسمية والكتابات المتداولة، وفي هذا النطاق ألف مجموعة من الكتب معظمها موجه لطلابه، وبعضها بقي مرجعا لمدرسي العربية من المستشرقين حتى بعد وفاته<sup>(٧٠)</sup>. والملاحظ هو تتابع جيلين أو ثلاث يرتبط بعضهم ببعض ارتباط المعلم بالمتعلم منذ البدء في تدريس العربية، خاصة في البلاد التي طال فيها أمد الاستعمار كالجائر، فكلية اللغات فتحت بهذا البلد في عام ١٨٩٧م، وفيها عمل "رينيه باسيه" منذ عام ١٨٨٢م، أستاذا ثم مديرا لها<sup>١</sup>، جاء "ليني بروفنصال"<sup>١</sup> والمولود في مدينة الجزائر العاصمة سنة ١٨٩٤ وهو من أشهر تلامذة "باسيه"، وقد انتقل بعد ذلك إلى المغرب الأقصى وعين أستاذا بمعهد الدراسات العليا المراكشي، وكان له تلامذة بها<sup>(٧١)</sup>، حملوا على عاتقهم تنفيذ المشروع الاستشراقي بالمنطقة.

### ج/ الاستئصال:

رغم ما ذكرنا آنفا من أن المجتمعات في الشمال الإفريقي كانت على قدر وافر من الثقافة، إلا أن بعض المستشرقين يشوهون الحقائق، ويصورون في كتاباتهم حال الجهل والتخلف والبداءة التي كان عليها الناس، مثلا يقول "بروكلمان": " ففي الجزائر وتونس لم يوفق العرب إلى أن يبلغوا مرتبة أسمى، في دنيا الفكر، على الرغم من التعليم الابتدائي الذي يقدمه لهم الفرنسيون، كذلك عجز مسلمو شمالي إفريقيا عن النهوض بعبء النضال الفكري ضد الحكم الأجنبي<sup>(٧٢)</sup>."

يذكر " ألبرت حوراني" أن نسب الأمية بين الإناث التي كانت أكثر من الذكور بالطبع!، ففي مصر كانت ٩٤٪ منهن أميات سنة ١٩٣٧م، و٨٣٪ عام ١٩٦٠م، وفي معظم البلدان الأخرى كانت أشد سوءا، وفي تونس كانت ٣٠٪ من البنات في العمر المدرسي يذهبن إلى المدرسة عام ١٩٦٠م، وكانت حصّة البنات في التعليم الثانوي والعالي

أقل من ذلك...<sup>(٧٣)</sup>، وهذه الحال التي يذكرها أمثال هؤلاء المستشرقون تخالف الحقائق التاريخية الصحيحة كما ذكرنا.

لقد كان الهدف كما رأينا في عنصر "الإحلال" تعليم الأوروبيين "المعمرين" اللغة العربية حتى يكونون أدرى بواقع البلاد المحتلة وأقرب إلى أهلها، وبالموازاة عمل المحتل على استئصالها من الأهالي، وهذه المفارقة العجيبة لا شك وأن المستشرقين كانت لهم اليد الطولى في التخطيط لها والتنفيذ، جاء المستدمر ليكسب الشعوب المحتلة لغته، لنقل ثقافة أوروبا إلى الشمال الإفريقي، وللأسف نجد هذه الحقيقة التاريخية ماثلة في تاريخ الجزائر الثقافي، خطب الدوق "دو روفيقو" قائد جيش الاحتلال قائلا: "أن الجزائر لن تكون فرنسية فعلا إلا إذا أصبحت فيها لغتنا الفرنسية هي السيدة وانتشرت فيها الفنون والعلوم التي شرفت بلادنا"<sup>(٧٤)</sup>.

وإذا أردنا أن نحيل القارئ الكريم على مدى التأثير السلبي على اللغة العربية في المجتمعات المغاربية، وجب أن نستعرض ما تركه المحتل في ألسنتنا من ألفاظ لغته التي لا نستطيع استئصالها؛ نتكلم هنا عن لغة التواصل اليومي، فلا نزال نقول مثلا عن المصباح: "لامبة" (lampe)، وعن الطاولة "طابلة" (table)، عن القلم الجاف ستيلو (stylo)، وعن المحفظة: كارتابل (cartable)، وعن البناء: ماصو (mason)، ولا نزال لغة المحتل في الدوائر الرسمية، وفي كتابات المؤلفين وهم يخاطبون مواطنيهم وأبناء جلدتهم، وفي الجرائد اليومية... وغيرها.

لقد تغلغت اللغة الفرنسية على أوسع نطاق في بلاد المغرب العربي، وحققت ما لم تحققه الإيطالية، أو الإسبانية، أو الإنجليزية، ذلك لأن آماذ فرنسا طالت في هذه البلاد فكثرت أمداد لغته، وتجدرت، وهذا باعتراف المستشرقين أنفسهم، وكأني بهم يحتفون بذلك، يقول أحدهم: "أما في المغرب حيث حضور العديد من السكان الذين يشرفون على الإدارة وعلى الاقتصاد فقد دخلت اللغة الفرنسية في الوسط الشعبي بعمق أكبر مما حققتة في المشرق العربي، واعتبرت الحكومات المستقلة أن ازدواجية اللغة تشكل جزءا من رأسمالها

الثقافي، وقد بذلت جهود في بعض الجامعات لتعليم كل المواد بالعربية بما في ذلك العلوم الطبيعية، لكن ذلك أثار عدة مشاكل إذ كان بالمستطاع نشر كتب تعليمية بالعربية ولكن الطالب لا يستطيع قراءة مؤلفات جامعيين وعلماء باللغات التي تحوي دراسات عالية رئيسية، وقد وجد في كل بلد بعض المدارس التي هي أفضل من سواها، تشرف عليها مؤسسات أجنبية أو خاصة تكون صفوفها أقل عددا ومعلموها أكثر كفاءة مثل مدارس التجهيز الفرنسية في المغرب ومصر حيث كان معلموها يرسلون من قبل حكومة باريس<sup>(٧٥)</sup>. يقول "ألبرت حوراني" عندما حصلت المجتمعات العربية على استقلالها<sup>(٧٦)</sup> ورثت أنواعا من المدارس بعضها عمومي وبعضها خاص وبعضها حديث وبعضها تقليدي إسلامي وبعضها يعلم اللغة العربية، وأخرى تستخدم اللغات الأوروبية، أما المدارس الإسلامية التقليدية فقد أغلقت أو اندمجت في نظام الدولة، فالجامع الأزهر في القاهرة قد أصبح جزءا من جامعة من النمط الحديث، وأصبح جامع الزيتونة في تونس مدرسة للشرعية في جامعة تونس، أما جامع القرويين في فاس فقد توقف عمليا عن الوجود كمؤسسة تعليمية<sup>(٧٧)</sup>، وذلك يميلنا إلى القول بأن شمال إفريقيا لا يزال مستعمرا لسانيا، ولا يزال في تبعية لغوية لأوروبا (إلا ما ندر)، وإن احتفلت دولة كل عام بأعياد استقلالها.

#### خاتمة:

نُخلص في ختام هذه الورقة البحثية إلى النتائج التالية:

- تعددت الأدوار الاستشراقية التي تتعلق باللغة العربية في الشمال الإفريقي:
- فقد أسند له الدور الاستكشافي والاستطلاعي قبل احتلاله، حيث تعلم المستشرقون اللغة العربية كما أتقنوا لهجات الشعوب، وانتشروا بينهم، وبعضهم قام بعدة رحلات من مصر إلى المغرب الأقصى، ثم قدموا للاحتلال تقاريرهم وخلصات دراساتهم ورحلاتهم.

- وفي اثناء الاحتلال عكفوا - من خلال تلامذتهم - على تكوين وصناعة لغة "جديدة" تختلط فيها ألفاظ العربية بالدارجة بلغة المستعمر، وذلك لتشويه اللغة العربية الفصحى وإزالتها تدريجاً، وجعلوا التأليف والصحافة المقروءة والمسموعة، والتمثيل المسرحي، والأفلام السينمائية مطية لهذه الغاية.
- كما كان له الدور الأساس واليد الطولى في ثلاثة عمليات متوازية:
  - عملية الاتصال: وتتم هذه العملية بمعرفة لغة الأهالي وغايتها دراسة أحوالهم وطباعهم وعاداتهم، وبالتالي التواصل معهم ومن ثم النفوذ إلى عقولهم ونفوسهم.
  - عملية الإحلال: وتكون بتعليم اللغة العربية للمستوطنين وبخاصة للموظفين المدنيين والضباط العسكريين، وقد عمل المستشرقون كمعلمين وأساتذة ومدراء في مؤسسات تعليم اللغة العربية.
  - عملية الاستئصال: أي اقتلاع جذور اللغة العربية من هذه الأرض، ومحو آثارها في لسان الأهالي.
- إن اللغة العربية هي المكوّن المحوري الثاني (بعد الإسلام) لهوية شعوب الشمال الإفريقي، وهي أيضاً مكون هام من مكونات تراثه وثقافته، وإذا ذُكرت الهوية انقدحت في الذهن مسألة "الأنا والآخر"، والمختلّ هو... "الآخر"، الذي يرى في هذه الشعوب من مكامن النهوض ما لا تراه في ذاتها، ويعلم من تراثها ما يشكّل قوتها، ومتيقن أن في لغتها ما يعزز وحدتها، لذلك جاء الفعل الاستشراقي إبان الاحتلال الأوروبي، لتحقيق ثلاثة أمور خطيرة:
  - تفريق شمل مجتمعات الشمال الإفريقي التي توحدت بالفتح الإسلامي، واجتمعت حول اللسان العربي.



- صرف هذه المجتمعات عن القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى ﴿يَلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾.
  - ضرب الهوية العربية الإسلامية لدى الأهالي، بإزالة العربية ثم غرس اللغات الأوروبية، لإحلال الثقافة الأوروبية مكان الثقافة العربية، والتمكين للمبادئ المسيحية والفلسفات الوضعية، عوض التعاليم السماوية الإسلامية.
- وقد نجح المستشرقون إلى حد كبير في هذه الأدوار؛ واحتفت كتاباتهم التاريخية بذلك وأشادت، وواقعا اليوم يشهد حضور ثقافة المحتل بيننا، ويشهد التواصل بلغته ضدنا، والخطاب - الرسمي وغير الرسمي - الموجه لنا بلغة الآخر، وكل ذلك يوحى بغربة اللغة العربية في بعض مناطق الشمال الإفريقي.
- نخرج ختاماً بأهم ثلاث توصيات من هذه الدراسة:
- غرس قيم الحب والاعتزاز باللغة العربية في النشء، وتخليص لسانه من شوائب الألفاظ الدخيلة، وتقويمه على اللغة العربية القحة الأصيلة، تربية وتعلّماً في الأسر والمدارس.
  - ضرورة اتجاه المتخصصين نحو تحقيق المخطوطات المتعلقة بـ: "تاريخ اللغة العربية" في القارة الإفريقية، و"تاريخ المحتل مع هذه اللغة"، وإخراج مادتها التاريخية للدارسين والباحثين والقراء.
  - ضرورة عقد ملتقيات تهتم بدراسة "الفعل الاستشراقي" الكلاسيكي والجديد تجاه اللغة العربية في دول المغرب العربي.

## الهوامش:

- (١) ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط: ١٩٩٧م، ج ٤، ص ٢٢٤٤، مادة: "شرق".
- (٢) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، تدقيق، عصام فارس الحرساني، دار عمار، عمان الأردن، ط: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، ص ١٧٠.
- (٣) عمر، أحمد مختار، بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ج ٢، ص ١١٩٢.
- (٤) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط: ٢٠٠٤م، ص ٤٨٠.
- (٥) رضا، أحمد، معجم متن اللغة العربية، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط: ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م، ج ٣، ص ٣١٠.
- (٦) المصدر نفسه، ص ١١٩٢.
- (٧) النعيم، عبد الله محمد الأمين، الاستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط: ١٤١٧هـ ١٩٩٧م، ص: ١٦، ١٧.
- (٨) المرجع نفسه، ص ١٦.
- (٩) الشاهد، "الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين"، مرجع سابق، ص ١٩٨.
- (١٠) سورة البقرة، الآية: ١١٥.
- (١١) سورة البقرة، الآية: ١١٤.
- (١٢) رودى بارت: (Rudi paret) ١٩٨٣م - ١٩٠١م: مستشرق ألماني، ولد بنواحي الغابة السوداء جنوب ألمانيا... دخل جامعة "توبنجن" تتلمذ في الدراسات العربية، حصل منها على الدكتوراه الأولى سنة ١٩٢٤م، ثم على دكتوراه التأهيل للتدريس في الجامعة... ارتبط اسمه بترجمة القرآن الكريم، فترجم القرآن الكريم إلى اللغة الألمانية... وله رسائل منها "محمد والقرآن"، "الإسلام والتراث الثقافي = اليوناني" = [بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط: ٣: يوليو ١٩٩٣م، ص: ٦٢، ٦٣].
- (١٣) ينظر: بارت، رودى، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة: مصطفى ماهر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، (د، ط): ٢٠١١م، ص ١٧.

- (١٤) زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د، ط)، (د، ت)، ص ١٨.
- (١٥) وكلمة مستشرق تعني: "كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله، أقصاه ووسطه وأدناه، في لغاته وحضاراته وأدابه وأديانه" = [حمدي زقزوق، رجع سابق، ص ١٨]
- (١٦) ينظر: الخربوطلي، علي حسن، المستشرقون والتاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، كورنيش النيل، القاهرة، مصر، (د، ط): ١٩٨٨م، ص: ١٧، ٢١.
- (١٧) "في القرنين العاشر والحادي عشر وجدت مئات من المكتبات على مدى العالم العربي، وفيها مجموعات كبيرة من الكتب، وقيل إن مكتبة بغداد في ذروتها ضمت ١٠٠٠٠٠٠ مخطوطة، وبمقارنة ذلك لم يكن في السوربون سوى ٢٠٠٠ مخطوطة في القرن الرابع عشر، وهو الرقم نفسه تقريبا الذي كان في مكتبة الفاتيكان في روما خلال الفترة نفسها"، ويعرف الأستاذ "الشاهد" حركة التأليف التي زاولها المستشرقون: "بأنها الكتابة المستقلة التي تستقي مادتها العلمية مباشرة من المخطوطات في أول الأمر مثلما كان في القرن السابع عشر، ثم بعد ذلك من الأعمال المتخصصة التي تشكل الآن الجانب الأعظم من مؤلفات المستشرقين منذ القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا" = [سكيريك، غنار، وغيلجي، نلز، تاريخ الفكر الغربي، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط ١: ٢٠١٢م، ص ٢٠٥].
- (١٨) حتى يعطوا مرونة أكثر لنشر فكرهم والتعريف بالتراث الإسلامي - بموضوعية أو تعصب - لدى الشعوب الغربية، وحتى لا تكون الدراسات حكرا على النخبة. "فقد بدأ المستشرقون في النصف الأول من القرن التاسع عشر في مختلف بلدان أوروبا وأمريكا لإنشاء جمعيات لمتابعة الدراسات الاستشراقية، فقد تأسست أولا الجمعية الآسيوية في باريس عام ١٨٢٢م، والجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا وإيرلاندا عام ١٨٢٣م، والجمعية الشرقية الأمريكية عام ١٨٤٢م، والجمعية الشرقية الألمانية عام ١٨٤٥م، وسرعان ما نشطت هذه الجمعيات في إصدار المجلات والمطبوعات المختلفة... وكانت أول مجلة استشراقية متخصصة في أوروبا هي مجلة "ينابيع الشرق" التي صدرت في فيينا من عام ١٨٠٩م، إلى عام ١٨١٨م." = [زقزوق، مرجع سابق، ص ٤٣]
- (١٩) قام المستشرقون طيلة عقود خلت بعقد المؤتمرات والندوات للتنسيق بينهم في شتى التخصصات. "تم عقد أول مؤتمر دولي للمستشرقين في باريس عام ١٨٧٣م، وتعد هذه المؤتمرات بصفة منتظمة منذ ذلك الحين، وقد بلغ عددها حتى الآن أكثر من ثلاثين مؤتمرا، هذا عدا المؤتمرات والندوات واللقاءات الإقليمية التي يرجع بعضها إلى تاريخ أقدم من تاريخ

- المؤتمرات الدولية، فقد عقد أول مؤتمر للمستشرقين الألمان في عام ١٨٤٩م، ولا تزال هذه المؤتمرات تعقد بانتظام حتى اليوم، " وتضم هذه المؤتمرات مئات العلماء، فمثلا مؤتمر أكسفورد كان يضم تسعمائة عالم من خمس وعشرين دولة، وخمسا وثمانين جامعة وتسعا وستين جمعية علمية" = [العقيقي، نجيب، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط٣: ١٩٦٤م، ج٣، ص ١١٠٣].
- (٢٠) وقد جمع بعض هذه المؤتمرات التي بلغت خمسا وثلاثين الأستاذ " مطبقاني" منذ سنة ١٨٧٣م إلى سنة ١٩٩٧م. = ينظر: [مطبقاني، مازن بن صلاح، المؤتمرات الاستشراقية الحديثة حول الإسلام والمسلمين، مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث لاستشراق، موقع: [www.madinacenter.com/post.php](http://www.madinacenter.com/post.php)].
- (٢١) يوهان فوك: (J. Fuck) " مستشرق ألماني، مولود عام ١٨٩٤م، أستاذ العربية في جامعتي لينبرج وهالة، آثاره: العربية لغة وأسلوبا، العربية فقها وأدبا، المعتزلة... وغيره" = ينظر: [العقيقي، مصدر سابق، ج٢، ص ٧٩٨].
- (٢٢) ينظر: يوهان فوك، الدراسات العربية في أوروبا حتى مطلع القرن العشرين، ترجمة: سعيد حسن بحيري، ومحسن الدمرداش، (القاهرة: زهراء الشرق، ط١، ٢٠٠٦م)، ص ٧٩.
- (٢٣) ينظر، إبراهيم عوض، هوامش على تاريخ العرب لفليب حتي، دار الفردوس، طبعة: ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م، ص ٩٣.
- (٢٤) ينظر: العقيقي، مصدر سابق، ج١، ص ١٧١.
- (٢٥) ينظر: جوليان، شارل أندري، إفريقيا الشمالية تسير، ترجمة: المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، تونس، طبعة: ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م، ص ٢١.
- (٢٦) شارل أندري جوليان (Ch. A. Julien): مستشرق فرنسي، من أساتذة السوربون، ومن آثاره: شمال إفريقيا (باريس ١٩٣١م) ومن مباحثه: طبيب و مترجم وأستاذ للعربية (المجلة الإفريقية ١٩٤٢ م) والخلافة والعالم الإسلامي (مجلة التاريخ الحديث ١٩٢٦م) = [العقيقي، المستشرقون، مصدر سابق، ج١، ص ٢٤٢].
- (٢٧) كثيرا ما يصدر المستشرقون هذا النعت فيقولون بالإسلام العربي، والشرقي، والأندلسي، والصوفي، والسياسي، والإصلاحي... وغير ذلك، وليس إسلام واحد، قال الله تعالى: " إن الدين عند الله الإسلام"، وذلك إسقاط منهم على ما يوجد في دياناتهم من اختلافات وتحريفات. ينظر هذا النعت أيضا: شارل أندريه، مصدر سابق، ص ٢٨.
- (٢٨) شارل أندريه، مصدر سابق، ص ٣١.

- (٢٩) ينظر: يوهان فوك، مصدر سابق، ص ٢٦٤.
- (٣٠) فيليب حتيّ (P.K. Hitti): "مستشرق لبناني الأصل بجنسية أمريكية، مولود عام ١٨٨٦م، تخرج من الجامعة الأمريكية، في بيروت ونال الدكتوراه من جامعة كولومبيا، وعين معيدا في قسمها الشرقي، وأستاذا لتاريخ العرب في الجامعة الأمريكية ببيروت، وأستاذا مساعدا للأدب السامية في جامعة برينستون، من آثاره: "أصول الدولة الإسلامية"، "مختصر الفرق بين الفرق"، "تاريخ العرب" = [العقيقي، مصدر سابق، ص: ١٠١٠، ١٠١١].
- (٣١) حتيّ، فيليب، العرب، (بيروت: دار العلم للملايين، ط٦، ١٩٩١م)، ص ٩٠.
- (٣٢) ينظر: سعد الله، أبحاث وآراء، مرجع سابق، ص ٣٠.
- (٣٣) ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط: ٠٨، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص ٨٦.
- (٣٤) البارون دي ساسي (S.Sacy): (١٧٥٨-١٨٣٨م: كبير المستشرقين الفرنسيين المتخصصين في اللغات، ولد في باريس وفقد أباه وليس له من العمر سوى سبع سنوات...تثقف بالأدب اللاتيني واليوناني، ثم اختلف إلى آباء القديس مور فلازم الأب بارتارو فحبب إليه العربية وأخذ يدرسها مع العبرية والفارسية والتركية...وعينه الملك سنة ١٧٧٨م واحدا من ثمانية أعضاء في جمعية نشر المخطوطات الشرقية في مكتبة باريس الوطنية" = [العقيقي، مصدر سابق، ج ١، ص ١٧٩
- (٣٥) ينظر: يوهان فوك، مصدر سابق، ص ٨١.
- (٣٦) فيليب حتيّ، مصدر سابق، ص ٢٧٥.
- (٣٧) ينظر: شارل أندريه، مصدر سابق، ص: ٣٠، ٣١.
- (٣٨) ينظر: فيليب حتيّ، مصدر سابق، ص ٧١ وما تلاها.
- (٣٩) ينظر، إبراهيم عوض، مرجع سابق، ص ٩٧.
- (٤٠) لكن الواقع يخالف ذلك، مثلا في الجزائر يظهر تأثير اللغة الفرنسية على اللغة "الأمازيغية" التي قصدها أندريه باسم "البربرية" مثل وجود الكثير من الكلمات الدخيلة عليها.
- (٤١) ينظر: شارل أندريه، مصدر سابق، ص: ٢٢.
- (٤٢) فرانثيسكو غابرييلي، الإسلام في عالم البحر الأبيض المتوسط، من كتاب تراث الإسلام، لجوزيف شاخت، وكليفورد بوزورث، ترجمة: محمد زهير السمهوري وآخرون، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير ١٩٧٨م، ج ١، ص ١٢٣.

- (٤٣) محمد البيه، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: ٤: ١٣٨٣ هـ ١٩٦٤ م، ص ٤٦.
- (٤٤) عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: ٥: ١٩٩٦ م، ص ٤٧.
- (٤٥) ينظر: يوهان فوك، مصدر سابق، ص ٢٦٢.
- (٤٦) ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٦٢.
- (٤٧) نكتفي بهذه النماذج، ويمكن أن يرجع إلى كتاب "الاستيطان والحماية بالمغرب" ففيه مجموعة من المستشرقين المستكشفين الذين جابوا المغرب العربي، والمغرب الأقصى خصوصا، واشتغل كثير منهم باللغة العربية، من فرنسا وألمانيا وانجلترا وإسبانيا والدنمارك وأقطار أخرى. = ينظر: [مصطفى بوشعراء، الاستيطان والحماية بالمغرب، المطبعة الملكية، الرباط، ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م، ج ١، ص: ١٤٩٨ حتى ١٥٤٨].
- (٤٨) مصطفى بوشعراء، مرجع سابق، ج ١، ص ١٤٩٨.
- (٤٩) مصطفى بوشعراء، مرجع سابق، ص ١٤٩٨.
- (٥٠) ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، طبعة: ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م، ص ٧٨٠.
- (٥١) ينظر: دلندة الأرقش وآخرون، المغرب العربي الحديث من خلال مصادره، مركز النشر الجامعي، ميديا كوم، ٢٠٠٣ م، ص: ٢٨٩ حتى ٣٠٧.
- (٥٢) ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: ١: ١٩٩٨ م، ج ٢، ص: ١٥٥ حتى ١٧١.
- (٥٣) نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، دار الحضارة، الجزائر، ص: ٢٤٥، ٢٤٩.
- (٥٤) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: ١: ١٩٩٦ م، ج ٤، ص ٢٤.
- (٥٥) ديموميين: (١٨٦٢، ١٩٥٧ م) من تلامذة باسيه، في ١٨٩٥ كان مديرا لمدرسة تلمسان. ومنذ أن اشتغل فيها عني باللهجة المغربية العربية، فأصدر في ١٩١٢ م كتابه المذكور. = ينظر: [بدوي، مصدر سابق، ص ٢٧١].

- (٥٦) " دومباي" (١٧٥٨، ١٨١٠م) مستشرق نمساوي، كان يتقن اللهجة العربية في المغرب، ويعتبر كتابه المذكور أول بحث مفرد في اللهجة المغربية وأول إسهام علمي في مجال البحث في اللهجات العربية= ينظر: [المصدر نفسه، ص ٢٦٦].
- (٥٧) " أوغست فيشر" (١٨٦٥، ١٩٤٩). مستشرق ألماني عني باللغة العربية في المغرب الأقصى ولهجاته، وكان مختصا في فقه اللغة، واللغات الشرقية، وكان أول اتصال له بالعالم العربي رحلته إلى المغرب التي قام بها في أواخر صيف وفي خريف ١٨٩٨م، زار في أثناءها طنجة، والدار البيضاء، وموجادور، ومراكش، وكان شديد الاهتمام باللهجات العربية الحية، لأنه كان يعتقد أنه يستطيع أن يستخلص = منها ليس فقط نظرات قيمة في سر اللغة العربية؛ بل في فهم اللغات السامية بوجه عام، وإلى جانب ذلك عني بدراسة تاريخ اللغة العربية من أقدم نصوصها حتى لهجاتها المحلية الحالية، وقد انتخب غضوا في المجمع اللغوي بمصر. [ينظر: العقيلي، مصدر سابق، ج ٢ ص ص: ٧٧٠، ٧٧٢. أيضا: بدوي مصدر سابق، ص ص: ٤٠٣، ٤٠٤]
- (٥٨) ينظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٤.
- (٥٩) يوهان فوك، مصدر سابق، ص ١٥٢.
- (٦٠) ينظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، مرجع سابق، ج ٤، ص ص: ٢٣، ٢٤، ٢٥.
- (٦١) ينظر هذا الوصف: ألبرت حوراني، تاريخ الشعوب العربية، ترجمة: أسعد صقر، دار طلاس، دمشق، ط ١: ١٩٩٧م، ص ٤٦٣.
- (٦٢) الحداثة: مصطلح أطلق على عدد من الحركات الفكرية الداعية إلى التجديد، والثائرة على القديم في الآداب الغربية وكان لها صداها في الأدب العربي الحديث خاصة بعد الحرب العالمية الثانية "يميل كثير من المبدعين الآن إلى الحداثة باسم التجديد وتارة الصدق الفني" = [عمر أحمد، مصدر سابق، ج ١، ص ٤٥٤].
- (٦٣) كارل بروكلمان (Carl Brockelmann) (١٧/٠٩/١٨٦٨ - ٠٦/٠٥/١٩٥٦م): مستشرق ألماني، ولد في مدينة روستوك، الألمانية، وكان أبوه تاجرا، اهتم بالأدب العربي وباللغات السامية عموما، وبالتاريخ الإسلامي، والتحق بجامعة روستوك. = ودرس الفيلولوجيا والتاريخ، والشرقيات، وعين أستاذا في كرسي جامعة كينجز برج، من آثاره: "تاريخ الأدب العربي" و"علم اللغات السامية" و"موجز النحو المقارن للغات السامية" = [بدوي، مصدر سابق، ص ص: ٩٨، ١٠٥].
- (٦٤) بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ٥: ١٩٦٨م، ص ص: ٦١٥، ٦١٧.

- (٦٥) ينظر، ألبرت حوراني، مصدر سابق، ص ٤٦٣.
- (٦٦) بروكلمان، مصدر سابق، ص: ٦١٥، ٦١٧.
- (٦٧) ألبرت حوراني، مصدر سابق، ص ٤٦٣.
- (٦٨) ينظر: سعد الله، أبحاث وآراء، مرجع سابق، ص ٣٢.
- (٦٩) بدوي، مصدر سابق، ٥٢٣.
- (٧٠) ينظر: سعد الله، أبحاث وآراء، مرجع سابق، ص ٢٤.
- (٧١) ينظر: سعد الله، آراء وأبحاث، مرجع سابق، ص ٢٢.
- (٧٢) ينظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، مرجع سابق، ج ٤، ص: ٢٣، ٢٤، ٢٥.
- (٧٣) يوهان فوك، مصدر سابق، ص ١٥٢.
- (٧٤) ينظر: سعد الله، أبحاث وآراء، مرجع سابق، ص ٣٠.
- (٧٥) يوهان فوك، مصدر سابق، ص ٢٦٢.
- (٧٦) ليفي بروفنصال: مستشرق فرنسي (١٨٩٤، ١٩٥٦م) ولد في مدينة الجزائر العاصمة من أسرة يهودية وتعلم في ليسيه قسنطينة، ثم دخل جامعة الجزائر فتتلمذ على يد "رنيه باسيه" في ١٩٢٠ عين أستاذا بمراكز بمعهد الدراسات العليا، واهتم بالدراسات العربية والإسلامية، حصل على الدكتوراه برسالتين عنوان إحداهما: نصوص عربية من ورغة: لهجة جبالا في شمالي مراكش. = ينظر: [بدوي، مصدر سابق، ٥٢٠].
- (٧٧) بدوي، مصدر سابق، ص ٥٢٠.
- (٧٨) بروكلمان، مصدر سابق، ص ٦٣٨.
- (٧٩) ينظر، حوراني، مصدر سابق، ص: ٤٦١، ٤٦٢.
- (٨٠) ينظر: سعد الله، أبحاث وآراء، مرجع سابق، ص ٣٠.
- (٨١) ينظر، حوراني، مصدر سابق، ص ٤٦٣.
- (٨٢) لا بد أن نعي أن كلمة استقلال ليست بمفهومها الشامل ما دامت شعوب المنطقة مرتبطة بلسان محتلمها.
- (٨٣) ينظر، حوراني، مصدر سابق، ص: ٤٦١، ٤٦٢.



### قائمة المصادر والمراجع:

مصحف إلكتروني برواية حفص.

- إبراهيم عوض، هوامش على تاريخ العرب لفليب حّتي، دار الفردوس، طبعة: ١٤٣٣ هـ ٢٠١٢ م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، طبعة: ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط ١: ١٩٩٧ م.
- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١: ١٩٩٦ م.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١: ١٩٩٨ م.
- ألبرت حوراني، تاريخ الشعوب العربية، ترجمة: أسعد صقر، دار طلاس، دمشق، ط ١: ١٩٩٧ م.
- بارت، رودي، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة: مصطفى ماهر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، (د، ط): ٢٠١١ م.
- بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ٣: يوليو ١٩٩٣ م.
- بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ٥: ١٩٦٨ م.

- جوزيف شاخت، وكليفورد بوزورث، تراث الإسلام، ترجمة: محمد زهير السمهوري وآخرون، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، يناير ١٩٧٨ م.
- جوليان، شارل أندري، إفريقيا الشمالية تسيير، ترجمة: المنحي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، تونس، طبعة: ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م.
- حنّي، فيليب، العرب، دار العلم للملايين، بيروت، ط: ٦، ١٩٩١ م.
- الخربوطلي، علي حسن، المستشرقون والتاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، كورنيش النيل، القاهرة، مصر، (د، ط): ١٩٨٨ م.
- دلنדה الأرقش وآخرون، المغرب العربي الحديث من خلال مصادر، مركز النشر الجامعي، ميديا كوم، ٢٠٠٣ م.
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، تدقيق، عصام فارس الحريستاني، دار عمار، عمان الأردن، ط: ٩: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
- رضا، أحمد، معجم متن اللغة العربية، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط: ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م.
- زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د، ط)، (د، ت).
- سكيريك، غنار، وغيلجي، نلز، تاريخ الفكر الغربي، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط: ١: ٢٠١٢ م.
- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: ٥: ١٩٩٦ م.
- عمر، أحمد مختار، بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط: ١: ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

- ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط: ٠٨، ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط: ٤: ٢٠٠٤ م.
- محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: ٤: ١٣٨٣ هـ ١٩٦٤ م.
- مصطفى بوشعراء، الاستيطان والحماية بالمغرب، المطبعة الملكية، الرباط، ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م.
- مطبقاني، مازن بن صلاح، المؤتمرات الاستشراقية الحديثة حول الإسلام والمسلمين، مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق، موقع: [www.madinacenter.com/post.php](http://www.madinacenter.com/post.php)
- النعيم، عبد الله محمد الأمين، الاستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط: ١: ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م.
- نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، دار الحضارة، الجزائر.
- يوهان فوك، الدراسات العربية في أوروبا حتى مطلع القرن العشرين، ترجمة: سعيد حسن بحيري، ومحسن الدمرداش، زهراء الشرق، القاهرة، ط: ١، ٢٠٠٦ م.

**دور المسلسلات المدبلجة إلى العربية في تطوير العربية الفصحى:  
نماذج من مسلسل "سحر الحب" (Sortilergio)**

إعداد:

**ناصر إسماعيل موسى**

قسم اللغة العربية، كلية يوسف بلا عثمان، دورا

البريد الإلكتروني: [nasirismil Musa@gmail.com](mailto:nasirismil Musa@gmail.com)

المحمول: 07066775606

**المستخلص:**

بلغ تطوّر العالم حدًا كبيرًا في جميع نواحي الحياة؛ ومن هذه النواحي فنّ الترجمة، تطوّر هذا الفن عند العرب من نقل علوم الأمم الأخرى إلى اللغة العربية، وإلى ترجمة الفنّ المسرحي من اللغات الأجنبية إلى العربية. وفي السنوات الأخيرة اتخذ هذا التطوّر منحى جديدًا، حيث دخل المترجمون العرب في فنّ الدبلجة الذي يُترجمُ أعمالًا تلفازية من لغة لأخرى، منها البرامج، والأفلام، والرسوم المتحركة، والمسلسلات. وتتناول هذه الورقة مسلسلة من المسلسلات المكسيكية المدبلجة إلى العربية، وهو مسلسل "سِحْرُ الحُبِّ" وتحاول إظهار ما فيه من تطوير للغة العربية الفصحى من ناحية المصطلحات الحديثة، والأساليب الكلامية، وتعريب الأسماء والكلمات الأخرى الواردة في المسلسل، وغير ذلك.

**المقدمة:**

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. أمام القارئ ورقة تحمل عنوان: "دور المسلسلات المدبلجة إلى العربية في تطوير العربية الفصحى ونشرها: نماذج من مسلسل "سِحْرُ الحُبِّ".  
تعتقد الورقة من مبحثين:

المبحث الأول: الدبلجة، ومعلومات عن مسلسل سحر الحب. وهو مجزء إلى تعريف الدبلجة، ونشأة الدبلجة عند الغرب والعرب، ثم أهميتها، وعلاقتها بالترجمة، ثم الكلام حول أهم الشركات العربية التي تقوم بأعمال الدبلجة، ثم ذكر كلمات لا بدّ منها عن مسلسل "سحر الحب". المبحث الثاني وهو؛ مسلسل سحر الحب وتطوير اللغة العربية الفصحى. نُوقشت فيه أوجه التطوير التي قدّمها مسلسل "سحر الحب" إلى اللغة العربية؛ كما هو مفصّل في الورقة.

### المبحث الأول: الدبلجة، ومعلومات عن مسلسل سحر الحب:

#### تعريف الدبلجة:

الدبلجة هي عملية استبدال الحوار الأصلي في فيلم أو مسلسل أو برنامج تلفزيوني؛ بحوار مترجم، بواسطة معلق صوتي. وهي مهنة متفرعة عن مهنة التمثيل<sup>(١)</sup>.  
الدبلجة مصطلح تلفزيوني يستخدم عند القيام بتركيب أداء صوتي بديلا للنص الأصلي بلغة أخرى، كالمسلسلات، والأفلام الوثائقية، والرسوم المتحركة، والكلمة أصلها فرنسي، تتمّ الدبلجة في استوديو بعد الحصول على جميع متطلّباتها<sup>(٢)</sup>.  
الدبلجة وسيلة للترجمة واستبدال لغة الأفلام والرسومات المتحركة والبرامج التلفزيونية بلغة أخرى متراكبة تماما<sup>(٣)</sup>.

#### نشأة الدبلجة وتطورها في بلاد الغرب:

تعود البداية التاريخية لفنّ الدبلجة في بلاد الغرب إلى عام ١٩٣٢م، حيث فرضت الدول الإنجليزية على نفسها حلاً وحيداً يجعل أفلامها وسائر أعمالها الفنية مقبولة في الدول غير المتفاهمة بالإنجليزية، وعلى رأسها ألمانيا، وإيطاليا، وفرنسا، التي لا تعرض الأفلام إلّا

بنسخ مترجمة من أسفل الشاشات. ثم تطوّر الأمر إلى تحويل لغة تلك الأفلام إلى اللغات الأخرى غير الإنجليزية. ثم بدأ هذا الفنّ بالانتشار في الوطن العربي<sup>(٤)</sup>.

### نشأة الدبلجة العربية:

دخل فنّ الدبلجة إلى الوطن العربي منذ منتصف الأربعينات حيث كانت دول المغرب العربي<sup>(٥)</sup> تعمل على دبلجة جميع أفلام "هوليوود" إلى اللغة الفرنسية. وذلك لسبب استيراد معظم الأفلام من الموزعين الفرنسيين. أما في المشرق العربي؛ فقد بدأ فنّ الدبلجة منذ بداية الثمانينات. حيث شرعت محطات التلفزة بدبلجة أفلام ومسلسلات الأطفال باللغة العربية الفصحى في الأردن، والكويت، وغيرها من الدول الخليجية، أنشئ مركز الزهرة<sup>١</sup> لدبلجة مسلسلات الكرتون "الأنمي" وكانت أعمال المركز<sup>١</sup> حينئذ تشتري من قبل بعض القنوات العربية الحكومية في عقد الثمانينات والتسعينات. ومع تطوّر وغزارة الإنتاج الهوليوودي للأفلام؛ وما تبعه من اهتمام منقطع النظير من قبل المشاهد العربي شرعت الكثير من شركات الإنتاج العربية بترجمة الأفلام ترجمة احترافية دون المساس بالمادة المترجمة. ومنذ منتصف التسعينات تمّت دبلجة جميع أعمال "الت ديزلني"<sup>(٦)</sup>. بالاستديوهات المصرية باللهجة المصرية أمّا في العقدين الأخيرين فقد ظهرت الدراما المكسيكية والتركية المدبلجة باللهجة السورية، تلتها الدراما الكورية والهندية<sup>(٧)</sup>.

### أهمية الدبلجة:

من أكبر فوائد الدبلجة إعطاء المشاهدين للأفلام والمسلسلات والبرامج التلفزيونية طاقة كاملة لفهم مشاعرها التي ركّبت في غير لغتهم؛ كي يستطيعوا فهمها فهماً كلياً<sup>(٨)</sup>.

### علاقة الدبلجة بالترجمة:

لترجمة دور فعال تقوم به في العمل الدبلجي، إن على المترجم اختيار عبارات تناسب طول الجمل التي ينطق بها الممثل الأجنبي، واستخدام كلمات تناسب وتطابق حركات الشفاه؛ حتى يكون الأداء متطابقاً قدر الإمكان<sup>(٩)</sup>.

### همّ شركات الدبلجة العربيّة:

للدبلجة العربيّة شركات كثيرة تعني بشؤونها، وأبرزها:

(١) شركة عَبْدُ الْعَزِيزِ الْمُزَيْنِي Abdul'aziz Almuzaini Company

تعني هذه الشركة بدبلجة الرسوم المتحركة التي تعالج بعض الأحداث السياسية التي تجري في وقتها، كما تتناول بعض قضايا الشرق الأوسط، وقضايا شمال إفريقيا.

(٢) شركة كِرَائِزِي بيرانا: Crazy Piranha Company

ومركز هذه الشركة في أبوظبي؛ عاصمة دولة الإمارات العربية المتحدة، تهتمّ بأعمال تحسين الرسوم المتحركة. وتقدم بعض الفيديوهات القصيرة التي تحتوي على بعض المواضيع المحرّمة.

(٣) استوديوهات كورل ستون: Curl Stone Studios

تمّ تأسيس هذه الشركة في سنة ٢٠٠٩، وتعمل هذه الشركة على تطوير الشبكات التلفزيونية، كما تعمل على تطوير البوابات الإلكترونية، وشركة الاتصالات، وتطوير إستوديوهات الألعاب، ثم بدأت هذه الاستوديوهات بتقديم الفيلم القصير ذي المحتوى الهادف، الهدف منه توصيل رسالة بيئية واضحة، وقد تفوّقت الشركة في هذا المجال.

(٤) "استوديو لَمَتَرِي: Lamtari Studio

تأسست هذه الشركة في سنة ٢٠٠٥ في الإمارات العربية المتحدة، ومن أول المشاريع " وهذا المسلسل يحكي حكاية أربع سيدات متقدّمات (Free) التي قدّمها "المسلسل في العمر؛ يواجهن تعقيدات الحياة في مدينة كبيرة بما العديد من الناس.

ومن هذه الشركات أيضا:

- شركة ديفيد حبشي: David Habashi Company
- شركة كرايبش Kharabeesh Company
- إستوديو نجركوم: Studio 2011 Negercom
- شركة سكتش إن موشن<sup>(١٠)</sup>: Sketch in motion

### مسلسل سحر الحب:

هو مسلسل مكسيكي مدبلج إلى العربية الفصحى، من بطولة "ويليام ليفي" William Levy و "جاكلين براكامونتاس" Jacqueline Bracamontes عرض على قناة أبو ظبي الأولى وتحدثت قصته عن "برونو" الذي يكره أخاه أليجاندرو غير الشقيق ويريد أخذ أمواله منه، وأخذ زوجته الفتاة "ماريا خوسيه" والشركة التي أوصى بها أبوهم له<sup>(١١)</sup>.  
وحول العقدة المذكورة دارت أحداث المسلسل.

### بعض المعلومات الهامة عن مسلسل سحر الحب:

النوع: دراما رومنسية.

إخراج: Lino Gama & Jose Manuel Becerra

البلد: المكسيك.

لغة العمل: أسبانيا، دبلجة العربية.

المواسم: ٠١

الحلقات: ٩٦

مدة الحلقة: ١ ساعة.



بُثَّ لأوّل مرّة: يونيو ٢٠٠٩

بُثَّ لآخر مرّة: أكتوبر ٢٠٠٩ (١٢)

موقع الحصول عليه: الطريق الأقرب لذلك هو: طلب "جميع حلقات سحر الحب" عبر محرّكات بحث "غوغل" أو "أويبرا" أو "كوزاوم" أو سواها من أبواب الوصول إلى "الإنترنت"، وبهذا تظهر لك اختيارات تأخذ من بينها ما يناسبك.

### الأدوار:

ظهر أشخاص كثيرون في مسلسل "سحر الحب"، لكن من الذين لعبوا أدوارا هامة من يذكر في ما يلي:

الرقم	اسم الممثل الأصلي	بالحروف اللاتينية الأصلية	اسم الممثل في القيم	بالحروف اللاتينية الفلمية	الاسم بالخصيصة	المخرج
١	ويليام ليفي	William Levy	ألكاندرو لومباردو	Alejandro Lombardo	الفتى الوسيم الغني، وضحية برونو	قصي قدسية
٢	جاكلين براكامونتاس	Jacqueline Bracamontes	ماريا خوسيه	Maria Jose.	فتاة شابة جميلة وفقيرة وساذجة وقعت فريسة لكذبة برونو.	رنا شميمس
٣	دافيد زيبيدا	David Zepeda	برونو	Bruno	الفتى الشرير الذي يحاول قتل أخيه ليحصل على أمواله.	مالك محمد
٤	أنا بريندا كونتيراس	Ana Brenda Contreras	مورا	Maura	حببية ألكاندرو السابقة.	١
٥	ويندي جونزاليز	Wendy Gonzalez	باولا	Paula	شقيقة ماريا خوسيه.	غدير الشعشاع

٦	دانيلا رومو	Daniela Romo	فيكتوريا	Victoria	امراة رائعة، وهي أم صفاء برونو و راكيل، وأم ألكاندرو من غير أب.
٧	غابرييل سوتو	Gabriel Soto	فيرناندو	Fernando	صديق ألكاندرو رأفت بازو الوفي وحب فيكتوريا.
٨	شانتييل أديري	Chantelle Adiri	راكيل	Raquel	ابنة فيكتوريا. رنا زرقا
٩	جوليان غيل	Julian Gale	أوليسيس	Ulysses	صديق راكيل وحب باولا أخت ماريا خوسيه.
١٠			بيدرو	Pedro	أب ماريا خوسيه علي قاسم
١١			شوشو	Chouchou	القروي الذي ساعد محمد ألكاندرو <sup>١</sup> خيماشو

### أجواء مسلسل سحر الحب:

#### (أ) الأجواء الإيجابية:

- يرمي مسلسل "سحر الحب" إلى أغراض عديدة. ويترك أموراً اجتماعية كثيرة منها:
- الحب الحقيقي والطبيعي الذي لم يكن أساسه متاع الحياة: كما أحبّت ماريًا خوسيه ألكاندرو قبل أن تراه، وبدون تبادل كلام سبق منهما ولو هاتفياً، دام واستمرّ هذا الحب إلى آخر اجتماعهما، مع ما يحدث بينهما من خلاف في كثير من الأوقات.
- التضاد والتصارع بين الحق والباطل: لأن بُرؤنو كره أخاه غير الشقيق (ألكاندرو) بدون حق، كي يحصل على أموالٍ أوصى بها له أبوهم. ولم ينجح في كلّ تدبيراته.
- العدل في رعاية من تحت الحضانة: لأن فيكتوريا لم تمايز بين ولديها الذين هما من رحمها (برونو و راكيل) وبين ألكاندرو الذي هو لزوجها من أم أخرى.

- **الوفاء في الصداقة:** فيرْتَانْدُو صديق حق لِأَلْحَانْدَرُو وويّ بِحقوق الصداقة، يطيعه في ما أمره به أو طلب منه، ويستشيريه في كلّ أموره.
- **الكرم:** أَلْحَانْدَرُو رجل كريم من وجوه كثيرة؛ من إعطاء أمواله، والعفو عن من جنى عليه، والصفح عن الأمور التي تحدث عن خطأ. يشير الفيلم كذلك إلى الطرق التي ينبغي أن يسلكها ذوو الأموال لحفظ أموالهم وتنميتها.

### (ب) الأجواء السلبية:

- من جانب آخر إن في مسلسل سحر الحبّ بعض الطباع السلبية، لأنه صادر من بلاد لا يرون أمثالها معييا. وهي على سبيل المثال:
- **التبرّج:** وهو ظهور النسوان في زيّ غير ساتر لعوراتهن المغلّظة منها وغير المغلّظة، وهذا ظاهر في جميع حلقات المسلسل.
- **التعانق بين الرجال والنساء:** وهذا أيضا يكاد يعمّ جميع حلقات المسلسل. لأنه من العادات المتعارف عليها في البلاد التي أتى منها المسلسل. مع أن هناك مواضيع محذوفة عند عمل الدبلجة لشناعتها.
- **الإعلان عن أعمال تطعن في العرض والإقرار بها لدى الأبناء:** فهذا والد ماريه خوسي يقول لها إنه شرب كأسا واحدا من الخمر، بعد ما تعانقا وقالت له: أشتمّ رائحة الخمر. (الحلقة 1p2) زمن حدوث الكلام (٠٠:١٠:٠٣)
- **إعطاء الآباء بناتهم فرصا للقيام بأفعال غير متعارف عليها في مجتمعات أخرى:** مثال هذا ما حدث لوالد ماريه حينما عاد إلى المنزل وسألها عن أختها، فقالت له: ذهبت إلى السينما، فقال لها لِمَ لم تذهبي معها؟... (الحلقة 2p1)، زمن حدوث الكلام (٠٠:٠٦:٢٩).

### المبحث الثاني: مسلسل "سحر الحب" وتطوير اللغة العربية الفصحى:

حقا إن عمل الدبلجة له وظائف كثيرة يؤدّيها إلى اللغة العربية عامة، وإلى اللغة العربية الفصحى خاصة. وتعرض هذه الورقة فيما يلي بعض أوجه التطويرات التي أدخلتها الدبلجة إلى اللغة العربية الفصحى.

- (١) وضع كثير من المصطلحات الحديثة الواقعة في المجالات العلميّة المختلفة.
  - (٢) تدريب المشاهد على صياغة الأساليب الكلاميّة.
  - (٣) تمرين المشاهد على استماع اللّغة من أفواه أصحابها.
  - (٤) معرفة تعريب أسماء الأشخاص والبلاد غير العربيّة.
  - (٥) إثراء الذخيرة اللّغويّة للمشاهدين.
  - (٦) نشر العربيّة الفصحى بين أهلها المتحدّثين بالعامية.
- وفما يلي تفصيل للنقاط المذكورة:

#### ١- وضع كثير من المصطلحات الحديثة الواقعة في المجالات العلميّة المختلفة:

يرد ذكر المصطلحات الحديثة في المسلسلات ورودا كثيرا في المجالات العلميّة المختلفة، من مصطلحات طبيّة، وهندسيّة، وزراعية، وقانونيّة، وتربويّة، واتّصاليّة، وغيرها. والتي تظهر في شكل آلات تستعمل في المنازل، والأسواق، والطرق، والمدارس، والمصانع الصغيرة والكبيرة وغيرها.

وعند دبلجة هذه المسلسلات تُترجمُ هذه المصطلحات إلى العربيّة، وفق طرق وضع المصطلح العربي، ممّا يثري المخزون اللّغوي العربي.

ومسلسل "سِحْرُ الحُبِّ" واحد من من المسلسلات المدبلجة من اللّغة المكسيكيّة إلى العربيّة، وفيه كمّيّة كبيرة من هذه المصطلحات، وممّا ورد ذكره فيه على سبيل المثال:

رقم الحلقة	المصطلح	الكلام الذي وردت فيه الكلمة	قائل الكلام	وقت وقوع الكلمة	نوع المصطلح
١	p2٣	دَوْرِيَّة الشَّرْطَة	لقد قال إذا رأى شوشو	٠٠:١٣:٤٨	عسكري
		دورِيَّة الشَّرْطَة	يخبرهم بأمرك.		
٢	p1٤	الجُرْح السَّطْحِيّ	والجرح في رأسك	٠٠:٠٢:٢٨	طبيّ
			الصليب الأحمر		
٣	p1٤	الكَدَمَاتُ	أما ظهرك مليء	٠٠:٠٢:٣٣	"
			بالكدمات.		
٤	p1٤	المُرَاقِبَةُ	...أن تبقى عندنا	٠٠:٠٢:٤٠	"
			للمراقبة.		
٥	p2٤	الحَمَالَةُ	ساعديني بارتداء	٠٠:١٣:٠٢	"
			الخاندروا		
			الحَمَالَة		

هذه المصطلحات كلّها طبيّة، إلا مصطلحا واحدا فعسكري، ووردت كلّها في حلقة واحدة، إلا مصطلحا واحدا ورد في حلقة أخرى، والمسلسل فيه كمية كبيرة من المصطلحات الطبيّة، والاتّصاليّة، والهندسية، وهي منتشرة في سائر حلقاته.

## ٢- التدرّب على صياغة الأساليب الكلاميّة:

تعين مشاهدة المسلسلات المدبلجة إلى العربيّة على التدرّب والتمرّن على صياغة أساليب الجمل في أماكنها، لكثرة وقوعها في هذه المسلسلات، وتكرارها في مسلسل واحد. ومن هذه الأساليب:

الرقم	الحلقة	الأسلوب	الكلام الذي ورد فيه الأسلوب	قائل الكلام	وقت وقوع الكلام
١	1P1	كَمْ عَلِيَّ	في قول السيدة أدريان: " أنا لا يهتمني كم عليّ أن أنتظر "	أدريان زوجة السيد لومبردو الأولى.	٠٠٠٢:٢٥
٢	p1٨	فَعَلْنَاهَا أَخِيرًا	فعلناها أخيراً يا حبيبي.	أدريان زوجة السيد لومبردو الأولى.	٠٠٠٤:٣٤
٣	p1٨	بِكَلِّ تَأْكِيد	أجل بكلّ تأكيد.	فيليبا	٠٠٠٨:٥٠
٤	p1٨	كم (مع) الضمير	يا إلهي كم هي جميلة هذه الصغيرة.	فيليبا	٠٠٠٩:١٢
٥	p1٢	الوقتُ بأكبرُ	الآن الوقت باكراً للزيارة.	السكرتير	٠٠:١٢:٤٤

ومثل هذه الأساليب هي أكثر أنواع الظواهر الموجودة في المسلسلات، وهي أنفعها للمشاهد، لا سيّما المشاهد الذي لغته الأصلية غير العربية. لأن بالتمرّن والتدرّب عليها تتشّف لغته شيئاً فشيئاً. وهذه الأساليب وأمثالها تحلّل محلّ الجمل غير الفصيحة الملوّثة باللكنة الأعجمية التي تعود عليها المشاهد. مثال:

- لا يهتمني كم عليّ أن أنتظر: هذا الكلام يكون بدلا وأفصح من قول: (لا يهتمني أن أنتظر مدّة طويلة) أو (لا يهتمني أن أنتظر زمنا طويلا) أو (لا يهتمني أن أنتظر سنوات كثيرة)، وغير ذلك.
- فعلناها أخيراً يا حبيبي: ينوب هذا الكلام عن قولك: حاولنا محاولة كثيرة ثم أدركنا حاجتنا أخيراً يا حبيبي.
- أجل بكلّ تأكيد: (نعم رضيت بما قلت يا سيّدي). لأنه سألت "فيكتوريا" خادمتها سابقا، هل تعود إلى منزلها ثانية، فأحابتها بـ "أجل بكلّ تأكيد".
- كم (مع) الضمير: (كم هي جميلة هذه الصغيرة). يدلّ هذا الأسلوب على تعجّب المتكلّم مما يراه، ينوب عن مثل: (أتعجّب من جمال هذه الصغيرة).

- الوُقْتُ بأكبر: هذا الأسلوب يكون أفصح وأوجز من مثل قولك (هذا الوقت غير مناسب للزيارة لأنه أوّل نهار).

### ٣- التمرّن على استماع اللّغة من أفواه أصحابها:

تُعَوِّدُ المسلسلات المدبلجة الشاهدَ سماع المفردات العربيّة من أفواه أصحابها العرب، وهذه أهم مهارات اللّغة، كما يقول ابن خلدون: "السماع أبو الملكات اللسانية"؛ وهذا العامل يُؤثّر أكثر في المشاهدين غير العرب؛ لأنهم بحاجة إلى سماع اللّغة من أصحابها الذين ينطقونها من مخارجها وبصفتها.

وهذا العامل كبير لكونه يمكن أن ينوب مناب ما يسمّونه بـ"مشافهة العرب". لأن المشاهد المبتدئ لا يستطيع أن يدرك جميع الكلمات التي تلتقطها أذنيه، ثم شيئاً فشيئاً يبلغ المرحلة التي يدرك فيها كلّ ما قيل.

### ٤- معرفة تعريب أسماء الأشخاص والبلاد الغير العربيّة وكلمات أخرى:

هناك أسماء أشخاص وأسماء بلاد غير عربيّة يرد ذكرها في المسلسلات لكونها أفلام أهلها من لغات أخرى، وبعد ترجمتها إلى العربيّة يستطيع المشاهد معرفة ما تصير إليه هذه الأسماء بعد تعريبها. وفيما يلي أمثلة لهذه الأسماء:

أسماء الأشخاص:

زمن الكلام	قائل الكلام	الكلام الذي ورد فيه الاسم	تعريب الاسم	الاسم	الكتابة	الترتيب
00:00:05	أنتونيو	أخبريني هل اكتشف <u>صاموئيل</u> شيئاً؟	صاموئيل	Samuel	1p1	١
٠٠:٠٢:٣٠	أنطونيو	من معي، <u>فيليبيا</u> ؟	فيليبيا	Philippe	1p1	٢
٠٠:٥٣:٢٩	طبيب عائلة أنطونيو	سأفعل <u>أنطونيو</u> !	أنطونيو	Antonio	p1١	٣
٠٠:١٠:٢٩	برونو	برونو. (قاله عند ما أعلمه أنتونيوه اسمه، وسأله عن اسمه هو).	برونو	Bruno	1p1	٤
٠٠:١٠:٣٢	أنطونيو	أعتقد أنك من سيّدة <u>فيكتوريا</u> صحيح؟	فيكتوريا	Victoria	1p1	٥

وفائدة استماع كيفية النطق بالأسماء الأعجمية من أفواه العرب؛ فهم الفروق الموجودة بين اللفظين العربيّ والمعرّب، وهذا يمكن من كتابة الأسماء بالحروف العربية.

(ب) أسماء البلاد:

زمن الكلام	قائل الكلام	الكلام الذي ورد فيه الاسم	تعريب الاسم	اسم البلد	الكتابة	الترتيب
00:02:12	أديان.	اكتشفوا علاجاً جديداً في <u>كندا</u> .	كندا	Canada	p1١	١
٠٠:٠٣:٥٨	فيليبيا	قالوا إلى أوروبا.	أوروباً	Europe	p1١	٢
٠٠:٠٣:٠٥	طبيب عائلة لومبردو	ذهبوا إلى باريس ولكن بعدها لا أدري إلى أين؟	باريس	Paris	1p1	٣
٠٠:٠٣:١٥	طبيب العائلة		برشلونة	Barcelona	1P1	٤
٠٠:٠١:٥٠	برونو	متى نذهب إلى نيويورك للتسوق؟	نيويورك	New York	p1٤	٥



## (ج) كلمات أخرى معربة:

رقم الحلقة	الكلمة	تعريب الكلمة	الكلام الذي وردت فيه الكلمة	قائل الكلام	زمن الكلام
١	1p2	Millionaire	مليُونيرٌ	لديه عمل ولكن ليس مليونير.	2٠:٣00:0 ماريّا خوسيه
٢	1p2	Hello	ألو	ألو أَلخندرو هذا أنت؟!	٠٠:٠٧:١٢ بواب منزل عائلة لومبردو
٣	2p1	Cobra	الكُوبرا	قد لدغته الأفعى، إنها الكوبرا.	٠٠:٠٥:٤٩ امرأة قروية.
٤	3p2	Album	ألبوم	سأبحث عن الألبوم.	٠٠:١٧:٤٩ بواب منزل عائلة لومبردو
٥	4p1	Red cross	الصليب الأحمر	كلمني... من مشفى صليب الأحمر.	٠٠:٠٧:٥٠ بواب منزل عائلة لومبردو

## ٥- إثراء الذخيرة اللغوية لدى المشاهدين:

الرقم	الحلقة	الكلمة	الكلام الذي وردت فيه الكلمة	معنى الكلمة
				ترد في المسلسلات المدبلجة كلمات مستعملة تكون بعيدة عن فهم أكثر المشاهدين، فهم يحتاجون إلى كشف معانيها في المعاجم والقواميس اللغوية. ما يزيد في ذخائرهم اللغوية ومن تلك الكلمات التي وردت في مسلسل "سحر الحب" ما يلي: زمن الكلام

- ١ 1p2 الفأثورة Invoice صاحب المحل لا وثيقة تجارية ٣٠:٢١٠٠: Invoice يشترى أغراضا صادرة عن البائع بغير فاتورة. للمشتري، تبين المنتجات والكميات والسعر المتفق عليه للمنتجات أو الخدمات التي قدمها البائع للمشتري.
- ٢ 1p2 المُنْحَرَشِ الطريق هنا طويل غير صالح، ٠٠:١٢:٠٢ وخشونة فيه، نتيجة كثرة أماكن فسدت فيه. (١٣)
- ٣ 2p1 الياشمُزَّاز ... وأكف عن رؤية هذا المتكبر الحقير المثير للاشمُزَّاز. الضيق بالأمور والنفور منها كراهة. (١٤)
- ٤ 2p1 شَهْرُ العسلُ Honey moon ستهدين إلى كنكو لقضاء شهر العسل نفيسة. (باولا) شهر العسل هي الفترة الزمنية التي يقضيها العريسان بعد إتمام مواسم الزواج وسكنهم في بيت واحد. تلقب بشهر العسل؛ بسبب أن كلًا منهما يتفرغ للاستمتاع بالآخر. (١٥)
- ٥ 4p2 الأزرار جمع والمفردُزُّ ... بفك أنبار القمص. القمص من ناحية العنق، أو إلى الصدر. (١٦)

## ٦- نشر العربية الفصحى بين أهلها المتحدثين بالعامية:

ومن أكبر التطويرات التي أدخلتها الدبلجة إلى اللغة العربية؛ نشر العربية الفصحى بين جميع بلاد العربية التي هاجرت التخاطب بها، وصار لكلّ شعب من شعابها لهجة يتخاطب بها. وقد تجد بعض الاختلافات بين تلك اللهجات، إذ صار لأهل كلّ بلد لهجة تخالف ما لأهل بلد آخر، كمصر، والسودان، والمغرب، والجزائر، وليبيا، والمملكة العربية السعودية، والإمارات المتحدة، وغير هذه من البلاد العربية.

## الخاتمة:

تناولت الورقة في المبحث الأول مفهوم الدبلجة ونشأتها وتطورها عند العرب، ثم أهميتها وعلاقتها بالترجمة. كما تكلمت عن أهم الشركات العربية التي تعنى بأعمال الدبلجة. وكذلك ألفت أضواء عن مسلسل سحر الحب. وتناولت في المبحث الثاني كيفية تطوير مسلسل سحر الحب للغة العربية الفصحى. وتوصلت الورقة إلى أن المسلسلات المدبلجة باللغة العربية تساهم في تطوير العربية الفصحى ونشرها من النواحي الآتية:

- (١) وضع المصطلحات الحديثة الواقعة في المجالات المختلفة.
- (٢) نشر اللغة العربية الفصحى بين أهلها المتحدثين بالعامية.
- (٣) تدريب المشاهد على صياغة الأساليب الكلامية.
- (٤) تمرين المشاهد على استماع اللغة من أفواه أصحابها.
- (٥) معرفة تعريب أسماء الأشخاص والبلاد غير العربية.
- (٦) إثراء ذخيرة المشاهدين اللغوية.

وأخيرا لا بدّ من الإشارة إلى أنّه ينبغي -إن لم يجب- على طلاب العربية؛ المبتدئين منهم والمنتهمين؛ أن يعتنوا بمشاهدة المسلسلات المدبلجة إلى العربية الفصحى، ليستفيدوا ممّا فيها من الفوائد اللغوية التي ذكرت سابقا وغيرها. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## المراجع والهوامش

- (١) حدوى خالد: أبرز شركات الدبلجة، [almrsal.com](http://almrsal.com)، تاريخ الزيارة: 11/11/2021م.
- (٢) دون اسم الموقع، الدبلجة، [soudeals.com](http://soudeals.com)، تاريخ الزيارة: 10/11/2021م.
- (٣) مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط، دون ذكر مكان النشر، ط٢، ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م.
- (٤) ويكيبيديا الموسوعة الحرة: الدبلجة وكل ما توّد معرفته، <https://ar.m.wikipedia.org> تاريخ الزيارة: 10/11/2021م.
- (٥) ويكيبيديا الموسوعة الحرة: الدبلجة وكل ما توّد معرفته، <https://ar.m.wikipedia.org> تاريخ الزيارة: 10/11/2021م.
- (٦) حدوى خالد: أبرز شركات الدبلجة، [almrsal.com](http://almrsal.com)، تاريخ الزيارة: 11/11/2021م.
- (٧) الخليج: تاريخ الدبلجة، [www.alkhaleeg.ae](http://www.alkhaleeg.ae)، ٢٧/٠٢/2022م.
- (٨) هي منطقة تقع في شمال إفريقيا ممتدة على ساحل البحر الأبيض المتوسط وحتى المحيط الأطلسي، وهي تسمى بالأساس خمسة دول، هي: موريتانيا، والمغرب، والجزائر، وتونس، وليبيا.
- (٩) هي شركة سورية متخصصة في دبلجة "الرسوم المتحركة" وبرامج الأطفال إلى اللغة العربية، خاصة "الأنمي الياباني" ومركز الزهرة حاليا هو الإستوديو الوحيد الذي يدبلج الأنمي في الوطن العربي من اللغة اليابانية. مقر هذه الشركة العاصمة السورية (دمشق).
- (١٠)
- (١١) هي أكبر شركات ووسائل الإعلام والترفيه في العالم تأسست الشركة في أكتوبر ١٩٢٣م، من قبل الأخوين "والت وروي ديزني" في شكل إستوديو لفنّ التحريك.
- (١٢) ويكيبيديا الموسوعة الحرة: المرجع السابق.
- (١٣) المرجع نفسه.
- (١٤) المرجع نفسه: تاريخ الزيارة: 11/11/2021م.
- (١٥) حدوى خالد: المرجع السابق.
- (١٦) ويكيبيديا الموسوعة الحرة: المرجع السابق.
- (١٧) "الدبلجة" (dubbing) مصطلح إنجليزي، وأما "الدوبلجة" (doublage) فهو مصطلح فرنسي.
- (١٨) المرجع نفسه.
- (١٩) لم تذكر المراجع التي اعتمد عليها الباحث أسماء المبدلين والأسماء الحقيقية لبعض

الأبطال.

- (٢٠) ويكيبيديا الموسوعة الحرة: المرجع السابق.
- (٢١) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص١٨٨. بتصرف.
- (٢٢) المصدر نفسه، ص ٥١٩. بتصرف.
- (٢٣) دون اسم الموقع، شهر عسل، [war.m.Wikipedia.or](http://war.m.Wikipedia.or)
- (٢٤) وكيفية قضاء شهر العسل تختلف من شعب لآخر، ومن مجموعة لأخرى، مثلا الأثرياء يفضّلون السفر إلى المناطق السياحية، وفي بعض المناطق الزراعية يبقى العريس وعروسه في البيت لاستقبال المهنئين والزوّار، بينما تتكفل أم العروس بإرسال الطعام لبيت الزواج.
- (٢٥) المصدر نفسه، ص ٤١٦. بتص

## دراسة صور الاستعارة في رسالة الإغريض لأبي العلاء المعري

إعداد

**د / بلقيس طاهر عمر**

قسم اللغة العربية، كلية الآداب

والدراسات الإسلامية، جامعة بايرو، كنو- نيجيريا

٠٨٠٢٢٠٢٥٧٩٢

bilkisudahiru58@gmail.com

**مستخلص:**

تهدف الورقة إلى كشف ما في رسالة الإغريض لأبي العلاء المعري من أساليب الاستعارة الواردة فيها، تيسيراً لفهم مضامينها ومواطن جمالها. كما تتحدد الورقة في استخراج هذه الظاهرة دون غيرها من الظواهر البلاغية وستتكون الورقة من النقاط الثلاث التالية: النقطة الأولى: نبذة تاريخية عن صاحب الديوان أبي العلاء المعري ورسالته، وأما النقطة الثانية: فمفهوم الاستعارة وأقسامها وبلاغتها، بينما النقطة الثالثة، إظهار صور الاستعارة الواردة في رسالة الإغريض، ثم الخاتمة والهوامش وقائمة المراجع.

### النقطة الأولى: التعريف بأبي العلاء المعري:

هو أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحرث بن ربيعة بن أنور بن أسحم بن أرقم بن النعمان بن عدي بن غطفان بن عمرو بن بريح بن جذيمة بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة التنوخي المعري اللغوي الشاعر المشهور<sup>(١)</sup>. وكانت ولادته يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ٣٦٣ م بالمعرة<sup>(٢)</sup>.

وعمي من الجدري أول سنة سبع وستين وثلاثمائة، ٣٦٧ وله من العمر أربع سنوات، وقد انحدر من أسرة تنتمي إلى التنوخيين، وهم في الأصل عرب أقحاح كانوا يسكنون اليمن، وكانوا ذوي فصاحة وبيان، ولهم الفضل في العلم وحب العربية.

وفاته:

مرض أبو العلاء، فلبث ثلاثة أيام في المرض، وتوفي يوم الجمعة الثالث عشر من شهر ربيع الأول سنة ٤٤٩ هـ الموافق ١٠٥٨ م. وأوصى أن يكتب على قبره:

هذا ما جناه أبي علي \* وما جنيت على أحد

وقد رثاه أكثر من أربع وثمانين رجلاً، منهم أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أبي حصينة المعري، يقول:

العلم بعد أبي العلاء مضيع والأرض خالية الجوانب بلقع  
أودى وقد ملأ البلاد غرائباً تسري كما تسري النجوم الطلع  
ما كنت أعلم وهو يودع في الثرى أن الثرى فيه الكواكب تودع<sup>(٣)</sup>

التعريف برسالة الإغريض:

رسالة الإغريض من ضمن رسائل أبي العلاء المعري، وقد اشتهرت شرقاً وغرباً، وقد سماها أبو العلاء "رسالة الإغريض" نظراً إلى لفظ "الإغريض" الوارد في الرسالة لندرته فيها أو لاستطرافه إياه، وقد عرفت بـ"الرسالة الإغريقية"، و"رسالة الحروف"، ولكن التسميتين من تصرف الرواة والقراء، وأما تسميتها بالرسالة الإغريقية فنسبة إلى الرسالة. وأما تسميتها برسالة الحروف فيرجع إلى قول أبي بكر بادي:

«وقد تكون مأخوذة من حروف التهجي، إذ قد انطوت على تشبيهات ببعضها، وقد يكون تعريفها بما - يعني بالحروف من حيث انطوائها على وجوه من الكلام، أخذاً من قولهم: فهو يجري على حروف في

الصبيحة؛ أي على وجوه؛ قال تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ أي على وجه واحد، وهو أن يعبد على السراء دون الضراء. وقد تعرف بالحروف لكون أمثالها متينة وجيزة، أخذت من الحرف؛ وهو الناقة الضامرة الصلبة»<sup>(٤)</sup>.

وقد كتب المعري هذه الرسالة إلى أستاذه أبي القاسم الحسين بن علي المغربي<sup>(٥)</sup>، لما أهدى إليه كتابه الذي اختصر فيه "إصلاح المنطق" فكتب إليه "رسالة الإغريض" جواباً يقرظه ويصف اختصاره للإصلاح وتتضمن الثناء عليه وعلى الكتاب. ولم يؤرخ أبو العلاء المعري للإغريض، ولم يكن من مؤرخيه غير ذكر الرسالة بين مؤلفاته أو وصفها. وهناك بعض الإشارات في تاريخ الرسالة في العصر الحديث، منها ما ذهب إليه طه حسين "أنها من أمالي الشباب"<sup>(٦)</sup>، وما ذهب إليه سليم الجندي أنها كانت قبل سنة ٤٠٠هـ، وهذا يدل على أن هذه الرسالة أملاها أبو العلاء المعري في مرحلة حياته الأولى قبل أن يعتزل الناس<sup>(٧)</sup>.

### المحور الثاني: مفهوم الاستعارة، أقسامها وبلاغتها:

المعنى اللغوي: الاستعارة من العارية، وهو ما يزيد فيه ثلاثة أحرف، وهي معروفة، ومعنى أعار: رفع وحول، ومنه إعاره الثياب والأدوات، واستعار فلانا سهما من كنانته، رفعه وحوله منها إلى يده<sup>(٨)</sup>.

المعنى الاصطلاحي: الاستعارة كلمة استعملت في غير ما وضعت له لعلاقة المشابهة مع قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي<sup>(٩)</sup>، ولا بد في الاستعارة من اشتراك بين المشبه والمشبه به بوجه من الوجوه لأن الاستعارة أصلها التشبيه، وكما أن الثوب المستعار حينما يلبسه المستعير لا يكون فيه إلا شخص واحد، كذلك الاستعارة لا يوجد فيها إلا لفظ واحد إما المشبه أو المشبه به فلا يجتمعان.



وتنقسم الاستعارة إلى قسمين من حيث ذكر المستعار أو المستعار منه:

- (١) التصريحية: ما صرح فيها بلفظ المشبه به، نحو: "رأيت أسدا يقاتل في الحرب الأهلية التي وقعت في السودان". فهنا قد صُرح بلفظ المستعار "الأسد".
- (٢) المكنية: ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه، نحو: "أنشبت عليّ مخالبه في عمرو بن ودّ".

ففي الاستعارة التصريحية صرح بلفظ المشبه به "الأسد"، وأما في المكنية لم يذكر، ولكن ذكر ما يلزمه وهي "مخالبه"، لأنها من أعضاء جسم الأسد.

وتنقسم الاستعارة من حيث الجمود والاشتقاق فيما جرت في الاستعارة إلى:

- (١) الأصلية: وهي ما كانت في المصدر الجامد، مثل: "سرتني ضحك الرياض" فكلمة "ضحك" مصدر جامد لأنه أصل جميع المشتقات عند البصريين من فعل واسم فاعل واسم مفعول.

- (٢) التبعية: وهي ما كان في المشتقات كالفعل، نحو: "مررت برياض تضحك"، فكلمة "تضحك" فعل مضارع، واسم الفاعل نحو: "برياض ضاحكة"، واسم المفعول نحو: "مررت برياض مضحكة"، وتسمى تبعية لأن إجراءها في المشتق تتبع لإجراءها في الأصل الجامد الذي هو المصدر.

وتنقسم الاستعارة من حيث القوة والضعف إلى:

- (١) المرشحة: ما ذكر معها ملائم المشبه به فقط، نحو: «يتلو رسول الله صلى الله عليه وسلم الدرر فيستغني الصبح عن الدنيا»، فالترشيح في قوله "فيستغني" لأنه يناسب الدرر فهو تقوية للمشبه به.

- (٢) المجردة: ما ذكر معها ملائم المشبه، نحو: «يتلو رسول الله صلى الله عليه وسلم الدرر فيزداد الصبح إيماناً»، فالترجيح في قوله "فيزداد الصبح إيماناً"، لأن زيادة

الإيمان تناسب الآيات الحقيقية المتلوة "المشبه"، وهذا يضعف شأن الاستعارة ويجردها من قوتها، ويسمى تجريداً.

(٣) المطلقة: هي ما خلعت عما يلائم المشبه به والمشبه أو ما اشتملت عليهما جميعاً نحو: «يتلو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدرر» أو نحو: «إذا تلا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدرر على أصحابه استفتوا واستناروا». وتنقسم الاستعارة من حيث الأفراد والتركيب إلى:

- (١) مفردة: ما كان وجه الشبه فيه لفظاً مفرداً كما هو في الاستعارة التصريحية والممكنية.
- (٢) مركبة/ تمثيلية: وهي ما كان وجه الشبه فيها صورة منتزعة من متعدد مع حذف المشبه نحو: «الشمع يحترق ليضيء للناس»، فوجه الشبه هنا منتزع من عدة أشياء: إحراق الشمع نفسه وإضاءته لغيره<sup>(١٠)</sup>.

#### بلاغة الاستعارة:

وسر بلاغة الاستعارة لا يتعدى ناحيتي تأليف الألفاظ وابتكار مشبه به بعيد عن الأذهان. فبلاغتها من ناحية اللفظ أن تركيبها يدل على تناسي التشبيه ويحملك عمداً على تخيل صورة جديدة تنسيك روعتها ما تضمنه الكلام من تشبيه خفي مستور. انظر قول البحري في رثاء المتوكل وقد قتل غيلة:

صريع تقاضاه الليالي حشاشة\* يجود بها والموت حمراً أظافره

فالبحري قرّب في خيال السامع صورة مخيفة للموت، وهو صورة حيوان مفترس ضربت أظافره بدماء قتلاه.

وأما من حيث الابتكار فانظر إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾<sup>(١١)</sup>، ترسم أمامك النار في صورة مخلوق ضخم مكفهر الوجه عابس يغلي صدره حقداً وغيظاً<sup>(١٢)</sup>.

## المحور الثالث: الاستعارات الواردة في الرسالة:

تتناول الباحثة هنا بعض المجاز الوارد في الرسالة. وقد وردت الاستعارة بصورة عامة في سبعة وعشرين موضعاً، التصريحية في خمسة وعشرين موضعاً، والمكنية في موضعين، والمجاز المرسل في موضعين حسب إحصاء الباحثة. و من الاستعارات التصريحية الواردة في الرسالة: «السلام عليك أيتها الحكمة المغربية، والألفاظ العربية»<sup>(١٣)</sup>.

قوله: "الحكمة المغربية والألفاظ العربية: قرأ المعري السلام على أستاذه بتقديره السلام عليك أيها الحكيم المتكلم، وجعله نفس الحكمة للمبالغة في شأنه وكمال معرفته باللغة العربية.

في هذه العبارة استعارة تصريحية أصلية في الحكمة والألفاظ العربية، إذ شبه المعري أستاذه بالحكمة لكمالها وتعمقه فيها مما أهله على أن يعبر بها بالمغربية. وأنه هو الألفاظ العربية نفسها لفصاحته وبلاغته، فمن رآه أو سمعه أو استمع إليه فكأنه شاهد واستمع إلى الحكمة، وإلى الألفاظ العربية بما فيها من التفوق شكلاً ومضموناً.

وهنا تناسى المعري التشبيه وادعى أن المشبه نفس المشبه به، وحذف المشبه وهو اسم أستاذه ومعلمه واستعار له لفظ المشبه به وهي "الحكمة والألفاظ العربية"، واستعمله في المشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية التي صرحت فيها بلفظ المشبه به وقام مقام المستعار منه، وأوحت لفظة "السلام عليك" بقرينة على أن المصرح به مستعار لقوة المشابهة والمماثلة بين المستعار له و المستعار منه.

فتشبيه المعري لأستاذه بالحكمة والألفاظ العربية لا يعني أنه نفس الحكمة ونفس الألفاظ العربية حقيقة ولكنه تخيل ذلك في معلمه فأرى المتلقي المستعار متمثلاً في المستعار منه. وترك ما يشير إلى التشبيه وراء ظهره ادعاءً وتخبيلاً على سبيل الاستعارة التصريحية التي جردت بذكر ما يلائم المستعار إليه وهو لفظة "المغربية".

«رب ولي أغرق في الإكرام فوق في الإبرام إبرام السأم لا إبرام السلم»<sup>(١٤)</sup>.

قوله: "ولي": بعدما شبّه المعري شدة حزنه وتأسفه على مفارقة أستاذه، استدرك هذا التأسف بتشبيه نفسه برجل جواد وقى في الإحسان فوق في ضجر وكلفة وممل لا في السلم، وبذلك استعار لفظة "ولي" للمستعار له وصرح بلفظ المستعار منه وهو "ولي"، والاستعارة أصلية مرشحة لأنه ذكر ما يلائم المشبه به وهو: «أغرق في الإكرام».

ووصف المعري نفسه بـ"ولي" لشدة تأسفه على ما فاته من عدم قربه إلى أستاذه. فقدّه وتفقدّه بلا جدوى ويئس من لقاءه مرة ثانية مع احتياجه الشديد إلى ذلك، وأصبح مكروبا فأفشى بما في قلبه من الحزن علّه يجد راحة نفسية تبلل وجدّه وتأسفه وتحرقه.

وقال أيضا: «ما حاملة طوق»<sup>(١٥)</sup> من الليل، وبرد من المرتع، مكفوف الذيل، وافت الأشاء، فقالت الكئيب ما شاء، تسمعه غير مفهوم لا بالرمل ولا بالمزموم»<sup>(١٦)</sup>.

قوله: "حاملة الطوق": بيّن المعري شدة شوقه إلى زيارة أستاذه المغربي وغاية نزوعه إلى أنبائه وأخباره فشبه نفسه بالحمامة ذات مطوق أسود استدار حول الذيل تصعد وترتقي إلى نخلة صغيرة وهي تقول لحزين تخاطبه بصوتها الحزين يسمعها ولا يفهم معناه لأنه صوت حيوان وليس الصوت بالرمل من الأشعار ولا بصوت المزموم من الأبيات حتى يترك إيقاعاً نغمياً. وهذا الكلام الصادر من المعري تشبيه عن طريق الاستعارة التصريحية الأصلية وذلك في كلمة "طوق" لأنها اسم الحمامة، شبه المعري نفسه بها.

يطالب المعري المتلقي بأن يشاركه في هذا التناسي؛ تناسي التشبيه فيها بدون ذكر المشبه نفسه بل وذكر المشبه به "حاملة طوق" مدعياً أنه عين المشبه به على طريق الاستعارة التصريحية المرشحة لذكر ما يلائم المشبه به في قوله "وافت الأشاء" أي صعدت النخلة الصغيرة، إن من عاداتها إذا اشتكت وتأسفت أن تصعد على غصن تتصوت مبدية حنوتها وقلقها النفسي.

وهنا وصف المعري غاية شوقه إلى مزاراة أستاذه، فشبه نفسه بالحمامة التي تشتاق وقال إنه أكثر شوقاً منها.

«وليس الأشواق لذوات الأطواق، ولا عند الساجعة عبرة متراجعة، إنما رأت الشرطين، قبل البطلين، والرشاء بعد العشاء فحككت صوت الماء في الخرير، وأتت براء دائمة التكرار، فقال جاهل: فقدت حميما وثكلت ولداً قديماً. وهيهاث باكية؛ أصبحت فصدحت، فأمسيت فتناسيت، لا همام لا همام: ما رأيت أعجب من هاتف الحمام: سلم ففاح وصمت وهو مكسور الجناح، إنما الشوق لمن يذكّر في كل حين ولا يذهله مضئيّ السنين»<sup>(١٧)</sup>.

قوله: "صوت الماء في الخرير. وأتت براء دائمة التكرار": بيّن المعري الفرق بين شوقه وشوق الحمامة التي تسجع بصوتها بكاءً وبكاء متراجعة ويرى أن العبوة تكون عند مثله، لأن الحمامة صعدت ورأت منازل القمر والكوكب الشامية واليمانية، فحككت الحمامة صوت خرير الماء وهي تكرر صوت الراء حتى يظن من لا يعرف الحوافز إلى بكائها أنها فقدت صديقاً أو مات لها ولد منذ عهد قديم. برزت الحمامة هذه نهاراً ترفع صوتها لفقيدها، وعندما أدلجت تناست الصرح وبعدت عنه.

شبه المعري صوت الحمامة بخرير الماء عن طريق الاستعارة التصريحية الأصلية في قوله "خرير الماء" تناسى التشبيه ولم يذكر المشبه بل ذكر المشبه به بادعاء أنه عين المشبه كما أطلق الاستعارة بعد ما ذكر ما يقترن بما يلائم المشبه أو المشبه به.

وشبه المعري صوت الحمامة بخرير الماء تنغيماً وتغريداً، لذا قال: "أتت براء دائمة التكرار" لأن صوتها في التغريد يضاهاه راءات مكررة.

«وأين النثرة من العثرة، والغرقد من الفرقد».

يتحدث المعري عن نظم أستاذه وفضله على غيره فجعل نظم أستاذه في منازل القمر ونظم غيره في الأرض كما وصف نظم أستاذه بالنجم ونظم غيره بالشجرة. في هذه الجملة أربع استعارات؛ الأولى والثانية:

في قوله "أين النثرة من العثرة" شبه المعري نظم أستاذه بمنازل القمر، فيبدو أن المستعار له أو المشبهه "النظم" هو المستعار النثرة أي منازل القمر عن طريق الاستعارة التصريحية الأصلية في كلمتي "النثرة والعترة"، والاستعارة مطلقة لأنها خلقت عن ذكر ما يلائم المستعار له والمستعار منه.

وتتمثل الروعة البيانية في هذه الاستعارة في تخيل الشاعر وجعل منازل القمر مع علوها وارتفاعها في السماء نظم أستاذه، ونظر إلى الأرض ورأى دناءتها وجعل نظم غيره مكانها ليوضح الفرق بين نظم أستاذه ونظم غيره.  
الثالثة والرابعة: "والفرقد من الغردق".

جعل المعري نظم أستاذه نجما وتناسى التشبيه ولم يذكر المستعار له "نظم أستاذه"، وذكر المستعار الفرقد أي النجم عن طريق الاستعارة التصريحية الأصلية، ووصف نظم غيره بالشجرة وتناسى التشبيه ولم يذكر المستعار له بل ذكر المستعار - الغردق أي الشجرة، عن طريق الاستعارة التصريحية الأصلية، والاستعارة مطلقة لخلوها عما يلائم المستعار والمستعار له.

وتتحلى جمالية هذه الاستعارة في استطاعة المعري على التخيل وجعل نظم أستاذه عاليا ونورا مضيئا كالنجم مع علو النجم وجماله وكونه نورا وهدى في الضلالة والظلام كما أن نظم أستاذه رفيع وجميل وهاد إلى معرفة اللغة، ونظم غيره كالشجرة والشجرة مع جمالها وارتفاعها ونفعها لا تصل إلى مرتبة النجم.

«ما أنفسه خاطرا مترى: استخراج الفضة من القضة، والوصاة من مثل الحصاة»<sup>(١٨)</sup>.

الفضة والوصاة: تعجب المعري من قوة وذاكرة أستاذه في نظم الكتاب، في استطاعه من استخراج وتمييز اللجين من الحصى الصغار والنخلة الصغيرة من الحصاة الصغيرة.

شبه المعري نظم أستاذه لكتاب "إصلاح المنطق" بالفضة كما شبهه بالحصاة عن طريق الاستعارة التصريحية الأصلية في قوله: "الفضة والقضة والوصاة والحصاة" صرح بلفظ المشبه به فقط بادعاء أنه هو عين المشبه، والاستعارة مطلقة لأنها لم تقارن بما يلائم المشبه أو المشبه به.

ماثل المعري نظم أستاذه هنا بالفضة لما فيه من الفوائد والقيم في ألفاظه النفيسة ومعانيه الرفيعة كما وصفه بالنخلة لما فيه من حلاوة الألفاظ العربية.

«وكذلك سيدنا ولّد من سحر المتقدمين، حكمة للحنفاء المتدينين،

كما له من قافية تبنى السود وتثنى الحسود»<sup>(١٩)</sup>.

"سحر المتقدمين": مدح المعري أستاذه بأنه يستطيع أن يستخرج من عبارات اليونانيين الحكم الرضية عند أهل الدين. وجعل نظم أستاذه للسؤدد بناء وللحسد ثناء. فثنى الحسود وتصرفه عن حاجته ولا يعي من حزنه وحرقتة.

شبه المعري عبارات اليونانيين بالسحر، ونظم المعري بالحكمة عن طريق الاستعارة التصريحية الأصلية في ألفاظ "سحر المتقدمين، وحكمة" لأنه صرح بلفظ المشبه به وهو سحر المتقدمين وحكمة، وتناسى التشبيه بادعاء أن المشبه هو عين المشبه به، والاستعارة مجردة لأنه ذكر ما يلائم المشبه في قوله "كماله من قافية".

ووصف المعري العبارات بالسحر لما فيه من جذب القلوب وتصريفها في معرفة الأشياء على غير حقيقتها. ووصف النظم بالحكمة لما فيه من الفصاحة والبلاغة: «فالآن سلمت الجبهة من المعض وشمل بعضها بركات بعض، فأيقن النطيح أن ربه لا يطيح، والمهقوع نجح راكبه من الوقوع، فلن يجرب قائد المغرب، ولن يرحل سائس الأرجل، والعباب - وإن لحق الكعاب - ناكب عن ناقلات المراكب. وقالت خيفانة امرئ القيس: الدباءة، لراعي المباءة، والأثنية للقدر الكفية. نغمًا على جاعل عذرها كقرون

العروس وجبهتها كمحذق التروس. وأنى للكندي قواف كهجمة  
السعدي:

إذا اصطكت بضيق حَجْرَتَاها \* تلاقي العسجدية واللّطيم

«فالقسيب في تضاعيق النسيب والشباب في ذلك التشبيب ليس رويه بمقلوب. ولكنه من إرواء القلوب قد جمع أليل ماء الصبا، وصليل ظمًا الظبي فالمصرع كوذيلة الغربية حكّت الزينة والريبة، وأرت الحسناء سناها والسمجة ما عنها»<sup>(٢٠)</sup>.

شرح المعري في ذكر الفرق بين نظم أستاذه ونظم الجاهليين وبين قصورهم حتى أصبحوا مفحمين<sup>(٢١)</sup> عند بلاغته، فقال: «سلم الخيل من أن يغض عليه، والفرس الذي في جبهته دائرة لا يسقط منه راكبه، فهو موقن بالألا تقع مع قلة نشاطه وبطء حركاته، والفرس الغر لن يغضب راكبه، والفرس القوي على الجري لم يبق راكبه راجلاً، وإن لحقت البنت المعيبة – بالافتضاض – بالكاعب<sup>(٢٢)</sup> من الأبقار فلن يدوم ذلك»، والأحجار التي توضع عليها القدر تكفيها، وعيبا على من يجعل الخصلة من الشعر كقرون العروس والجبهة كمصنوع الترس، وأين امرؤ القيس الذي له قواف ما بين الستين إلى المائة.

ومدح قوافي أستاذه بقوله له مزية في كل وجه على نظم غير لأنه استعمل العقل في النظر والروية وجمع حسن النظم ولذاذته التي تشرب في القلوب وسمع صوته كأنه حدّ السيف، ووصف بيته بامرأة غريبة في زينتها وضوئها ولمعان حسنها.

"الجبهة، والنطيح، والمهقوع، المغرب والأرجل": شبه المعري نظم أستاذه بالخيل الذي سلم من العيوب والذي يفرح راكبه في كل حين عن طريق الاستعارة التصريحية الأصلية في ألفاظ الجبهة، والنطيح، والمهقوع، المغرب والأرجل فتناسى التشبيه ولم يذكر المشبه "نظم أستاذه" بادعاء أن المشبه به هو عين المشبه، فالاستعارة مرشحة لأنه ذكر فيها ما يلائم المشبه به في قوله "نجا راكبه من الوقوع".



شبه المعري النظم بالخيال لا لأن النظم يشبه الخيال في هيئته بل في جماله وحسنه ومنفعته عند رآكبه، كما كان نظم أستاذة جميلا وحسنا ونافعا لطلاب العلم. والأثنية للقدر الكفية: شبه المعري نظم أستاذة بالأثنية؛ وهي الأحجار التي توضع عليها القدر - على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية، وذكر المشبه به بادعاء أنه عين المشبه، وشرح الاستعارة بذكر ما يلائم المشبه "القدر". وصف المعري نظم أستاذة بالأثنية لمطابقة نظمه لمقتضى الحال، كما أن الأثنية تطابق القدر التي توضع عليها، كذلك نظمه طابق الحال والزمن الذي نظم فيه، لأن طلاب العلم في حاجة إلى مثله.

"فالقسيب في تضاعيف النسيب، والشاب في ذلك التشبيب": شبه المعري النظم بالقسيب عن طريق الاستعارة التصريحية الأصلية وذكر المشبه به القسيب بادعاء أنه عين المشبه. فالاستعارة مطلقة، ليس فيها ما يلائم المشبه ولا المشبه به.

وشبه المعري نظمه بالقسيب وهو "صوت الماء الجاري" لا لأن النظم يصوت كصوت الماء الجاري بل لأن المتلقي يسمع نغمات نظمه كما يسمع صوت الماء الجاري وذلك لتأثيره في النفوس.

"قد جمع أليل الصبا وصليل ظمأ الطُّي": شبه النظم أيضا بأصوات ماء الصبا وصوت الحديد على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية في "أليل وصليل" والاستعارة مطلقة. ووصف المعري نظم أستاذة بأليل الماء، لأن الماء يجري بهدوء كما أن نظم أستاذة نظم هادئ، وبصليل ظمأ الطي، لما فيه من تأثير في النفوس كما أن نظم أستاذة يترك أثراً في نفس سامعه.

«ولقد سمعته ذكر خيمة يغبط المسك جارها من الشيام ويود سعد

الأخبية أنه سعد الخيام»<sup>(٢٣)</sup>.

"خيمة يغبط المسك جارها": استمر المعري يصف نظم أستاذه ووصفه بالخيمة فيها رائحة المسك الطيب، ويتمنى أحد السعود الأربعة التي ينزل القمر أنه يعد تلك الخيام العالية.

ذكر المعري نظم أستاذه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية في "الخيمة" ووصف النظم بالخيمة وتناسى التشبيه ولم يذكر المشبه به، والاستعارة مرشحة لأنه ذكر ما يلائم المشبه به - "يودُّ سعد الأحيية أنه سعد الخيام".

ووصف المعري نظم أستاذه بالخيمة لا يعني أنه نظم الكتاب وجعله كالمنزل بل نظر إلى الخيمة وكيفية بناءها "لأنه بيت يقام من أعواد الشجر، يلقي عليه نبتٌ يستظل به في الحر، والبيت يتخذ من الصوف أو القطن، ويقام على أعواد ويتشد بأطناب"<sup>(١)</sup>، كما نظر إلى نظم أستاذه وراه قائماً من أعواد الشعر العربي.

«ووقفت على مختصر إصلاح المنطق، الذي كاد بسمات الأبواب،  
يغني عن سائر الكتاب، فعجبت كل العجب من تقييد الأجمال بطلاء  
الأحمال، وقلب البحر إلى قلت النحر، وإجراء العزات في مثل  
الأحرات»<sup>(٢٤)</sup>.

تعجب المعري بمختصر إصلاح المنطق فصور كيفية اختصار أستاذه بالكتاب فكأنه - من شدة الإيجاز - ربط الجمل بجمل يربط به الحروف أو كأنه جمع ماء النهر في البحر أو كأنه أجرى ماء النهر في ثقب الإبرة. وفيه ثلاث استعارات.

"تقييد الأجمال بطلاء الأحمال": بالغ المعري في مدح كتاب أستاذه "مختصر إصلاح المنطق" فقال علامة أبواب الكتاب يغني عن سائر الكتاب، لذلك تعجب به غاية العجب لما فيه من الاختصار والتوجيه لأنه اختصر مبسوط "أبي يوسف صاحب إصلاح المنطق"، وقال البكريادي: أحد معاصري المعري وواحد من شراح الرسالة «...ولمعري إن

التهديب في اختصار اللغة، لن يتأتى إلا لمن استولى على أعنة فنون الآداب، فأصبح ابن بجدتها، وأخا جملتها - وأبا عذرتها، ومالك أزمتهها...»<sup>(٢٥)</sup>.

فشبه الاختصار بربط الجمل بجمل يشد به حروف لأن تقييد الجمل بجمل يشد به الحروف إيجازاً، - والاستعارة تصريحية تبعية في لفظ "تقييد" وصرح بلفظ المشبه به بادعاء أن المشبه هو عين المشبه به، وشرح الاستعارة بقوله "كاد بسمات الأبواب يغني عن سائر الكتاب". والجملة تعود إلى المشبه.

والمعري لا يعني أن أستاذه قيد كتابه وربطه كربط الجمل بخيط يشد به حروف بل نظر إلى غاية اختصار الكتاب فشبه ما بسطه أبو يوسف بجمل لكثرتة وطوله ثم نظر إلى الإيجاز والاختصار من أستاذه أبي القاسم فشبه الاختصار بربط هذا الجمل بخيط يشد به الجمل لجدية أستاذه ومهارته استطاع أن يقيد الكبير في مكان الصغير، فشبه الاختصار بالتقييد في صورة فنية رائعة.

"وقلب البحر إلى قلت النحر": استمر في مدح أستاذه لما قام به من الاختصار والإيجاز، فشبه توجيز مبسوط أبي يوسف بتصريف البحر مع عرضه وطوله إلى نقرة يجتمع فيها الماء. فالاستعارة تصريحية أصلية في ألفاظ "قلب وقلت" وتناسى التشبيه وصرح بلفظ المشبه به بادعاء أنه عين المشبه والاستعارة مرشحة.

نظر المعري إلى اختصار الكتاب وشبهه بقلب البحر إلى قلت النحر، فجعل المبسوط لكثرة أبوابه بجرراً لطوله وعرضه، وجعل المختصر لإيجازه نحرراً، لقلته النحر "وإجراء الفرات في مثل الأخرات": استمر في التعجب بالمختصر فشبه الاختصار بجريان ماء النهر في ثقب الإبرة، فالاستعارة تصريحية أصلية في لفظ "إجراء"، وصرح بلفظ المشبه به بادعاء أنه عين المشبه والاستعارة مرشحة.

وتتجلى بلاغة هذه الاستعارة فيما تأمله المعري من اختصار مبسوط أبي يوسف فجعل المبسوط لكثرة أبوابه نهر بغداد. فمدح عمل أستاذه أبي القاسم فجعله كأنه يجري هذا

النهر بعظمته وكثرة مائه في ثقب الإبرة، وثقب الإبرة عنده هي المختصر، فأتى بهذا التشبيه في صورة شيقة.

«وقد آب من سفرته الأولى ومعه جذوة من نار قديمة، إن لهست فنار إبراهيم، وإن أونست فنار الكليم، واجتنى بهارا حيث به المرابة كسرى، وحمل في فكاك الأسرى، وأدرك نوحا مع القوم وبقي غضاً إلى اليوم وما انتجع موسى إلى الروض العميم ولا اتبع إلا أصدق مغيم»<sup>(٢٦)</sup>.

بيّن المعري كيفية ورود كتاب المختصر إليه فقال إن الرسول جاءه بالكتاب فشبه الكتاب بنار إبراهيم عليه السلام ونار موسى عليه السلام، وذكر فائدة مستكنة في الكتاب وشبهها بالنبت طيب الريح، وهذا النبت بها حييت صاحب الرتبة من أعضاء ملوك فارس حتى فكك الأسرى. ومن فائدة هذا الكتاب كأنه سفينة نوح التي ما زالت نافعة للجميع. وقال إن الرسول الذي أرسل إليه وجد خيراً كثيراً.

في هذه العبارة أربع استعارات:

"وقد آب من سفرته الأولى ومعه جذوة من نار قديمة": شبه المعري كتاب المختصر بالنار القديمة على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية في ألفاظ "جذوة" "نار" "قديمة" وتناسى التشبيه وصرح بلفظ المشبه به والاستعارة مطلقة.

وتظهر بلاغة الاستعارة فيما نظر إليه المعري من النفع والبركة في هاتين النارين، وشبه بهما كتاب المختصر على طريق الاستعارة، لأن نار إبراهيم عليه السلام نار سلم ونار موسى عليه السلام نار هداية. والكتاب جامع لهما جميعاً السلامة من العيوب والهداية إلى معرفة اللغة.

"واجتنى بهارا حيث به المرابة كسرى": وصف الفائدة الموجودة في الكتاب وشبهها بنبت طيب الرائحة على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية في لفظة "بهارا" والاستعارة المطلقة في قوله حيث به المرابة كسرى.

المعري لا يعني أن المختصر نبت يأكل ويجي به. بل سوّى بين فائدة الكتاب في إشباع العقل والذهن وبين العلم وفائدة النبت في إحياء الإنسان فعقد تشبيهه بينهما في صورة رائعة.

"وأدرك نوحاً مع القوم": ووصف الرسول بأنه ناج وشبهه بسيدنا نوح وقومه الذين نجوا من الغرق في الطوفان على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية في ألفاظ "نوح" و"القوم" فالاستعارة مجردة.

وتتحلى فائدة هذه الاستعارة في تشبيهه مفازة الرسول بنحاة قوم نوح لأن قوم نوح نجوا من الهلاك كما نجا هو من الجهل.

"وما انتجع موسى إلا الروض العميم ولا اتبع إلا أصدق مغيّم": شبه ما طلبه الرسول من البركة لإنفاذ أمر أستاذه بالروض الوافي النبت والغيم عن طريق الاستعارة التصريحية الأصلية في لفظة "الروض" والتبعية في لفظة "مغيّم"، وتناسى التشبيه وصرح بلفظ المشبه به دون المشبه بادعاء أنه نفس المشبه به. فالاستعارة مجردة.

وتظهر بلاغة الاستعارة في تشبيهه البركة بالروض والغيم بما فيها من نعمة وسكينة.

«وقد كنت عرّفت سيدنا فيما سلف، أن الأدب كعهود في إثر عهود، أروت النجاد فما ظنك بالوهود، وإنيّ نزلت من ذلك الغيث ببلد طسم، كأثر الوسم، منعه القراع من الأمراع».

"نزلت من ذلك الغيث": المعري عرف علم أستاذه وتبحره في الأدب، الأدب عنده كمطر قدّم يروي به أعالي الأرض وأسافلها ونزل هذا المطر أي أستاذه ببلد لا أثر فيه كأن هذا البلد لا ينبت شيئاً ومنع هذا البلد من النبت مقارعة الحرب فيه.

الاستعارة في قوله "وإني نزلت من ذلك الغيث ببلد طسم، شبه أدب أستاذه بالغيث على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية، وتناسى التشبيه وصرح بلفظ المشبه به دون المشبه، الاستعارة مطلقة لقوله "منعه القراع من الأمراع"، أي الخصب.

لا يعني المعري أنه نزل الغيث ببلد وإنما يعني نزل أدب أستاذه ببلد واستعار لفظ الغيث للأدب لكثرة علم أستاذه. فكما أن الغيث يروي الأرض من أعلاها إلى أسفلها ويحيي به الأرض الوسم، كذلك أدب أستاذه يعم البلد علما ويحييها من ظلم الجهل. «يا خصب بني عبد المدان، ضأن في الحرث وضأن في السعدان»<sup>(٢٧)</sup>.

"خصب وضأن": بيّن المعري قيمة أستاذه بين عشيرته بأنه نعمة وبركة عندهم فشبه الأستاذ بالخصب والضأن على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية في ألفاظ "الخصب والضأن" والاستعارة مجردة.

وتظهر بلاغة هذا التشبيه في إبراز ما لأستاذه من البركة والنعمة فشبهه بالخصب بجامع النعمة والبركة والضأن كذلك، لا لأن الخصب والضأن بل نظراً إلى ما فيها من البركة والنعمة.

ومن الاستعارة المكنية الواردة في الرسالة:

«أي هواء رقاك وأي غيث سقاك»<sup>(٢٨)</sup>.

"رقاك وسقاك": شبه المعري أستاذه بالنبته الطيبة الجميلة، وفيه استعارة مكنية أصلية في "رقاك" و"سقاك" وأصلية في "هواء" و"غيث" وتناسى التشبيه وذكر ما يلائم المشبه به وهو "هواء" و"غيث"، فصارت مكنية لذلك، وأصلية لأن لفظي رقاك وسقاك ليستا من المشتقات بل من الأصل.

وتشبيه المعري أستاذه «بأي هواء رقاك وأي غيث سقاك» لا يعني أنه النبته طيبة، بل يعني كونه «منبعا للحكمة وهمته في كونه حافظا لها بالمنبت الطيب، الغريض في طينه، الواسع ماؤه، المنمي هواؤه، الرّيف بهاءه»<sup>(٢٩)</sup>.

فالاستعارة مرشحة لأنه ذكر فيها ما يلائم المستعار له وهو هواء وغيث.

«ورب ولي أغرق في الإكرام، فوقع في الإبرام، إبرام السأم لا إبرام السلم»<sup>(٣٠)</sup>.

قوله: "أغرق": المعري بعد أن بيّن شدة تأسفه على دنوه من أستاذه، يقول قد تجد جوادا كريما منعما استوفى في الإحسان ولكنه وقع في الإضجار، فاستعمل الكاتب لفظة "أغرق" على سبيل الاستعارة المكنية لأن الغرق من لوازم الماء، فشبه هذا الجود بالنهر لكثرتة ولم يذكر المشبه به النهر، وذكر شيئا من لوازمه نظر المعري إلى كثرة الجود والكرم فشبهها بالنهر ولم يصرح بلفظ النهر بل ذكر شيئا من لوازمه وهو "الغرق" للمبالغة لأن كل من غرق في الماء بالغ فيه، وكذلك من أغرق في الجود بالغ فيه.

#### الخاتمة:

ومما يلاحظ خلال الورقة المعنونة بـ"دراسة صور الاستعارة في رسالة الإغريض لأبي العلاء المعري" أن الباحثة قسمت الأفكار إلى ثلاثة أقسام:

- القسم الأول: ما يمس الجانب النظري، قامت الباحثة بدراسة نظرية حول الاستعارة، إذ تحدثت عن مفهومها اللغوي والاصطلاحي، وأقسامها، وبلاغتها.
- القسم الثاني نبذة عن حياة أبي العلاء المعري ورسالته "رسالة الإغريض".
- القسم الثالث درست الباحثة فيه صور الاستعارة الواردة في رسالة الإغريض لأبي العلاء المعري.

#### نتائج البحث:

وقد توصلت الباحثة إلى النتائج التالية:

- رسالة الإغريض جامعة لعلوم شتى، من علم لغة، ونحو، وعروض، وأدب، ونقد، وعلم نجوم، وجغرافيا، وكل ما ورد في كتب التراث من اختلاط المسائل البلاغية بالنقد والنحو واللغة وغيرها، ويراه القارئ جليا وتطبيقيا في هذه الرسالة.

- يستخدم المعري في استعاراته الألفاظ والمعاني التي توحى بمعان ممتعة وتغذي العقل والفكر كما هي عند صاحبها.
- حياة المعري حياة حفلت بالثقافة، والعلوم، والفلسفة، والفتن؛ لأن العصر الذي عاش فيه حافل بما جميعاً.

#### التوصيات:

توصي الباحثة بالقيام بالبحوث حول النصوص الثرية، حتى تتماشى مع النصوص الشعرية في ميدان البحث، وخاصة في البلاغة العربية.

#### الهوامش:

- (١) رسائل أبي العلاء المعري، تحقيق وشرح وضبط حسن الطيبي، دار المعارف، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص: ٦.
- (٢) جميل بك العطا، عقود الجواهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفاً فمائة فأكثر، طبع برخصة نظارة المعارف الجليلية، د.ت. ص: ٣٠٠.
- (٣) أبو العلاء وما إليه، مرجع سابق، ص: ١٩٤.
- (٤) المعري، أبو العلاء: رسالة الإغريض وشروحها الثلاث، تحقيق: السعيد السيد عبادة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، مكتبة الآداب، ص: ٧٩-٩٠.
- (٥) أبو القاسم المغربي: الحسين بن علي المغربي بن محمد بن يوسف بن حجر بن بهرام بن المرزبان ابن ماهان بن بادام بن ساسان القاسم المعروف بالوزير المغربي الأديب اللغوي الكاتب الشاعر. ولد فجر يوم الأحد الثالث عشر ذي الحجة سنة سبعين وثلاثمائة، وحفظ القرآن وعدة كتب في النحو واللغة وكثيراً من الشعر وأتقن الحساب والجبر والمقابلة ولما يبلغ من العمر أربعة عشر ربيعاً. وكان حسن الخط سريع البديهة في النظم والنثر. توفي في الثالث عشر من شهر رمضان سنة ثمانين وأربعمائة هجرية. "معجم الأدباء"، الجزء العاشر، تحقيق: السعيد السيد عبادة، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، دار الفكر للطباعة والنشر، ص: ٧٩-٩٠.



- (٦) حسين، طه (الدكتور): تجديد ذكرى أبي العلاء، الطبعة السادسة، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٦٣م، ص: ٢١٤.
- (٧) الجندي، محمد سليم (الأستاذ): الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره، تعليق الأستاذ عبد الهادي هاشم، الطبعة الأولى، دمشق، سنة ١٣٨٢-١٣٨٣هـ، ج/١، ص: ٤٧٤.
- (٨) ابن منظور، المرجع السابق، مادة غير، ج/٤، ص: ٦٢٠.
- (٩) بسيوني، أحمد المصطفى، المرجع السابق، ص: ١٣٩.
- (١٠) قلاش، أحمد، المرجع السابق، ص: ١٠٢-١٠٩.
- (١١) سورة الملك، الآية: ٨.
- (١٢) الجارم وغيره، المرجع السابق، ص: ٩٨-٩٩.
- (١٣) المعري، أبو العلاء: رسالة الإغريض، المصدر السابق، ص: ١٣٩.
- (١٤) المعري، أبو العلاء:، المصدر السابق، ص: ١٦٦.
- (١٥) الطوق: الحمامة، ويقال لها مطوقة أو ذات الطوق، المعجم الوسيط، ص: ٥٩٢.
- (١٦) المعري، أبو العلاء:، المصدر السابق، ص: ٢٥٩.
- (١٧) الرمل والمزموم: في كتاب الموسيقى الكبير ذكر الفارابي "الرمل" ضمن الإيقاعات العربية المشهورة في ص: ١٠٣٣، وعرفه بأنه «ما كان إيقاعه نقرة واحدة ثقيلة واثنان خفيفتان، ثم ذكر "الرَّمَّ" ضمن أحوال النغم، ص: ١٠٧٠. وعرفه بأنه الحال الحادثة للنغم عند سلوك الهواء بأسره في الأنف: عبادة، المرجع السابق، ص: ٢٦٠.
- (١٨) المعري، أبو العلاء:، المصدر السابق، ص: ٢٧١ و ٢٧٣.
- (١٩) المعري، أبو العلاء:، المصدر السابق، ص: ٣١٦.
- (٢٠) المصدر السابق نفسه، ص: ٣٢١.
- (٢١) المرجع نفسه، ص: ٣٦٠-٣٧١.
- (٢٢) مفتح: سكت وعجز عن البيان، المعجم الوسيط، ص: ٧٠٠.
- (٢٣) الجارية حيت يبدو ثديها للنهود، المعري، أبو العلاء:، المصدر السابق، ص: ٣٧٤.
- (٢٤) المعري، أبو العلاء:، المصدر السابق، ص: ٣٩٣.
- (٢٥) المعجم الوسيط، ص: ٢٧٢.
- (٢٦) المعري، أبو العلاء:، المصدر السابق، ص: ٤٠١.
- (٢٧) المرجع نفسه، ص: ٤٠٣.
- (٢٨) المعري، أبو العلاء:، المصدر السابق، ص: ٤٢٩.

(٢٩) المعري، أبو العلاء: المصدر السابق، ص: ٤٣٥.

(٣٠) المعري، أبو العلاء: المصدر السابق، ص: ١٤١.

(٣١) المصدر نفسه، ص: ١٦٦.

(٣٢) المصدر نفسه، ص:

